المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

منهج الخطيب البغدادي وجهوده في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد
إيناس بنت زيد بن عبد الكريم الزيد

إشراف فضيلة الشيخ
د. محمد بن إبراهيم العجلان
الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة –كلية أصول الدين

1429 – 1430 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أشكر الله العلي القدير على توفيقه لي لإتمام هذا البحث وأحمده حمد شاكر لنعمائه ، وأثني عليه بما هو أهله لا أحصي ثناءاً عليه هو كما أثنى على نفسه فله الحمد والشكر ، وأسأله سبحانه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله بقبول حسن .

ثم أتقدم بالشكر الجزيل بالغه وأوفره ، لوالديّ الكريمين ؛ الذيّن لا أوفّيهما جزائهما مهما فعلت ، فلهما المعروف والفضل بعد الله في التربية والدَّلالة على الخير ، فلا يسعني في هذا المقام إلا أن أقول : (وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) ، سائلة ربي أن يجزيهما خير الجزاء ، وأن يرفع قدرهما في عليّين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

والشكر موصول لزوجي : د . محمد بن عثمان الركبان وفقه الله ، والذي يسر لي سبلَ إنجازِ هذه الرسالة ، فكان خيرُ معينٍ لي على ذلك بعد الله سبحانه ، فبارك الله فيه وسدد على طريق الخير خطاه ، ورفع منزلته في الجنان .

والشكر والدعاء لفضيلة الشيخ الدكتور / محمد بن إبراهيم العجلان ، الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة –كلية أصول الدين – ، الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة مشكوراً مأجوراً ، والذي كان لتوجيهه وملاحظاته وإرشاده الأثر في إنجاز هذا البحث ، سائلةً المولى الكريم أن يجعل ذلك في ميزان حسناته ويرفع بها درجاته .

كما لا يفوتني أن أشكر القائمين على جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعامة وعلى كلية أصول الدين و قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بخاصة ، على ما يبذلونه من جهود مباركة في العلم والتعليم ، وبث الخير والهدى ، وما هذه الرسالة إلا ثمرةً لجهودهم في عرض العقيدة الصحيحة مستمدة من أصولها الثابتة ، ومصادرها الأصلية ، كتابُ الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، وفق فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين، والله تعالى أسأل أن ينصر دينه ، وأن يعلي كلمته ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، طلباً لمرضاته ، والفوز بجناته .

وأن يسلك بنا سبيل الهداية ، وأن يجنبنا سبيل الغواية ، ويثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وأن يختم بالصالحات أعمالنا ، إن ربي جواد كريم .

مُقَدِّمَة

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) [1] .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)[2] .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً) [3] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار [4] .

إن الله – تعالى – أرسل محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة وكشف الله به الغمة ، وجاهد في الله حق الجهاد ، فأشرقت بدعوته الأرض بعد ظلمات الجهل والشرك والكفر ، وتألفت القلوب بعد الفرقة والشتات ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وأظهر الله دينه على الرغم من كيد اليهود ، ومكر المنافقين ، وحقد المشركين .

فلم يمت الرسول ﷺ حتى بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وعلَّم أمته ما تحتاجه من أمور الدين والدنيا ، فلحق بالرفيق الأعلى ، وتركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ

---

(1) سورة آل عمران ، الآية : 102 .

(2) سورة النساء ، الآية : 1 .

(3) سورة الأحزاب ، الآية : 70 – 71 .

(4) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة ، وهي مأثورة عن النبي ﷺ ، أخرجها النسائي في كتاب الجمعة ، باب كيفية الخطبة ، 105/3 ح 1560 ، وابن ماجه في كتاب النكاح ، باب خطبة النكاح، 609/1 ح 44 ، واللفظ له .

عنها إلا هالك .

قال ربنا – سبحانه – : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) (1) .

ولا شك أن العقيدة أول ما يدخل في ذلك لأنها خلاصة الرسالة الإلهية والدعوة المحمدية ، وبها قوام الدين قولاً وعملاً واعتقاداً .

فلما أكمل الله – عز وجل – به الدين ، قام بحمل هذه الرسالة إلى مشارق الأرض ومغاربها الصحابة والتابعون الأخيار الذين هم ألين الأمة قلوباً ، وأكثرهم علماً ، وأقلهم تكلفاً، وأفصحهم لساناً ، وأصدقهم إيماناً ، ففتحوا القلوب بعدلهم وأخلاقهم قبل أن يفتحوا البلاد ، وحرصوا على نشر الإسلام حرصاً شديداً .

ثم إن الفتن بعدهم قد رفعت رأسها رويداً رويداً ، وشيئاً فشيئاً ، لتنال من أصول الدين قبل فروعه ، ومن عقائده قبل شرائعه ، حيث جاء بعدهم أقوام فرّقوا دينهم ، وكانوا شيعاً وأحزاباً ، قصدهم الإفساد ، حاولوا صرف المسلمين عن عبادة ربهم ودراسة كتابه العظيم ، وسنة نبيه محمد ﷺ بشتى الخطط الماكرة ، سالكين بذلك أساليب الشبهات والشهوات ، ليكيدوا للإسلام ، ويمكروا بأهله ، فظهرت الفرق والمذاهب الهدامة .

ولكن الله مظهر دينه ، وحافظ شريعته ، ومعز أولياءه ، قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (2) ، (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (3) .

والله – سبحانه وتعالى – حفظ دينه بالطائفة المنصورة كما أخبر النبي ﷺ فقال :(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون)(4).

وقد بيّن الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – بعض أوصاف تلك الطائفة ، فقال :

---

(1) سورة المائدة ، الآية : 3 .

(2) سورة الحجر ، الآية : 9 .

(3) سورة التوبة ، الآية : 33 .

(4) متفق عليه ؛ أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم) ، 13 / 363 ح 7311 ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة محمد ﷺ ، 1/ 137 ح 156 .

" الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم !.

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عنان الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهّال الناس ، بما يشبِّهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتنة المضلين " (1) .

وهذا مقتضى حكمة الله – سبحانه وتعالى – : لأن الرسول ﷺ خاتم الأنبياء ، ولا نبي بعده ، لذلك قيّض الله رجالاً فَقِهوا كتاب ربهم وسنة نبيهم ، يذودون عن هذا الدين، ويردون كل بدعة بالحجج القوية ، والبراهين الساطعة .

ومازال الله يظهر من يجدد ما اندرس من هذا الدين ، فيعيد لهذه الأمة شبابها وحيويتها ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، والله غالب على أمره ولو كره المبطلون .

لذلك بقي معتقد السلف ظاهر المعالم ، واضح السبل ، لا غموض فيه ، وكل ذلك بسبب حفظ الله – جل وعلا – لهذا الدين ، ثم بجهود علماء السلف في العناية بإبراز هذه العقيدة الصافية ، والذب عنها .

وكان من هؤلاء العلماء الذين ذادوا عن هذا الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين، وتلبيس الجاهلين : الشيخ العلامة الجهبذ أبو بكر الخطيب البغدادي — رحمه الله — الذي يعد بحق من أعلام الأمة المحمدية ، صرف وقته ، وقضى عمره ، وبذل جهده في خدمة هذا الدين، والنصح لهذه الأمة ، وتوجيهها إلى ما فيه الخير لها في العاجلة والآجلة ،فجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء .

والخطيب البغدادي – رحمه الله – عالِم طبقت شهرته الآفاق ، وعرفه طلاب العلم بجهوده

(1) الرد على الزنادقة والجهمية ، ص6 .

البارزة في العقيدة ، دعوةً إليها ، وتعليماً لها ، ورداً على المخالفين فيها ، مما ميَّزه بجهودٍ كبيرة، ومعالم منهج واضح .

من أجل ذلك رأيت من المهم أن يبرز هذا الجانب في حياة هذا الجهبذ الإمام ، وأن تبرز تلك الجهود الكبيرة في جانب العقيدة والتوحيد ، فاشتغاله بالإسناد والرجال وعلوم الحديث الكثيرة ، لم يشغله عن العناية بالعقيدة والتوحيد ، وإعطائها حقها ، وهذا قل أن يجتمع إلا للأفذاذ القلائل من كبار العلماء .

وعلى ذلك كله كان هذا البحث :

"منهج الخطيب البغدادي وجهوده في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين "

فأحمد الله تعالى كثيراً ، أن وفقني لهذا البحث ، فقد استفدت منه كثيراً ، فله الحمد والشكر كثيراً .

أما بالنسبة لأهمية الموضوع وأسباب اختياره :

فهذا الموضوع – بفضل الله وبتوفيقه – يجمع عدة أمور مهمة شجعتني على المضي في دراسته، ومن تلك الأمور :

1/ أنه يتناول موضوعاً عقدياً يتميز بالشمول .

2/ أن الشخصية العلمية المدروسة هنا معروفة بمكانتها العلمية المتميزة في عدد من المجالات، ومجال البحث المدروس هنا هو من أهمها ، إن لم يكن أهمها كلها .

3/ أنه يتناول شخصية معروفة بسلامة العقيدة والمنهج ، وله الجهود الكبيرة في الردود على المخالفين .

4/ أنه جمع بين أمور مهمة تتكامل فيما بينها ، هي المنهج والجهود في تقرير العقيدة ، والرد على المخالفين ، وكل منها له أهميته في دراسة الشخصية ، وفي الفائدة المتحققة لكل من القارئ والباحث .

هذه أهم الأمور التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع والتقدم به للقسم ، سائلة المولى جل وعلا العون والتوفيق والسداد .

أهداف البحث :

تهدف هذه الدراسة بعون الله – تعالى – إلى :

1/ بيان منهج الخطيب البغدادي في تقرير العقيدة ، والاستدلال عليها.

2/ بيان جهود الخطيب البغدادي في تقرير العقيدة .

3/ بيان موقف الخطيب البغدادي من المخالفين والرد عليهم .

وأما بالنسبة لمنهج البحث:

سلكتُ المنهج الاستقرائي التحليلي ، وذلك باستقراء ما كتبه الخطيب البغدادي ، أو ما كُتب عنه مما له صلة بموضوع البحث ، ثم تحليل ذلك تحليلاً علمياً للوصول إلى هدف الدراسة ، وهو معرفة منهج الخطيب وجهوده في تقرير عقيدة السلف ، ورده على المخالفين .

وسألتزم بالمنهج العلمي المتبع في كتابة البحوث العلمية ، ومن ذلك :-

1- عزو الآيات القرآنية الواردة في البحث بذكر السورة ، ورقم الآية ، ووضعها بين ( ) .

2- تخريج الأحاديث الواردة في البحث من مصادرها الأصيلة ، فإن كانت في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت به ، وإن كانت في غيرهما خرجتها من المصادر الأخرى، مع نقل حكم علماء هذا الفن في القديم والحديث ، ووضعها بين ( ) .

3- وضعت النصوص الأخرى مثل الآثار وأقوال العلماء وجميع النقولات النصية بين " " ، وإذا كان النقل بتصرف أو بالمعنى ، وضعت أمام المصدر الذي أفدت منه في الهامش (انظر) ، وإذا كان مختصراً كتبت باختصار .

3- تخريج الآثار الواردة في البحث .

4- توثيق النقول من مصادرها الأصيلة .

5- التعريف بالطوائف والفرق المترجم لهم .

6- شرح المصطلحات والكلمات الغريبة الواردة في البحث .

7- ترجمة الأعلام المترجم لهم ، على النحو التالي :

1/ كل من نقلتُ عنه قولاً أو تناولته بمدحٍ أو ذمّ .

2/ تكون الترجمة عند أول ذكر له .

3/ أقتصر في الترجمة على اسمه ، وتاريخ ولادته ووفاته ، واثنين من أبرز مؤلفاته ، وأبرز ما تميز به .

8- التعريف بالأماكن والبقاع .

9- في الإحالة على المراجع أختصر بعض أسماء الكتب ، مثل : الكامل في التاريخ لابن الأثير، أسميه الكامل ، و تذكرة الحفاظ للذهبي ، أسميه التذكرة ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ، أسميه السبكي ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ، أسميه الجامع .. وهكذا .

10- الأبيات الشعرية أعزوها إلى قائلها ، ومن ثم توثيقها من ديوانه ، أو من مصدره المعتمد.

11- إلحاق البحث بفهارس علمية على النحو التالي :

فهرس الآيات ، والأحاديث النبوية ، والآثار ، والأعلام ، و المصطلحات ، و الأماكن ، والفرق والطوائف ، والمصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات

خطة البحث :

قد سرتُ في هذا البحث على الخطة التالية :

قسمتُ الموضوع إلى مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة أبواب ، وخاتمة .

المقدمة وفيها :

أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، وأهداف البحث ، ومنهجه ، وخطته .

التمهيد ، وفيه مبحثان :

الأول : عصر الخطيب البغدادي من الناحية العقدية .

الثاني : ترجمة موجزة للخطيب البغدادي .

الباب الأول : منهج الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف...وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : مصادر الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف .

الفصل الثاني : قواعد منهج الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف .

الفصل الثالث : منهج الخطيب البغدادي في الاستدلال على صحة مسائل الاعتقاد .

الفصل الرابع : منهج الخطيب البغدادي في إيراد مسائل العقيدة .

الفصل الخامس : سمات منهج الخطيب البغدادي في بحث مسائل العقيدة .

الباب الثاني : جهود الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف ... وفيه فصلان :

الفصل الأول : وسائل الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الرواية .

المبحث الثاني : التأليف .

المبحث الثالث : المناظرات .

الفصل الثاني : جهود الخطيب البغدادي في تقرير العقيدة وأصول الإيمان ، وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول :الإيمان بالله سبحانه .

المبحث الثاني : الإيمان بالملائكة .

المبحث الثالث : الإيمان بالكتب .

المبحث الرابع : الإيمان بالرسل .

المبحث الخامس : الإيمان باليوم الآخر .

المبحث السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره .

المبحث السابع : الصحابة رضي الله عنهم .

المبحث الثامن :الإمامة .

المبحث التاسع : مسائل الإيمان .

الباب الثالث : موقف الخطيب البغدادي من المخالفين في العقيدة ومنهجه في الرد عليهم، وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : منهج الخطيب البغدادي في الرد على المخالفين .

الفصل الثاني : موقف الخطيب البغدادي من مرجئة الفقهاء .

الفصل الثالث : موقف الخطيب البغدادي من أهل البدع والكلام .

الفصل الرابع : موقفه من مدعي الغيب .

الفصل الخامس : موقفه من مقالات الملل .. وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : وقفة مع حديث الافتراق .

المبحث الثاني : اليهود .

المبحث الثالث : النصارى .

الفصل السادس : موقفه مما اتهم به في معتقده .

الباب الرابع : مقارنه بين منهج الخطيب البغدادي في العقيدة ، ومنهج السجزي وأبي يعلى الحنبلي ، وفيه فصلان :

الفصل الأول : المقارنة بين منهجه ومنهج السجزي .

الفصل الثاني : المقارنة بين منهجه ومنهج أبي يعلى الحنبلي .

الخاتمة ..

وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث .

الفهارس ..

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الآثار .
- فهرس الأعلام .
- فهرس الفرق والطوائف .
- فهرس المصطلحات .
- فهرس الأماكن .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

وأخيراً : فهذا العمل قد بذلت فيه طاقتي ، واستفرغتُ جهدي ، وأرجو أن أكون قد وُفقت ، فما كان فيه من صواب وحق فبتوفيق ربي وهدايته ، فله الحمد والثناء على ذلك، وإن تكُ الأخرى فمن نفسي والشيطان ، وأستغفر الله الكريم ، وأتوب إليه .

(سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [1] .

---

(1) سورة الصافات ، الآية : 180 – 182 .

التمهيد

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : عصر الخطيب البغدادي من الناحية العقدية.

المبحث الثاني : ترجمة موجزة للخطيب البغدادي .

المبحث الأول :

عصر الخطيب البغدادي من الناحية العقدية

عصر الخطيب البغدادي من الناحية العقدية

إنه مما لا شك فيه أن الإنسان يتأثر بالبيئة التي تحيط به ، وبالظروف التي تكتنفه ، ليكون لها دور في بناء شخصيته سلباً أو إيجاباً .

والمرء يتأثر بمن حوله فكراً وسلوكاً وديناً ، والأحداث التي تدور حول الإنسان سياسية كانت أو اجتماعية أو دينية أو علمية ، لا شك أن لها دوراً بارزاً في تكوين شخصيته ، ورسم أفكاره واتجاهاته ، فمن نشأ على بارقة السيوف وصهيل الخيول نمت في نفسه شخصية جهادية لا ترى طيب العيش إلا في منازلة الأبطال ، شعارها " يا خيل الله اركبي" .

ومن نشأ على رقة العيش وسعته ، واكتنفته المراكب الوطية ، والمطاعم الشهية ، و المساكن الرضية ، كان لهذا نصيب في نظرته إلى الحياة نظرة السلام ، وحب الراحة والوئام ، وعلى هذا المثال وغيره يُقاس تأثر الإنسان بمن حوله من الأحداث والناس ، والتعامل ونوع الحياة ، ومن هذا المنطلق كان من الضروري أن ألقي الضوء على نواحي الحياة في عصر الخطيب ، ليقف القارئ على طبيعة عصره ، والحال التي كان عليها ، وسأتطرق إلى هذا الموضوع من نواحٍ ثلاث :

أولاً : الناحية السياسية :

عاش الخطيب البغدادي – رحمه الله – في القرن الخامس الهجري ، في الفترة ما بين سنة 392هـ حيث كانت ولادته ، وسنة 463هـ حيث كانت وفاته .

والمستقرئ لأمهات كتب التاريخ يرى أن الوضع السياسي للعالم الإسلامي كان سيّئاً ، إذ قامت دويلات إسلامية تشهد بالاضمحلال السياسي للدولة العباسية ، وقد استمر هذا التفكك رغم زوال بعض الدويلات ؛ إذ قامت دويلات أخرى على أنقاضها ، فكانت قوى الغزنويين والسلاجقة تتحكم في المشرق ، والبويهيين في العراق ، والفاطميين في مصر والشام، ويمتد نفوذهم أحياناً إلى الجزيرة الفراتية والشمال الإفريقي واليمن والحجاز، وينحسر أحياناً إلى مصر فقط ، تبعاً لقوتهم وقوة خصومهم ، حيث كثرت في هذا العصر القلاقل والفتن السياسية ، والصراع على السلطة والحكم ، كما ظهر فيه أيضاً تناحر الفرق الإسلامية ، وخلافاتها المذهبية.

ويعد ذلك العصر من الناحية السياسية ؛ عصر ضعف الخلافة العباسية ، فقد كان الخليفة العباسي في ذلك الوقت ليس له إلا سلطة اسمية فقط على بغداد وما حولها ، والسلطة الفعلية كانت لبني بويه ؛ فقد استبد البويهيون بأمور الدولة دونهم ، وحصروا صلاحيتهم في نطاق ضيق ، بل شاركوهم حتى في بعض مظاهر الخلافة ؛ فكان الأمير البويهي هو الذي يصدر الأوامر ، وعلى الخليفة توقيعها لتكتسب الشرعية أمام الرأي العام [1] ، فلا القادر بالله ، ولا القائم بأمر الله الذي تلاه بقادرين على السير بمصالح المسلمين إلى ما يجب ، وأكثر ما استطاعا إليه سبيلاً إيقاف ملوك بني بويه عن توسيع سيطرة الشيعة في بغداد ، وتمكينها من الغلبة على أهل السنة [2] ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى السلاجقة ، هذا في العراق .

وفي المغرب ومصر كان الحكم للدولة الفاطمية ، وامتد حكمهم إلى الشام والحجاز ، وحاولوا السيطرة على العراق ، لكن لم يوفقوا إلى ذلك ..

وفي خراسان والمشرق كان الحكم للدولة الغزنوية ، مع بقاء ارتباطها الاسمي بالدولة العباسية.

هذا وصف موجز لحالة الدولة والخلافة الإسلامية في القرن الخامس الهجري الذي عاش فيه الخطيب .

لقد قضى الخطيب – رحمه الله — أول حياته في بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية ، وعاش في آخر حياته في الشام ، وتسلم الخلافة في فترة حياته اثنان من الخلفاء العباسيين فقط ؛ هما القادر بالله ، والقائم بأمر الله ..

القادر بالله تولى الخلافة سنة 381هـ وعمره 44 سنة ، وبقي في الخلاقة إلى أن توفي سنة 422هـ ومدة خلافته 41 سنة ، وكان رجلاً ذا علم ، قامعاً للبدع ، كما وصفه الخطيب – رحمه الله – : "كان من أهل الديانة والتهجد وكثرة الصدقات " [3] .

وقال عنه ابن كثير [1] – رحمه الله – : " وقد كان الخليفة القادر بالله من خيار الخلفاء ، وسادات العلماء في أهل زمانه وأقرانه – رحمه الله – ، وكان كثير الصدقة ، حسن الاعتقاد ،

(1) انظر: موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، لأكرم ضياء العمري ، ص 15 .
(2) انظر: الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها ، يوسف العش ، د.ط (دمشق : مطبعة الترقي 1364هـ) ص10 .
(3) انظر: الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث ، لمحمود الطحان ص21 .

وصنّف عقيدة فيها فضائل الصحابة وغير ذلك ، فكانت تُقرأ في حِلق أصحاب الحديث كل جمعة في جامع المهدي ، وتجتمع الناس لسماعها مدة خلافته .. " [2] .

ولكن سلطته كانت اسمية فقط ، وأصحاب الأمر والنهي هم ملوك بني بويه في بغداد ،حيث كانوا منهمكين في تسوية القلاقل بين السنة والشيعة ، فانتبه الفاطميون في مصر إلى اضطراب الوضع في العراق ، فقاموا بنشر دعوتهم هناك ، حتى صار لهم أعوان فيها ، فتنبه الخليفة وأصحاب الأمر لذلك ، فكتب محضراً يقدح في نسب الفاطميين ، ووقع عليه جماعة من أهل العلم [3] .

ويذكر ابن الأثير [4] في تاريخه ، أن نفوذ بني بويه في العراق تعرض للخطر : حيث خطب (قرواش) بن المقلد أمير بني عقيل ، الذي آلت إليه السيادة في الموصل والأنبار والمدائن والكوفة، للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، فأرسل الخليفة القادر أبا بكر الباقلاني ، الفقيه المشهور ، إلى بهاء الدولة ، وطلب إليه أن يعمل على قمع هذه الحركة ، فأرسل بهاء الدولة جيشاً اضطر قرواش إلى إعادة الخطبة للخليفة العباسي [5] .

وأما الخليفة الثاني فهو القائم بأمر الله ، تولى الخلافة 422هـ ، وكان عالماً زاهداً ، كثير الصدقة والصبر ، ولكنه كان ضعيفاً مسلوب السلطة ، والذين يديرون العالم الإسلامي هم ملوك بني بويه .

---

(1) هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، الإمام المؤرخ ، المحدّث البارع ، فقيه متفنن ، مفسر نقال ، ولد سنة سبعمائة 700 ، لازم المزي وقرأ عليه وصاهره على ابنته ، وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتحن لسببه ، سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها الناس بعد وفاته ، كالتفسير ، والبداية والنهاية وغيرها ، مات سنة 774هـ .
انظر : الأعلام للزركلي 320/1 ، وطبقات المفسرين للأدنوي 260/1-261 .

(2) البداية والنهاية ، 438/15 .

(3) انظر : الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث ، لمحمود الطحان ص21 .

(4) هو أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الواحد الشيباني ، ابن الأثير الجزري ، ولد بالجزيرة ، ثم سار إلى الموصل وسمع بها من الخطيب الطوسي ويعيش بن صدقة وغيرهما ، وكان إماماً في حفظ الحديث ومعرفته ، حافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ، خبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ، له كتاب الكامل في التاريخ ، ومختصرالأنساب للسمعاني ، توفي سنة 630هـ .
انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان 348/3 ، وطبقات الشافعية للسبكي 127/5 .

(5) انظر : الكامل ، لابن الأثير ، 83/9 .

ولما وصل الأمر إلى هذا الحد ، استغاث الخليفة القائم بأمر الله بطغرل بك السلجوقي – حيث كان سنيّاً – بأن يتدخل في الأمر ، ويأتي إلى بغداد ويخلصه من البويهيين والبساسيري عميل الفاطميين في بغداد ، فاستجاب طغرل بك لاستغاثة القائم بأمر الله ، وجاء إلى بغداد ، ودخل بجنوده لها ، وفرَّ البساسيري إلى الرحبة ، وذلك سنة 447هـ وقبض طغرل بك على ملك البويهيين (الملك الرحيم) ، حيث كان آخر ملوكها ، وبذلك انتهى حكم بني بويه وحل محلهم السلجوقيون ، وتسلموا الأمر ببغداد ، حيث وضعوا الخليفة العباسي تحت حمايتهم.

وهدأت البلاد إلى أن دخلت سنة 450هـ ، وفيها اضطر طغرل بك للخروج للموصل لقتال أحد العاصين ، ولم يبق ببغداد من يحميها ، فلما سمع البساسيري بذلك توجه إلى بغداد بمن معه من الجنود ، وعسكروا على مقربة منها بمكان يسمى الأنبار ، ويقول الخطيب في تاريخه: " ولما كان يوم الجمعة السادس من ذي القعدة ، تحقق الناس كون البساسيري بالأنبار، ونهضنا إلى صلاة الجمعة بجامع المنصور ، فلم يحضر الإمام ، وأذن المؤذنون بالظهر ثم نزلوا من المئذنة ، فأخبروا أنهم رأوا عسكر البساسيري حذاء شارع الدقيق ، فبادرت إلى أبواب الجامع، فرأيت من الأتراك البغداديين أصحاب البساسيري نفراً يسيراً ، يُسكِّنون الناس ، ويعدون إلى الكرخ ، فصلى الناس في هذا اليوم بجامع المنصور ظهراً أربعاً من غير خطبة ، ثم ورد من الغد وهو يوم السبت نحو مائة فارس من عسكر البساسيري ، ثم دخل البساسيري بغداد يوم الأحد ثامن ذي القعدة ومعه الرايات المصرية ، فلما كان يوم الجمعة الثالث عشر من ذي القعدة ، دعا لصاحب مصر في الخطبة بجامع المنصور ، وزيد في الأذان : " حي على خير العمل " ، ثم ذكر الخطيب القتال الذي جرى ببغداد بين البساسيري وبين الخليفة ، حتى قبض على الخليفة ووزيره ابن المسلمة ، فاستجار الخليفة بأمير العرب ، فأجاره وأخرجه معه إلى الخيمة ، ثم صُلب الوزير ابن المسلمة بباب خراسان ، ونفي الخليفة إلى حديثة عانة ،

حيث حبس هناك ، وقامت الدولة الفاطمية الرافضة ببغداد [1] .

فهذا وضع الخلافة العباسية في بغداد في حياة الخطيب – رحمه الله – ، لذلك عزم الخطيب البغدادي بعد نفي الخليفة وحبسه واستيلاء الرافضة [1] على الحكم على هجر بغداد والخروج

---

(1) انظر : القصة وتفاصيلها في تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية د.ت) ، 9 / 399-404 .

لأي مكان ، وفعلاً في منتصف شهر صفر من سنة 451هـ استتر وخرج من بغداد قاصداً دمشق .

وبلغ الخطيب وهو في دمشق أن الخليفة تخلص من محبسه ، ورجع إلى بغداد ، وبلغه أن البساسيري قُتل بعد وصول طغرل بك إليها ، إلا أنه لم يرجع إلى بغداد .

وبقي الخليفة القائم بأمر الله في الخلافة إلى أن توفي سنة 467هـ أي بعد وفاة الخطيب بأربع سنين (2) .

هذا بالنسبة للناحية السياسية في عصر الخطيب .

أما الناحية الثانية وهي : الناحية الاقتصادية .. فلم تكن مزدهرة أيضاً ، بل طغى عليها القحط الشديد ، والغلاء الفاحش .

وأما الناحية الثالثة وهي : الناحية العلمية .. فقد كانت مشرقة ومنتعشة انتعاشاً جيداً ، فلم يكن لضعف الخلافة الإسلامية ، ولتقلبات السياسة أثر على سير العلم والعلماء ، والحد من نشاطهم العلمي ، فقد كان العلماء في عصر الخطيب يشقون طريقهم غير آبهين بما يحدث حولهم من خلا فات وتقلبات (3) .

فهذا الخطيب نفسه في خضم الحوادث السياسية والخلافات المذهبية ؛ يتابع رحلاته إلى البصرة وخراسان لطلب العلم ، ويرجع مزوداً بالروايات الكثيرة ، والزاد العلمي النافع ، ولم تكن تلك العوائق مانعة له من السفر ، ثم بعد ذلك استقر ببغداد التي كانت تعج بالفتن ، فهذّب الروايات، وصنّف المصنفات الكثيرة والمفيدة ، والتي بقيت إلى اليوم يستفيد منها طلاب العلم جيلاً بعد جيل ، حيث كان في معزل عن مجريات تلك الفتن والحوادث تماماً .

وهكذا كان غيره من العلماء ، فقد نشأ في عصره كثير من كبار العلماء في أكثر العلوم ، حيث أخذ الخطيب العلم عن شيوخ كثيرين لا يحصون لكثرتهم ، ومنهم عدد كبير من أكابر العلماء ،

---

(1) هم قوم من الشيعة سموا بذلك لرفضهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كانوا بايعوه عندما خرج على هشام بن عبد الملك سنة 122هـ ثم قالوا له : ابرأ من الشيخين نقاتل معك ، فأبى ، وقال: كانا وزيري جدي فلا أبرأ منهما ، فرفضوه ، وارفضوا عنه فقال لهم : رفضتموني ؟! قالوا : نعم ، فسموا رافضة ، وبقي عليهم هذا الاسم .
انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص52 ، والبداية والنهاية 9/370-371 .
(2) انظر الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث ، لمحمود الطحان ، ص23 .
(3) انظر الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث ، لمحمود الطحان ، ص24 .

فمن شيوخه المحدثين الكبار أبو نعيم الأصبهاني (ت 430هـ) ، وأبو بكر الباقلاني (ت 425هـ) ، وابن رزقويه (ت 412هـ) وغيرهم .. ومن شيوخه الفقهاء أبو إسحاق الشيرازي (ت 476هـ) ، وأبو الطيب الطبري (ت 450هـ) والمحاملي (ت 415هـ) وغيرهم ..

وبرز من العلماء في عصره من غير شيوخه وتلاميذه ، عدد كبير من العلماء الكبار ، منهم أبو حاتم النيسابوري ، وتلميذه الحافظ أبو بكر البيهقي (ت 458هـ) ، وابن عبد البر الأندلسي (ت 463هـ) وغيرهم .. وبرز أيضاً كثير من الشعراء والأدباء والفلاسفة .

وصُنف في هذا العصر مصنفات كثيرة في شتى العلوم الإسلامية ، فمن هذه المصنفات ، مصنفات الخطيب البغدادي الكثيرة والقيمة والنفيسة ، ومنها أيضاً مصنفات ابن عبد البر، ومصنفات البيهقي وعلى رأسها السنن الكبرى ، ومصنفات أبي نعيم الأصبهاني ، وأهمها الحلية، والمستدرك على الصحيحين للحاكم (ت 405هـ) وغيرها الكثير من الكتب في شتى العلوم والمعارف .

كما أنه وقعت بعض الخصومات بين الفرق الإسلامية ، والتي تطبعت بطابع العنف والقسوة ، وظهور الخصام بين الرافضة والسنة .

وأما الخصام بين المعتزلة (1) والسنة ؛ فلم يكن له أثر يذكر في عصر الخطيب ، فقد أخذ مذهبهم بالضعف منذ بداية العصر العباسي الثاني ؛ حيث بدأ المتوكل والخلفاء بعده ينهون الناس عن القول بخلق القرآن ، وصنّف الخليفة القادر بالله كتاباً يتضمن تكفير القائلين بخلق القرآن ، حيث كان هذا الكتاب يقرأ كل جمعة بحضرة الناس ، لذلك ازدهرت السنة وانهزمت المعتزلة .

كما وقع أيضاً التنافس بين المذاهب الفقهية ، والتي كانت لابد من وقوعها في كل عصر ، حيث كان هذا التنافس مدعاة لتحرير المذاهب وبيان أدلتها (2) .

---

(1) فرقة من الفرق المنتسبة إلى الإسلام ، سبب تسميتهم اعتزال واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري ، حكّموا العقل في الدين وقدموه على النصوص الشرعية ، واشتهروا بما أسموه الأصول الخمسة وهي: التوحيد ، العدل ، الوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومرادهم بها غير معانيها المعروفة عند أهل السنة والجماعة ، واتفقت الأمة على ضلالهم وانحرافهم .
انظر: مقالات الإسلاميين 204/1 ، والفَرق بين الفِرق ص119 .

(2) انظر: الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث ، لمحمود الطحان ، ص24- 25 .

وخلاصة القول إن عصر الخطيب - رحمه الله — وإن كان عصر فتن وقلاقل سياسية ، خصومات وخلافات مذهبية ، ونزاع مستمر ، إلا أنه كان عصر ازدهار العلم ، وتصنيف المصنفات الكثيرة ، والتي صارت عمدة للمتأخرين [1] .

(1) ولمزيد من التفصيل : انظر تاريخ بغداد ، 9 / 399-404 ، وانظر البداية والنهاية ، لابن كثير ، 112/12 ، وانظر الكامل في التاريخ ، لابن الأثير، 83/9 ، وانظر موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، لأكرم ضياء العمري ، ص 15-28 ، وانظر الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها ، ليوسف العش ، ص8-14 ، وانظر الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث ، لمحمود الطحان ، ص20-26 .

المبحث الثاني :

ترجمة موجزة للخطيب البغدادي

ترجمة موجزة للخطيب البغدادي[1]

(1) من أبرز الكتب التي ترجمت للخطيب البغدادي : سير أعلام النبلاء 270/18 ، الأنساب 166/5 ، المنتظم 129/16 ، معجم الأدباء 13/4 ، النجوم الزاهرة 78/5 ، الكامل في التاريخ 68/1 ، وفيات الأعيان 92/1 ، تذكرة الحفاظ 3 /1135 ، و طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 29/4 ، طبقات الشافعية للأسنوي 201/1 ، البداية والنهاية 12/ 108 ، الأعلام 166/1 ، وانظر ترجمته بتوسع في : الخطيب

إن المتتبع لحياة الخطيب – رحمه الله – ، يجد فيها مثالاً لذلك العالم الجهبذ الحافظ الذي خالط حب الدين والعلم شغاف قلبه ، واشتغل بالتحقيق في مسائلة ، والبحث في دقائقه ، فحصل منه على كل ما يريد ، فهو حقاً رجل العلم الذي عاش للعلم .

وسأحاول في هذا المبحث عرض جوانب وصور من حياة هذا العالم الحافظ ، المليئة بالنشاط العلمي ، وذلك من خلال الجوانب التالية :

1/ اسمه ونسبه :

هو الإمام الحافظ الكبير ، محدث الشام والعراق ، مؤرخ بغداد ، أحمد بن علي بن ثابت ابن أحمد بن مهدي ، يُكنى أبا بكر ، واشتهر بالخطيب البغدادي .

ذكر الخطيب في تاريخ بغداد ترجمه والده [1] ، أن أصله من العرب ، وأن له عشيرة كانوا يركبون الخيل ، مسكنهم بالجصاصة [2] من نواحي الفرات .

أما والده أبو الحسن ، فلم يكن من العلماء المشهورين في فن من الفنون ، وإنما كان له إلمام يسير بالعلم ، فقد كان يخطب الجمعة والعيدين بقرية قريبة من بغداد اسمها (درزيجان)[3] . فقد قال السبكي [4] في كتابه "طبقات الشافعية الكبرى" ما يلي : " وكان لوالد الخطيب أبي الحسن علي إلمام بالعلم ، وكان يخطب بقرية "درذيجان" إحدى قرى العراق " [1] .

البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها ليوسف العش ، ص15 وما بعدها ، موارد الخطيب البغدادي لأكرم ضياء العمري ص15–84 ، الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث لمحمود الطحان ص20–66 ، وغيرها .

(1) تاريخ بغداد ،11/ 359 .

(2) الجصاصة : قرية من قرى السواد ، قرب قصر ابن هبيرة من أعمال الكوفة .
انظر : معجم البلدان 2 / 274 .

(3) في معجم البلدان 567/2 ما نصه : " دَرْزيجان : بفتح أوله وسكون ثانيه وزاء مكسورة وياء مثناة من تحت وجيم وآخره نون ، قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي منها ، وكان والد أبي بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي ، يخطب بها " .

(4) هو تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي المصري ، قاضي القضاة ، المؤرخ ، الباحث . ولد في القاهرة 727هـ ، كان طلق اللسان ، قوي الحجة ، انتهى إليه قضاء الشام وعزل ، وتعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر ، جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض مثله ، من تصانيفه طبقات الشافعية الكبرى ، وجمع الجوامع ، انتقل إلى دمشق مع والده ، فسكنها وتوفي فيها بالطاعون 771هـ .

ولذلك لم يصف الخطيب والده بأنه من أهل العلم ، وإنما وصفه بأنه من حفاظ القرآن الكريم . فقد قال في ترجمته في تاريخ بغداد: "...كان أحد حفاظ القرآن ، قرأ على أبي حفص الكتاني ، وتولى الإمامة والخطابة على المنبر بـ "درذيجان" نحواً من عشرين سنة . توفي سنة 412هـ ، قال الخطيب: ودفنته من يومه في مقبرة باب الحرب" (2) .

ويبدو أن لقب "الخطيب" لحق والده بسبب توليه الخطابة مدة طويلة ، ومن والده انتقل إليه .

هذا ولم ينفرد الخطيب بهذا اللقب (الخطيب) ، فقد لقب به عدد من العلماء ، منهم تلميذة الخطيب التبريزي ، وآخرون يطول ذكرهم (3) .

أما البغدادي .. فمن الواضح أنه نسبة إلى موطنه بغداد ، ويبدو أن الخطيب لم يكن من أسرة مشهورة ، ولذا لم نجد من تحدث عن أخبار أفرادها سوى ما عرف من أمر أبيه ؛ الذي كان ملماً بشيء من العلم .

2/ ولادته :

ولد الخطيب البغدادي يوم الخميس لستٍ بقين من جمادى الآخرة سنة 392هـ على حسب ما جاء في معظم المصادر (4) التي ترجمت له ، في حين أن بعض المصادر تذكر أن ولادته كانت في سنه إحدى وتسعين وثلاثمائة 391هـ (5) ، وعلى أيه حال فالفارق سنة واحدة ، ولو أخذنا بأغلبية ما جاء في المصادر التي بين أيدينا ممن ترجم له لترجح إلينا أن ولادته كانت سنة 392 هـ ، وهو الأصح الذي أثبته لنفسه عندما قال: " ولدت سنه اثنين و تسعين وثلاثمائة وسمعت أول سنة ثلاث وأربعمائة " (6) .

3/ نشأته وأسرته :

انظر : البداية والنهاية 32/12 ، وشذرات الذهب 3/ 223 .

(1) 4/ 29 .

(2) تاريخ بغداد ، 11/ 359 .

(3) الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث ، ص30 .

(4) مثل : معجم الأدباء 16/4 ، ووفيات الأعيان 92/1 ، طبقات الشافعية 29/4 .

(5) مثل : المنتظم 265/8 ، والبداية والنهاية 101/12 .

(6) الفقيه والمتفقه ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : عادل يوسف العزازي ، ط 3 (المملكة العربية السعودية : دار ابن الجوزي 1426هـ) 4/1 .

نشأ الخطيب في كنف والده ، فبث فيه روح العلم والتقى ، وحبب إليه القرآن وطلب العلم ، وحضور مجالس العلماء ، وما أن صار في سن التمييز حتى دفعه إلى هلال بن عبدالله الطيبي (ت:322) ليعلمه القراءة والكتابة ، فتأدب به ، وتعلم القراءة والكتابة وقراءة القرآن الكريم ، وتعلم القراءات ووجوهها على الشيخ منصور الحبال (ت:403) .

أما أسرته : فكثيرة جداً المصادر التي تحدثت عن الخطيب ، ولكن واحداً منها لم يذكر أحداً من ذوي قرابته سوى ما جاء من ذكر والده الذي شجعه على السماع ، ومهد له سبل المعرفة وحثه على مجالس العلم .

ويبدو لي – والله أعلم – أن الخطيب لم يتزوج ، ويؤيد ذلك سكناه في المئذنة والمسجد في دمشق ، وصور أثناء هجرته إليها وأيضاً رحلاته بمفرده ، مع أن النقول لا تصرح بأنه لم يتزوج، وإنما تكتفي بأنه لم يترك عقباً [1] .

4/ سماعه للحديث ورحلاته في طلبه وأهم أحداث حياته (مرتبة على السنين) :

في سنه (403هـ) بدأ سماعه للحديث ، وكان عمره آنذاك (11) سنة ، في حلقة أبي الحسن بن رز قويه في جامع المدينة ببغداد [2] ، إضافة إلى استفادته السابقة من مؤدبه هلال بن عبدالله الطيبي ، والشيخ منصور الحبال في تعلم القراءات .

ثم انقطع عن حضور حلق بن رزقويه ، وأخذ يتردد على مجلس أبي حامد الإسفراييني الفقيه الشافعي في مسجده [3] .

كما أنه قد أفاد من عدد كبير من علماء بغداد ، والمدن والقرى القريبة منها ، فأخذ عنهم الفقه والحديث والتاريخ [4] .

ثم تابع الخطيب رحلاته في طلب العلم متنقلاً بين البلدان حتى حط رحاله في بغداد التي وصل إليها سنة (462هـ) ، واستقر في حجرة بباب المراتب في دروب السلسة بجوار المدرسة النظامية .

(1) انظر: المنتظم ، 269/8 ، وسير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 285/18 ، والحافظ الخطيب البغدادي ، ص54 ، واستظهر عدم زواجه ولم يجزم : محمود الطحان في كتابه الحافظ الخطيب البغدادي ، ص54 ، وعبد السميع محمد الأنيس في تحقيق كتاب الفصل للوصل المدرج في النقل ، ص23 .
(2) انظر : تذكرة الحفاظ ، ص 1137 .
(3) موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، ص30 .
(4) الفصل للوصل المدرج في النقل ، للخطيب البغدادي ، ت/ عبد السميع الأنيس ، ص23–24 .

وأخذ يلقي دروسه في حلقته بجامع المنصور ، وفي حجرته قرب النظامية .

لقد استفاد الخطيب البغدادي من هذه الرحلات فوائد جمّة لم يكن يعرفها إلا شيوخه الكبار ببغداد ، فهذا شيخه الكبير أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الأزهري (1) ، الذي يقول عنه الخطيب في تاريخ بغداد : " وكان أحد المكثرين من الحديث كتابةً وسماعاً ، ومن المعنيين به والجامعين له ، وسمعنا منه المصنفات الكبار ، والكتب الطوال " (2) ، يحتاج إلى مسموعات الخطيب التي جمعها من تلك الرحلات ، ويطلب منه أن يقرأها عليه ، فيجيبه الخطيب إلى طلبه، فيجلس مجلس المحدث ، ويقرأ على شيخه ما يريد (3) .

من هذه الحادثة وما شاكلها تظهر فوائد الرحلة في طلب الحديث ، لذلك نرى كثيراً من المحدثين قد أكدوا على ضرورتها ، وطبقوها فعلاً ، وقد شعر الخطيب بفوائد الرحلة ، وضرورتها لطالب الحديث ، فصنف رسالة سماها : " الرحلة في طلب الحديث " (4) .

والخطيب لم يقتصر على الحديث وعلومه ، فقد كان مبدعاً في اللغة والأدب والفقه والشعر ، ولكن غلب عليه التاريخ والحديث ، فكان كثيراً ما يشبّه بالدار قطني ، حتى قيل : " ما أخرجت بغداد بعد الدار قطني مثل الخطيب " ، حيث كان – رحمه الله – آية في المعرفة والحفظ والإتقان ، وضبط حديث رسول الله ﷺ ، والتفنن في علله وأسانيده ، والعلم بصحيحه وغريبه ومنكره ، و مصنفاته تشهد له بذلك حتى قيل : "كل من أنصف علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه " .

5/ شيوخه :

---

(1) هو أبو القاسم عبيد الله بن أبي الفتح أحمد بن عثمان ، الأزهري البغدادي الصيرفي ، مولده في سنة 355هـ ، المحدث الحجة المقرئ ، وكان من بحور الرواية ، من المعنيين بالحديث والجامعين له ، مع صدق واستقامة ودوام تلاوة ، توفي سنة 435هـ وقد كمل الثمانين .
انظر : الأنساب 206/1 ، وسير أعلام النبلاء 578/17 .

(2) تاريخ بغداد ، 385/10 .

(3) معجم الأدباء ، 32/4 .

(4) انظر : الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث ، ص35-36 .

إن شيوخ الخطيب البغدادي – رحمه الله – كثيرون جداً ؛ وذلك لأنه من المكثرين جداً ، لذلك قد يصعب حصرهم ، ويظهر ذلك جلياً لمن يقرأ كتب الخطيب مثل " تاريخ بغداد " ، أو " الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع " ، أو " الفقيه والمتفقه " ، فمن شيوخه :

1- أبو عمر بن مهدي الفارسي .

2- أحمد بن محمد بن الصلت الأهوازي .

3- أبو الحسين بن المتَيَّم .

4- حسين بن الحسن الجواليقي ابن العريف .

5- سعد بن محمد الشيباني .

6- عبد العزيز بن محمد الستوري .

7- إبراهيم بن مخلد بن جعفر الباقرحي .

8- أبو الفرج محمد بن فارس الغوري .

9- أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي .

10- أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبان الهيتي .

11- محمد بن عمر بن عيسى الحَطِراني .

12- أبو نصر أحمد بن محمد بن أحمد بن حسنون النرسي .

13- وأبو القاسم الحسن بن الحسن بن المنذر .

14- الحسين بن عمر ابن برهان .

15- أبو الحسن بن رزقويه .

16- أبو الفتح هلال بن محمد الحفار .

17- أبو الفتح بن أبي الفوارس .

18- أبو العلاء محمد بن الحسن الوراق .

19- أبو الحسين بن بشران .

20- الحسين بن محمد الصائغ ، سمع منه بعكبرا .

21- أبو عمر الهاشمي ، سمع منه بالبصرة .

22- علي بن القاسم الشاهد ، سمع منه بالبصرة .

23- الحسن بن علي السابوري ، سمع منه بالبصرة .
24- القاضي أبا بكر الحيري ، سمع منه بنيسابور .
25- أبو سعيد الصيرفي ، سمع منه بنيسابور .
26- أبو القاسم عبد الرحمن السراج ، سمع منه بنيسابور .
27- علي بن محمد الطيرازي ، سمع منه بنيسابور .
28- الحافظ أبا حازم العَبدوي ، سمع منه بنيسابور .
29- أبو الحسن بن عبد كويه ، سمع منه بأصبهان .
30- أبو عبد الله الجمَّال ، سمع منه بأصبهان .
31- محمد بن عبد الله بن شهريار ، سمع منه بأصبهان .
32- أبو نعيم الحافظ ، سمع منه بأصبهان (1) .
33- أبو نصر الكسار ، سمع منه بالدِّيْنَوَر .
34- محمد بن عيسى وطبقته ، سمع منهم بهمذان .
35- محمد بن عبد الرحمن بن أبي نصر التميمي وطبقته ، سمع منهم بدمشق .
36- كريمة المروزية ، وقرأ عليها صحيح البخاري .
37- أبو بكر البرقاني (2) .

بالإضافة إلى مشايخ كُثر سمع منهم بالري والكوفة وصور ومكة ..

وأعلى ما عنده – رحمه الله – حديث مالك ، وحماد بن زيد ، بينه وبين كل منهما ثلاثة أنفس (1) .

---

(1) هو الحافظ أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق المهراني أبو نعيم الأصبهاني ، الصوفي الأحول، وهو من أبرز شيوخ الخطيب البغدادي ، سبط الزاهد محمد بن يوسف بن البنا ، ولد سنة 336 هـ ، تفرّد في الدنيا بعلّو الإسناد مع الحفظ ، صنَّف التصانيف الكبار المشهورة في الأقطار ، كحلية الأولياء ، ومعرفة الصحابة وغيرها ، وتوفي سنة 430هـ.
انظر: طبقات السبكي 7/3 ، تذكرة الحفاظ 1092 ، الشذرات 245/3 .

(2) هو الحافظ الإمام السيد المرتضى ، أبو المعالي ذو الشرفين محمد بن محمد بن زيد العلوي البغدادي ، نزيل سمرقند ، وهو من أبرز تلاميذ الخطيب البغدادي ، روى عن ابو بكر الباقلاني وأحمد المحاملي وتخرج بالخطيب ولازمه ، وروى عنه يوسف الهمذاني وأبو طالب الحيري وشيخه الخطيب ، ولد سنة 405 هـ ، من مصنفاته : فرحة المتعلم ، وتوفي سنة 480هـ .
انظر: المنتظم 41/9 ، تذكرة الحفاظ 1209 ، الشذرات 365/3 .

6/ تلاميذه :

أخذ عن الخطيب – رحمه الله – خلق كثير ، وقصده طلاب العلم من نواحي عدة ، فمن هؤلاء :

1- أبو بكر البرقاني ، وهو من شيوخه .

2- أبو نصر بن ماكولا .

3- الفقيه نصر .

4- الحميدي .

5- أبو الفضل بن خيرون .

6- المبارك بن الطيوري .

7- أبو بكر بن الخاضبة .

8- أبيٌّ النَّرسي .

9- عبد الله بن أحمد السمرقندي .

10- المرتضى محمد بن محمد الحسيني [2] .

11- محمد بن مرزوق الزعفراني [3] .

12- أبو القاسم النسيب .

13- هبة الله بن الأكفاني .

14- محمد بن علي بن أبي العلاء المصِّيصي .

---

(1) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، ط 1 (بيروت : مؤسسة الرسالة 1405هـ) ، 18 / 271–273 .

(2) هو الحافظ شيخ الفقهاء والمحدثين ، أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي البرقاني الشافعي ، شيخ بغداد تفقه في حداثته ، وهو من أبرز شيوخ الخطيب البغدادي ، قال الخطيب في تاريخه: " وكنت كثيراً أذاكره بالأحاديث ، فيكتبها عني ويضمنها جموعه " ، ولد سنة 336 هـ ، تنقل بين الأمصار لتلقي العلم ثم عادإلى بغداد واستوطنها ، له تصانيف مشهورة ، وتوفي سنة 430هـ.
انظر: طبقات الشافعية 47/4 ، تذكرة الحفاظ 1074/3 ، الشذرات 228/3 .

(3) هو المحدث الحافظ التاجر ، أبو الحسن محمد بن مرزوق بن عبد الرزاقبن محمد الزعفراني البغدادي ، وهو من أبرز تلاميذ الخطيب البغدادي ، روى عن القاضي أبو يعلى و ابن المسلمة ، وروى عنه السلفي وطائفة ، وتفقه على أبي إسحاق ، ولد سنة 442 هـ ، كتب تصانيف الخطيب وسمعها منه ، صنف عدة كتب ، وتوفي سنة 517هـ .
انظر: طبقات السبكي 400/6 ، تذكرة الحفاظ ص 1265 ، الشذرات 57/4 .

15- غيث بن علي الأرمنازي .

16- أحمد بن أحمد المتوكلي .

17- أحمد بن علي بن المجلي .

18- هبة الله بن عبد الله الشُّروطي .

19- أبو الحسن بن سعيد .

20- طاهر بن سهل الإسفراييني .

21- بركات النجاد .

22- عبد الكريم بن حمزة .

23- أبو الحسن علي بن أحمد بن قبيس المالكي .

24- أبو الفتح نصر الله بن محمد المصِّيصي .

25- قاضي المارستان أبو بكر .

26- أبو القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندي .

27- أبو بكر محمد بن الحسين المزْرَفي .

28- أبو منصور الشيباني ؛ راوي " تاريخه" .

29- أبو منصور بن خيرون المقرئ .

30- بدر بن عبد الله الشِّيحي .

31- الزاهد يوسف بن أيوب الهمذاني .

32- هبة الله بن علي المجلي .

33- وأخوه أبو السعود أحمد .

34- أبو لحسين بن أبي يعلى .

35- أبو الحين بن بويه .

36- أبو البدر الكرخي .

37- مفلح الدُّومي .

38- يحيى بن الطرّاح .

39- أبو الفضل الأُرْموي .

وعدد يطول ذكرهم .. (1)

7/ مؤلفاته :

الخطيب البغدادي – رحمه الله – من المكثرين من التأليف ، اختلف في عددها لكثرتها ، وقد ذكروا الذين ترجموا له أن له مؤلفات كثيرة ؛ فمنهم من ذكر أنه ألّف ستةً وخمسين مصنفاً (2)، ومنهم من ذكر أن له مائة مؤلف (3)، ومنهم ومن يذكر أن له واحداً وثمانين مؤلفاً (4) ، ومنهم من أحصى له سبعة وثمانين مؤلفاً (5) ، وقد ذكر ابن كثير أن مصنفاته بلغت مائة مصنف (6) ، حيث ترك لنا مكتبة حافلة هي نتاج علمه ، وثمرة جهده ، وحسبنا ما قاله الحافظ أبو بكر بن نقطة وهو يصف مصنفاته ، فيقول : "كل من أنصف علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبة " .

وسأكتفي هنا بذكر ما وقفت عليه مما ذكروه الذين ترجموا له ، منها :

1- الأمالي .

2- كتاب فيه حديث (الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن) .

3- حديث عبد الرحمن بن سمرة وطرقة – في جزأين – .

4- حديث النزول .

5- كتاب فيه حديث (نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً) .

6- طريق حديث قبض العلم – في ثلاثة أجزاء – .

7- (طلب العلم فريضة على كل مسلم) .

8- مجموع حديث أبي إسحاق الشيباني – في ثلاثة أجزاء – .

9- مجموع حديث محمد بن جحادة وبيان بن بشر وصفوان بن سُليم ومطر الوراق ومِسعر بن كدام .

---

(1) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، (18 / 273-274) .
(2) كما ذكر ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء (18 /289) .
(3) كما ذكر ذلك السمعاني في الأنساب (5 /166) .
(4) كما ذكر ذلك يوسف العش في الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها (120-134) .
(5) كما ذكر ذلك أكرم ضياء العمري في موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (55-84) .
(6) البداية والنهاية (12 /135) .

10- مجموع حديث (أو مسند) محمد بن سوقة – في ثلاثة أجزاء – .
11- كتاب السنن .
12- مسند أبي بكر – رضي الله عنه – في جزء – .
13- مسند صفوان بن عسّال .
14- مسند نعيم بن همار الغطفاني – في جزء – .
15- حديث جعفر بن حيان .
16- حديث الستة من التابعين وذكر طرقه ، وهو حديث (أيعجز أحدكم أن يقرأ كل ليلة بثلث القرآن) .
17- المسلسلات – في ثلاثة أجزاء – .
18- الرباعيات – في ثلاثة أجزاء – .
19- كتاب أطراف الموطأ .
20- جزء فيه أحاديث مالك بن أنس عوالي تخريج أبي بكر الخطيب .
21- أمالي الجوهري ، تخريج أبي بكر الخطيب ، رواية محمد بن البزار .
22- فوائد أبي القاسم النرسي ، تخريج الخطيب – في 20 جزءاً – .
23- فوائد عبد الله بن علي بن عياض الصوري – في أربعة أجزاء – .
24- الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب – في 20 جزءاً – .
25- الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب ، تخريج الخطيب لأبي القاسم المهرواني .
26- الفوائد المنتخبة الصحاح العوالي ، تخريج الخطيب ، لجعفر بن أحمد بن الحسين السرّاج القارئ .
27- مجلس من إملاء أبي جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة ، تخريج الخطيب .
28- منتخب من حديث أبي بكر الشيرازي وغيره .
29- الكفاية في علم الرواية .
30- الفصل للوصل المدرج في النقل – في تسعة أجزاء – .
31- الإجازة للمعدوم والمجهول .
32- بيان حكم المزيد في متصل الأسانيد .

33- اقتضاء العلم العمل .

34- شرف أصحاب الحديث .

35- نصيحة أهل الحديث .

36- الرحلة في طلب الحديث .

37- تقييد العلم .

38- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع .

39- الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة – في جزء – .

40- الأسماء المتواطئة والأنساب المتكافئة .

41- تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم – في ستة عشر جزءاً – .

42- تالي التلخيص – في أربعة أجزاء – .

43- التبيين لأسماء المدلسين – في جزأين – .

44- التفصيل لمبهم المراسيل – في جزء – .

45- تمييز المزيد في متصل الأسانيد – في ثمانية أجزاء – .

46- رافع الارتياب في المقلوب من الأسماء والأنساب – في جزء – .

47- الرواة عن شعبة – في ثمانية أجزاء – .

48- الرواة عن مالك بن أنس وذكر حديث لكل منهم – في تسعة أجزاء – .

49- روايات الصحابة عن التابعين – في جزء – .

50- رواية الآباء عن الأبناء – في جزء – .

51- غنية الملتمس في إيضاح الملتبس – في مجلد – .

52- كتاب فوائد النسب .

53- كتاب المتفق والمفترق – في ستة عشر جزءاً – .

54- من حدث ونسي – في جزء – .

55- من وافقت كنيته اسم أبيه مما لا يؤمن وقوع الخطأ فيه – في ثلاثة أجزاء – .

56- المؤتنف في تكملة المختلف والمؤتلف – في أربعة وعشرين جزءاً – .

57- المكمل في بيان المهمل – في ثمانية أجزاء – .

58-كتاب الوفيات .

59- السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة الراويين عن شخص واحد – في تسعة أجزاء – .

60- كتاب موضح أوهام الجمع والتفريق .

61- تاريخ بغداد – في أربعة عشر جزءاً – .

62- مناقب الشافعي .

63- مناقب أحمد بن حنبل .

64- مسألة الكلام في الصفات .

65- القول في علم النجوم – في جزء – .

66- الفقيه والمتفقه – في جزأين – .

67- الدلائل والشواهد على صحة العمل بخبر الواحد .

68- نهج (أو منهج) الصواب في أن التسمية آية من فاتحة الكتاب – في جزأين – .

69- إبطال النكاح بغير ولي – في جزء – .

70- إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة .

71- الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم – في جزأين – .

72- الحِيل – في أربعة أجزاء – .

73- ذكر صلاة التسبيح والأحاديث التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها واختلاف ألفاظ الناقلين .

74- الغسل للجمعة – في جزأين – .

75- القضاء باليمين مع الشاهد – في جزأين – .

76- القنوت والآثار المروية فيه على اختلافها وترتيبها على مذهب الشافعي – في ثلاثة أجزاء– .

77- النهي عن صوم يوم الشك – في جزء – .

78- الوضوء من مس الذكر .

79- مسألة الاحتجاج للشافعي فيما أسند إليه والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه – في جزء – .

80- بيان أهل الدرجات العلى .

81- كتاب فيه خطبة عائشة في الثناء على أبيها ، من تخريج الخطيب .

82- المنتخب من الزهد والرقائق .

83- التنبيه والتوقيف على فضائل الخريف .

84- البخلاء

85- التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم .

86- كشف الأسرار .

87- رياض الأنس إلى حضائر القدس .

88- مسلسل العيدين .

89- سهو أصحاب الحديث . (1)

وقد عرف العلماء قدر ومكانة كتب الخطيب البغدادي – رحمه الله – وفضلها ، فهذا ابن نقطة الحنبلي يقول : " .. وله مصنفات في علوم الحديث لم يُسبق إلى مثلها ، ولا شبهة عند كل لبيب أن المتأخرين من أصحاب الحديث عيال على أبي بكر الخطيب " (2) .

وقال ابن الجوزي : " ومن نظر فيها – يعني في كتبه – عرف قَدْرَ الرجل وما هُيّء له مما لم يتهيأ لمن كان أحفظ منه كالدار قطني " (3) .

8/ عقيدته :

(1) انظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 18 /289 – 292 ، وانظر أكرم ضياء العمري ، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، ص 55-48 ، وانظر ، يوسف العش ، الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها ، ص 120 – 137 ، وانظر المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ص 59 .

(2) انظر تكملة الإكمال ، 1 /103 .

(3) انظر المنتظم ، 8 /266 .

كانت عقيدته – رحمه الله – عقيدة أهل السنة والجماعة ، وقد نص على ذلك الحافظ الذهبي في كتاب العلو للعلي الغفار [1] ، وله رسالة صغيرة في بيان عقيدته في الأسماء والصفات ، وهي على صغر حجمها إلاّ أنّها من أنفس ما كتب في هذا الموضوع ، ولم يعرف عنه – رحمه الله – مخالفة لها ، غير أن بعض العلماء قد نسبه إلى الأشعرية ، وقد رُمي أيضاً بأنه ناصبي ؛ يناصب آل بيت الرسول ﷺ العداء .

ومعلوم أن الخطيب – رحمه الله تعالى — باعتباره سلفي العقيدة ،لم يكن أشعرياً ولا مفوضاً ، ولم يكن أيضاً يناصب آل البيت العداء ، بل يحبهم ، ويعرف منزلتهم ، ويرى فضلهم ، ويحفظ وصية النبي ﷺ فيهم ، وقد رَدّ دارسوه معظم هذه الاتهامات ، وبالأخص المعلمي في التنكيل[2] ، ويأتي ذلك مفصلاً تفصيلاً وافياً في الفصل السادس من الباب الثالث ، الاتهامات التي وجهت له في معتقده ، والرد عليها ، وتفنيدها وموقفه منها ، بمشيئة الله – تعالى – .

وأما مذهبه في الصفات ؛ أنها تمر كما جاءت من غير تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف، وهو المذهب الوسط بين الغالين والمقصرين ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة .

ولقد روى عنه الذهبي [3] في " التذكرة " [4] ، أنه قال : " أما الكلام في الصفات ، فإن ما روي منها في السنن الصحاح ، مذهب السلف رضوان الله عليهم إثباتها ، وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكيفية والتشبيه عنها ، وقد نفاها قوم ، فأبطلوا ما أثبته الله سبحانه .

وحققها من المثبتين قوم ، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف .

والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين ، ودين الله – تعالى – بين الغالي فيه والمقصر عنه .

---

(1) انظر : مختصر العلو للعلي الغفار ، للألباني ، 373 .

(2) انظر : 192/1 وما بعدها .

(3) هو مؤرخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ولد سنة 673هـ ، من أسرة تركمانية الأصل ، تنتهي بالولاء إلى بني تميم ، إمام الوجود حفظاً ، وذهب العصر معنى ولفظاً ، وشيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل ، كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها أخبار من حضرها ، له سير أعلام النبلاء ، وتاريخ الإسلام وغيره كثير ، توفي 748هـ .
انظر : الوافي بالوفيات 2/ 164 ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة 426/3 .

(4) ص1142 – 1143 .

والأصل في هذا : أن الكلام في الصفات فرع في الذات ، و يحتذى في ذلك حذوه ومثاله .
فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين – عز وجل – إنما هو إثبات وجود ، لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته ، إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف .
فإذا قلنا : لله – تعالى – يد ، وسمع ، وبصر ، فإنما هي إثبات صفات أثبتها الله لنفسه ، ولا نقول إن معنى اليد : القدرة ، ولا إن معنى السمع والبصر : العلم ، ولا نقول : إنها جوارح وأدوات للفعل ، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل .
ونقول : إنما وجب إثباتها ؛ لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها ؛ لقوله – تبارك وتعالى – : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) (1) ، وقوله عز وجل : (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ) " (2) .

9/ مذهبه :

أما مذهب الخطيب من حيث الفروع ، فهو شافعي المذهب ، ولقد ترجم له السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ترجمة وافية ، وقال : " وكان من كبار الفقهاء ، تفقه على أبي الحسن بن المحاملي ، والقاضي أبي الطيب الطبري ، ...وأبي نصر بن الصباغ " (3) ، وهؤلاء الثلاثة من كبار فقهاء الشافعية في بغداد .
وقال الذهبي في التذكرة : " وكان من كبار الشافعية ، تفقه بأبي الحسن المحاملي ، وبالقاضي أبي الطيب " (4) .
وقال ابن خلكان (5) : " وأخذ الفقه عن أبي الحسن المحاملي ، والقاضي أبي الطيب الطبري ، وغيرهما " (6) .

---

(1) سورة الشورى ، الآية : 11 .
(2) سورة الإخلاص ، الآية : 4 .
(3) طبقات الشافعي ، للسبكي ، 30/4 .
(4) التذكرة ، 1137/3 .
(5) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الإربلي الشافعي ، ولد بإربل سنة 608هـ ، كان فاضلاً بارعاً متفنناً ، حسن الفتاوي ، جيد القريحة ، بصيراً بالعربية ، علامة في الأدب والشعر وأيام الناس ، كثير الاطلاع ، حلو المذاكرة ، وافر الحرمة ، فيه رياسة كبيرة ، له كتاب وفيات الأعيان ، وله مجاميع أدبية ، كريم فيه ستر وحلم وعفو، توفي سنة681هـ.
انظر : طبقات السبكي 14/5 ، وشذرات الذهب 371/5 .
(6) وفيات الأعيان ، 76/1 .

وهكذا ، فإننا نجد الذين ترجموا للخطيب ، قد ذكروا أن مذهبه هو مذهب الشافعي ، وأنه تفقه على كبار الشيوخ الشافعيين من صغره .

ماعدا ابن الجوزي الحنبلي فقد ادّعى أن الخطيب كان في أول حياته حنبلياً ، ثم ترك مذهب الحنابلة ، وانتقل إلى مذهب الشافعي بسبب إيذاء الحنابلة له ، ذكره في كتابه " المنتظم " في ترجمة الخطيب [1] .

والذي ينظر بعين الحقيقة يرى أن هذه الدعوى تعارضها عدة أمور ، منها :

1) أن الخطيب صرّح عن نفسه في تاريخ بغداد ، بأنه تفقه على فقهاء شافعيين من صغره ، ولم يذكر أنه تفقه على أي شيخ حنبلي .

2) أن كل من ترجم للخطيب – غير ابن الجوزي ومن نقل عنه – ذكروا أن الخطيب كان من كبار الشافعية ، وذكروا أنه تفقه على الشيوخ الشافعيين الذين ذكرهم الخطيب .

3)لم يُنقل عن أحد ممن ترجم له – غير ابن الجوزي ومن حاكاه – أن الخطيب كان حنبلياً ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي .

4) أن كل ما صنفه الخطيب في الفقه كان في مذهب الشافعي .

فالحقيقة أن الخطيب شافعي من أول حياته حتى توفي ، وأن دعوى ابن الجوزي لم تثبت ولم يأت بينة عليها [2] .

10/ صفاته وأخلاقه :

لقد منح الله – سبحانه وتعالى – الخطيب مزايا وصفات كريمة زادت في رفعته ، وأعانته على تحصيل علمه ونشره .. فمن تلك المزايا :

ما ذكره السمعاني أنه كان : " مهيباً وقوراً ، ثقة متحرياً ، حجة ، حسن الخط ، كثير الضبط ، فصيحاً ، خُتم به الحفاظ ..." [3] .

ومنها ما ذكره ابن الجوزي أنه : "كان حسن القراءة فصيح اللهجة " [4] ، وما قاله ابن النجار [1] : " وخط الخطيب مليح كثير الشكل والضبط " [2] .

(1) 129/16 .
(2) انظر : الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث ، الطحان ، ص 59– 60 .
(3) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 277/18 .
(4) المنتظم ، 267/8 .

" إذا قرأ الحديث في جامع دمشق ، يسمع صوته في آخر الجامع ، وكان يقرأ مع هذا معرباً صحيحاً " (3) . ولقد عقد الخطيب باباً خاصاً ، سماه " باب تحسين الخط وتجويده " في كتابه " الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع " ، نصح فيه طلبة العلم بتحسين الخط ، وشرح لهم بعض ما يعينهم على ذلك (4) .

وكان حريصاً على المطالعة وسرعة القراءة : قال ابن الآبنوسي(5) : "كان الحافظ الخطيب يمشي وفي يده جزء يطالعه " (6) . وقال ابن الجوزي : " وكان حريصاً على علم الحديث ، وكان يمشي في الطريق وفي يده جزء يطالعه " (7) .

وكان سريعاً في القراءة .. قال الذهبي في السير : " قال الخطيب في ترجمة إسماعيل بن أحمد النيسابوري الضرير (8) : حج وحدّث ، ونعم الشيخ كان ، ولما حج كان معه حِمل كتبٍ ليُجاور ، منه : "صحيح" البخاري ؛ سمعه من الكشميهني ، فقرأت عليه جميعه في ثلاثة مجالس، فكان المجلس الثالث من أول النهار وإلى الليل ، ففرغ طلوع الفجر .

---

(1) هو مفيد العراق محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي ، محدث حافظ مؤرخ أديب نحوي شاعر مقرئ طبيب ، ولد سنة 578هـ ، جمع فأوعى وكان من أعيان الحفاظ الثقات مع الدين والصيانة والفهم وسعة الرواية ، اشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ ، له تاريخ بغداد ذيّل به على الخطيب ، وتاريخ المدينة وغير ذلك ، توفي سنة 643هـ .
انظر: الأعلام 86/7 ، ومعجم المؤلفين 317/11 .

(2) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 277/18 .

(3) تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، 3 /315 .

(4) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، 52/2 .

(5) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن موسى بن الآبنوسي ، أبو محمد الوكيل ، ولد سنة 428هـ ، وكان ثقة شافعياً ، سمع تاريخ بغداد من مصنفه الخطيب ورواه ، وجمع له أبو علي بن البرداني فوائد عن شيوخه ، توفي سنة 505هـ .
انظر: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن الدمياطي 108/1 ، سير أعلام النبلاء 278/19 ، شذرات الذهب 10/4 .

(6) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 281/18 .

(7) المنتظم ، 267/8 .

(8) هو أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري الضرير المفسر، ولد سنة 361هـ ، وصنف التصانيف في القراءات والتفسير والوعظ والحديث ، وكان أحد الأئمة ونعم الشيخ كان علماً وأمانة وصدقاً وخلقاً ، وكان من العلماء العاملين ، نفّاعاً للخلق مباركاً ، من تصانيفه : الكفاية في التفسير. توفي سنة 430هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 539/17 ، وشذرات الذهب 245/3 ، وطبقات السبكي 265/4.

قلت : – يعني الذهبي – هذه – والله – القراءة التي لم يُسمع قط بأسرع منها " (1) .

وقال المؤتمن (2) : سمعت عبد المحسن الشيحي يقول : كنت عديل أبي بكر الخطيب من دمشق إلى بغداد ، فكان له في كل يوم وليلة ختمة (3) .

وقال غيث بن علي (4) : حدثنا أبو الفرج الإسفراييني قال : كان الخطيب معنا في الحج : فكان يختم كل يوم ختمة قراءة ترتيل (5) .

ومن سرعة قراءته ضُرب به المثل في ذلك ، فقد عقد القلقشندي (6) في كتابه "صبح الأعشى " باباً سماه : " من كان فرداً في زمانه بحيث يضرب به المثل في أمثاله " فذكر أن أبا بكر الخطيب يضرب به المثل في سرعة القراءة ، فقال : " .. وأبو بكر الخطيب في سرعة القراءة " (7) .

وأما عن أخلاقه – رحمه الله – فقد كان على جانب كبير من الأخلاق الكريمة والمناقب النبيلة، ومن تلك الأخلاق :

كثرة قراءته للقرآن .. كما مر بنا أنه كان يقرأ في طريقه إلى الحج في كل يوم ختمة قراءة ترتيل ، وكذلك فعل في رحلته من دمشق إلى بغداد ، ولم يكن يفارق القرآن سفراً ولا حضراً.

---

(1) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 279/18–280 .

(2) هو المؤتمن بن أحمد بن علي بن الحسين الحافظ الحجة أبو نصر الربعي الديرعاقولي ثم البغدادي المعروف بالساجي ، مولده سنة 445هـ ، وكان عالماً فهماً ثقة مأموناً ، وكتب ما لا يوصف كثرة ، وتوفي سنة 507هـ .

انظر : تذكرة الحفاظ 1246/4 ، سير أعلام النبلاء 308/19 ، وشذرات الذهب 20/4 .

(3) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 279/18 .

(4) هو غيث بن علي بن عبد السلام بن محمد بن جعفر، أبو الفرج ابن أبي الحسن ، المعروف بابن الأرمنازي 443هـ ، فاضل ، كان خطيب صور بساحل الشام ، نسبته إلى أرمناز (إحدى قرى أنطاكية) وأصله منها ، اشتهر بجودة الخط ، وكتب كثيراً فعرف بالكاتب ، صنف لصور تاريخاً لم يتمه ، وتوفي بدمشق 509هـ .

انظر: معجم البلدان 201/1 ، الأعلام 123/5 .

(5) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 279/18 .

(6) هو أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري ، المؤرخ الأديب البحاثة ، ولد في قلقشندة من قرى القليوبية ، بقرب القاهرة سنة 756هـ ، وهو من دار علم ، وفي أبنائه وأجداده علماء أجلاء ، وتوفي في القاهرة سنة 821هـ . أفضل تصانيفه : صبح الأعشى في قوانين الإنشا ، وحلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم .

انظر : الضوء اللامع 8/2 ، الأعلام ، للزركلي 177/1.

(7) صبح الأعشى ، 454/1 .

ومن أخلاقه أيضاً تواضعه .. فلم تكن جُل اهتمامه الألقاب والأسماء الكبيرة كالحافظ والمحدث، فقد روى أبو نصر محمد بن سعيد المؤدب [1] عن أبيه قال : " قلت لأبي بكر الخطيب عند لقائي إياه : أنت الحافظ أبو بكر ؟ فقال : انتهى الحفظ إلى الدار قطني ، أنا أحمد بن علي بن ثابت الخطيب " [2] .

وكان أيضاً زاهداً عفيفاً .. مقلاً من الدنيا ، لم يتسلم منصباً من المناصب الرسمية لدى الدولة ، فلم يكن قاضياً ولا مفتياً ، مع أنه كان أهلاً لذلك ، قال الفضل بن عمرو النسوي [3] :

"كنت بجامع صور عند أبي بكر الخطيب ، فدخل علوي وفي كمه دنانير ، فقال : هذا الذهب تصرفه في مهماتك ، فقطب وجهه ، وقال : لا حاجة لي فيه .

فقال : كأنك تستقله ! وأرسله من كمه على سجادة الخطيب ، وقال : هذه ثلاثمائة دينار ، فقام الخطيب خجلاً محمراً وجهه وأخذ سجادته ، ورمى الدنانير وراح " [4] .

وكان – رحمه الله – كريماً جواداً بما يملك .. فقد وزع مائتي دينار على أصحاب الحديث ، ولم يوصِ بها لتوزع بعد موته ، وإنما جادت نفسه بها وهو على قيد الحياة ..

وهذا تلميذه أبو زكريا الخطيب التبريزي [5] يقول : "دخلت دمشق ، فكنت أقرأ على الخطيب بحلقته بالجامع كتب الأدب المسموعة ، وكنت أسكن منارة الجامع ، فصعد إليّ ، وقال : أحببت أن أزورك في بيتك ، فتحدثنا ساعة ، ثم أخرج ورقة ، وقال : الهدية مستحبة، تشتري بهذا أقلاماً ، ونهض ، فإذا خمسة دنانير مصرية ، ثم صعد مرة أخرى ، ووضع نحواً من ذلك"[6].

---

(1) هو أبو نصر محمد بن سعيد بن الفرج بن أحمد المؤدب .
انظر : تاريخ دمشق 309/28 ، وتاريخ الإسلام 102/31 .

(2) تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، 1141/3 .

(3) هو الفضل بن عمر بن أحمد ، ويقال فضل الله أبو طاهر النسوي ، قدم دمشق مع أبيه ، وسمعا بها وبالمعرة وبخراسان ، نزل مرو وحدث بها .
انظر: تاريخ دمشق 349/48 .

(4) تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، 1138/3 .

(5) هو يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي الخطيب ، أبو زكريا ، ولد سنة 421هـ ، من أئمة اللغة والأدب ، له شرح القصائد العشر ومشكاة المصابيح ، ثقة في اللغة وما كان ينقله ، قال ابن نقطة : ثقة في علمه ... توفي سنة 502هـ .
انظر: وفيات الأعيان 191/6 ، والسير 269/19 ، والأعلام للزركلي 157/8 .

(6) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 278/18 .

ومن أخلاقه أيضاً – إن لم تكن أهمها – حرصه على تطبيق العلم .. فلقد كان يؤكد دائماً أن يتمثل العالم علمه ، ولقد ورد ذلك في كثير من كتبه ، فمن ذلك ما ذكره في مقدمة كتابه: " الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع " ، ناصحاً طلبة الحديث بأن يطبقوا الأحاديث التي يجمعونها ويروونها للناس ، فقال : " والواجب أن يكون طلبة الحديث أكمل الناس أدباً ، وأشد الخلق تواضعاً ، وأعظمهم نزاهة وتديناً ، وأقلهم طيشاً وغضباً ، لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق رسول الله ﷺ وآدابه ، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه ، وطرائق المحدثين ومآثر الماضين ، فيأخذوا بأجملها وأحسنها ، ويصدفوا عن أرذلها وأدونها " [1] .

ولم يكتفِ الخطيب بهذا بل أفرد كتاباً بالتصنيف لهذا الغرض ، وهو كتاب " اقتضاء العلم العمل " ، ويفصل فيه القول ، ويسوق الأدلة والبراهين على ذلك .

11/ ثناء العلماء عليه :

لقد أثنى العلماء والحفاظ الكبار على الخطيب – رحمه الله تعالى – ثناءً عطراً ، وشهدوا له بالعلم والفضل والحفظ .

يقول صاحبه وتلميذه ابن ماكولا [2] : "كان آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفة وإتقاناً ، وحفظاً وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ تَفَنُّناً في علله وإسناده ، وخبرةً برواته وناقليه ، وعلماً بصحيحه وغريبه ، وفرده ومنكره ، وسقيمه ومطروحه ، ولم يكن للبغداديين بعد أبي الحسن الدار قطني من يجري مجراه ، ولا قام بهذا الشأن سواه " [3] .

---

(1) مقدمة كتابه الجامع .

(2) هو الأمير سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر العجلي البغدادي النسّابة ، صاحب التصانيف ، ولم يكن ببغداد بعد الخطيب أحفظ منه ، ولد بعكبرا سنة 422هـ ، كان لبيباً عارفاً، ونحوياً مجوّداً ، وشاعراً مبرّزاً ، من كتبه : الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب ، وتهذيب مستمر الأوهام على ذوي التمني والأحلام ، قتله مماليكه بالأهواز ، وأخذوا ماله سنة 487هـ .

انظر: تذكرة الحفاظ 1201/4 ، وفيات الأعيان 305/3 ، السير 269/15 .

(3) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 18 /275 .

وقال أبو سعد السمعاني [1] : " إمام عصره بلا مدافعة ، وحافظ وقته بلا منازعة ، صنف قريباً من مائة مصنف صارت عمدة لأصحاب الحديث " [2] ، ويقول عنه أيضاً : " إنه في درجة القدماء من الحفاظ والأئمة الكبار ، كيحيى بن معين ، وعلي بن المديني ، وأحمد بن أبي خيثمة وطبقتهم " [3]، ويقول أيضاً : " انتهى إليه معرفة علم الحديث وحفظه ، وختم به الحفاظ" [4].

وقال الذهبي : " الإمام الأوحد ، العلامة المفتي ، الحافظ الناقد ، محدث الوقت ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد المهدي البغدادي ، صاحب التصانيف ، وخاتمة الحفاظ " [5] .

وقال الحافظ أبو بكر بن نقطة الحنبلي : "كل من أنصف علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه " [6] .

وقال المؤتمن الساجي : " ما أخرجت بغداد بعد الدار قطني أحفظ من أبي بكر الخطيب " [7].

وقال ابن خلكان في "وفيات الأعيان" : "كان من الحفاظ المتقنين ، والعلماء المتبحرين ، وفضله أشهر من أن يوصف " [8] .

وهذا السبكي يقول في " طبقات الشافعية " : " فما طاف سورها (بغداد) على نظيره ،

يروي عن أفصح من نطق بالضاد ، ولا أحاطت جوانبها بمثله ، وإن طفح ماء دجلتها وروّى كل صاد " [9] .

وقال ابن الأثير : " وكان إمام الدنيا في زمانه " [10].

---

(1) هوالحافظ البارع العلامة تاج الإسلام عبد الكريم بن الحافظ معين الدين أبي بكر محمد بن العلامة المجتهد أبي المظفر منصور المروزي ، ولد سنة 506هـ ، وقرأ المذهب والخلاف ، وتكلم في المناظرة ، ثم اشتغل بالحديث ، فسمع الكثير ، بلغت شيوخه سبعة آلاف شيخ ، وصنف الذيل على تاريخ الخطيب ، والأنساب ، وغير ذلك ، توفي سنة 562هـ وعمره 56سنة .

انظر: وفيات الأعيان 278/2 ، العبر 1316/4 ، الأعلام 179/4.

(2) الأنساب ، 203/2 .

(3) معجم الأدباء ، 30/4 .

(4) شذرات الذهب ، 312/3 .

(5) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 270/18 .

(6) نخبة الفكر ، ابن حجر ، ص1 .

(7) تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، 1137/3 .

(8) وفيات الأعيان ، 76/1 .

(9) طبقات الشافعية ، 31/4 .

(10) الكامل ، 110/8 .

12/ مرضه :

مرض الخطيب في نصف رمضان سنة (463هـ) في حجرتة بباب المراتب بدرب السلسلة ، قرب المدرسة النظامية وكأن نفسه حدثته بقرب أجله ، وكان عنده شيء من المال والثياب ولم يكن له عقب ولا وارث [1] ، فأراد أن يختم حياته بعمل من أعمال البر ، يتوج به أعماله ، فكتب إلى القائم بأمر الله : " أني إذا متّ يكون مالي لبيت المال ، فأذن لي حتى أفرق مالي على من شئت ، فأذن له " ، ففرقه على أصحاب الحديث ، وكان مائتي دينار [2] ، ووكل أمر توزيعه إلى الفضل بن خيرون ، فوزع ابن خيرون هذا المال في حياة الخطيب [3] .

13/ وصيته ووفاته :

أوصى بأن يتصدق بجميع ثيابه وما يملكه من أشياء بعد موته ، ووقف جميع كتبه ومصنفاته على المسلمين ، وسلمها إلى أبي الفضل بن خيرون ، فكان يعزها ، ثم صارت إلى ابنه الفضل، فاحترقت في داره [4] .

وفي أوائل ذي الحجة اشتد مرضه وأويس منه ، وتوفي ضحى يوم الإثنين سابع ذي الحجة من سنة (463هـ) –رحمه الله رحمة واسعة – [5] .

وبوفاته فقد المسلمون جهبذاً من جهابذة المحدثين ، الذين ملؤا المكتبة الإسلامية بما تحتاجه من علوم الحديث ، حيث كرّس حياته بالتحقيق والتصنيف ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

الباب الأول

---

(1) الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث للطحان ، ص54 .
(2) المنتظم 269/8 ، وانظر التذكرة ، 1143/3 ، معجم الأدباء ، 45/4 .
(3) السبكي ، 15/3 ، وانظر التذكرة ، 320/3 .
(4) المنتظم 269/8 ، وانظر معجم الأدباء 27/4 .
(5) معجم الأدباء ، 44/4 ، وانظر التذكرة ، 1144/3 ، وانظر المنتظم ، 266/8 .

منهج الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف ... وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : مصادر الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف .
الفصل الثاني : قواعد منهج الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف .
الفصل الثالث : منهج الخطيب البغدادي في الاستدلال على صحة مسائل الاعتقاد .
الفصل الرابع : منهج الخطيب البغدادي في إيراد مسائل العقيدة .
الفصل الخامس : سمات منهج الخطيب البغدادي في بحث مسائل العقيدة .

الفصل الأول :

مصادر الخطيب البغدادي في تقريرعقيدة السلف .

مصادر الخطيب البغدادي في
تقرير عقيدة السلف

اعتمد البغدادي عدداً من المصادر في تقرير عقيدة السلف ، وقد حاولت تقصي مصادره – رحمه الله تعالى – في تقريره لعقيدة السلف فتوصلت إلى عدد من المصادر ، أوضحها في التالي:

أولاً : الاستدلال بالنقل ..

يقصد بالنقل الكتاب والسنة ، وأنهما منقولان عن الرسول ﷺ ، وينقلهما الناس خلفاً عن سلف .

أما الكتاب : فهو القرآن الكريم ، وهو منقول كله بالتواتر[1] ، وهو قطعي الثبوت ، وهو أصل الأدلة الشرعية وأقواها ، ولذا لم يقع خلاف بين الأمة في حجيته ، وفي الاستدلال به ، لا في العقيدة ولا في غيرها [2].

ومن خلال تتبعي لعدد من القضايا العقدية لاحظت أن الخطيب البغدادي – رحمه الله تعالى – كثيراً ما يبدأ في تقرير مسألة عقدية بالاستدلال بالقرآن الكريم ، ومن ذلك :

(1) عندما سُئل عن النجوم ، وهل الشروع فيه محمود أو مذموم ؟ أجاب بأن علم النجوم يشتمل على ضربين :

أحدهما : مباح ، وتعلمه فضيلة .

والآخر محظور والنظر فيه مكروه .

فلما تحدث عن الضرب الأول : وهو العلم بأسماء الكواكب ومناظرها ومطالعها ومساقطها وسيرها والاهتداء بها ... والتوصل إلى جهة القبلة بالنجوم ، ومعرفة مواقيت الصلاة وساعات الليل بظهورها وأفولها . شرع في الاستدلال فأورد في ذلك عدداً من الآيات الكريمة من كتاب الله جل شأنه ، منها قول الله سبحانه : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [3] .

---

(1) التواتر – في اللغة – التتابع مطلقاً ، أو مع فترات . انظر : القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، ط2 (مؤسسة الرسالة 1407هـ) ، مادة (وتر) ص631 . وفي الاصطلاح : نقل جماعة خبراً على وجه تحيل العادة تواطؤهم على الكذب . انظر : تقريب الوصول إلى علم الأصول ، ابن جزي الكلبي المالكي ، تحقيق محمد علي فركوس ط1 (الإسكندرية : دار البصير 1410هـ) ص 119 .

(2) انظر : تقريب الوصول إلى علم الأصول ، ابن جزي المالكي ، ص 114 .

(3) سورة يونس ، الآية : 5 .

وقال تعالى : (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)(1).

وقال عز وجل : (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ)(2).

وقال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) . (3)

(2) وعندما تحدث الخطيب البغدادي عن مسألة (أن الله سبحانه يجازي كلاً بعمله) (4) استدل عليه ، بقوله تعالى : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) (5) .

وهذه الأمثلة تدل على تعظيم الخطيب البغدادي للمصدر الأول من مصادر الاستدلال في الشريعة الإسلامية ، وهو القرآن الكريم ، فلم تكن استدلالاته عقلية ، بل ولم يكتف بذكر آية واحدة فقط ، بل سرد عدة آيات لتأكيد مدى عنايته بالنصوص الشرعية .

وأما السنة النبوية :

ما أُثر عن النبي ﷺ ، من قول أو عمل ، أو تقرير ، أو صفة خُلُقية ، أو خَلْقية ، أو سيرة ، سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها ، إذ غرضهم ما كان عليه النبي ﷺ في أحواله كلها ، سواء أفاد حكماً شرعياً أم لم يفد (6) .

والسنة منها ما نقل بالتواتر ، ومنها ما نقل عن طريق الآحاد (7).

---

(1) سورة يس ، الآية : 39 .

(2) سورة الرحمن ، الآية : 5 .

(3) انظر : القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : يوسف السعيد ، ط 1 (الرياض : دار أطلس للنشر والتوزيع ، 1420هـ) ص 126 – 127 . و رسالة في علم النجوم ، تحقيق : طارق العمودي ، ط 1 (بيروت : دار الكتب العلمية 1425هـ) ص 12 – 22 . والآية في سورة الأنعام ، آية : 97 .

(4) اقتضاء العلم العمل ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، ط1(الرياض : مكتبة المعارف 1422هـ) ، ص 20 .

(5) سورة الزلزلة ، الآية : 7–8 .

(6) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ، عثمان علي حسن ، ط 1 (الرياض: مكتبة الرشد 1412هـ) 82/1 .

(7) الآحاد – في اللغة – جمع أحد ، وهو بمعنى واحد ، وهمزة أحد مبدلة من واو فأصلها وحد . انظر (القاموس المحيط) مادة (أحد) ص238 .

وفي الاصطلاح : هو ما لم يبلغ حد التواتر ، سواء رواه واحد أو أكثر . انظر : ابن جزي المالكي ، تقريب الوصول إلى علم الأصول ، ص121

والمنقول بالتواتر منه ما تواتر لفظه ومعناه ، كقوله ﷺ : (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) [1] .

ومنه ما تواتر معنى فقط ، كأحاديث الشفاعة ، وأحاديث الرؤية وغير ذلك ، وهو بنوعيه يفيد العلم ، ويُجزم بأنه صدق [2]، لأنه متواتر إما لفظاً أو معنى [3].

والمنقول عن طريق الآحاد هو الذي فيه النزاع : هل يحتج به في العقائد والأحكام ؟ أم لا يحتج به إلا في الأحكام دون العقائد ؟

والنزاع فيه معروف مبين في كتب العقائد وكتب أصول الفقه ، ولا شك أن الصحيح أنه يحتج به ، وليس المقام تفصيل ذلك .

وقد كان الخطيب البغدادي – رحمه الله – يهتم بالاستدلال بالسنة كاهتمامه بالاستدلال بالقرآن الكريم في تقرير عقيدة السلف ، ومما يدل على ذلك :

(1) عندما تحدث عن النية في طلب العلم ، أفرد لها باباً كاملاً لأهميتها وقال : " يجب على طالب الحديث أن يخلص نيته في طلبه ، ويكون قصده بذلك وجه الله سبحانه " [4] .

واستدل عليه بما أخرجه بسنده عن علقمة [5] قال : سمعت عمر بن الخطاب [1] على المنبر

---

(1) متفق عليه ؛ أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب ما يكره من النياحة على الميت ، 434/1 ح 1209 ، ومسلم في المقدمة ، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ، 16/1 ح 4 ، واللفظ لهما .

(2) يشترط العلماء لإفادة المتواتر العلم شروطاً ، أهمها شرطان :
أحدهما : أن يستوي طرفاه وواسطته في كثرة الناقلين ، دون اشتراط عدد معين على الأصح ، والآخر : أن يكون مستنداً إلى معلوم بالحس تحرزاً من الظنون ، ومن المعلوم بالنظر .
انظر : ابن جزي المالكي ، تقريب الوصول إلى علم الأصول ص120 .

(3) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، 16/18 .

(4) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، تحقيق: محمود الطحان ، د.ط (الرياض : مكتبة المعارف 1403هـ) 81/1-82 .

(5) هو علقمة بن وقاص بن محصن بن كلدة الليثي العتراوي المدني من أفاضل التابعين ، ولد على عهد النبي ﷺ وحديثه عنه مرسل ، ومات في ولاية عبد الملك بن مروان ، روى عنه أصحاب الكتب الستة .
انظر : سير أعلام النبلاء 61/4 ، جامع التحصيل ص240 ، تهذيب التهذيب 247/7 .

يقول: قال رسول الله ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) [2] .

وتابع الخطيب البغدادي كلامه عن النية في طلب الحديث فقال : " وليحذر أن يجعله سبيلاً إلى نيل الأعراض ، وطريقاً إلى أخذ الأعواض ، فقد جاء الوعيد لمن ابتغى ذلك بعلمه " [3] .

واستدل عليه بما أخرجه بسنده عن عمرو بن شعيب [4] عن أبيه [5] عن جده [6] ، أن رسول الله ﷺ قال : (من تعلم علماً ينتفع به في الآخرة ، يريد به عرض شيء من الدنيا ، لم يرح رائحة الجنة) [7] .

واستدل أيضاً بحديث مشابه له ، وأخرجه بسنده عن أبي هريرة [8] قال : قال رسول الله ﷺ: (من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرض الجنة – وقال أبو نعيم

---

(1) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبدالله القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين ، قال عن نفسه ولدت قبل الفجار الأعظم بأربع سنين ، كان إسلامه عزاً ظهر به الإسلام بدعوة النبي ﷺ وقد شهد بدراً والمشاهد كلها ، وولي الخلافة بعد أبي بكر ، وأرخ التاريخ ، مات مقتولاً سنة 23 هـ وله من العمر 63 سنة .
انظر : الإصابة 588/4 ، تهذيب التهذيب 386/7 ، الاستيعاب 1144/3 .

(2) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ، 3/1 ح 1 ، ومسلم كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنية وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال ، 13/10 ح 3530 ، من حديث عمر بن الخطاب .

(3) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، 83/1 .

(4) هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله صاحب رسول الله ﷺ بن عمرو بن العاص بن وائل ، الإمام المحدث أبو إبراهيم وأبو عبد الله القرشي السهمي الحجازي ، فقيه أهل الطائف ومحدثهم ، وكان يتردد كثيراً إلى مكة وينشر العلم وله مال بالطائف .
انظر : سير أعلام النبلاء 165/5 ، وتهذيب الكمال 64/22 .

(5) هو شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص والد عمرو ، والأصح أنه سمع من جده عبد الله بن عمرو ، ومن ابن عمر وابن عباس ﷺ ، والضمير المتصل بجده في قولهم عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عائد إلى شعيب لا إلى عمرو ، ومحمد والد شعيب مات في حياة أبيه عبد الله بن عمرو وشعيب صغير ، فكفله جده وسمع منه كثيراً .
انظر : جامع التحصيل ص196 ، تهذيب التهذيب 311/4 ، تهذيب الكمال 12/ 534 .

(6) هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بالتصغير بن سعد بن سهم السهمي أبو محمد ، وقيل أبو عبد الرحمن ، أحد السابقين المكثرين ومن الصحابة ، وأحد العبادلة الفقهاء مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح بالطائف على الراجح .
انظر : تقريب التهذيب ، 956/3 ، الإصابة 192/4 .

(7) لم أعثر عليه بهذا اللفظ ، وهذا الطريق ، إلا عند الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، 83/1 ، والذي سيأتي بعده بمعناه .

(8) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني يكنى أبا هريرة ، سيد الحفاظ الأثبات ، اختلف في اسمه كثيراً ، لكن أرجحها السابق ، مات سنة سبع ، وقيل ثمان ، وقيل تسع وخمسين وله من العمر 78 سنة .

(وهو أحد رجال إسناد هذا الحديث) : عرضاً من الدنيا – لم يجد عَرف [1] الجنة يوم القيامة) [2] .

(2) وعندما تحدث – رحمه الله – عن الفرقة الناجية [3] ، استدل عليها بما أخرجه بسنده عن أنس بن مالك [4] قال : قال رسول الله ﷺ : (إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة ؛ كلها في النار إلا واحدة ؛ وهي الجماعة)[5].

واستدل أيضاً بما أخرجه بسنده عن معاوية بن قرة [6] عن أبيه [7] قال : قال النبي ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي منصورين ، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة) [8] . وأيضاً الحديث الذي أخرجه بسنده عن سعيد بن يعقوب الطالقاني [9] – أو غيره – قال : ذكر ابن

انظر : سير أعلام النبلاء 2/ 578 ، والاستيعاب 1768/4 ، والإصابة 425 .

(1) العَرف : الريح ، أي ريحها الطيبة .

انظر : النهاية في غريب الحديث ، ابن الأثير ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي ، د.ط (مكة المكرمة : دار الباز د.ت) 3/ 217 .

(2) أخرجه أبو داوود في كتاب العلم ، باب في طلب العلم لغير الله تعالى ، 323/3 ح 3664 بلفظه . وأخرجه أحمد في مسند باقي المكثرين مسند أبي هريرة ، 145/17 ح 8103 بلفظه ، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب الانتفاع بالعلم والعمل به 92/1 ح 252 بلفظه . والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب ، 25/1 .

(3) شرف أصحاب الحديث ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي ، ط 1 (بيروت : عالم الكتب 1423هـ) ص 63 – 64 .

(4) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي ، خدم النبي ﷺ 10 سنين ، مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة .

انظر : الإصابة 126/1 ، تهذيب التهذيب 329/1 .

(5)أخرجه ابن ماجة بهذا اللفظ في كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم ، 494/11 ح 3983 ، والحديث صححه الألباني كما في ظلال الجنة ، 27/1 .

(6) هو معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني أبو إياس البصري ، ثقة من الثالثة ، مات سنة 13 هـ وله من العمر 76 سنة .

انظر : تقريب التهذيب 28/ 210 ، وتهذيب التهذيب 10 / 195 .

(7) هو قرة بن إياس بن هلال المزني أبو معاوية ، صحابي نزل البصرة ، مات سنة 64هـ .

انظر : تهذيب التهذيب 331/8 ، الإصابة 433/5 .

(8) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ ، 8/1 ح 6 ، وابن حبان في كتاب العلم ، باب ذكر إثبات النصرة لأصحاب الحديث إلى قيام الساعة ، 121/1 ح 61 ، والحديث صححه الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجة .

(9) هو سعيد بن يعقوب الطالقاني أبو بكر ، ثقة صاحب حديث ، قال ابن حبان : ربما أخطأ من العاشرة ، مات سنة 44 هـ .

المبارك [1] حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناوأهم حتى تقوم الساعة) [2] .

(3) وعندما تحدث –رحمه الله– عن مسألة " الاقتباس من علم النجوم اقتباس من السحر" [3]، استدل عليه بما أخرجه بسنده بطرق عديدة عن ابن عباس [4] – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ: (من اقتبس علماً من النجوم ، فقد اقتبس علماً من السحر ، ما زاد زادَ ، و ما زادَ زادَ) [5] .

وأما المصدر الثالث من مصادر الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف ؛ فهو :

أقوال السلف :

كان الخطيب البغدادي عند إيراد بعض مسائل العقيدة ، يهتم بإيراد آثار من أقوال السلف – رحمهم الله تعالى – ، بعد إيراد النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، وذلك لتأكيد سلامة الفهم ، ولبيان موقفهم من بعض المسائل ، ومن أمثلة ذلك :

(1) قال – رحمه الله – في أثناء حديثه عن النية في طلب العلم : " وليتق المفاخرة والمباهاة به، وأن يكون قصده في طلب الحديث نيل الرئاسة ، واتخاذ الأتباع ، وعقد المجالس ؛ فإن الآفة الداخلة على العلماء أكثرها من هذا الوجه " [6].

انظر : تقريب التهذيب ، 122/11 .

(1) هو عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة ثقة ثبت فقيه ، عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير ، من الثامنة ، مات سنة 181هـ وله من العمر 63 .

(2) شرف أصحاب الحديث ، الخطيب البغدادي ، 65 – 66 . والحديث أخرجه الترمذي في كتاب الفتن عن رسول الله ، باب ما جاء في الأئمة المضلين ، 172/8 ح 2155 .

(3) انظر: القول في النجوم ، الخطيب البغدادي ، 179 . و رسالة في علم النجوم ، 50 .

(4) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، ودعا له رسول الله بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه ، وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة ، ومسنده ألف وست مئة وستون حديثاً ، مات سنة 68 هـ بالطائف.
انظر: وفيات الأعيان 62/3 ، تذكرة الحفاظ 37/1 ، سير أعلام النبلاء 331/3 .

(5) أخرجه أبو داوود في كتاب الطب ، باب في النجوم ، 412/10 ح 3406 ، وابن ماجه كتاب الأدب، باب تعلم النجوم ، 144/11 ح 3716 ، وأحمد في مسند بني هاشم ، في بداية مسند عبد الله بن عباس 229/6 ح 2697 ، بنحوه .

(6) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، 85/1 .

واستدل عليه بما أخرجه بسنده عن عمرو بن قيس [1] عن الحسن [2] ، قال : " إنه تعلَّم هذا القرآن عبيد وصبيان لم يأتوه من قِبَلِ وجهه ، ولا يدرون ما تأويلُه ، قال الله تعالى : (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) [3] ما تدبر آياته ؟ إتباعُهُ بعمله ، وإن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه ، وإن لم يكن يقرأه – يقول أحدهم : يا فلان تعال أُقارِئكَ ، متى كانتِ القُرَّاءُ تفعل هذا ؟! ما هُم بالقُرَّاء ، ولا الحُلماء ، ولا الحُكَمَاء لا أكثر الله في الناس أمثالهم " [4] .

واستدل أيضاً بما أخرجه بسنده عن عمر بن الخطاب قال : " لا يَغْرُرْكُم من قرأ القرآن ؛ إنما هو كلام نتكلم به ، ولكن انظروا من يعمل به " [5] .

بعد ذلك تحدث الخطيب البغدادي عن ثمرات النية في طلب الحديث فقال : " وليجعل حفظه للحديث حفظ رعاية ، لا حفظ رواية ، فإن رواة العلوم كثير ، ورعاتها قليل ، ورب حاضر كالغائب ، وعالم كالجاهل ، وحامل للحديث ليس معه منه شيء ؛ إذ كان في اطِّراحِه لحُكْمه بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه " [6] . واستدل عليه بما أخرجه بسنده عن عائذ الله [7] قال :

---

(1) هو عمرو بن قيس الملائي – بضم الميم وتخفيف اللام والمد– أبو عبدالله الكوفي ، ثقة متقن عابد من أولياء الله ، روى له أصحاب الكتب الستة غير أن البخاري إنما روى له في الأدب المفرد ، توفي بعد سنة 140هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 250/6 (112) ، وتقريب التهذيب 744/1 .

(2) هو الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار، أبو سعيد ، مولى زيد بن ثابت ، ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وكان سيد أهل زمانه علماً وعملاً ، له كلام يشبه كلام الأنبياء ، فمن روائعه قوله : ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا: نحسن الظن بالله تعالى ! وكذبوا ! لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل ، توفي سنة 110هـ وله من العمر 90 سنة .

انظر : سير أعلام النبلاء 563/4 ، وتهذيب التهذيب 263/2 .

(3) سورة ص ، الآية : 29 .

(4) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق ، باب ما دجاء في ذم التنعم في الدنيا ، 320/2 (780) ، والبيهقي في الشعب ، فصل في ترك التعمق في القرآن ، 178/6 (2544) ، والخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل ص 70 .

(5) اقتضاء العلم العمل ، الخطيب البغدادي ، ص 70 – 71 . والأثر أخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل باب ما جاء من الوعيد والتهديد والتشديد لمن قرأ القرآن للصيت والذكر ولم يقرأه للعمل به واكتساب الأجر 71/1 بلفظه .

(6) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، 87/1 .

(7) هو أبو إدريس الخولاني عائذ الله بن عبد الله بن إدريس بن عائذ بن عبد الله بن عتبة ، قاضي دمشق وعالمها وواعظها ، ولد عام الفتح ، ليس هو بالمكثر ، لكن له جلالة عجيبة ، ولي القضاء لعبد الملك بن مروان ، وكان قاصاً فقيهاً ، توفي سنة 80هـ .

" الذي يتَّبع الأحاديث لِيُحدِّث بها لا يجد ريح الجنة " (1) .

واستدل أيضاً بما أخرجه بسنده عن سفيان الثوري (2) قال : " رضي الناس بالحديث وتركوا العمل " (3) .

واستدل أيضاً بما أخرجه بسنده عن محمد بن أيوب (4) قال : قال أبو الوليد يوماً : " ما يُريدون بهذه الأحاديث إلا التكاثر ، والقليل يجزئ لمن اتقى الله أو نَحْوَهُ ، ثم قال : يجمع أحدهم المسند وكذا وكذا ليُحوِّل وجوه الناس إليه .. ونحواً من هذا الكلام " (5) .

وتابع الخطيب البغدادي حديثه عن النية في طلب الحديث ، وأخبر أن الله سائل المرء عن علمه وماذا عمل به ، فقال : " وليعلم أن الله تعالى سائله عن علمه فيم طلبه ، ومجازيه على عمله به " (6).

واستدل عليه بما أخرجه بسنده عن علي بن أبي طالب (7) أنه قال : " يا حملة العلم ، اعملوا به ، فإنما العالم من عمل بما علم ، ووافق عملُه علمَه ، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تَراقِيهم

انظر : سير أعلام النبلاء 272/4 ، تذكرة الحفاظ 53/1 ، وتهذيب التهذيب 85/5 .

(1) أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب ، 37/2 ، وأخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل ص80 .

(2) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي الإمام شيخ الإسلام سيد الحفاظ ، ثقة فقيه عابد حجة ، وكان ربما دلس ، قال شعيب بن حرب – ونحوه قول شريك القاضي– : إني لأحسب أنه يجاء غداً بسفيان حجة من الله على خلقه يقول لهم : لم تدركوا نبيكم ، قد رأيتم سفيان ، مات سنة 161هـ وله أربع وستون سنة .
انظر : تذكرة الحفاظ 203/1 ، سير أعلام النبلاء 229/7 ، وشذرات الذهب 261/1 .

(3) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق ، باب الهرب من الخطايا والذنوب ، 342/1 (325) ، وأبو نعيم في الحلية 240/3 ، وابن عساكر في تاريخه 22/ 54 من طريق سفيان الثوري عن أبي حازم ، وأخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل ، ص84 .

(4) هوأبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس البجلي الرازي الحافظ الثقة المعمر المسند المعروف بابن الضريس ، مصنف كتاب فضائل القرآن ، ولد على رأس المائتين ، توفي سنة 294هـ .
انظر : تذكرة الحفاظ 643/2 ، سير أعلام النبلاء 449/13 ، و شذرات الذهب 216/2 .

(5) لم أعثر عليه إلا عند الخطيب في اقتضاء العلم العمل ، ص88 .

(6) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، 88/1 .

(7) هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو الحسن الهاشمي ، قاضي الأمة ، وفارس الإسلام ، وممن سبق إلى الإسلام ولم يتلعثم ، وجاهد في الله حق جهاده، ونهض بأعباء العلم والعمل ، وشهد له النبي ﷺ بالجنة ، كناه رسول الله ﷺ أبا تراب ، ومناقب هذا الإمام جمة أفردها جماعة من العلماء في مصنفات مستقلة ، وكان إماماً عالماً متحرياً في الأخذ بحيث إنه يستحلف من يحدثه بالحديث ، توفي سنة 40هـ وعمره 63 سنة .

، تخالف سريرتُهم علانيتهم ، ويخالف عملُهم علمَهم ، يجلسون حِلَقاً ، فيباهي بعضهم بعضاً ، حتى أن أحدهم ليغضب على جليسه حين يجلس إلى غيره ويدعه ، أُولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل " [1] .

واستدل أيضاً بما أخرجه بسنده عن أبي الدرداء [2] ، قال : "ما علَّمَ الله عبداً علماً إلاَّ كلَّفَهُ الله يوم القيامة ضمارَهُ [3] من العمل " [4] .

(2) حينما أورد الخطيب البغدادي أنواع النجوم ، وحكم الشروع فيها ، أتبع ذلك بإيراده لموقف الصحابة والتابعين [5] من أحكام المنجمين ، من ذلك :

* **موقف الصحابة :**

فقد أخرج عن ابن لَهِيْعَةَ [6] أن الربيع بن سبُرَةَ الجهني [1] حدَّثه قال :

انظر : الإصابة 546/4 ، تذكرة الحفاظ 10/1 ، وتهذيب التهذيب 294/7 .

(1) أخرجه الدارمي في كتاب المقدمة ، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ، 423/1 (390) ، وابن عساكر في تاريخه ، 42/ 509 ، والخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل ، ص37 ، وفي الجامع ، ص31 .

(2) هو عويمر بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج الأنصاري أبو الدرداء، حكيم هذه الأمة ، عالم أهل الشام ، ومقرئ أهل دمشق ، وفقيههم وقاضيهم ، ولي القضاء بدمشق ، فهو أول من ذكر من قضاتها ، حفظ القرآن عن رسول الله ﷺ ، ومناقبه وفضائله كثيرة جداً ، توفي لسنتين بقيتا من خلافة عثمان .

انظر : تذكرة الحفاظ 24/1 ، سير أعلام النبلاء 336/2 ، وتهذيب التهذيب 156/8 .

(3) الضِّمارُ من المال : الذي لا يُرجى رجوعه ومن العِدَاتِ : ما كان ذا تسويف وخلاف العِيان ، ومن الدَّين : ما كان بلا أجل .

انظر : القاموس المحيط ص 551 .

(4) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ، 7/2 بلفظه ، وأخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل ، ص37 بنحوه .

(5) القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، 185 – 187 . و رسالة في علم النجوم ، 52 – 54 .

(6) هوعبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان الحضرمي أبو عبد الرحمن المصري ، الإمام الكبير ، قاضي الديار المصرية وعالمها ومحدثها ، ولد سنة 97هـ ، كان صحيح الكتاب ، احترقت داره وكتبه ، وسلمت أصوله ، فضُعّف لضَعف حفظه ، ولكن رواية العبادلة – ابن وهب وابن المقرئ وابن المبارك – وقتيبة بن سعيد عنه صحيحة لأنها سماع قديم ، ومعروضة على كتبه ، توفي سنة 174هـ .

انظر : تذكرة الحفاظ 237/1 ، سير أعلام النبلاء 11/8 ، وتهذيب التهذيب 373/5 .

لما غزا عمر – رضي الله عنه – وأراد الخروج إلى الشام خرجتُ معه ، فلما أردنا أن نُدلجَ نظرتُ فإذا القمر في الدَّبرَان [2] ، فأردت أن أذكرَ لعمرَ ذلك ، فعرفتُ أنه يكره ذكرَ النجوم، فقلت له : يا أبا حفص ، انظر إلى القمر ما أحسن استواءه الليلةَ ! فنظر فإذا هو في الدبران ، قال : قد عرفتُ ما تريد يا ابن سَبُرَةَ ، تقول : إن القمر بالدبران ، وإنَّا والله ما نخرج بالشمس ولا بالقمر ، ولكن نخرج بالله الواحد القهار [3].

* **موقف التابعين** : وأخرج عن الأصمعي عن مبارك [4] ، قال : قال رجل للحسن : طلع سهيل ، وبرد الليل ، فتكرَّه ذلك ، وقال إنك ممن تراعي سهيلاً ، إن سهيلاً لا يأتي ببرد ، ولا ينصرف بحرٍّ [5].

(3) وحول مسألة التغليظ في تعليق التمائم ؛ تطرق الخطيب البغدادي لمسألة مشابهة لها في موضع آخر ، وهي مسألة "من كان يستشفي بقراءة الحديث" [6] .

واستدل عليها بما أخرجه بسنده عن محمد بن مخلد [7] قال : "كان الرماي [1] إذا اشتكى شيئاً قال : هاتوا أصحاب الحديث ، فإذا حضروا عنده قال : اقرؤوا علي الحديث[2] .

---

(1) هوالربيع بن سبرة بن معبد بن حرملة بن سبرة بن خديج بن مالك بن ذهل بن ثعلبة الجهني المدني ، لأبيه صحبة ، وهو ثقة من الثالثة ، قال الخطيب أبو بكر : لا يستقيم عندي سماعه من علي ، قال هذا بعد أن أخرج من طريقه حديثاً عن علي في كتاب ذم النجوم روى له مسلم وأصحاب السنن .
انظر: تهذيب التهذيب 212/3 ، وتقريب التهذيب 294/1 .

(2) الدبران : خمسة كواكب من الثور ، يقال إنه سنامه ، وهو من منازل القمر. وقيل : هو ثلاثة كواكب كالأثافي تشبيها بالمجدح الذي له ثلاث شعب ، وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر، وقيل هو نجم بين الثريا و الجوزاء ، سمي بذلك لأنه يدبر الثريا .
انظر: معجم مقاييس اللغة 324/2 ، والمعجم الوسيط 561/1 .

(3) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ، 71/18 من طريق المصنف ، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال ، 275/10 رقم (29433) ، وعزاه إلى المصنف وابن عساكر .

(4) هومبارك بن فضالة بن أبي أمية ، الحافظ المحدث الصادق الإمام ، أبو فضالة القرشي العدوي ، مولى عمر بن الخطاب ، من كبار علماء البصرة ، ولد في أيام الصحابة ، وكان من أوعية العلم ، حسن الحديث ، لكنه شديد التدليس ، توفي سنة 164هـ .
انظر: تذكرة الحفاظ 200/1 ، وسير أعلام النبلاء 281/7 (84) ، وتهذيب التهذيب 28/10 .

(5) علقه ابن عبد البر في التمهيد ، 287/16 عن الحسن .

(6) شرف أصحاب الحديث ، الخطيب البغدادي ، 126 .

(7) هو محمد بن مخلد بن حفص ، الإمام المفيد الثقة ، مسند بغداد ، أبو عبد الله الدوري العطار الخضيب ، ولد سنة 233هـ ، كتب ما لا يوصف كثرة مع الفهم والمعرفة وحسن التصانيف ، منها: الأمالي ، والفوائد

ثانياً : الاستدلال بالعقل ..

وهو المصدر الثاني من مصادر الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف ، وقبل الحديث عن استدلاله بالعقل أُقدم بمقدمة تتضمن :

(1) معنى العقل في اللغة والاصطلاح :

معنى العقل في اللغة : العقل مصدر عقل ، يعقل ، عقلاً ، فهو معقول ، وعاقل . وأصل معنى العقل المنع ، يقال : عقل الدواء بطنه ، أي أمسكه [3].

وفي الاصطلاح : " العلم الضروري ، الذي يقع ابتداء ويعم العقلاء " [4].

(2) منزلة العقل في الإسلام :

الإسلام كرّم العقل أيما تكريم ؛ كرمه حين جعله مناط التكليف عند الإنسان ، والذي به فضله الله على كثير ممن خلق تفضيلاً ، وكرمه حين وجهه إلى النظر والتفكر في النفس ، والكون ، والآفاق : اتعاظاً واعتباراً ، وتسخيراً لنعم الله واستفادة منها ، وكرمه حين أمسكه عن الولوج فيما لا يحسنه ، ولا يهتدي فيه على سبيل : رحمة به ، وإبقاء على قوته وجهده ، ومكانة العقل تتبين فيما يلي باختصار :

1/ خص الله تعالى أصحاب العقول بالمعرفة التامة لمقاصد العبادة ، وحكم التشريع ، قال تعالى بعد أن ذكر جملة من أحكام الحج : (وَ اتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ) [5].

2/ قصر سبحانه وتعالى الانتفاع بالذكر والموعظة على أصحاب العقول ، فقال تعالى : (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ) [6].

، والمنتقى ، وكان معروفاً بالثقة والصلاح والاجتهاد في الطلب ، عاش ثمانياً وتسعين سنة ، توفي سنة 331هـ .

انظر : تذكرة الحفاظ 828/3 ، وشذرات الذهب 331/2 .

(1) هو أحمد بن منصور بن سيار البغدادي الرمادي أبو بكر ، ثقة حافظ ، طعن في أبي داود لمذهبه في الوقف في القرآن ، من الحادية عشرة ، مات سنة 165هـ وله من العمر 83 سنة .

(2) أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ، ص 126 – 127 .

(3) لسان العرب ، ابن منظور ، 458/11 ، مادة "عقل" .

(4) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ، عثمان علي حسن ، 1 /157 .

(5) سورة البقرة ، الآية : 197 .

(6) سورة آل عمران ، الآية : 7 .

3/ ذكر الله تعالى أصحاب العقول ، وجمع لهم النظر في ملكوته ، والتفكر في آلائه ، مع دوام ذكره ، ومراقبته ودوام عبادته ، قال تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (1) .

4/ حرّم الإسلام الاعتداء على العقل بحيث يعطله عن إدراك منافعه ، فمثلاً : حرّم على المسلم شراب المسكر والمفتر ، وكل ما يُخامر العقل ويفسده ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (2).

وجعل الإسلام الدية كاملة في الاعتداء على العقل ، وتضييع منفعته بضربه ونحوه .

5/ شدد الإسلام في النهي عن تعاطي ما تنكره العقول ، وتنفر منه ، كالتطير والتشاؤم ، بصفر ، والأنواء وغيرها ، واعتقاد التأثير في العدوى ونحوه (3)، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ...) (4).

(3) نظرة أهل السنة والجماعة إلى العقل :

يصور شيخ الإسلام ابن تيمية (5) – رحمه الله– هذه النظرة بقوله : " .... العقل شرط في معرفة العلوم ، وكمال وصلاح الأعمال ، وبه يكمل العلم والعمل ، لكنه ليس مستقلاً بذلك، لكنه غريزة في النفس ، وقوة فيها ، بمنزلة قوة البصر التي في العين ، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار ، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها ، وإن عزل بالكلية ، كانت الأقوال والأفعال مع عدمه : أموراً

---

(1) سورة آل عمران ، الآية : 190 – 191 .

(2) سورة المائدة ، الآية : 90 .

(3) انظر : منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ، عثمان علي حسن ، 168/1 – 171 .

(4) متفق عليه ؛ أخرجه البخاري في كتاب الطب ، باب لا هامة ، 18 / 46 ح 5316 ، وأخرجه مسلم في كتاب السلام ، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد مُمْرِض على مُصِحّ ، 349/11 ح 4116 .

(5) هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني، الحنبلي بل المجتهد المطلق ، ولد سنة 661هـ ، أحيا الله به الشام بل الإسلام بعد أن كاد ينثلم ، برز في كل فن على أبناء جنسه ، ولم تر عينُ مَن رآه مثلَه ؛ ولا رأت عينُه مثل نفسه ، تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد ، فمنها مجموع الفتاوى ، ومنهاج السنة النبوية ، ومجموع رسائله وغيرها ، توفي سنة 728هـ .

انظر : تذكرة الحفاظ 1496 ، والبداية والنهاية 135/14 .

حيوانية ، قد يكون فيها محبة ، ووجد ، وذوق ، كما يحصل للبهيمة . فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة ، والأقوال المخالفة للعقل باطلة ...لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية – بزعمهم – اعتقدوها حقا وهي باطل ، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به ، والمعرضون عنه صدقوا بأشياء باطلة ، ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة ، وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم " [(1)] .

والوحي جاء بالأدلة العقلية صافية من كل كدر ، ومسائل الاعتقاد وردت بها النصوص ، و بأدلتها العقلية ، وما على العقل إلا فهمها وعقلها .

والخطيب البغدادي – رحمه الله – يستخدم الحوار العقلي أحياناً في الرد على المخالفين في بعض المسائل العقدية ، مثال ذلك :

(1) في معرِضِ رده على المنجمين ؛ استخدم الحوار العقلي ، من ذلك ما ذكره في كتابه (القول في علم النجوم) حيث قال :" قال بعض علماء السلف : يُقال للمنجم : أخبرني عما ادعيته من علم النجوم ، وكثرة شواهده وبراهينه ، لستَ تعلم أنه قد خالفك فيه مخالفون ؟ وطعن عليك طاعنون ؟ فأقلهم عليك اعتراضاً ، وأسهلهم فيك أمراً : من يزعم أن قياسك قياسٌ فاسد ، ونظَرَك نظرٌ مدخولٌ ، وأنك لا ترجع من ذلك إلا إلى ظنٍّ وحسبان ، وأكثر ما تقوله منه ، فإ نما تقوله بالحدْس [(2)] والتَّبْخِيت [(3)] ، وأنك في أكثره كصاحب الزوج والفرد ، أو كالمتخرِّص المدَّعي علْمَ علمِ الغيب " [(4)] .

ويستطرد الخطيب البغدادي قائلا : " ويستدلُّ قائل هذا بكثرة خطئك في قضاياك وقولك للشيء : إنه يكون ، ولا يكون ، وللشيء ، إنه لا يكون ، فيكون ، وفي توقيتك للشيء وقتاً قريباً ، فيكون بعيداً ، وربَّما باعدته ، فيكون قريباً ، ويخبرُ عن مقدار الشيء الكائن ، فيتضعَّف

(1) مجموع الفتاوى ، 3/ 338 – 339 .

(2) الحدْس : التوهم في معاني الكلام والأمور ، يُقال : بلغني عن فلان أمر وأنا أحدس فيه أي أقول بالظن والتوهم .

انظر : لسان العرب لابن منظور ، 46/6 .

(3) التبخيت : من بخت ، والبَخْتُ الجَدُّ ، والتَّبخيتُ التَّبكيتُ ، وأن تُكلِّم خصمكَ حتى تنقطع حُجَّته عن صاحب التَّكمِلة . وأما قول بعض الشافعيّة في اشتباه القبلة إذا لم يُمْكِنه الاجتهادُ صلّى على التّبخيت ؛ فهو من عبارات المتكلمين ويَعنُون به الاعتقادَ الواقعَ على سبيل الابتداءِ من غير نظرٍ في شيء .

انظر : المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي ، 58/1 .

(4) ص 219 .

أضعافاً ، وربما ينقص نقصاناً كثيراً ، ويمتحنك الممتحن فيقول : بمَ تقضي عليّ : أقوم أم أقعد ، فإن قلتَ تقومُ : قَعَدت ، وإن قلتَ : تقعدُ قمتَ .

فإن قلتَ : هذا لطيف لا يضبطه الحساب ؟ ولا يُحصِّله القضاء .

قال لك : وما يُدريك لعل أمر النجوم كلَّه لطيف لا يضبطه الحساب ، ولا يحصِّله القضاء ، ولا يصحُّ فيه ، وكذا إن قلتَ : إن هذا لا يكون إلا من غَلَطِ الحاسبِ والمنجِّمِ ، قال لك خصمُك : فلعلَّ أوَّلَ هذا وآخره غلطٌ ، وأنت لا تعلمُ " (1) .

ومن الأمثلة أيضاً التي كان الخطيب البغدادي يستدل بها ببعض الأدلة العقلية في بعض المسائل العقدية :

(2) ما أخرجه عن أبي القاسم إبراهيم بن عبد الكريم الشَّيباني (2) ، قال : لما تجهز المعتصم لغزو "عمورية" (3) حكم المنجمون على ذلك الوقت أنه لا يرجع من غزوه ، فإن رجع كان معلولاً خائباً ؛ لأنه خرج في وقت نحس ، فكان من فتحه العظيم وظفره ما لم يخفَ ، حتى وصف ذلك أبو تمام الطائي (4) في قصيدته التي أولها :

(السيف أصدق أنباءً من الكتب)

فقال :

والعلم في شهب الأرماح لامعةً

بين الخميسين لا في السبعة الشهب

---

(1) القول في علم النجوم ، ص 219 – 220 .

(2) لم أقف على ترجمة له .

(3) كانت سنة 23هـ ، بين المسلمين والروم ، وكان أمير المسلمين على جيش مصر وهب بن عمير الجمحي ، وأميرهم على جيش الشام أبو الأعور السلمي ، حيث كانت استجابة لنداء امرأة هاشمية = صاحت وامعتصماه فأجابها وهو على سريره لبيك لبيك ، ونهض من ساعته ، وأعد عدته ، وتوجه إلى هناك .. وانتصر فيها المسلمون .
انظر : المعرفة والتاريخ 319/3 ، الكامل في التاريخ 40/6 .

(4) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، أبو تمام الشاعر الأديب ، أحد أمراء البيان ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) سنة 188هـ ، ولي بريد الموصل ، فلم يتم سنتين حتى توفي بها سنة 231هـ، كان فصيحاً حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة ، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع ، في شعره قوة وجزالة ، واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري ، له تصانيف منها : فحول الشعراء ، وديوان الحماسة ، وديوان شعره .
انظر: وفيات الاعيان 121/1 ، الأعلام للزركلي 165/2.

أين الرواية أم أين النجوم وما

صاغوه من زخرفٍ فيها ومن كذب

تخرُّصاً وأحاديثاً ملفقةً

ليست بنبعٍ إذا عُدَّت ولا غُرُب

عجائباً زعموا الأيام مجفلةً

عنهنَّ في صفر الأصفار أو رجب

وخوَّفوا الناس من دهياء مظلمةٍ

إذا بدا الكوكب الغربيُّ ذو الذَّنَبِ

وصيَّروا الأبراج العليا مرتبةً

ما كان منقلباً أو غير منقلب

يقضون بالأمر عنها وهي غافلةٌ

ما دار في فلكٍ منها وفي قُطُبِ

لو بَينتْ قطُّ أمراً قبلَ موقِعِهِ

لم يَخْفَ ما حلَّ بالأوثانِ والصُّلُبِ (1)

هذه الحادثة و الأبيات التي تليها ، فيها رد على المنجمين بما حكموا به ، لأن الخليفة المعتصم نال الظفر والصبر ، وكان ذلك بعد حكمهم عليه بالخيبة والخسارة إن خرج في هذا الوقت .

وهذه تعد من الأدلة العقلية لإبطال أقوال المنجمين وأحكامهم وألاعيبهم ، وذلك أن أبا تمام رفض حكمهم ، ولم يقبل به لحجج عقلية واهية لا يمكن أن يقبلها العقل السليم ، لذلك أوردها الخطيب البغدادي كدليل عقلي على إبطال أقوال المنجمين ؛ بأسلوبٍ أدبي يختلف عن استدلالاته السابقة .

(1) القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، 201 – 202 . و رسالة في علم النجوم له ، 63 – 64. والأبيات : في ديوان أبي تمام ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ص 15 – 29 .

الفصل الثاني :

قواعد منهج الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف .

قواعد منهج الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف

تعريف القواعد :

القواعد : جمع قاعدة ، والقاعدة في اللغة : الأساس ، وقواعد البناء أساسه [1] ، قال تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) [2] .

وعرّفها الجرجاني [3] بقوله : هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها [4] .

والخطيب البغدادي ؛ يسير وفق منهج سليم يوافق منهج أهل السنة والجماعة ؛ ولعل أبرز القواعد التي يسير عليها على النحو التالي :

1 / التزامه بالقرآن في تقرير عقيدة السلف :

ويتجلى هذا في :

(1) اعتماد أبي بكر الخطيب في تقرير عقيدة أهل السنة والدفاع عنها على القرآن والسنة ، وفي كتابه (الكلام على الصفات) بيّن أن الأحاديث الصحيحة المروية في الصفات يجب الأخذ بها وقبولها ، فقال : " منها أخبار ثابتة ، أجمع أهل النقل على صحتها لاستفاضتها وعدالة ناقليها فيجب قبولها ، والإيمان بها ، مع حفظ القلب أن يسبق إليه اعتقاد ما يقتضي تشبيه الله بخلقه ، ووصفه بما لا يليق به من الجوارح والأدوات والتغير والحركات " [5] .

(2) حتى إذا أراد أن يقرر مسألة عقدية ؛ اتبع منهج السلف في ذلك ، بحيث يستدل عليها من القرآن ، مثال ذلك :

---

(1) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، ط الأخيرة (مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده 1381هـ) ص 409 .

(2) سورة البقرة ، الآية : 127 .

(3) هو علي بن محمد بن علي ، المعروف بالشريف الجرجاني ، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية ، ولد في تاكو (قرب أستراباد) سنة 740هـ ، ودرس في شيراز وتوفي بها سنة 816هـ ، له نحو خمسين مصنفاً ، منها التعريفات وشرح مواقف الإيجي وغيرها .
انظر: الضوء اللامع 328/5 ، والأعلام للزركلي 7/5 .

(4) كتاب التعريفات ، الجرجاني ، تحقيق : جماعة من العلماء بإشراف عباس أحمد الباز ، ط 1 (بيروت: دار الكتب العلمية 1403هـ) ص 171 .

(5) جواب أبي بكر الخطيب البغدادي عن سؤال أهل دمشق في الصفات ، الخطيب البغدادي ، تحقيق جمال عزون ، ط1 (الإمارات : دار الريان 1413 هـ) ص66 – 67 .

فعندما سُئل عن النجوم ، وهل الشروع فيه محمود أو مذموم ؟ أجاب بأن علم النجوم يشتمل على ضربين :

أحدهما : مباح ، وتعلمه فضيلة . والآخر محظور ، والنظر فيه مكروه .

فلما تحدث عن الضرب الأول : وهو العلم بأسماء الكواكب ومناظرها ومطالعها ومساقطها وسيرها والاهتداء بها ... والتوصل إلى جهة القبلة بالنجوم ، ومعرفة مواقيت الصلاة وساعات الليل بظهورها وأفولها .

ولما شرع في الاستدلال أورد في ذلك عدداً من الآيات الكريمة من كتاب الله جل شأنه ، منها قول الله سبحانه : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[1] .

وقال تعالى : (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) [2].

وقال عز وجل : (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) [3].

وقال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [4] .

فلم يكتفِ – رحمه الله – بالاستدلال عليها بآية واحدة فقط ، بل استدل بعدة آيات ، وهذا يدل على التزامه بالقرآن الكريم .

2 / التزامه بالسنة في تقرير عقيدة السلف – رحمهم الله – :

والخطيب البغدادي ممن يعظم السنة ويركز على الاحتجاج بها في تقرير المسائل العقدية ، فمن ذلك :

(1) كان الخطيب البغدادي في كثير من المسائل العقدية يكتفي بالاستدلال عليها من السنة النبوية فقط ؛ وهذا فيه دليل على تعظيمه الاحتجاج بالسنة ، مثال ذلك :

(1) سورة يونس ، الآية : 5
(2) سورة يس ، الآية : 39
(3) سورة الرحمن ، الآية : 5
(4) انظر : القول في النجوم ، الخطيب البغدادي ، ص 126 – 127 . و رسالة في علم النجوم له ، ص 12 – 22 . والآية في سورة الأنعام ، الآية 97 .

أولاً : عندما تحدث – رحمه الله – عن الفرقة الناجية [1] ، استدل عليها بما أخرجه بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : (إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة ؛ كلها في النار إلا واحدة ؛ وهي الجماعة)[2].

واستدل أيضاً بما أخرجه بسنده عن معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال النبي ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي منصورين ، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة) [3].

وأيضاً الحديث الذي أخرجه بسنده عن سعيد بن يعقوب الطالقاني – أو غيره – قال : ذكر ابن المبارك حديث النبي ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناوأهم حتى تقوم الساعة) [4] .

ثانياً : الخطيب البغدادي – رحمه الله – في مواضع عدة ، وفي أكثر من كتاب ، حَثّ على لزوم التمسك بالسنة ووجوب العمل بها ، فمثلاً في كتاب (الفقيه والمتفقه) [5] عقد لها باباً أسماه : " باب تعظيم السنن والحث على التمسك بها والتسليم لها والانقياد إليها وترك الإعتراض عليها " وسرد تحته عدة أحاديث عن النبي ﷺ تحث وترغّب على التمسك بالسنة ، منها : ما أخرجه بسنده عن عبد الله بن عمرو [6] قال : قال رسول الله ﷺ : (من رغب عن سنتي فليس مني) [7] .

وفي كتاب الكفاية في علم الرواية بدأ بمقدمة عن وجوب الأخذ بالسنة وطاعة الرسول ﷺ ، وعقد باباً أسماه " ما جاء في التسوية بين حكم كتاب الله تعالى وحكم سنة رسول الله ﷺ في

---

(1) شرف أصحاب الحديث ، الخطيب البغدادي ، ص 63 – 64 .
(2) تقدم تخريجه .
(3) تقدم تخريجه .
(4) شرف أصحاب الحديث ، الخطيب البغدادي ، 65 – 66 . والحديث تقدم تخريجه .
(5) الفقيه والمتفقه ، الخطيب البغدادي ، 1/ 374 .
(6) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن ولد بعد المبعث بيسير ، وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة ، وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر ، مات سنة 73هـ .
انظر : الإصابة 4 / 181 ، الاستيعاب 950/3 ، تقريب التهذيب 15/ 332 .
(7) أخرجه ابن خزيمة في صحيحة باب التغليظ في ترك المسح على الخفين رغبة في السنة ، 99/1 بلفظه . وقال الألباني : إسناده صحيح مرسل ، السلسلة الصحيحة 164/5 .

وجوب العمل ولزوم التكليف " وأورد تحته عدة أحاديث تحث على وجوب التمسك بالسنة والاحتجاج بها ، منها :

ما أخرجه بسنده عن المقداد بن معد يكرب [1] عن رسول الله ﷺ أنه قال : (ألا إني أُتيت الكتاب ومثله معه ، ألا إني قد أُوتيت القرآن ومثله ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه..) [2].

3/ التزامه بأقوال السلف في تقرير العقيدة :

الخطيب البغدادي – رحمه الله – كان ممن يحتج بفهم السلف لنصوص الكتاب والسنة ، وبأقوالهم ، فقد كان يعضد استدلاله بالسنة باستدلاله بأقوال السلف ، ومن أمثلة ذلك :

– ما أخرجه بسنده عن ميمون بن مهران [3] ؛ في قوله تعالى : (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ) [4] ، قال :" الرد إلى الله : إلى كتابه ، والرد إلى الرسول إذا قبض إلى سنته " [5] .

كما أنه – رحمه الله – كان عند استدلاله على بعض المسائل العقدية ؛ يكتفي بالاستدلال عليها بأقوال من السلف – رحمهم الله – فقط دون أن يورد آيات من كتاب الله أو أحاديث من سنة رسول الله ﷺ ، وهذا يدل على أخذه بأقوال السلف وفهمهم لنصوص الكتاب والسنة ، ومن ذلك :

---

(1) هو المقداد بن معد يكرب بن عمرو بن سنان صحابي مشهور ، نزل الشام ، ومات سنة 87هـ على الصحيح ، وله إحدى وتسعون سنة .
انظر : الإصابة 6/ 204 ، تقريب التهذيب 4/ 1482 .

(2) الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي ، ص 8 . والحديث أخرجه أبو داود ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، 208/12 ، ح3988 ، وابن ماجه مقدمة (12) . قال الألباني : صحيح ، انظر صحيح وضعيف سنن أبي داود ، 10/ 104 ، ح 4604 .

(3) هو ميمون بن مهران الجزري أبو أيوب ، أصله كوفي نزل الرقة ، ثقة فقيه من القضاة ، وكان عالم الجزيرة وسيدها ، واستعمله عمر بن عبد العزيز على خراجها وقضائها ، وكان قبل مؤدب ولده وكان على مقدمة الجند الشامي مع معاوية بن هشام بن عبد الملك ، لما عبر البحر غازياً إلى قبرص، وكان ثقة في الحديث ، كثير العبادة ، توفي سنة 117هـ .
انظر: تذكرة الحفاظ 93/1 ، وتقريب التهذيب 234/2 ، والأعلام 342/7 .

(4) سورة النساء ، الآية : 59 .

(5) الفقيه والمتفقه ، الخطيب البغدادي ، ص 375 . والأثر : رواه ابن عبد البر في جامع العلم ، 229/2، إسناده حسن .

(1) عندما تطرق الخطيب البغدادي لمسألة "من كان يستشفي بقراءة الحديث" [1] .

استدل عليها بما أخرجه بسنده عن محمد بن مخلد قال : "كان الرماي إذا اشتكى شيئاً قال : هاتوا أصحاب الحديث ، فإذا حضروا عنده قال : اقرؤوا علي الحديث " [2] .

(2) وعندما ذكر مسألة " ليس الإيمان بالتحلي " [3] ، استدل عليها بما أخرجه بسنده عن أبي بشر الحلبي ، عن الحسن ، قال : " ليس الإيمان بالتحلي ، ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلوب وصدَّقته الأعمال ، من قال حسناً ، وعمل غير صالح ، ردَّه الله على قوله ، ومن قال حسناً ، وعمل صالحاً رفعه العمل ، وذلك بأن الله تعالى يقول : (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) " [4] .

4/ الجمع بين أدلة الكتاب والسنة على مسائل الاعتقاد :

(1) عندما أراد الخطيب إثبات اختصاص الله سبحانه وتعالى وحده بعلم الغيب ، ذكر قول النبي ﷺ فيما رواه عنه ابن عمر رضي الله عنهما قال :

(مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما في الأرحام إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة أحد إلا الله – عز وجل –) [5].

قال : وقد نطق القرآن بمثل ما تضمنه هذا الحديث :

قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [6] .

---

(1) شرف أصحاب الحديث ، الخطيب البغدادي ، ص126 .
(2) أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ، ص 126 – 127 .
(3) اقتضاء العلم العمل ، الخطيب البغدادي ، ص 43 .
(4) أخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل ، ص43 . والآية في سورة فاطر ، الآية : 10 .
(5) أخرجه البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) ، 158/14 ح4261 ، وكتاب تفسير القرآن ، باب قوله : (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام)، 288/14 ، ح 4328 .
(6) انظر : القول في النجوم ، الخطيب البغدادي ، ص195– 196 . و رسالة في علم النجوم له ، ص 59 . و الآية في سورة لقمان ، الآية : 34 .

يتضح من هذا أن الخطيب البغدادي عند تقرير مسألة اختصاص الله سبحانه وتعالى وحده بعلم الغيب ، ثنى استدلاله بآية من كتاب الله بعد استدلاله بحديث من السنة النبوية كشاهد عليه ، وإثبات أن لا تعارض بينهما .

5/ درء تعارض النقل مع العقل :

نهج الخطيب البغدادي منهج أهل السنة و الجماعة في تقرير العقيدة ، وهو نفي التعارض بين النقل والعقل ، ويظهر هذا من استدلالاته على المسائل العقدية ، فهو يقررها بالنص أحياناً وبالعقل أحياناً أخرى ، مما يدل على مكانة كل منهما عنده ، وأن لا تعارض بينهما .

– فمن المسائل التي استدل عليها بالقرآن : عندما تحدث الخطيب البغدادي عن مسألة " أن الله سبحانه يجازي كلاً بعمله " استدل عليه ، بقوله تعالى : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) [1] .

– من المسائل التي استدل عليها بالسنة : عندما تحدّث الخطيب البغدادي عن النية في طلب العلم قال : " وليتق المفاخرة والمباهاة به ، وأن يكون قصده في طلب الحديث نيل الرئاسة، واتخاذ الأتباع ، وعقد المجالس ؛ فإن الآفة الداخلة على العلماء أكثرها من هذا الوجه " [2] .

واستدل عليه بما أخرجه بسنده عن حذيفة [3] قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولتماروا به السفهاء ، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم ، فمن فعل هذا فهو في النار ، ومن علمتم هذا منه فارجموه بالحجارة) [4].

– من المسائل التي استدل عليها بأقوال السلف :

---

(1) اقتضاء العلم العمل ، الخطيب البغدادي ، ص 20 . والآية في سورة الزلزلة ، الآية : 7–8 .

(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، 85/1 .

(3) هو حذيفة بن اليمان من نجباء أصحاب محمد ﷺ وهو صاحب سر النبي ﷺ الذي لا يعلمه أحد غيره ، تولى حذيفة إمرة المدائن لعمر ، فبقي عليها إلى ما بعد مقتل عثمان ، وتوفي بعد عثمان بأربعين ليلة ، بالمدائن سنة 36هـ . =
انظر : سير أعلام النبلاء 2/ 361 ، الإصابة 44/2 .

(4) أخرجه الترمذي ، كتاب العلم ، بابما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا ، 255/9 ، ح2578 ، والطبراني في الكبير ، 100/19 من حديث كعب بن مالك ، قال أبو عيسى : هذا الحديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأخرجه ابن ماجه ، في المقدمة ، باب الانتفاع بالعلم والعمل به ، 296/1 ، ح250 من حديث جابر بن عبد الله . وقال الألباني : صحيح ، انظر : صحيح الترغيب والترهيب (102) ، وأخرجه الطبراني في الكبير 20/ 66 ، من حديث معاذ بن جبل .

حينما أورد الخطيب البغدادي أنواع النجوم وحكم الشروع فيها ، أتبع ذلك بإيراده لموقف الصحابة من أحكام المنجمين ، من ذلك :

* **موقف الصحابة** [1] :

أخرج عن ابن لَهِيْعَةَ أن الربيع بن سبُرَةَ الجهني حدَّثه قال : لما غزا عمر – رضي الله عنه – وأراد الخروج إلى الشام خرجتُ معه ، فلما أردنا أن ندلجَ نظرتُ فإذا القمر في الدّبرَان ، فأردت أن أذكرَ لعمرَ ذلك ، فعرفتُ أنه يكره ذكرَ النجوم ، فقلت له : يا أبا حفص ، انظر إلى القمر ما أحسن استواءه الليلةَ ! فنظر فإذا هو في الدبران ، ، قال : قد عرفتُ ما تريد يا ابن سَبُرَةَ ، تقول : إن القمر بالدبران ، وإنَّا والله ما نخرج بالشمس ولا بالقمر ،ولكن نخرج بالله الواحد القهار [2].

– من الشبه والاعتراضات التي ردَّ عليها الخطيب البغدادي واستدل عليها بالعقل ، ما يلي :

في معرِضِ رده على المنجمين ؛ استخدم الحوار العقلي ، من ذلك ما ذكره في كتابه "القول في علم النجوم" حيث قال : (فإن قلت – يقصد المنجم – : إن الذي يُؤمِّنُني من الغلط في الكلِّ، والذي يَدُلُّني على أن فيه الأمر الجليل المفهوم : أني قد أجد كثيراً من ذلك صحيحاً ، وأني إذا تحفظتُ في الحسابِ والحُكْمِ ، أصبتُ ، ولم أخطِ ، رجع خصمك إلى أن يقول : فهكذا أصحاب الحدس والتبخيتِ والتخليطِ [3] والناظرون في الأكتاف [4] قد يصيبون كثيراً ، ويقول قائلهم : لو تحفظتُ لم أخط ، وكذا صاحب الزُّكان [5] قد يصيب بأكثر من صوابك، ويجيب بأوضح من جوابك ، وهذا الزاجر يأتي بالأمر العجيب والصواب الكثير ، ويُخبر عن الشاهد

---

(1) القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، 185 . و رسالة في علم النجوم له ، 52 .
(2) تقدم تخريجه .
(3) التخليط من خلط ، وخَلَطَ الشيء بغيره من باب ضرب فاخْتَلَطَ و خَالَطَهُ مُخَالَطَةً و خِلَاطاً بالكسر و اخْتَلَطَ فلان أي فسد عقله و التَّخْلِيطُ في الأمر الإفساد فيه و الخَلِيطُ المخالط كالنديم المنادم والجليس المجالس وهو واحد وجمع وقد يجمع على خُلَطاءَ و خُلُطٍ بضمتين .
انظر : مختار الصحاح للرازي ، 196/1 .
(4) علم الأكتاف : علم باحث عن الخطوط والأشكال التي ترى في أكتاف الضأن والمعز إذا قوبلت بشعاع الشمس من حيث دلالتها على أحوال العالم الأكبر من الحروب بين الملوك وأحوال الخصب والجدب .
انظر : مفتاح السعادة 328/1 ، كشف الظنون 141/1 .
(5) وهو الظان والمتفرس ، فالزكن – في اللغة – هو الظن والتفرس .
انظر : لسان العرب ، مادة : زكن ، 198/13 .

والغائب ، وعمّا كان ويكون في الأوقات اليسيرة والمدِ القريبة ، ولا يحتاج في ذلك إلى أخذك الارتفاع وتعرفك الوقت ، وإحصائك الساعات ، وإقامتك الطالع والأوتار ، وتقوُّمك الكواكب ، ومعرفتك بالاتصال والانصراف ومطارح الشعاع في الطول والعرض ، مع أشياء غير ذلك من أعمالك) (1) .

يتضح من الأمثلة السابقة أن الخطيب البغدادي ؛ يستدل أحياناً بالنقل وأحياناً بالعقل ، فدلَّ ذلك على أن لا تعارض بينهما عنده – رحمه الله – .

6/ رد المتشابه إلى المحكم :

ومما يُبين ذلك :

عندما أراد – رحمه الله – الرد على أهل البدع الذين عابوا على المحدثين رواياتهم في باب العقيدة ، ورموهم بالتشبيه ، قال : " ولما تعلق أهل البدع على عيب أهل النقل برواياتهم هذه الأحاديث ، ولبسوا على من ضعُف علمه بأنهم يروون ما لا يليق بالتوحيد ، ولا يصح في الدين ، ورموهم بكفر أهل التشبيه ، وغفلة أهل التعطيل ، أجيبوا : بأن في كتاب الله تعالى آيات محكمات ، يفهم منها المراد بظاهره ، وآيات متشابهات ، لا يوقف على معناها إلاّ بردها إلى المحكم ، ويجب تصديق الكل ، والإيمان بالجميع ، فكذلك أخبار الرسول ﷺ جارية هذا المجرى ، ومنزلة على هذا التنزيل ، برد المتشابه منها إلى المحكم ، ويقبل الجميع " (2).

7/ عنايته بالسند في الأحاديث التي يستدل بها عند تقرير العقيدة:

الخطيب البغدادي باعتباره محدِّثاً ، بل إنه عالم جهبذ من كبار المحدثين ؛ يروي استدلالاته على أي مسألة كانت من أقوال المصطفى ﷺ ، أو من أقوال السلف الصالح – رضوان الله عليهم – بسنده هو المتصل إلى النبي ﷺ إذا كان مرفوعاً ، أو متصل إلى صحابي إذا كان موقوفاً ، ومن ذلك :

---

(1) القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، ص 220 – 221 .
(2) جواب أبي بكر الخطيب البغدادي عن سؤال أهل دمشق في الصفات ، الخطيب البغدادي ، ص66 .

ما رواه بسندٍ متصل بالنبي ﷺ مرفوعاً : عندما تحدث عن مسألة الكبائر [1] قال : أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مهدي الفارسي قال: أنا محمد عبد الله بن أحمد بن إسحاق المصري الجوهري قراءة عليه في سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، قال : ثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : أخبرني سليمان – يعني ابن بلال – عن ثور بن زيد ، عن أبي الغيث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

(اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل يا رسول الله وما هي ؟ قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) [2] .

ومن ذلك ما رواه بسندٍ متصل بأقوال السلف — رضوان الله عليهم – موقوفاً :

وذلك عندما تطرق — رحمه الله – لمسألة "ما جاء من الوعيد والتهديد والتشديد لمن قرأ القرآن للصيت والذكر ، ولم يقرأ للعمل به واكتساب الأجر " [3] استدل عليها بما أخرجه بسنده ، فقال : أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدل ، قال : أنبأ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار ، ثنا محمد بن عبيد الله بن المنادى ، ثنا أبو بدر ، ثنا عمرو بن قيس عن الحسن ، قال : " إنه تعلَّم هذا القرآن عبيد وصبيان لم يأتوه من قبل وجهه، ولا يدرون ما تأويله ، قال الله تعالى :(كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) [4] ، ما تدبر آياته ؟ إتباعه بعمله وإن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه ، وإن لم يكن يقرأه ، يقول أحدهم : يا فلان تعال أُقارئك ، متى كانت القرَّاء تفعل هذا ؟! ما هم بالقراء ، ولا الحلماء ، ولا الحكماء لا أكثر الله في الناس من أمثالهم " [5] .

---

(1) الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي ، ص102 .

(2) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الوصايا ، باب قول الله تعالى : (الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) ، 315/9 ، ح2560 ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب الكبائر وأكبرها ، 244/1 ، ح129 .

(3) اقتضاء العلم العمل ، الخطيب البغدادي ، ص70 .

(4) سورة ص ، الآية : 29 .

(5) تقدم تخريجه .

الفصل الثالث :

منهج الخطيب البغدادي في الاستدلال على صحة مسائل الاعتقاد .

منهج الخطيب البغدادي في الاستدلال على صحة مسائل الاعتقاد

أولاً: التعريف بالمنهج في اللغة والاصطلاح :

المنهج في اللغة : المنهج من مادة نهج ، ينهج نهجاً ، وهو الطريق البين الواضح ، ويطلق على الطريق المستقيم . والمنهج ، والنهج ، والمنهاج : بمعنى واحد [1]. وفي التنزيل قوله تعالى : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً) [2]. قال ابن عباس رضي الله عنهما : " سبيلاً وسنة " [3] ، وهو مروي عن مجاهد [4] وعكرمة [5] والحسن البصري وغيرهم . وروي عن ابن عباس " سنة وسبيلاً " ، ورجح ابن كثير – رحمه الله – التفسير الأول لظهوره في المعنى ومناسبته [6] . وقال الحافظ ابن حجر [7] – رحمه الله – : " والمنهاج : السبيل ، أي الطريق الواضح " [8] .

(1) لسان العرب ، ابن منظور ، د.ط (بيروت : دار صادر ، د.ت) 383/2 مادة " نهج " ، والقاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، 218/1 مادة "نهج" .
(2) سورة المائدة ، الآية : 48 .
(3) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : (بني الإسلام على خمس) ، 1/ 11 بلفظه ، وذكره الطبري في تفسيره تفسير سورة المائدة 271/6 .
(4) هو مجاهد بن جبر ، الإمام شيخ القراء والمفسرين ، أبو الحجاج المكي الأسود مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ، ويقال مولى عبد الله بن السائب .
انظر : سير أعلام النبلاء 449/4 ، تهذيب الكمال 228/27 .
(5) هو عكرمة مولى ابن عباس ، أبو عبد الله المدني ، أصله من البربر من أهل المغرب ، قال : طلبت العلم أربعين سنة وكنت أفتي بالباب وابن عباس في الدار .
انظر : سير أعلام النبلاء 12/5 ، طبقات الحفاظ 44/1 ، تهذيب الكمال 264/20 .
(6) انظر : تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير ، 120/3 .
(7) هو شيخ الإسلام ، وإمام الحفاظ في زمانه ، وحافظ الديار المصرية ، بل حافظ الدنيا مطلقاً ، قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي ، ولد سنة 773هـ كان محدثاً فقيهاً مؤرخاً ، بلغ الغاية في الشعر ، ثم تقدم في الحديث وجميع فنونه ، وصنف التصانيف التي عم النفع بها كشرح البخاري الذي لم يصنف أحد في الأولين ولا في الآخرين مثله ، والإصابة في معرفة الصحابة ، وأشياء كثيرة جداً تزيد على المائة وخمسين ، وأملى أكثر من ألف مجلس، وولي القضاء ، توفي سنة 852هـ .
انظر : الضوء اللامع 2 /36 ، وشذرات الذهب 270/7 ، والبدر الطالع للشوكاني 87/1 20 .
(8) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر ، 48/1 .

المنهج في الاصطلاح : هو الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم ، بواسطة طائفة من القواعد العامة ؛ والتي تهيمن على سير العقل ، وتحدد عملياته ؛ حتى يصل إلى نتيجة معلومة[1] .

وبعبارة أوجز : هو القانون أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية ، وفي أي مجال [2].

ثانياً: منهجه في الاستدلالات النقلية :

كان منهج الخطيب البغدادي – رحمه الله تعالى – في الاستدلال على صحة مسائل الاعتقاد ؛ هو منهج أهل السنة والجماعة .

وتبين ذلك من خلال تتبعي لعدد من المسائل العقدية حيث لاحظتُ أنه – رحمه الله – **كثيرا ما يبدأ في تقرير مسألة عقدية بالاستدلال بالقرآن الكريم** ، مثال ذلك :

(1) أن الخطيب البغدادي " عندما سُئل كيف أضاف النبي ﷺ علم النجوم إلى السحر " ؟ أجاب بقوله : " لأنهما وقعا من التمويه والخداع والأباطيل موقعاً واحداً ، إذ النجوم لا فعل لها في خير ولا شر ، وإنما الله تعالى هو الفاعل عند حركتها ، وكذلك السحر .

قال الله تعالى في قصة الملكين مع من أخذ السحر عنهما :

(فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ)"[3].

يتضح من هذا المثال أنه أول ما بدأ بالاستدلال في هذه المسألة بآية من كتاب الله جل وعلا .

(2) وعندما تحدث الخطيب البغدادي عن مسألة " أن الله سبحانه يجازي كلاً بعمله " استدل عليه ، بقوله تعالى : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) [4].

* **وأحياناً أخرى يثني استدلاله بآية من القرآن بعد استدلاله بحديث كشاهد عليه وإثبات لصحته** ، مثال ذلك :

---

(1) انظر : العلم والبحث العلمي– دراسة في مناهج العلوم – 143 – 145 ، منهج البحث العلمي عند العرب ، حسين عبد الحميد رشوان وجلال محمد عبد الحميد موسى ، ص 273 .

(2) انظر : منهج البحث العلمي عند العرب ، رشوان و موسى ، ص 271 .

(3) القول في النجوم ، الخطيب البغدادي ، ص 180 . و رسالة في علم النجوم له ، ص 50– 51. والآية في سورة البقرة ، الآية : 102 .

(4) اقتضاء العلم العمل ، الخطيب البغدادي ، ص 20 . والآيات في سورة الزلزلة ، الآية : 7–8 .

(1) عندما أراد الخطيب إثبات اختصاص الله سبحانه وتعالى وحده بعلم الغيب ، ذكر قول النبي ﷺ فيما رواه عنه ابن عمر رضي الله عنهما قال :(مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما في الأرحام إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة أحد إلا الله – عز وجل –) [1].

قال : " وقد نطق القرآن بمثل ما تضمنه هذا الحديث :

قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) " [2] .

يتضح من المثال السابق أن الخطيب البغدادي عند تقرير مسألة اختصاص الله – سبحانه وتعالى – وحده بعلم الغيب ، ثنى استدلاله بآية من كتاب الله بعد استدلاله بحديث من السنة النبوية كشاهد عليه .

*** وأحياناً أخرى يقرن الخطيب البغدادي – رحمه الله –استدلاله بالقرآن الكريم باستدلاله بالسنة النبوية في تقريره لعقيدة السلف** ، مثال ذلك :

(1) عندما سئل عن النجوم ، وهل الشروع فيه محمود أو مذموم ، وأجاب بأن علم النجوم يشتمل على ضربين :

أحدهما : مباح ، وتعلمه فضيلة ، والآخر محظور والنظر فيه مكروه .

وتحدث عن الضرب الأول : وهو العلم بأسماء الكواكب ومناظرها ومطالعها ....إلخ ، واستدل عليه ابتدءً بآيات من كتاب الله جل وعلا ، ثم ثنى استدلاله بأحاديث من السنة النبوية ، وهي :

ما أخرجه البغدادي بسنده عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – قال : قال النبي ﷺ :

(أحب عباد الله إلى الله رعاءُ الشمس والقمر ، الذين يُحبِّبُون عباد الله إلى الله ، ويحبِّبون الله إلى عباده) [3].

---

(1) تقدم تخريجه .

(2) انظر : الخطيب البغدادي ، القول في النجوم ، ص195– 196 . ورسالة في علم النجوم له ، ص 59. والآية في سورة لقمان ، آية : 34 .

(3) أخرجه : عبد بن حميد كما في المنتخب من المسند 204/3 (1438) من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الصلاة ، باب مراعاة أدلة المواقيت 379/1 (1685) من حديث

وأخرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : (ما بين المشرق والمغرب قبلة) [1] .

** وفي موضع آخر بدأ استدلاله بحديث أولاً ، ثم ذكر بعده آية من القرآن كشاهد عليه وإثبات لصحته** ، كما في المثال السابق الذي سبق أن أشرت إليه وهو أنه عندما أراد – رحمه الله – إثبات اختصاص الله – سبحانه وتعالى – وحده بعلم الغيب ، استدل بقول النبي ﷺ فيما رواه عنه ابن عمر رضي الله عنهما قال : (مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما في الأرحام إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة أحد إلا الله – عز وجل –) [2].

ثم قال بعده : وقد نطق القرآن بمثل ما تضمنه هذا الحديث :

قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) . [3]

فتبين لنا من هذا المثال أن الخطيب البغدادي عند تقرير مسألة اختصاص الله سبحانه وتعالى وحده بعلم الغيب ، بدأ استدلاله بالحديث أولاً ، ثم أورد الآية كشاهد لصحة الحديث الذي سبقها .

** وفي مواضع كثيرة من مسائل العقيدة لاحظت أن الخطيب البغدادي يبدأ استدلاله بالحديث النبوي الشريف ، ويكتفي به ، دون أن يورد قبله أو بعده آيات من القرآن الكريم ،**

مثال ذلك :

أبي هريرة موقوفاً ، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (1303) ، وأحمد في الزهد (143) وابن أبي شيبة في المصنف 170/8 ، والحاكم في المستدرك 161/1 .

(1) الخطيب البغدادي ، القول في علم النجوم ، ص 126 وما بعدها . والحديث أخرجه الترمذي أبواب الصلاة ، باب ما جاء أن مابين المشرق والمغرب قبلة ، 171/2 ح 342 – 343 ، وابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، (1011) ، قال الترمذي : حسن صحيح .

(2) تقدم تخريجه .

(3) انظر : القول في النجوم ، الخطيب البغدادي ، ص195– 196 . و رسالة في علم النجوم له ، ص 59 . والآية في سورة لقمان ، الآية : 34 .

(1) قال الخطيب البغدادي في أثناء حديثه عن النية في طلب العلم : " وليتق المفاخرة والمباهاة به ، وأن يكون قصده في طلب الحديث نيل الرئاسة واتخاذ الأتباع وعقد المجالس ، فإن الآفة الداخلة على العلماء أكثرها من هذا الوجه " [1] .

واستدل عليه بما أخرجه بسنده عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : (من طلب العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به الجهلاء، وليقبل الناس إليه بوجوههم ، له النار)[2].

واستدل أيضاً بما أخرجه بسنده عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولتماروا به السفهاء ، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم ، فمن فعل هذا فهو في النار ، ومن علمتم هذا منه فارجموه بالحجارة) [3].

واستدل أيضاً بما أخرجه بسنده عن جابر بن عبد الله [4] قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تطلبوا العلم لتباهوا به العلماء وتماروا به السفهاء ، وتَخَيَّروا به المجالس ، فمن فعل ذلك فالنار النار) [5] . [6]

---

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، 85/1 .

(2) أخرجه الترمذي ، كتاب العلم ، بابما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا ، 255/9 ، ح 2578 ، والطبراني في الكبير ، 100/19 من حديث كعب بن مالك ، قال أبو عيسى : هذا الحديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأخرجه ابن ماجه ، في المقدمة ، باب الانتفاع بالعلم والعمل به ، 296/1 ، ح250 من حديث جابر بن عبد الله . وقال الألباني : صحيح ، انظر : صحيح الترغيب والترهيب (102) ، وأخرجه الطبراني في الكبير 20/ 66 ، من حديث معاذ بن جبل .

(3) أخرجه ابن ماجه ، باب الانتفاع بالعلم والعمل به ، 1/ 96 مع اختلاف في اللفظ ، في المقدمة (254) من حديث حذيفة ، وأخرجه أحمد في المسند 190/1 من كلام لقمان بنحوه .

(4) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ثم السلمي ، صحابي بن صحابي ، غزا تسع عشرة غزوة ومات بالمدينة بعد السبعين وهو بن أربع وتسعين .
انظر : الإصابة 434/1 ، تقريب التهذيب 443/4 ، الاستيعاب 219/1 .

(5) تحدث أيضاً عن مسألة ذم طلب العلم للمباهاة والمماراة فيه ..إلخ ، في : اقتضاء العلم ا لعمل ، الخطيب البغدادي ، ص 64 – 65 . والحديث أخرجه ابن ماجه باب الانتفاع بالعلم والعمل به ، 93/1 ، ح 254 في المقدمة (254) من طريق جابر بن عبد الله إلا أحرفاً يسيرة ، وقال المحقق : في الزوائد رجاله ثقات ، وابن حبان (77) ، والحاكم في المستدرك (290)

(6) أخرجه الترمذي ، كتاب العلم ، بابما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا ، 255/9 ، ح2578 ، والطبراني في الكبير ، 100/19 من حديث كعب بن مالك ، قال أبو عيسى : هذا الحديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأخرجه ابن ماجه ، في المقدمة ، باب الانتفاع بالعلم والعمل به ، 296/1 ، ح250 من حديث جابر بن عبد الله . وقال الألباني : صحيح ، انظر : صحيح الترغيب والترهيب (102) ، وأخرجه الطبراني في الكبير 20/ 66 ، من حديث معاذ بن جبل .

وتطرق الخطيب البغدادي لمسألة الرياء فقال : " ما جاء من الوعيد والتهديد والتشديد لمن قرأ القرآن للصيت والذكر ولم يقرأه للعمل به واكتساب الأجر " [1]. واستدل عليه بما أخرجه بسنده عن سليمان بن يسار [2] ، قال : " تفرق الناس عن أبي هريرة فقال له ناتل[3] أخو أهل الشام : يا أبا هريرة حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (أول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل أتى به الله فعرَّفه نعمه فعرفها ، فقال ما عملت فيها ؟ فقال : قاتلت في سبيلك حتى استشهدت ، فقال : كذبت إنما أردت أن يُقال : فلان جريءٌ فقد قيل ، فأُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار ، ورجل تعلم العلم والقرآن ، فأتى به الله فعرفه نعمه فعرفها ، فقال : ما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وقرأت القرآن ، وعلَّمته فيك ، فقال : كذبت إنما أردت أن يُقال : فلان عالم وفلان قارئ ، وقد قيل ، فأُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل آتاه من أنواع المال فأتى به الله فعرَّفه نعمه فعرفها ، فقال : ما عملت فيها ؟ فقال : ما تركت (ذكر كلمة معناها) من سبيل تُحب أن تنفق فيه إلا أنفقتُ فيه لك . فقال : كذبت إنما أردت أن يقال : فلان جواد ، فقد قيل ، فأُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار) [4].

بعد ذلك تحدث الخطيب البغدادي عن ثمرات النية في طلب الحديث فقال : " وليجعل حفظه للحديث حفظ رعاية لا حفظ رواية ، فإن رواة العلوم كثير ، ورعاتها قليل . ورب حاضر كالغائب ، وعالم كالجاهل ، وحامل للحديث ليس معه منه شيء إذ كان في اطِّراحِه لحُكْمه

---

(1) اقتضاء العلم العمل ، الخطيب البغدادي ، 69 – 70 .

(2) هو سليمان بن يسار الهلالي المدني أبو أيوب مولى ميمونة ، وقيل أم سلمة ، ثقة فاضل أحد الفقهاء السبعة من أئمة الاجتهاد ، ولد في خلافة عثمان سنة 34هـ ، وكان أبوه فارسياً ، وهو ثقة عالم فقيه كثير الحديث ، توفي سنة 107هـ .
انظر : تذكرة الحفاظ 91/1 ، وتقريب التهذيب 393/1 ، والأعلام للزركلي 138/3.

(3) هو ناتل بن قيس بن يزيد بن حياء بن امرئ القيس بن ثعلبة الجذامي من أهل فلسطين ، من سادات جذام بالشام ، وكان مع معاوية في صفين ، أخرج ناتلٌ روحَ بن زنباع عن فلسطين ، ودعا إلى ابن الزبير ، وخرج على عبد الملك بن مروان فبعث إليه عبد الملك عمرو بن سعيد فقتله سنة 66هـ .
انظر : تاريخ دمشق 372/61 ، وتهذيب التهذيب 597/5 .

(4) أخرجه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ، 9/10 ، ح3527 ، بنحوه.

بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه "[1] . واستدل عليه بما أخرجه بسنده عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : (همة العلماء الرعاية ، وهمة السفهاء الرواية) [2] .

وتابع الخطيب البغدادي حديثه عن النية في طلب الحديث ، وأخبر أن الله سائل المرء عن علمه وماذا عمل به ، فقال : " وليعلم أن الله تعالى سائله عن علمه فيم طلبه ، ومجازيه على عمله به"[3].

واستدل عليه بما أخرجه بسنده عن معاذ بن جبل [4] قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه ، وشبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه ؟) [5] .

(2) عندما تطرق لمسألة " التغليظ في تعليق التمائم " [6] استدل عليها بما أخرجه بسنده عن عمران بن حصين [7] رضي الله عنه (أن النبي ﷺ رأى في عضد رجل حَلْقَة من صُفْر ، فقال : ما هذا

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، 87/1 .

(2) أخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل ص 39 ، عن الحسن مقطوعاً ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه 183/67، مقطوع ومرفوع ، والحديث قال عنه الألباني موضوع كما في الضعيفة (2263) .

(3) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، 88/1 .

(4) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن مشهور من أعيان الصحابة ، شهد بدراً وما بعدها ، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام ، والقرآن مات بالشام سنة 18هـ .
انظر : تقريب التهذيب 28 /105 ، والاستيعاب 1402/3 ، والإصابة 136/6 .

(5) اقتضاء العلم العمل ، الخطيب البغدادي ، 20 – 21 – 22 . والحديث أخرجه الدارمي في المقدمة (538) ، وأخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة ، باب في القيامة ، 612/5 ، ح 2417 عن أبي برزة الأسلمي بلفظ مقارب ، والدارمي من نفس الطريق (536) ، وقال الترمذي : حديث حسن .

(6) القول في النجوم ، الخطيب البغدادي ، 172 – 173. و رسالة في علم النجوم له ، الخطيب البغدادي، 44 – 45 .

(7) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف القدوة الإمام صاحب رسول الله ﷺ أبو نجيد الخزاعي ، أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في نفس الوقت سنة سبع ، وله عدة أحاديث ، وولي قضاء البصرة ، وكان عمر بعثه إلى البصرة ليفقههم ، فكان الحسن يحلف ما قدم عليهم – أي أهل البصرة – خير لهم من عمران بن حصين .
انظر : سير أعلام النبلاء 508/2 ، الإصابة 4/ 705 ، الاستيعاب 1208/3 .

؟ فقال : من الواهنة [1] ، قال : انبذها عنك ، فإنها لا تزيدك إلا وهناً ، لو مُتّ وهي عليك وُكلْت إليها) [2] .

وأخرج أيضاً عن أبي قلابة [3] قال : (قطع رسول الله ﷺ التميمة من قلادة الصبي ، قال : وهو الشيء يُحرزُ في عُنُق الصبي من العين ، وقطعها من عنق الفضل بن عباس[4] رضي الله عنهما) [5].

(3) وتطرق الخطيب البغدادي إلى مسألة " النظر في أحكام النجوم" وأنه منهي عنها ، وذكر الأدلة الدالة على تحريم النظر في أحكام النجوم [6] ، منها :

ما أخرجه بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : (لا تسألوا عن النجوم ، ولا تفسروا القرآن برأيكم ، ولا تسبوا أحداً من أصحابي ، فإن ذلك الإيمان المحض) [7] .

وأخرج عن عائشة [8]رضي الله عنها قالت : (نهى النبي ﷺ عن النظر في النجوم) [1] .

---

(1) الواهنة : عرق يأخذ في المنكب ، وفي اليد كلها ، وقيل : مرض يأخذ في العضد .
انظر : غريب الحديث ، لابن الجوزي (486/2) .

(2) أخرجه ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب تعليق التمائم ، 10 / 367 ، ح3522 ، وابن حبان في صحيحه ، كتاب الحظر والإباحة ، باب كتاب الطب ، 224/25 ، ح6195 ، وأحمد ، في مسند البصريين 445/4 ، ح19149 . قال الألباني : صحيح ، انظر : السلسلة الصحيحة 228/5 ، وورد بلفظ آخر ولكنه ضعيف ، قال عنه الألباني : مخرج في سلسلة الضعيفة رقم 1029 .

(3) هو عبد الله بن زيد بن عمرو ، أبو قلابة الجرمي البصري ، ثقة فاضل من عباد التابعين وزهادهم ، ممن هرب من البصرة مخافة أن يولى القضاء فدخل الشام يأوي إلى الرباطات ، ويكون في الثغور ومعه بني له إلى أن اعتل علة صعبة فذهبت يداه ورجلاه وبصره ، فما كان يزيد على : اللهم أوزعني أن أحمدك حمداً أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت على ، وفضلتني على كثير ممن خلقته تفضيلاً ، ومات سنة 104هـ .
انظر: مشاهير علماء الأمصار 145/1 ، وتذكرة الحفاظ 94/1 ، وتقريب التهذيب 494/1 .

(4) هو الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي بن عم رسول الله ﷺ ، وأكبر ولد العباس ، استشهد في خلافة عمر .
انظر : تقريب التهذيب 1269/3 ، والإصابة 375/5 .

(5) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ، باب الأخذة والتمائم ، 208/11 ، ح (20342) ، ونسبه السيوطي في الدر له 329/3 ، وكذا صاحب كنز العمال 387/1 .

(6) انظر: القول في النجوم ، الخطيب البغدادي ، 175– 177. و رسالة في علم النجوم له ، 47 – 49.

(7) ذكره السيوطي في الدر المنثور ، 35/3 ، وعزاه إلى المؤلف .

(8) هي أم المؤمنين أم عبد الله عائشة حبيبة رسول الله ﷺ بنت خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، من أكبر فقهاء الصحابة ، قال عروة : ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام،

(4) وعندما تطرق الخطيب البغدادي لمسألة "معرفة العرب بأوقات المطر والرياح" قال :

" فالعرب تعرف أوقات المطر والرياح والحرِّ والبردِ بمطالع النجوم ، ولهم في ذلك فضيلة بيِّنَةٌ ، وإذا رأوا السحاب عرفوا : هل هي ذات مطر أم لا ؟ وهل مطرها كثير أو غير كثير ؟ وهل هي مما قد اهراق ماءَه أو ماؤه فيها ؟وقد روي عن النبي ﷺ في ذلك .

قال عوف بن الحارث [2] : سمعتُ عائشة رضي الله عنها تقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : (إذا نشأت السماء بحريةً ثم تشامت ، فتلك عينٌ ، أو قال : عامُ غديقةٍ) يعني مطراً كثيراً [3] .

وأخرج الشيخ – رحمه الله – بسنده بطريقين عن موسى بن إبراهيم التيمي [4] عن أبيه[5] عن جده [6] قال : (بينما رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً مع أصحابه ، إذ نشأتْ سحابةٌ .

فقال : (كيف ترون قواعدها ؟) قالوا ما أحسنَهَا وأشدَّ تمكُّنها !

قال : (فكيف ترون رَحَاها ؟)

ولا بشعر ولا بحديث العرب

ولا النسب من عائشة رضي الله عنها ، عاشت (65) سنة، توفيت سنة 57هـ .

انظر: وفيات الأعيان 16/3 ، وتذكرة الحفاظ 27/1 وتهذيب التهذيب 433/12 .

(1) ذكره السيوطي في الدر المنثور ، 35/3 ، وعزاه إلى الخطيب فقط .

(2) هو عوف بن الحارث بن الطفيل بن سخبرة بن جرثومة الأزدي ، رضيع عائشة وابن أخيها لأمها، قال الحافظ : مقبول ، أي عند المتابعة وإلا فلين الحديث كما نص عليه .

انظر: مشاهير علماء الأمصار 121/1 ، وتهذيب التهذيب 149/8.

(3) أخرجه الطبراني في الأوسط 371/7 ، رقم (7757) وقال : تفرد به الواقدي ، وأبو الشيخ في العظمة ، 1247/4 ، رقم (722) .

(4) هو موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، أبو محمد المدني ، منكر الحديث ، من السادسة ، مات سنة 51 هـ .

انظر: تقريب التهذيب 159/8 ، وتهذيب الكمال 139/29 .

(5) هو محمد بن إبراهيم بن الحارث بن خالد التيمي ، أبو عبد الله المدني ثقة ، من الرابعة ، مات سنة 120 هـ .

انظر : تقريب التهذيب 301/24 ، طبقات الحفاظ 55/1 .

(6) هو الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التميمي ، كان قديم الإسلام بمكة وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، يلتقي نسبه بنسب النبي ﷺ عند مرة بن كعب ، ذكره بن إسحاق وغيره في مهاجرة الحبشة .

انظر : معرفة علوم الحديث 396/1 ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب 85/1 .

قالوا ما أحسنَهَا وأشدَّ استدارتها !

فقال : (كيف تَرون بواسِقها ؟)

قالوا ما أحسنَهَا وأشدَّ استقامَتها !

فقال : (كيف ترون جونَه ؟)

قالوا : ما أحسنَهُ وأشد سواده !

فقال : رسول الله ﷺ : (الحيا) .

فقالوا : يا رسول الله ! ما رأينا الذي هو أفصح منك !

قال : (وما يمنعُني وإنما أنزل القرآن بلساني : لسان عربي مبين ؟!) [1] .

* **وفي موضع آخر يورد الخطيب البغدادي بعض مسائل العقيدة ، ويستدل عليها بأقوال السلف – رحمهم الله تعالى – ، بعد إيراد النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، وذلك تأكيداً لسلامة الفهم ، وتبيناً لموقفهم من بعض المسائل** ، مثال ذلك :

(1) عندما سُئل عن النجوم ، وهل الشروع فيه محمود أو مذموم ؟ أجاب بأن علم النجوم يشتمل على ضربين :

أحدهما : مباح ، وتعلمه فضيلة .

والآخر : محظور والنظر فيه مكروه .

فلما تحدث عن الضرب الأول : وهو العلم بأسماء الكواكب ومناظرها ومطالعها ..الخ ، استدل عليه بآيات من كتاب الله ؛ وثنى استدلاله بأحاديث من السنة النبوية ، ثم أتبع استدلاله بأقوال من السلف تدل عليه [2] ، منها :

أخرج عن أبي الدرداء أنه قال : " لئن شئتم لأقسمن أن أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر ، ويراعون النجوم والأظلة لذكر الله – عز وجل – " [1] .

---

(1) القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، 157 – 158 . و رسالة في علم النجوم له ، 34 – 35. والحديث أخرجه أبو الشيخ في العظمة مع اختلاف في اللفظ 1240/4 ، والبيهقي في الشعب 158/2 ، وابن عساكر في تاريخه 5/4 عن محمد بن الحارث بدون ذكر الجد .

(2) انظر: القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، 131– 133 . و رسالة في علم النجوم له ، 22 – 24 .

وأخرج عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ، ثم انتهوا ، وتعلموا من الأنساب ما تصلون به أرحامكم ، وتعرفون ما يحل لكم مما يحرم عليكم من الأنساب ، ثم انتهوا " (2).

) أنه قال : " لا بأس أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به في البر والبحر [3]وأخرج عن مجاهد (

) .[4]، ويتعلم منازل القمر " (

*** وأحياناً يورد بعض المسائل العقدية ، ويكتفي بالاستدلال عليها بأحاديث من السنة النبوية ، ويثني استدلاله بأقوال من علماء السلف ..**

مثال ذلك :

(1) عندما تحدث عن النية في طلب الحديث ، قال : " يجب على طالب الحديث أن يخلص نيته في طلبه ، ويكون قصده بذلك وجه الله سبحانه " (5) ، واستدل عليه بما أخرجه بسنده عن وكيع (6) يقول : سمعتُ سفيان يقول : " ما شيء أخوف عندي منه – يعني الحديث – وما من شيء يَعْدِلُهُ لمن أراد الله به " (7) .

(1) أخرجه ابن المبارك في الزهد ، ص40 رقم (1303) ، ومن طريقه الحاكم في المستدرك 51/1، وأخرجه ابن حبان في الثقات ، 519/7 ، من طريق أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء موقوفاً.
(2) أخرجه أبو بكر النجاد في مسند عمر ، ص 72 رقم (41) ، وأخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه ، 414/8 ، رقم (5701) ذكر الجزء الأول من الأثر .
(3) مجاهد بن جبر الإمام أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ، المقرئ المفسر الحافظ ، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ، لزم ابن عباس مدة وقرأ عليه القرآن ، وكان أحد أوعية العلم ، توفي سنة 103هـ وعمره 83 سنة .
انظر: تذكرة الحفاظ 92/1 ، وشذرات الذهب ، 125/1 .
(4) عزاه السيوطي في الدر المنثور ، 43/3 ، إلى المؤلف .
(5) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، 81/1-82 .
(6) هو وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي ، أبو سفيان الكوفي ، ثقة حافظ عابد من كبار التاسعة ، مات أول سنة 197 هـ وله من العمر 70 سنة .
انظر : تقريب التهذيب 30 / 462 .
(7) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ، 59/1 بمعناه ، وأخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ، ص 81 قريباً منه .

واستدل أيضاً بما أخرجه بسنده عن أبي عبد الله الروذباري [1] ، قال : "العلم موقوف على العَمَل ، والعَمَل موقوفٌ على الإخلاص ، والإخلاص لله يُورث الفهم عن الله عز وجل " [2].

وتحدث الخطيب البغدادي في موضع آخر عن أن من طلب العلم للآخرة أدركها [3] ، واستدل عليه ما أخرجه بسنده عن هشام بن حسان [4] ، يقول : سمعت الحسن يقول :

" من طلب العلم ابتغاء الآخرة أدركها ، ومن طلب العلم ابتغاء الدنيا فهو حظُّهُ منه ، وقال الزهري [5] : فذاك حظُّه منها " [6] .

وتابع الخطيب البغدادي كلامه عن النية في طلب الحديث فقال : " وليحذر أن يجعله سبيلاً إلى نيل الأعراض ، وطريقاً إلى أخذ الأعواض ، فقد جاء الوعيد لمن ابتغى ذلك بعلمه " [7] ، واستدل عليه بما أخرجه بسنده عن إسحق بن عيسى بن الطباع [8] يقول : قال حماد بن سلمة[9] : " من طلب الحديث لغير الله مُكِرَ به " [10] .

---

(1) هو أبوعبد الله أحمد بن عطاء الروذباري العارف الزاهد ، شيخ الصوفية ، روى أحاديث غلط فيها غلطاً فاحشاً ، توفي سنة 369هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 227/16 ، وطبقات الصوفية ص 497 .
(2) أخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل ، ص33 .
(3) اقتضاء العلم العمل ، الخطيب البغدادي ، ص 66 .
(4) هو هشام بن حسان الأزدي القردوسي ، أبو عبد الله البصري ، ثقة من أثبت الناس في ابن سيرين وفي روايته عن الحسن وعطاء مقال ، لأنه قيل كان يرسل عنهما ، من السادسة ، مات سنة 148هـ .
(5) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري ، أبو بكر الفقيه الحافظ ، بل أعلم الحفاظ ، متفق على جلالته وإتقانه ، وهو أول من دون العلم وكتبه ، توفي سنة 125هـ .
انظر: تذكرة الحفاظ 108/1 ، وشذرات الذهب 162/1 ، وتقريب التهذيب 133/2 .
(6) أخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل ، ص 66 .
(7) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، 83/1 .
(8) هو إسحاق بن عيسى الطباع ، عده أحمد والدارمي ثقة ، توفي سنة 215 هـ .
انظر : الكاشف 238/1 ، والجرح والتعديل 230/2 ، والثقات 114/8 .
(9) هو حماد بن سلمة بن دينار الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو سلمة الربعي مولاهم البصري البزاز البطائني النحوي المحدث ، كان بحراً من بحور العلم ، وله أوهام في سعة ما روى ، وهو صدوق حجة ، وكان مع إمامته في الحديث ، إماماً كبيراً في العربية ، فقيهاً فصيحاً ، رأساً في السنة ، صاحب تصانيف.
انظر: تذكرة الحفاظ 202/1 ، وسير أعلام النبلاء 444/7 ، وشذرات الذهب 262/1.
(10) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله – باب ذم الفاجر من العلماء – وذم طلب العلم للمباهاة والدنيا – 191/1 بلفظه . وأبو نعيم في الحلية 251/6 .

وقال أيضاً في أثناء حديثه عن النية في طلب العلم : " وليتق المفاخرة والمباهاة به ، وأن يكون قصده في طلب الحديث نيل الرئاسة واتخاذ الأتباع وعقد المجالس ؛ فإن الآفة الداخلة على العلماء أكثرها من هذا الوجه " [1] .

واستدل أيضاً بما أخرجه بسنده عن حبيب بن عبيد الرحبي [2] ، قال : " تعلموا العلم واعقلوه وانتفعوا به ، ولا تعلَّمُوه لِتَجَملوا به ؛ فإنه يوشك إن طال بكم العُمُرُ أن يُتجمل بالعلم كما يَتَجَمَّل الرجل بثوبه " [3] .

*** وكثيرا ما يورد بعض المسائل العقدية ، ويكتفي بالاستدلال عليها بالآثار فقط ..**

مثال ذلك :

(1) حينما أورد الخطيب البغدادي أنواع النجوم وحكم الشروع فيها ، أتبع ذلك بإيراده لموقف الصحابة والتابعين من أحكام المنجمين ، من ذلك :

*** موقف الصحابة** [4] :

ما أخرجه عن عبد الله بن عوف بن الأحمر [5] ، أن مسافر بن عوف قال لعليّ رضي الله عنه حينما انصرف من الأنبار إلى أهل النهروان : يا أمير المؤمنين لا تسرْ في هذه الساعة ، وسر في ثلاث ساعات يمضينَ من النهار :

قال علي رضي الله عنه : ولم ؟

---

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، 85/1 .

(2) هو حبيب بن عبيد الرحبي أبو حفص الحمصي ، ثقة ، أدرك سبعين من أصحاب رسول الله ﷺ وكان فاضلاً ، روى له أصحاب الكتب الستة غير أن البخاري إنما روى له في الأدب المفرد ، ولم يذكروا سنة وفاته .
انظر: مشاهير علماء الأمصار 182/1 ، وتهذيب التهذيب 2 /164 .

(3) أخرجه الدارمي في المقدمة من سننه (269) ، وابن المبارك في الزهد (1345) ، والإمام أحمد في الزهد (386) ، وأبو نعيم في الحلية 102/6 ، والخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل ، ص35 .

(4) انظر : القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، 181 – 185 . و رسالة في علم النجوم له ، 51 – 52 .

(5) هو عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي العراقي الكوفي الشاعر، شهد مع علي صفين ثم كان من شيعة الحسين المطالبين بدمه بعدما قتل ، وأكثر الطبري في تاريخ الأمم والملوك من النقل من طريقة ، لكن كلها من طريق أبي مخنف لوط بن يحيى عن يوسف بن زيد –أو يزيد– عنه ، وأبو مخنف أخباري تالف ، وشيعي محترق ، يروي عن المجهولين كما في السير 301/7 ، (94) والميزان 419/3 ، والله أعلم .
انظر: تاريخ الأمم والملوك 80/3 ، والبداية والنهاية 284/7 .

قال : لأنك إن سرت في هذه الساعة أصابك أنت وأصحابك بلاءٌ وضرٌّ شديدٌ ، وإن سرتَ في الساعةِ التي أمرتك بها ، ظفرت ، وظهرتَ ، وأصبتَ ما طلبتَ .

فقال علي رضي الله عنه : ما كان لمحمد ﷺ مُنَجِّم ، ولا لنا من بعده ، هل تعلم ما في بطن فرسي هذه ؟

قال : إن حَسَبْتُ علمتُ .

قال : من صدَّقك بهذا القول كذَّب القرآن ، قال الله – تعالى – : (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) (1) .

ما كان محمد يدَّعي علم ما ادَّعيت علمه ، تزعم أنك تهدي إلى الساعة التي تُصيبُ السوء من سار فيها ؟

قال : نعم .

قال : من صدَّقك بهذا القول استغنى عن الله في صرف المكروه عنه ، وينبغي للمقيم بأمرك أن يُولِيَكَ الحمدَ دون الله ربه ، لأنك أنت – بزعمك – هديته إلى الساعة التي تنجي من السوء من سافر فيها ، فمن صدَّقك بهذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ دون الله ندًّا أو ضدًّا، اللهم لا طائر إلا طائرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك .

نكذِّبُك ، ونخالفُك ، ونسير في الساعة التي تنهانا عنها ، ثم أقبل على الناس ، فقال : يا أيها الناس ، إياكم وتعلمَ هذه النجوم إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ، إنما المنجم كالكافر، والكافر في النار ، والمنجم كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار ، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها ، لأخلدنَّكَ في الحبس ما بقيتَ وبقيتُ ، ولأحرمنَّك العطاء ما كان لي سلطان ، ثم سار في الساعة التي نهاه عنها ، فلقي أهل النهروان ، فقتلهم ، ثم قال : لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها ، فظفرنا وظهرنا ، لقال قائل : سار في الساعة التي أمر بها المنجم.

ما كان لمحمد ﷺ منجِّم ، ولا لنا من بعده ، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان. أيها الناس توكلوا على الله – تعالى – وثقوا به ، فإنه يكفي ممن سواه (2) .

---

(1) سورة لقمان ، الآية : 34 .

(2) أخرجه الحارث بن أبي أسامة كما في بغية الباحث ، ص 170 رقم (539) ، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة ، 1230/4 .

*** موقف التابعين** [1] :

(1) ما أخرج عن قتادة [2] قوله تعالى : (وأنهاراً وسبلاً) [3] قال : طرقاً (وعلامات)[4] قال: هي النجوم ، قال : إن الله – تعالى – إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال : جعلها زينة للسماء ، وجعلها تهتدي بها ، وجعلها رجوماً للشياطين ، فمن تعاطى فيها غير ذلك ، فقد أخطأ حظه ، وقال رأيه ، وأضاع نصيبه ، وتكلَّف ما لا علم له به ، وإن أناساً جهلةً بأمر الله – تعالى – قد أحدثوا في هذه النجوم كَهانة : من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا كذا ، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ولعمري ما من النجوم إلا نجم إلا يولد به الطويل و القصير ، والأحمر والأبيض ، والحسن والذميم ، قال : وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيءٍ من الغيب ، وقضى الله تعالى أنه (لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [5] .

ولعمري لو أن أحداً علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله – تعالى – بيده وأسجد له ملائكته ، وعلَّمه أسماءَ كل شيءٍ ، وأسكنه الجنة ، فأكل منها رغداً حيث شاء ، ونهاه عن شجرةٍ واحدة، فما زال به البلاء حتى وقع بما نُهي عنه ، ولو كان أحدٌ يعلم الغيب لعلمهُ الجنُّ حين مات نبي الله سليمان – عليه السلام – فلبث الجن يعملون له حولاً في أشدِّ العذاب وأشدِّ الهوان ، لا يشعرون بموته ، وما دلهم على موته إلا دابةُ الأرض تأكل مِنْسَأَتَه ، فلما خرَّ تبينت الجنُّ ، وهي في مصحف عبد الله (تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين)

(1) القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، 181 – 187 . و رسالة في علم النجوم له ، 53 – 54.
(2) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي حافظ العصر ، قدوة المفسرين والمحدثين ، أبو الخطاب السدوسي البصري ، ولد وهو أعمى ، وعني بالعلم فصار من حفاظ أهل زمانه وعلمائهم بالقرآن والفقه ، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع ، فإنه كان مدلساً ، توفي بواسط سنة 117هـ عن 56 سنة .
انظر: مشاهير علماء الأمصار 154/1 ، وسير أعلام النبلاء 269/5 ، وشذرات الذهب 153/1 .
(3) سورة النحل ، الآية : 15 .
(4) سورة النحل ، الآية : 16 .
(5) سورة النمل ، الآية : 65 .

، قال : قد كانت تقول قبل ذلك : إنا نعلم ، فابتلاهم الله تعالى ، وجعل موت سليمان للجن والإنس عبرة [1] .

(2) وعندما تحدث من مسألة " أصل علم النجوم " [2] ، استدل عليها بما أخرج عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قيل له : هل لعلم النجوم أصل ؟

قال : نعم ، كان نبي من الأنبياء يُقال : له يُوشَع بن نون ، فقال له قومه : إنا لا نؤمنُ لكَ حتى تُعلمَنَا بدوَّ الخلق وآجاله ، فأوحى الله – تعالى – إلى غمامةٍ ، فأمطرتْهم ، واستنقعَ على الجبل ماءٌ صافٍ ، ثم أوحى الله – تعالى – إلى الشمس والقمر والنجوم أن تجري في ذلك الماء، ثم أوحى الله إلى يوشع بن نون أن يرتقيَ هو وقومه على الجبل ، فقاموا على الماء حتى عرفوا بدوَّ الخلق وآجاله بمجاري الشمسِ والقمرِ والنّجومِ وساعات الَّليل والنَّهارِ ، فكان أحدهم يعلم متى يموت ، ومتى يمرض ، ومن ذا الذي يُولدُ له ، ومن ذا الذي لا يُولد له ، قال: فبقوا كذلك بُرهة من دهرهم ، ثم إن داودَ – عليه الصلاة والسلام – قاتلهم على الكفر، فأَخرَجُوا إلى داود في القتال من لم يحضر أجله ، ومن حضر أجله خلَّفُوه في بيوتهم ، فكان يُقتل من أصحاب داود ولا يقتل من هؤلاء أحد ، فقال داود : يا رب أُقاتلُ على طاعتك ، ويقاتل هؤلاء على معصيتك ، فيُقتل من أصحابي ، ولا يُقتل من هؤلاء أحد ، فأوحى الله إليه : إني كنتُ علَّمتهم بدوَّ الخلق وآجاله ، وإنما أخرجوا إليك من لم يحضره أجله، ومن حضر أجله خلَّفوه في بيوتهم ، فمِن ثمَّ يُقْتَلُ من أصحابك ولا يقتل منهم أحد .

قال داود : يا رب على ماذا علَّمْتَهُم ؟

قال : على مجاري الشمسِ والقمرِ والنّجومِ وساعات الَّليل والنَّهارِ ، قال : فدعا الله تعالى ، فحُبِست الشمسُ عليهم ، فزاد في النهار ، فاختلطت الزيادة باللّيل والنّهار ، فلم يعرفوا قدرَ الزّيادةِ ، فاختلط عليهم حسابهم .

قال علي : فمِن ثمَّ كُرِه النظرُ في النُّجُومِ [1] .

---

(1) أخرجه : ابن جرير في تفسيره ، 91/14 ، 3/28 ، وعلقه البخاري في صحيحه ، ووصله ابن حجر في التغليق ، 3/ 489 ، من طريق الخطيب البغدادي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ، 113/4، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(2) القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، ص 198 – 200 ، رسالة في علم النجوم له ، ص 61 – 62 .

ولكن ، ضعَّف الخطيب البغدادي الأثر الذي أورده عن علي رضي الله عنه في بيان أصل علم النجوم ، فقال :

(في إسنادِ هذا الحديث غيرُ واحدٍ مجهول ، وما ذُكر من علم القوم بأوقات آجالهم وغير ذلك من غالب أحوالهم غيرُ مقبول ، وحبس الله تعالى الشمسَ على داود ليس بصحيح ؛ لأن في رواية أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الشمس لم تُحبس على أحدٍ إلا على يوشع بن نون لياليَ سار إلى بيت المقدس) [2] .

وهذا فيه دليل على اهتمام الخطيب البغدادي البالغ بالإسناد ، وعدم قبوله لأي أثر مهما كان إذا كان ضعيفاً ، وإذا ذكر الأثر الضعيف يشير إلى ضعفه .

(3) وعندما ذكر مسألة " ليس الإيمان بالتحلي " [3] ، استدل عليها بما أخرجه بسنده عن أبي بشر الحلبي ، عن الحسن ، قال : ليس الإيمان بالتحلي ، ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلوب وصدَّقته الأعمال ، من قال حسناً ، وعمل غير صالح ، ردَّه الله على قوله ، ومن قال حسناً ، وعمل صالحاً رفعه العمل ، وذلك بأن الله – تعالى – يقول : (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) [4] .

(4) عندما تحدث الخطيب عن النية في طلب الحديث وأنه يجب إخلاصها لله – تعالى –، وتحذيره من طلب العلم للمفاخرة وعقد المجالس واتخاذ الأتباع والأصحاب بروايته ، تطرق لمسألة " من كره تعلم النحو لما يكسب من الخيلاء والزهو " [5] . واستدل عليها بما أخرجه بسنده عن أبي حوشب [1] قال : سمعتُ القاسم بن مخيمرة [2] يقول : " تعلم النحو أوله شغل، وآخره بغي " [3] .

---

(1) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ، 276/10 – رقم (29435) وعزاه إلى المؤلف ، وقال : " وسنده ضعيف " .
(2) القول في النجوم ، الخطيب البغدادي ، ص 200 . والحديث أخرجه أحمد ، في مسند باقي المكثرين، مسند أبي هريرة رضي الله عنه ، 6/17 ، ح 7964 ، وصححه ابن حجر في الفتح ، 321/6 .
(3) اقتضاء العلم العمل ، الخطيب البغدادي ، 43 .
(4) أخرجه الخطيب لبغدادي في اقتضاء العلم العمل ، ص 43 . والآية في سورة فاطر ، الآية : 10 .
(5) اقتضاء العلم العمل ، الخطيب البغدادي ، 89 .

هذا بالنسبة لمنهج الخطيب البغدادي في استدلالاته النقلية ، أما منهجه في استدلالاته العقلية فهو في الفقرة التالية ..

ثالثاً : منهجه في الاستدلالات العقلية :

وقد حاولتُ أثناء تتبعي لكتب الخطيب البغدادي ، وكُتب من كَتب عنه التعرف على منهج الخطيب البغدادي في الاستدلال على المسائل العقدية ، وهل هو على منهج أهل السنة والجماعة أو منهج المتكلمين..؟

وبمتابعة ودراسة ما كتبه الخطيب البغدادي نجد أنه نهج منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة ومسائلها ، ولم يُعرف عنه مخالفٌ لها ، غير أن بعض العلماء قد نسبه إلى الأشعري ، فقد قال عبد العزيز بن أحمد الكتاني(4) : (... وكان يذهب إلى مذهب أبي الحسن الأشعري – رحمه الله–) (5) .

وقال الذهبي – بعد سياق قول الكتاني هذا – : (قلتُ : صَدَقَ ، فقد صرّح الخطيب في أخبار الصفات أنها تُمرُّ كما جاءت بلا تأويل) (6) .

(1) هو الضحاك بن عبد الرحمن بن أبي حوشب الدمشقي النصري أبو زرعة أو أبو بشر ، ثقة من أصحاب مكحول ، ومن أجلة أهل الشام ، من أهل بيت شريف ولهم حال ، من الطبقة السادسة ، ولم يحددوا تاريخ وفاته .
انظر: تاريخ دمشق 267/24 ، والوافي بالوفيات 354/16 ، وميزان الاعتدال 324/2 .
(2) هو القاسم بن مخيمرة الإمام القدوة الحافظ ، أبوعروة الهمداني الكوفي نزيل دمشق .
انظر : سير أعلام النبلاء 201/5 ، والجرح والتعديل 120/7 ، تهذيب الكمال 442/23 .
(3) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ، 24 /267 ، والخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل ، ص 89 ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ، 1/ 393 .
(4) هو عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علي ، أبو محمد التميمي الدمشقي الصوفي الكتاني ، الإمام المحدث المتقن مفيد دمشق ومحدثها مولده سنة 389هـ ، سمع الكثير وجمع فأوعى ، ونسخ ما لا يوصف كثرة ، ألف الوفيات على السنين ، مكثر متقن ثقة أمين ، مع الاستقامة وسلامة المذهب ودوام التلاوة ، توفي في سنة 466هـ .
انظر: تذكرة الحفاظ 1170/3 ، وسير أعلام النبلاء 248/18 ، وشذرات الذهب 3 /325 .
(5) تاريخ دمشق ، 40/5 ، سير أعلام النبلاء ، 277/18 .
(6) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 277/18 .

قال ابن السبكي بعد أن ذكر كلام الذهبي السابق : " قلتُ : وهذا مذهب الأشعري ، فقد أُتي الذهبي من عدم معرفته بمذهب الشيخ أبي الحسن ، كما أتي أقوامٌ آخرون ، وللأشعري قول آخر بالتأويل " (1) .

وقد أجاب العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (2) – رحمه الله تعالى– عن هذه الشبهة بقوله : " الذي شَهَره المتعمِّقون عن الأشعري : التأويلُ ، وإن كان آخر مصنفاته –كتاب الإبانة – أعلن فيه اعتماده مذهب الإمام أحمد وأهل الحديث ، فالقائل : إن الخطيب كان يذهب مذهب الأشعري أوهم أنه كان من المتأوِّلين ، ولم يزد الذهبي على دفع هذا الإيهام ، ولكن ابن السبكي لغلوِّه شديد العقوق لأستاذِهِ الذهبي ، وقد نقل الذهبي في " تذكرة الحفاظ" فصلاً من كلام الخطيب في الاعتقاد ينفي عنه التأويل والتعطيل " (3) .

وسأذكر هنا كلام الخطيب البغدادي في الصفات ، ليتضح موقفه من نصوص الصفات ، وأنه موافق لمنهج أهل السنة والجماعة .

قال – رحمه الله – : " أما الكلام على الصفات ، فإن ما روي منها في السنن الصحاح ، مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكيفية والتشبيه عنها ، وقد نفاها قوم ، فأبطلوا ما أثبته الله ، وحققها قوم من المثبتين ، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف ، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين ، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصِّر عنه ، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، ويُحتذى في ذلك حَذْوُه

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى ، 33/4 .

(2) هو عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي ، ذهبي عصره ، العلامة المحقق ، وتحقيقات هذا الحبر نقش في حجر ، ينافس الكبار كالحافظ ابن حجر ، نسبته إلى (بني المعلم) من بلاد عتمة ، باليمن ، ولد سنة 1313هـ ، تولى رئاسة القضاة بجيزان ، ولقب بشيخ الإسلام ، ثم عمل في دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، مصححاً كتب الحديث والتاريخ ، حوالي سنة 1345هـ زهاء ربع قرن ، وعاد إلى مكة 1371هـ ، فعين أميناً لمكتبة الحرم المكي 1372هـ إلى أن توفي سنة= 1386هـ، ودفن بمكة ، له تصانيف وتحقيقات تقارب الخمسين ، منها : التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ، والأنوار الكاشفة وغيرها .

انظر : الأعلام للزركلي 342/3 ، ومجلة المجمع العلمي العربي 574/42 ، ومجلة الحج 16 ربيع الثاني و11 جمادى الأولى 1386 بقلم أحد أقربائه .

(3) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ، 126/1 – 127 .

ومثالُه ، فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف .

فإذا قلنا لله يد وسمع وبصر ، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه ، ولا نقول : إن معنى اليد القدرة ، ولا إن معنى السمع والبصر العلم ، ولا نقول : إنها جوارح . ولا نشبِّهُها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدواتٌ للفعل ، ونقول : إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله :(ليس كمثله شيء) [1] ، (ولم يكن له كفواً أحد) " [2] .

فهذه عقيدة الإمام في صفات رب العالمين ، فكيف يُقال : إنه على مذهب الأشعري ، اللهم إلا أن يرادَ بذلك ما كان عليه الأشعري في آخر أمره ، فيمكن أن يوافق على ذلك في الجملة؛ لأن أبا الحسن الأشعري حتى بعد رجوعه إلى السنة لم يكن رجوعه كاملاً ، بل في بعض كلامه ما لا يوافق عليه ، وحتى لو وُوفِقَ على ذلك فإنه لا ينبغي أن ينسب كلُّ صاحب سنةٍ بعد الأشعري إليه ؛ لأنه إنْ كان المراد بذلك السنةَ ، فليست هذه العقيدةُ تختص بالأشعريِّ فقط ، بل يُشاركه فيها غيره من أئمة المسلمين وعلمائهم وعامتهم .

وكان – رحمه الله تعالى – يعيبُ على المتكلمين وأهل الرأي الذين عارضوا السنن بآرائهم ، ويعدُّهم أهل بدعٍ ، ومعلوم أن الأشاعرة من أهل الكلام والرأي الباطل ، فكيف يكون منهم وعلى منهاجهم ثم يذمُّهم ؟! [3] .

يقول – رحمه الله – : " وأما طعن المتخصصين من أهل الرأي والمتكلمين ، فأنا أُبين السبب فيه؛ ليعرفه من لم يكن يدريه ...وأما المتكلمون فهم معذورون فيما يُظهرونه من الازدراء بهم، والعيب لهم ؛ لما بينهم من التباين الباعث على البغضاء والتشاحن ، واعتقادهم في جُلِّ ما ينقلونه وعظيم ما يروونه ويتداولون إبطاله ، وإكفار الذين يصححونه ، وإعظامهم عليهم الفريةَ ، وتسميتهم لهم "الحشوية" ، واعتقاد المحدثين في المتكلمين غير خافٍ على العلماء والمتعلمين " [4] .

---

(1) سورة الشورى ، الآية : 11 .

(2) تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، 3/1142 – 1143 . والآية في : سورة الإخلاص ، الآية : 4 .

(3) القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : يوسف السعيد ، ص 44 ، من كلام المحقق .

(4) الفقيه والمتفقه ،الخطيب البغدادي ، تحقيق : عادل يوسف العزازي ، ط 3 (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي 1426هـ) 2/151 – 152 .

ثم ذكر أقوال بعض الأئمة في أهل الرأي والجدل ، وفي الرأي والجدل ، ثم قال : " ولو أن صاحب الرأي المذموم شغل نفسه بما ينفعه من العلوم ، وطلب سنن رسول رب العالمين ، واقتفى آثار الفقهاء والمحدثين ، لوجد في ذلك ما يغنيه عما سواه ، واكتفى بالأثر عن رأيه الذي رآه ؛ لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد ، وبيان ما جاء من وجوه الوعد والوعيد ، وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين ، والإخبار عن صفات الجنة والنار، وما أعده الله – تعالى – فيهما للمتقين والفجار ، وما خلق الله في الأرضين والسماوات من صنوف العجائب وعظيم الآيات ، وذكر الملائكة المقربين ، ونعتِ الصَّافين و المسبِّحين" (1) .

وبهذا يتبن أن الخطيب البغدادي – رحمه الله – لم يكن على نهج أهل الكلام ، بل كان على نهج أهل السنة والجماعة و عقيدتهم ، فرحمه الله تعالى .

والخطيب البغدادي يستخدم الحوار العقلي أحياناً في الرد على بعض المسائل العقدية ، ويكتفي به دون أن يورد معه استدلالات أخر من القرآن أو السنة أو أقوال السلف ، مثال ذلك :

(1) في معرِضِ رده على المنجمين ، استخدم الحوار العقلي ، من ذلك ما ذكره في كتابه "القول في علم النجوم" حيث قال : " فإن قلت – يقصد المنجم – : إن الذي يُؤمِّنُني من الغلط في الكلِّ ، والذي يَدُلُّني على أن فيه الأمر الجليل المفهوم : أني قد أجد كثيراً من ذلك صحيحاً، وأني إذا تحفظتُ في الحسابِ والحُكْمِ ، أصبتُ ، ولم أخطِ ، رجع خصمك إلى أن يقول : فهكذا أصحاب الحدس والتبخيتِ والتخليطِ والناظرون في الأكتاف قد يصيبون كثيراً ، ويقول قائلهم : لو تحفظتُ لم أخط ، وكذا صاحب الزُّكان قد يصيب بأكثر من صوابك ، ويجيب بأوضح من جوابك ، وهذا الراجز يأتي بالأمر العجيب والصواب الكثير ، ويُخبر عن الشاهد والغائب ، وعمَّا كان ويكون في الأوقات اليسيرة والمدِدِ القريبة ، ولا يحتاج في ذلك إلى أخذك الارتفاع وتعرفك الوقت ، وإحصائك الساعات ، وإقامتك الطالع والأوتار ، وتقوُّمك الكواكب ، ومعرفتك بالاتصال والانصراف ومطارح الشعاع في الطول والعرض ، مع أشياء غير ذلك من أعمالك " (2).

---

(1) شرف أصحاب الحديث ، الخطيب البغدادي ، ص 36 – 37 .

(2) القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، ص 220 – 221 .

ومن الأمثلة أيضاً التي كان الخطيب البغدادي يستدل بها ببعض الأدلة العقلية في بعض المسائل العقدية :

(2) ما أخرج عن الحسن أن قيصر سأل قُسَّ بن ساعدةَ [1] ، قال : أخبرني هل نظرت في النجوم ؟ قال : نعم أيها الملك ، نظرتُ فيما يُراد به الهداية ، ولم أنظر فيما يُرادُ به الكِهانة ، وقلتُ في النجوم أبياتاً من الشعر ، فأنشأ :

علمُ النجوم على العقولِ وبالُ
وطِلابُ شيءٍ لا ينالُ ضلال
ما ذا طِلابُك علمَ شيءٍ غُيّبتْ
من دونه الخضراءُ ليس يُنال
هيهات ما أحدٌ غامض فطنةٍ
يدري كم الأرزاق والآجالُ
إلا الذي من فوق عرشِ ربّنا
لوجْهِه الإكرامُ والإجلالُ [2]

هذه الحوار و الأبيات التي تليه ، فيه رد على المنجمين بما حكموا به ، وبطلان مقالاتهم .

وهذه الأبيات تعد من الأدلة العقلية لإبطال أقوال المنجمين وأحكامهم وألاعيبهم ، وذلك أن الشاعر رفض حكمهم ، ولم يقبل به لحجج عقلية لا يمكن أن يقبلها العقل ، لذلك أوردها الخطيب البغدادي كدليل عقلي على إبطال أقوال المنجمين ؛ بأسلوبٍ أدبي يختلف عن استدلالاته السابقة ..إلخ ما قاله من الأبيات ، التي تبين كذب أقوال المنجمين إبطال حكمهم.

---

(1) هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك الإيادي ، أحد حكماء العرب ، ومن كبار خطبائهم ، في الجاهلية ، كان أسقف نجران ، ويقال : إنه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا ، وأول من قال في كلامه " أما بعد " ، وكان يفد على قيصر الروم زائراً فيكرمه ويعظمه ، وهو معدود في= المعمرين، يروى أنه طالت حياته حتى أدركه النبي ﷺ قبل النبوة ، ورآه في عكاظ ، وسئل عنه بعد ذلك، فقال : يحشر أمة وحده ، توفي نحو (23 ق هـ) .
انظر: الإصابة 551/5 ، والأعلام للزركلي 196/5 .

(2) الأبيات في : المحاسن والمساوئ لإبراهيم بن محمد البيهقي ، 242/1 ، وبهجة المجالس وأنس المجالس ، القسم الثاني ، 115 – 116 .

من خلال الأمثلة السابقة تبين أن الخطيب البغدادي – رحمه الله – يستخدم العقل ويستدل به في المواضع التي تحتاج لذلك ؛ ويعتبره مصدراً من مصادر الاستدلال ، لكنه في الوقت نفسه لا يعتمد عليه ، بل اعتماده الكلي على الاستدلال بالنقل والإكثار منه ؛ لكنه في الوقت ذاته لا يُغفل الاستدلال بالعقل .

الفصل الرابع :

منهج الخطيب البغدادي في إيراد مسائل العقيدة .

منهج الخطيب البغدادي في إيراد مسائل العقيدة

لقد حاولتُ أثناء تتبعي لكتب الخطيب البغدادي ، التعرف على منهجه – رحمه الله – في إيراد المسائل العقدية ، وقد توصلت بعد التتبع والتأمل ومقارنة المسائل إلى استخلاص مبادئ عامة ينهجها الخطيب البغدادي في إيراده لمسائل العقيدة ، وذلك على النحو التالي :

1/ يذكر المسألة العقدية ؛ وقد يُفرد لها باباً ؛ ويُطيل في الحديث عنها ؛ لأهميتها ، أو يختصر ، ومن ذلك :

1- لما تحدث عن مسألة " إخلاص النية والقصد بالتفقه وجه الله عز وجل " أفرد لها باباً كاملاً ؛ بل بدأ بها كتابه - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع - وأطال الحديث عنها، وفصّل في مسائلها وما يضادها من الرياء والسمعة ، فقال في بداية الحديث عنها :
" ينبغي لمن اتسع وقته ، وأصحَّ الله تعالى له جسمه ، وحبَّب إليه الخروج من طبقة الجاهلين ، وألقى في قلبه العزيمة على التفقه في الدين ؛ أن يغتنم المبادرة إلى ذلك ، خوفاً من حدوث أمر يقتطعه عنه ، وتجدد حالٍ يمنعه منه " ثم بعد ذلك ؛ حثَّ طالب العلم أن يكون قصده من العلم التعلم والإخلاص فيه ، فقال : " وليستعمل الجد في أمره ، وإخلاص النية في قصده ، والرغبة إلى الله في أن يرزقه علماً يوفقه فيه ، ويعيذه من علمٍ لا يَنتفع به " ثم ختم الباب ؛ بالتحذير من أن يكون قصده الرياء وأخذ الأعواض عليه ، فقال : " وليحذر أن يكون قصده فيما طلبه ، المجادلة به ، والمماراة فيه ، وصرف الوجوه إليه ، وأخذ الأعواض عليه " ، ثم تابع حديثه في الباب الذي يليه ، قال : " باب التفقه في الحداثة وزمن الشبيبة " ؛ حيث حث على استغلال زمن الشباب بالتعلم ، فقال : " التفقه في زمن الشبيبة وإقبال العُمر ، والتمكن منه بقلة الأشغال ، وكمال الذهن وراحة القريحة يرسخ في القلب ، ويَثْبُتُ ، ويتمكن ، ويستحكم ، فيحصل الانتفاع به والبركةُ ، إذا صحبه من الله حسن التوفيق " ، ثم ختم الباب؛ بقوله : " وينبغي للمتفقه أن يقطع العلائق ، ويطرح الشواغل ، فإنها موانع من حفظ

العلم وقواطع عن درسِ الفقيه " (1) .
2- وقد يذكر المسألة العقدية ؛ ولكن دون إسهابٍ فيها ، كما في مسألة " معرفة العرب لأوقات الرياح والمطر " ، قال : " فالعرب تعرف أوقات المطر والرياح والحرِّ والبردِ بمطالع النجوم ، ولهم في ذلك فضيلة بيِّنَة ، وإذا رأوا السحاب عرفوا : هل هي ذات مطرٍ أم لا ؟ وهل مطرها كثيرٌ أو غيرُ كثيرٍ ؟ وهل هي مما قد اهراق ماءَه أو ماؤه فيها ؟ وقد روي عن النبي ﷺ في ذلك . قال عوف بن الحارث (2) : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا نشأت السماء بحرية ثم تشامت ، فتلك عين ، أو قال : عام غديقة) يعني مطراً كثيراً " (1) .

---

(1) انظر : الفقيه والمتفقه ، الخطيب البغدادي ، 170/2 - 183 .
(2) هو عوف بن الحارث بن الطفيل بن سخبرة بن جرثومة الأزدي ، رضيع عائشة ، وابن أخيها لأمها.

وأما بالنسبة لمسألة " معرفة العرب لأوقات الرياح والمطر " ؛ هل فيها مخالفة عقدية بمعنى أن فيها ادعاء لعلم الغيب ، أم أن ذلك يُعد من المباحات ..؟

قال الدكتور يوسف السعيد عند تحقيقه لكتاب الخطيب البغدادي " القول في النجوم " :

" والظاهر أنه لا يعد من ذلك – أي من ادعاء علم الغيب – ، وذلك أن توقع قرب نزوله إنما يعرف بالتجارب والمقاييس ، وهي بأمور ظاهرة ، وليست خفية ، فالتجارب دلت – مثلاً – على أن السحب الركامية تكون غالباً ممطرة ، وأن السحب العالية الخفيفة لا تكون ممطرة ، وهكذا " [2] ، وقال الشيخ : عبد الله الغنيمان في " شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري" :

" فهي توقعات مبنية على مقدمات ، مستفادة من مراصد الأحوال الجوية التي تتأثر بالرطوبة واليبوسة ونحو ذلك ، ولهذا كثيراً ما يكون الأمر على خلاف ما قالوا " [3] .

وقد جاء في كتاب الله – تعالى – ما يدل على جواز توقع حالة الجو .

قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[4] .

وقال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً)[5] .

وقال تعالى : (أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [6] .

وقال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [7] .

فهذه الآيات دلت على ذلك من وجوه :

انظر : تهذيب الكمال 441/22 ، تهذيب التهذيب 168/8 .

(1) القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، ص 157 . والحديث تقدم تخريجه .

(2) ص 91 .

(3) 1/ 112 .

(4) سورة الأعراف ، الآية : 57 .

(5) سورة الفرقان ، الآية : 48 .

(6) سورة النمل ، الآية : 63 .

(7) سورة الروم ، الآية : 46 .

الوجه الأول : أن الذي تحصل له البشرى بالمطر يكون عالماً بأنواع الرياح ، فليس كل نوع منها يكون مبشراً بالمطر .

الوجه الثاني : أن فيه جواز توقع هطول المطر قبل نزوله إذا ظهرت علامات ذلك .

الوجه الثالث : أن الله تعالى جعل هذا النوع من الرياح علامة على المطر ، وأرشدنا إلى ذلك.

وأيضاً فإن الله – تعالى – إذا أمر به ، لم يكن بعد ذلك من علم الغيب [1] .

قال ابن كثير – رحمه الله – : " وكذلك إنزال الغيث ، لا يعلمه إلا الله ، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ، ومن يشاء الله من خلقه " [2] .

2/ وأحياناً يورد المسألة العقدية مدرجة تحت باب معين ، ومن ذلك :

1– عندما تحدث الخطيب البغدادي عن مسألة "كتمان العلم" في كتابه – الكفاية في علم الرواية – جعلها مدرجة تحت باب " وجوب تعريف المزكي ما عنده من حال المسئول عنه" [3] .

2– لما تحدث – رحمه الله – عن مسألة " القول على الله بغير علم " في كتابه – الفقيه والمتفقه – جعلها مدرجة تحت باب " ما جاء من الوعيد لمن أفتى ، وليس هو من أهل الفتوى" [4].

كما تحدث عن المسألة ذاتها ؛ في نفس كتابه السابق ، ولكنها مدرجة تحت باب آخر ، وهو " باب الإحجام عن الجواب إذا خفي عن المسئول وجه الصواب " [5].

3– عندما تحدث الخطيب البغدادي عن مسألة " الكبائر " في كتابه – الكفاية في علم الرواية – جعلها مدرجة تحت باب " ما جاء عن رسول الله ﷺ في ذكر الكبائر .." [6] .

(1) القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، ت / يوسف السعيد ، ص 92–93 .
(2) تفسير القرآن العظيم ، 454/3 .
(3) ص 37 .
(4) ص 327 .
(5) ص 360 .
(6) ص 102 – 105 .

3/ وأحياناً يأتي ذكر المسألة العقدية عرضاً في إطار بحث مسألة أخرى ، ومن ذلك :

1- عندما تحدث الخطيب البغدادي عن " وصيته لطالب العلم " جاء ذكر مسألة " ليس الإيمان بالتحلي " عرضاً ؛ في إطار الحديث عن وصاياه لطالب العلم (1) .

2- لما تحدث الخطيب البغدادي عن مسألة " تحريم تصديق كلام المنجم " في كتابه — القول في علم النجوم – جاء ذكر مسألة " التغليظ في تعليق التمائم " عرضاً ؛ في إطار الحديث عن التنجيم والنظر في النجوم بقصد ادعاء علم الغيب (2) .

4/ وفي أحيانٍ أخرى يذكر المسألة العقدية على هيئة عنوان بارز ثم يتبعها بعد ذلك بالاستدلال عليها ، ومن ذلك :

1- عندما تحدث — رحمه الله – عن مسألة "من كان يستشفي بقراءة الحديث " جعلها على هيئة عنوان بارز في الكتاب ؛ ثم أتبعها بالاستدلال عليها (3) .

2- لما تحدث الخطيب عن مسألة " فضائل الصحابة " جعلها على هيئة باب بارز من أبواب الكتاب ؛ ثم يُتبعها بالاستدلال عليها ، ففي كتاب – الكفاية في علم الرواية – أفرد لها بابين متتابعين ؛ أحدهما : " باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة " والثاني: " باب القول في معنى وصف الصحابي أنه صحابي والطريق إلى معرفة كونه صحابياً " (4).

5/ و أحياناً يكون إيراده للمسألة العقدية ، كتقريرٍ لها وإثباتها ، ومن ذلك :

1- عندما أثبت — رحمه الله – مسألة " أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق " وتقريره لها؛ وذلك بتطرقه إلى نشأة القول بخلق القرآن ، وتكفير القائلين به .. وسوف يأتي تفصيل ذلك في الباب الثاني إن شاء الله (5) .

---

(1) شرف أصحاب الحديث ، الخطيب البغدادي ، ص 126 – 127 .
(2) ص 172 – 173 .
(3) اقتضاء العلم العمل ، الخطيب البغدادي ، ص 43 .
(4) ص 46 و 49 .
(5) انظر : تاريخ بغداد ، 324/14 – 198/14 .

2- عندما قرر الخطيب البغدادي مسألة " وجوب الأخذ بالسنة وطاعة الرسول " ثم أتبعها بالاستدلال عليها ، وذلك في مقدمة كتابه – الكفاية في علم الرواية – [1].

3- تقريره – رحمه الله – " مذهب أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى " حيث أثبتها لله تعالى كما جاءت في القرآن الكريم والسنة الصحيحة من دون تشبيه ولا تكييف ، فقال :

" أما الكلام على الصفات ، فإن ما روي منها في السنن الصحاح ، مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكيفية والتشبيه عنها ، وقد نفاها قوم ، فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين ، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف ، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين ، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصِّر عنه ، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات ، ويُحتذى في ذلك حَذْوه ومثاله ، فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فكذلك إثبات صفاته ، إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف .

فإذا قلنا لله يد وسمع وبصر ، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه ، ولا نقول : إن معنى اليد القدرة ، ولا إن معنى السمع والبصر العلم ، ولا نقول : إنها جوارح . ولا نشبِّهُها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدواتٌ للفعل ، ونقول : إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله : (ليس كمثله شيء) [2] ، (ولم يكن له كفواً أحد) " [3] .

6/ و أحياناً يكون إيراده للمسألة العقدية ،عن طريق إبطال الرأي الخاطئ وإثبات ما يُضاده ، ومن ذلك :

1- عندما أبطل – رحمه الله – مسألة " ادعاء علم الغيب " ، وذلك بإبطاله لدعوى الكهنة والمنجمين في أن الكواكب تنبئ عن علم الغيب ، وأنهم يعلمون الغيب بالنظر في أحوالها وتفرقها واجتماعها ، وفي مقابل ذلك أثبت اختصاص الله تعالى وحده بعلم الغيب[4] .

(1) ص 8 – 12 .
(2) سورة الشورى ، الآية : 11 .
(3) تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، 1142/3 – 1143 . والآية في سورة الإخلاص ، الآية : 4 .
(4) انظر : القول في النجوم ، الخطيب البغدادي ، ص 172 و 194 .

2- إبطال الخطيب البغدادي لدعوى من يتعلق بغير الله من النجوم والكواكب والبروج ، ويقدم لها القرابين والذبائح ، و يدعوها من دون الله ويخافها ويتوكل عليها ، فبإبطال القول بتصرفها في العالم ، يبين خسران من يعبدها و يدعوها ، ويبين بطلان هذا كله من الكتاب والسنة والإجماع ، وهذا كله متعلق بتوحيد الربوبية وتوحيد الأولوهية ، ففي إبطاله هذا تقرير لتوحيد الربوبية ؛ الذي هو توحيد الله بأفعاله ، وتوحيد الألوهية ؛ الذي هو توحيد العبادة وإخلاصها لله – تعالى – ، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ، قال شيخ الإسلام : " والرسل دعوا الخلق إلى توحيد الإلهية ، وذلك متضمن لتوحيد الربوبية . كما قال كل منهم لقومه : (اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ) " [1] . فلله تعالى الأمر كله [2] .

7/ وفي أحيانٍ أخرى يكون إيراده للمسألة العقدية ، عن طريق رده على شبهة أو إشكال، ومن ذلك :

1- رده – رحمه الله – على أهل البدع الذين عابوا على المحدثين رواياتهم في باب العقيدة، ورموهم بالتشبيه ، فقال : " ولما تعلق أهل البدع على عيب أهل النقل برواياتهم هذه الأحاديث ، ولبسوا على من ضعُف علمه بأنهم يروون ما لا يليق بالتوحيد ، ولا يصح في الدين ، ورموهم بكفر أهل التشبيه ، وغفلة أهل التعطيل ، أجيبوا : بأن في كتاب الله تعالى آيات محكمات ، يفهم منها المراد بظاهره ، وآيات متشابهات ، لا يوقف على معناها إلاّ بردها إلى المحكم ، ويجب تصديق الكل ، والإيمان بالجميع ، فكذلك أخبار الرسول جارية هذا المجرى ، ومنزلة على هذا التنزيل ، برد المتشابه منها إلى المحكم ، ويقبل الجميع " [3] .

(1) درء التعارض ، 344/9 . والآية في سورة الأعراف ، الآية : 59 .
(2) انظر : القول في النجوم ، الخطيب البغدادي ، ص 168 .
(3) انظر : جواب أبي بكر الخطيب البغدادي عن سؤال أهل دمشق في الصفات ، الخطيب البغدادي ، ص 66 .

2- رده على قول من قال : ما معنى قول النبي ﷺ عند هبوب بعض الرياح : " هبت لموت عظيم من عظماء المنافقين " ، وهو ما أخرجه الشيخ عن رافع ابن خَديج (1) ، قال : " رحنا من المريسيع (2) قبل الزوال ، وكان الجهد بنا يومنا وليلتنا " وساق الحديث إل أن قال :

" وسرَّح الناس ظهرَهم ، فأخذتهم ريح شديدة حتى أشفق الناس منها ، وسألوا عنها رسول الله ﷺ فقال : لموت منافق عظيم النفاق بالمدينة ؛ فلذلك عصفت الريح " .

وكان رده – رحمه الله – : " أنه يجوز أن يكون الله تعالى عرّف نبيه ﷺ أنه إذا هبت ريح في يوم كذا ، فاعلم أني أميتُ فلاناً ، وكفيتكَ أمره ، فيكون قول النبي ﷺ هذا لما تقدَّم من إخبار الله – تعالى – إياه ذلك " (3) .

8/ وأحياناً يكون إيراده للمسألة العقدية ، كجوابٍ عن سؤال سُئل عنه ، ومن ذلك :

1- عندما سُئل– رحمه الله – عن " الصفات " من بعض أهل دمشق ، تحدّث في جوابه عن عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات بتفصيل .. وقسم الأحاديث المروية في الصفات إلى ثلاثة أقسام ... (4) .

2- عندما سأل سائل عن النجوم : هل الشروع فيه محمود أو مذموم ؟

أجاب بأن علم النجوم يشتمل على ضربين :

أحدهما : مباح ، وتعلمه فضيلة والآخر : محظور ، والنظر فيه مكروه .

وفصّل في الحديث عن كل واحد منهما ؛ مع الاستدلال عليهما من الكتاب والسنة وأقوال السلف (5) .

(1) هو رافع بن خديج بن رافع الأوسي الأنصاري ، شهد أحداً ثم الخندق ، مات سنة ثلاث أو أربع وسبعين وقيل قبل ذلك .
انظر : الإصابة 436/2 ، وتهذيب الكمال 22/9 ، تقريب التهذيب 2/ 479 .

(2) اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل ، قاتل فيه النبي ﷺ بني المصطلق ، وسباهم سنة خمس للهجرة .
انظر : معجم البلدان 5/ 118 .

(3) انظر : القول في النجوم ، الخطيب البغدادي ، ص 173 – 174 .

(4) انظر : جواب أبي بكر الخطيب البغدادي عن سؤال بعض أهل دمشق في الصفات ، الخطيب البغدادي ، ص 64 – 65 .

(5) انظر : الخطيب البغدادي ، القول في علم النجوم ، ص 126 .

الفصل الخامس :

سمات منهج الخطيب البغدادي في بحث مسائل العقيدة .

سمات منهج الخطيب البغدادي
في بحث مسائل العقيدة

تعريف السمات :

السمات من : السِّيمة والسِّيماء والسِّيمياء والسُّومَة : العلامة . وسَوَّم الفرس : جعل عليه السِّيمة ، قال أبو بكر : قولهم عليه سِيما حَسَنَة معناه علامة [1] .

وفي التنزيل قوله تعالى : (تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ) [2] ، قال القرطبي [3] في تفسيرها : السِّيمَا (مقصورة) : العلامة وقد تمدّ فيقال السيماء [4] .

وفي الحديث : (أنه قال يوم بدر : سَوِّموا فإن الملائكة قد سَوَّمَت) [1] ، قال ابن الأثير : أي اعملوا لكم علامة يعرف بها بعضكم بعضاً ، والسُّومة والسِّمة : العلامة .

---

(1) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، 12 / 312 .
(2) سورة البقرة ، الآية : 273 .
(3) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ، أبو عبد الله القرطبي ، من كبار المفسرين ، ومن عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا ، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة ، ورع متعبد ، طارح للتكلف ، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية ، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف ، من كتبه : الجامع لأحكام القرآن والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة ، توفي سنة 671هـ .
انظر: نفح الطيب 428/1 ، والديباج المذهب ص317 ، والأعلام للزركلي 322/5 .
(4) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، اعتنى به وصححه : هشام سمير البخاري ، د.ط ، (الرياض : دار الم الكتب 1423هـ) 2 / 341 .

وفي الحديث أيضاً : (إن لله فرساناً من أهل السماء مسوَّمين) [2] ، قال ابن الأثير : أي مُعَلَّمين .

ومنه حديث الخوارج " سيماهم التحالق " ، قال ابن الأثير : أي علامتهم . والأصل فيها الواو ، فقلبت لكسرة السين ، وتمد وتقصر [3] .

سمات منهج الخطيب البغدادي في بحث مسائل العقيدة :

لقد اتّسم منهج الخطيب البغدادي في بحث مسائل العقيدة ؛ بسمات كثيرة ، من أهم تلك السمات ، ما يأتي :

1/ التزامه بمنهج السلف في فهم قضايا العقيدة ؛ والاستشهاد بأقوالهم :

وقد صرّح بذلك ، فقال : " فإن ما روي منها في السنن الصحاح ، مذهب السلف – رضوان الله عليهم – إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكيفية والتشبيه عنها .."

إلى أن قال : " فإذا قلنا : لله تعالى يد وسمع وبصر ، فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه ، ولا نقول : إن معنى اليد : القدرة ، ولا إن معنى السمع والبصر : العلم ، ولا نقول : إنها جوارح ، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل .

ونقول : إنما وجب إثباتها ؛ لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها ، لقوله تبارك وتعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [4] ، وقوله عز وجل : (ولم يكن له كفواً أحد) " [5] .

2/ التنويع بين التفصيل والإجمال في بحث مسائل العقيدة :

(1) أخرجه سعيد بن منصور في سننه باب جامع الشهادة (360/2) بلفظه .

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (265/18) بلفظه في وسط الحديث ، وقال الألباني : في السلسلة الضعيفة والموضوعة ، 518/5 .

(3) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، 2 / 425 .

(4) سورة الشورى ، الآية : 11 .

(5) انظر : جواب أبي بكر الخطيب البغدادي عن سؤال أهل دمشق في الصفات ، الخطيب البغدادي، ص64 – 65 . والآية في سورة الإخلاص ، الآية : 4 .

ومن ذلك تقريره لبعض أصول الإيمان ، مثل إثباته - رحمه الله – أن القران كلام الله منزل غير مخلوق ، في كتابه الشهير (تاريخ بغداد) مفصلاً .. وتطرق إلى نشأة القول بخلق القرآن، وتكفير القائلين بخلق القرآن .. وغير ذلك

أيضاً تقريره اليوم الآخر في (تاريخ بغداد) مفصلاً..وتطرق إلى العرش والكرسي والقلم، وبعض أشراط الساعة ، والقبر والحساب ، والجنة والنار .. وغير ذلك

3/ عرض المسألة بأكثر من طريق للإفهام ، فقد يعرضها مع مسائل أخرى ، وقد يعرضها مستقلة :

مثال ذلك : عندما تحدث الخطيب البغدادي عن (وصيته لطالب العلم) جاء ذكر مسألة (ليس الإيمان بالتحلي) عرضاً ؛ في إطار الحديث عن وصاياه لطالب العلم [(1)] .

وأيضاً عندما تحدث عن مسألة (تحريم تصديق كلام المنجم) جاء ذكر مسألة (التغليظ في تعليق التمائم) عرضاً ؛ في إطار الحديث عن التنجيم والنظر في النجوم بقصد ادعاء علم الغيب [(2)] .

4/ التنويع في عرض الأدلة : احتجاجه بخبر الآحاد :

الخطيب البغدادي – رحمه الله – احتج بخبر الآحاد إذا جاء من طريق صحيح ، ورد على القائلين بعدم حجيته ، وناقش أدلتهم ، وأثبت بالأدلة النقلية أن التابعين ومن تبعهم من الفقهاء والأئمة كانوا على وجوب العمل به ، فقال : " وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين ، ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين في سائر أمصار المسلمين إلى وقتنا هذا ، ولم يبلغنا عن أحد منهم إنكار لذلك ، ولا اعتراض عليه ، فثبت أن من دين جميعهم وجوبه ، إذ لو كان فيهم من كان لا يرى العلم به لنقل إلينا الخبر عنه بمذهبه فيه ، والله أعلم " [(3)] .

كما أفرد الخطيب البغدادي في كتابه (الفقيه والمتفقه) باباً تحت مسمى " القول بوجوب خبر الواحد " ، ووصف الخبر الذي يلزم قبوله ويجب العمل به ، وذكر القول فيما يرد به خبر الواحد [(4)] .

---

(1) انظر : شرف أصحاب الحديث ، الخطيب البغدادي ، ص 126 – 127 .
(2) انظر : القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، ص 172 – 173 .
(3) انظر : الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي ، ص 31 .
(4) انظر : الفقيه والمتفقه ، الخطيب البغدادي ، 1/ 279 و 291 .

كما أنه – رحمه الله – في كتابه (الكفاية في علم الرواية) ردَّ على من قال يجب القطع على خبر الواحد ، وسرد شبهة من زعم أن خبر الواحد يوجب العلم وإبطالها .

وعرّج على بعض الدلائل على صحة العمل بخبر الواحد ووجوبه ، وما يُقبل منه في خبر الواحد وما لا يُقبل [1] .

5/ حرصه على الرد على المخالف وبخاصة أهل البدع :

رَدَّ الخطيب البغدادي على أهل البدع الذين عابوا على المحدثين رواياتهم في باب العقيدة ، ورموهم بالتشبيه ، فقال : " ولما تعلق أهل البدع على عيب أهل النقل برواياتهم هذه الأحاديث ، ولبسوا على من ضعُف علمه بأنهم يروون ما لا يليق بالتوحيد ، ولا يصح في الدين ، ورموهم بكفر أهل التشبيه ، وغفلة أهل التعطيل ، أجيبوا : بأن في كتاب الله تعالى آيات محكمات ، يفهم منها المراد بظاهره ، وآيات متشابهات ، لا يوقف على معناها إلاّ بردها إلى المحكم ، ويجب تصديق الكل ، والإيمان بالجميع ، فكذلك أخبار الرسول جارية هذا المجرى ، ومنزلة على هذا التنزيل ، برد المتشابه منها إلى المحكم ، ويقبل الجميع " [2] .

6/ الإجمال في بعض المسائل :

كتقريره – رحمه الله – لمسألة من مسائل الإيمان وهي (الكبائر) ، وذلك عندما تحدث عنها بحيث أدرجها تحت باب (ما جاء عن رسول الله ﷺ في ذكر الكبائر) مجملة [3] .

7/ ذمه لأهل الرأي و الكلام :

ذمَّ الخطيب البغدادي – رحمه الله – أهل الكلام وغيرهم ، في مقدمة كتابه (شرف أصحاب الحديث) .

أيضاً في كتابه (الفقيه والمتفقه) ، نصه – رحمه الله – في ذم أهل الرأي والكلام [4] .

8/ كثرة استدلالاته وتنوعها :

(1) انظر : الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي ، ص 18 .
(2) انظر : جواب أبي بكر الخطيب البغدادي عن سؤال أهل دمشق في الصفات ، الخطيب البغدادي، ص 66 .
(3) انظر : الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي ، ص 102 .
(4) انظر : الفقيه والمتفقه ، الخطيب البغدادي ، ص 48 .

فالخطيب – رحمه الله – عندما يذكر مسألة من المسائل العقدية ويريد الاستدلال عليها ؛ فإنه في الغالب يُكثر من الاستدلالات على اختلافها ، فأحياناً يستدل على المسألة الواحدة بآيات من القرآن وأحاديث من السنة وأقوال من السلف كما فعل عندما أراد الاستدلال على مسألة (هل الشروع في علم النجوم محمود أو مذموم) [1] ؛ فإنه حينما ذكر الإجابة أكثَرَ من الاستدلال عليها من القرآن والسنة وأقوال السلف ، وأيضاً حينما تحدَّث عن (النية في طلب الحديث) [2] أطال ؛ وأكثر في الاستدلال عليها من السنة وأقوال السلف .. إلى غير ذلك من الأمثلة .

الباب الثاني
جهود الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف .. وفيه فصلان :

(1) انظر : القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، ص 126 ، ورسالة في علم النجوم له ، ص21.
(2) انظر : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، ص 81 .

الفصل الأول : وسائل الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف .
الفصل الثاني : جهود الخطيب البغدادي في تقرير العقيدة وأصول الإيمان .

الفصل الأول
وسائل الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف .. وفيه ثلاثـــة مباحث :

المبحث الأول : الرواية .

المبحث الثاني : التأليف .
المبحث الثالث : المناظرات .

المبحث الأول
الرواية

1/ تعريف الرواية :

في اللغة : الرِّواية بكسر الراء من روى الحديث : نقله ، ورواية الحديث : تبليغه عن رسول الله ﷺ [1] .

معنى الرواية عند المحدثين : نقل السنة ونحوها ، وإسناد ذلك إلى من عُزي إليه بتحديث أو إخبار أو غير ذلك [2].

(1) انظر : معجم لغة الفقهاء ، محمد قلعجي _ حامد قنيبي ، ط 1 (بيروت : دار النفائس 1405هـ) ص 227 - 228 .

(2) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، لجلال الدين السيوطي ، ط 4 (الرياض : مكتبة الكوثر 1418هـ) 1/ 26 .

وعرفها نور الدين عتر بـ : حمل الحديث ونقله وإسناده إلى من عُزي إليه بصيغة من صيغ الأداء .

انظر : منهج النقد في علوم الحديث ، ط الثالثة (دمشق : دار الفكر 1401هـ) ص 188 . وعرَّفها الشيخ صدّيق القنوجي بـ : علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول ﷺ من حيث أحوال رواتها ضبطاً وعدالة ، ومن حيث كيفية السند اتصالاً وانقطاعاً وغير ذلك من الأحوال التي يَعرفها نقاد الحديث .

انظر : أبجد العلوم ، صدّيق حسن القنوجي ، ط 1 (باكستان : المكتبة القدوسية 1403هـ) 2/ 306 .

وفرَّق ابن الصلاح [1] **بين علم الحديث الخاص بالرواية ، و الخاص بالدراية ،فقال :**

أما علم الحديث الخاص بالرواية فهو : علم يشتمل على أقوال النبي ﷺ ، وأفعاله ، وتقريراته ، وصفاته ، وروايتها ، وضبطها ، وتحرير ألفاظها .

وأما علم الحديث دراية : فقد قال الإمام عز الدين بن جماعة [2] : " علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن " [3] .

2/مكانتها :

لهذا العلم – علم رواية الحديث – أهمية بالغة في أصول الحديث ، لأنها تلقي لنا الضوء على المنهجية الدقيقة التي اتبعها علماء الإسلام في تلقي الحديث وتبليغه ، والروح الإيمانية العظيمة التي دفعتهم لبذل أقصى الجهود لحفظ الحديث ونشره ، بغاية الأمانة والحيطة التي يريدها العلم[4] .

وغاية هذا العلم تمييز الحديث الصحيح والحسن من السقيم والدخيل ، وذلك أساس ضروري لسلامة الاحتجاج بهذا الركن الثاني في معرفة الدين الإسلامي ، ولولاه لالتبس الحديث الصحيح بالضعيف ، ولاختلط كلام رسول الله ﷺ بكلام غيره ، لكن الله – تعالى – لما جعل هذا الدين خاتمة الرسالات والأديان ، وتعهد بصونه وحفظه اختص هذه الأمة بأن وفقها لحفظ كتاب ربها

---

(1) هوالشيخ العلامة تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي نصر الكردي الشهرزوري أحد أئمة المسلمين علماً وديناً ، أبو عمرو بن الصلاح ، ولد سنة 577هـ وتفقه عليه خلائق ، وكان إماماً كبيراً فقيهاً محدّثاً زاهداً ورعاً مفيداً معلّماً ، له الفتاوى ، ومقدمة في علوم الحديث وغيرها ، توفي سنة 643هـ .
انظر: طبقات السبكي 137/5 ، وشذرات الذهب 221/5.

(2) هو محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الأصل المصري الشافعي ، ويعرف بابن جماعة عز الدين ، فقيه أصولي محدث متكلم أديب نحوي لغوي مشارك في غير ذلك وكان يقول : " أعرف خمسة عشر علماً لا يعرف علماء عصري أسماءها " = وصنف التصانيف الكثيرة التي جمع أسماءها في جزء مفرد ضاع أكثرها ، منها : شرح جمع الجوامع ، وشرح علوم الحديث لابن الصلاح توفي سنة 819هـ .
انظر: الضوء اللامع 171/7- 174 ، ولحظ الألحاظ ص267 .

(3) انظر : علوم الحديث ، ابن الصلاح ، تحقيق : نور الدين عتر ، د.ط (بيروت : المكتبة العلمية 1401هـ) ص 12 .

(4) انظر : منهج النقد في علوم الحديث ، نور الدين عتر ، ص 188 .

، وصيانة حديث نبيها ، فإذا بها تعتمد لحفظ الحديث قواعد المصطلح، على أدق منهج علمي يمكن أن يوجد للتثبت من النصوص المروية وتمحيصها [1] .

3/صفة رواية الحديث :

قال ابن الصلاح : شدد قوم في الرواية :

فاشترط بعضهم أن تكون الرواية من حفظ الراوي أو تذكره . وحكاه عن مالك ، وأبي حنيفة ، وأبي بكر الصيدلاني المروزي (الشافعي) .

واكتفى آخرون ، وهم الجمهور ، بثبوت سماع الراوي لذلك الذي يسمع عليه ، وإن كان بخط غيره ، وإن غابت عنه النسخة ، إذا كان الغالب على الظن سلامتها من التبديل والتغيير.

وتساهل آخرون في الرواية من نسخ لم تقابل ، بمجرد قول الطالب " هذا من روايتك " ، من غير تثبت ولا نظر في النسخة ، ولا تفقد طبقة سماعه [2] .

4/أنواع رواية الحديث :

أنواع رواية الحديث ثمانية :

الأول : السماع ، وتارة يكون من لفظ المسمع حفظاً ، أو من كتاب . قال القاضي عياض[3] :

فلا خلاف حينئذ أن يقول السامع : "حدثنا" ، و"أخبرنا" ، و"أنبأنا" ،

و " سمعت" ، و"قال لنا" ، و" ذكر لنا فلان" .

الثاني : القراءة على الشيخ حفظاً أو من كتاب ، وهو "العرض" عند الجمهور والرواية بها سائغة عند العلماء .

وإذا حدّث بها يقول " قرأت" ، أو "قرئ على فلان وأنا أسمع فأقر به" أو "أخبرنا" أو "حدثنا قراءة عليه" .

الثالث : الإجازة ، والرواية بها جائزة عند الجمهور ، وهي على أنواع :

---

(1) انظر : علوم الحديث ، ابن الصلاح ، ص 13 .

(2) انظر : الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ، أحمد محمد شاكر ، ط 3 (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية 1408هـ) ص 104 .

(3) هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن عياض اليحصبي الأندلسي، ثم السبتي المالكي، الإمام العلامة الحافظ الأوحد شيخ الإسلام ، ولد سنة 476هـ ، ولم يكن أحد بسبتة في عصره أكثر تواليف من تواليفه، منها: الشفا في شرف المصطفى ، وترتيب المدارك ، توفي سنة 544هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 212/20 ، والديباج المذهب 46/2 ، والشذرات 138/4.

1/ إجازة من معين لمعين في معين ، بأن يقول : " أجزتك أن تروي عني هذا الكتاب ".

2/ إجازة لمعين في غير معين ، مثل أن يقول : " أجزت لك أن تروي عني ما أرويه " .

3/ الإجازة لغير المعيّن ، مثل أن يقول : " أجزت للمسلمين " .

4/ الإجازة بالمجهول للمجهول .

الرابع : المناولة ، فإن كان معها إجازة ، مثل أن يناول الشيخ الطالب كتاباً من سماعه ، ويقول له : "ارو هذا عني " ، أو يملكه إياه ، أو يعيره لينسخه ثم يعيده إليه ، أو يأتيه الطالب بكتب من سماعه فيتأمله ، ثم يقول : "ارو عني هذا " ، ويسمى هذا " عرض المناولة " .

الخامس : المكاتبة ، أن يكتب الشيخ بعض حديثه لمن حضر عنده ، أو لمن غاب عنه ، ويرسله إليه ، وسواء كتبه بنفسه أم أمر غيره أن يكتبه ، ويكفي أن يعرف المكتوب له خط الشيخ ، أو خط الكاتب عن الشيخ ، ويشترط في هذا أن يعلم أن الكاتب ثقة .

والراوي بالمكاتبة يقول : "حدثني" أو "أخبرني" ، ولكن يقيدهما بالمكاتبة ، لأن إطلاقهما يوهم السماع ، فيكون غير صادق في روايته ، إذا شاء قال : "كتب إلي فلان" ، أو نحوه مما يؤدي معناه .

السادس : إعلام الشيخ أن هذا الكتاب سماعه من فلان ، من غير أن يأذن في روايته عنه ، فقد سوّغ الرواية بمجرد ذلك طوائف من المحدثين والفقهاء .

السابع : الوصية ، بأن يوصي بكتاب له كان يرويه لشخص ، فقد ترخص بعض السلف "في رواية الموصي" له بذلك الكتاب عن الموصي .

الثامن : الوجادة ، وصورتها أن يجد حديثاً أو كتاباً بخط شخص بإسناده .

فله أن يرويه عنه على سبيل الحكاية ، فيقول : " وجدت بخط فلان :حدثنا فلان " ويسنده ، وله أن يقول : "قال فلان " ، إذا لم يكن فيه تدليس يوهم اللقى .

وله أن يقول فيما وجد من تصنيفه بغير خطه : "ذكر فلان " ، و "قال فلان" أيضاً ، ويقول "بلغني عن فلان" ، فيما لم يتحقق أنه من تصنيفه أو مقابلة كتابه [1] .

وقد أشار البغدادي إلى هذا النوع بقوله : أرفع العبارات "سمعت" ، ثم "حدثنا" ، و"حدثني".

---

(1) انظر : الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ، أحمد محمد شاكر ، ص 91-110 .

وأقصد بالرواية هنا نوعين :

1/ رواية الخطيب البغدادي عن شيوخه – باعتبار الخطيب البغدادي تلميذاً –

2/ ورواية تلاميذ الخطيب البغدادي عن شيخهم– باعتبار الخطيب البغدادي شيخاً –

أما النوع الأول : **وهو رواية الخطيب البغدادي عن شيوخه ، ومن أشهرهم ؛ ممن سمع عنهم** :

أبو الحسن بن الصلت الأهوازي ، وأبو عمر بن المهدي ، وأبو الحسين بن المتيم ، والحسين بن الحسن الجواليقي ، وابن رزقويه ، وابن أبي الفوارس ، وهلال الحفار ، وإبراهيم بن مخلد الباخرحي وغيرهم .. هؤلاء ببغداد ، وارتحل سنة اثنتي عشرة [1] إلى البصرة ، فسمع أبا عمر القاسم بن جعفر الهاشمي رواية السنن ، وعلي بن القاسم الشاهد ، والحسن بن علي النيسابوري ، وسمع بنيسابور علماء ، منهم أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج ، والقاضي أبو بكر الحيري وغيرهم ، وسمع بأصبهان أبا الحسن بن عبد كويه ، وأبو عبد الله الجمّال ، ومحمد بن عبد الله بن شهريار ، وأبا نعيم الحافظ وغيرهم ، وسمع بالدينَوَر أبا نصر الكسار ، وبهمذان محمد بن عيسى وطبقته ، وبالكوفة والري والحرمين ودمشق والقدس وصور ، وعلماء كُثر في البلدان المشار إليها غير الذين ذكرتهم ، وماذكرتُ على سبيل المثال..[2]

وهذا النوع كثير جداً أكثر من أن يحصى ؛ بل إنه كلما أراد أن يستدل على أي مسألة كانت ؛ استدل عليها بما يخرجه بسنده هو ، مثال ذلك :

(1) عندما حثَّ الخطيب البغدادي على لزوم التمسك بالسنة ووجوب العمل بها ، وعقد لذلك باباً فقال : " تعظيم السنن والحث على التمسك بها والتسليم لها والانقياد إليها وترك الاعتراض عليها " [3] ، واستدل عليها بأدلة كثيرة كلها بسنده ، منها :

1- أنا أبو عمر : عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مهدي ، أنا أبو عبد الله : محمد بن

---

(1) المقصود سنة 412هـ .

(2) انظر : تذكرة الحفاظ ، الحافظ الذهبي ، ج 3 / ص 1136 ، وللاستزادة انظر : الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث ، محمود الطحان ، ص69 – 75 .

(3) انظر : الفقيه والمتفقه ، الخطيب البغدادي ، ص 374 .

مخلد الدوري ، نا محمد بن الوليد البسري ، نا محمد بن جعفر ، نا شعبة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : (من رغب عن سنتي فليس مني)(1)
.

2- أنا محمد بن أحمد بن رزق ، أنا محمد بن عبد الله الشافعي ، نا أحمد بن سعيد الجمال، قال : سمعت محمد بن حاتم بن بزيع يقول : سمعت إسحاق بن الطباع ، يقول : جاء رجل إلى مالك فسأله عن مسأله ، فقال : قال رسول الله ﷺ كذا . قال : أريت إن كان كذا ؟ قال مالك : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (2) .

(2) وعندما تحدث عن مسألة "كتمان العلم " مدرجة تحت " باب وجوب تعريف المزكي ما عنده من حال المسئول عنه " (3) ، استدل عليها بعدة أدلة أخرجها بسنده ،

منها :

- أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين ، ثنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان ، ثنا محمد بن غالب ، نا مسلم بن إبراهيم ، نا صدقة بن موسى الدقيقي ، نا مالك بن دينار عن عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار) (4) .

وكون الخطيب البغدادي كلما أرد أن يستدل على مسألة ؛ استدل عليها بسنده هو ، فيه دليل على حرصه الشديد على الرواية ، لذا أصبح من وسائله في تقرير عقيدة

---

(1) تقدم تخريجه ، ص 58.

(2) أخرجه الأصبهاني في حلية الأولياء ، 6 /326 ، بلفظ مقارب ، وأبو بكر البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ، 1/ 200 ، بلفظ مقارب ، وابن حزم في الإحكام ، 224/6 ، بنحوه ، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه باب تعظيم السنن والحث على التمسك بها والتسليم لها والانقياد إليها وترك الاعتراض عنها ، 379/1 ، بنحوه . والآية في سورة النور ، الآية : 63 .

(3) انظر : الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي ، ص 37 .

(4) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في كتمان العلم ، 247/9 ، ح2573 بنحوه ، وأبو داود في سننه ، باب كراهية منع العلم ، 321/3 بلفظ مقارب ، وابن ماجه ، في المقدمة ، باب من سئل عن علم فكتمه ، 308/1 ح260 ، و الحاكم في المستدرك ، كتاب العلم ، باب من تعلم علماً يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب غرضاً من الدنيا ، 335/1 ، ح315 بلفظ مقارب عن أبي هريرة . وقال أبوعيسى : حديث حسن ، انظر : سنن الترمذي 247/9 .

السلف الرواية ، لكثرة رواياته واتصال سندها .

وأما النوع الثاني : وهي رواية تلاميذ الخطيب البغدادي عن شيخهم ، سواء كانت الرواية عنه قولاً أو فعلاً ..

ومن أشهر تلاميذه :

روى عنه البرقاني شيخه ، وأبو الفضل بن خيرون ، والفقيه نصر المقدسي ، وأبو عبد الله الحميدي ، وعبد العزيز الكتاني ، وأبو نصر بن ماكولا ، وعبد الله بن أحمد السمرقندي ، والمبارك ابن الطيوري ، ومحمد بن مرزوق الزعفراني ، وأبو بكر بن الخاضبة ، وأبي النَّرسي ، وأبو القاسم النسيب ، وهبة الله بن الأكفاني ، وعلي بن أحمد بن قيس الغساني، ومحمد بن علي بن أبي العلاء المصيصي ، وأبو الفتح نصر الله بن محمد المصيصي ، وعبد الكريم بن حمزة، وطاهر بن سهل الأسفراييني ، وهبة الله بن عبد الله الشروطي ، وأبو السعادات أحمد بن أحمد المتوكلي ، وعبد الرحمن بن محمد الشيباني القزاز ، وأبو منصور ابن خيرون المقرئ ، ويوسف بن أيوب الهمذاني نزيل مصر .. وخلق يطول عدهم . (1)

ومن أمثلة هذا النوع :

(1) رواية تلميذه الشيخ أبو محمد سعد الله بن علي بن الحسين بن أيوب عنه كتاب **الرحلة في طلب الحديث** ، في ربيع الآخر سنة 506هـ حيث قال أنبأ الشيخ الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال : ثم سرد متن الكتاب .. (2)

(2) قال السمعاني : سمعت من ستة عشر من أصحابه سمعوا منه ببغداد سوى نصر الله المصيصي فسماعه منه بدمشق ، وسوى يحيى بن علي الخطيب فسماعه منه بالأنبار .

(3) رواية تلميذه الشيخ أبي المعالي الحسين بن حمزة بن الحسين الغساني الشَّعيري عنه كتاب **التطفيل** ، حيث قال أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي من لفظه في المحرم من سنة ثمان وخمسين وأربع مئة ، قال : ثم سرد متن الكتاب..(1).

(1) انظر : تذكرة الحفاظ ، الحافظ الذهبي ، 3 / 1136- 1137 .

(2) مقدمة كتاب الرحلة في طلب الحديث ، ت : نور الدين عتر ، ط2 (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1425هـ) ص71-72 .

(4) وقال أبو محمد ابن الآبنوسي : سمعت الخطيب يقول : كل من ذكرت فيه أقاويل الناس من جرح وتعديل فالتعويل على ما أخرت [2] .

(5) رواية تلميذه الشيخ أبي القاسم هبة الله بن عبد الله بن أحمد الواسطي عنه كتاب **السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد** ، حيث قال حدثنا الشيخ الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ في يوم الأحد رابع عشر من شعبان من سنة ست وعشرين وخمسمائة ، قال : ثم سرد متن الكتاب .. [3]

(6) عند تقريره – رحمه الله – " مذهب أهل السنة والجماعة في صفات الله – تعالى – " حيث أثبتها لله – تعالى – كما جاءت في القرآن الكريم والسنة الصحيحة من دون تشبيه ولا تكييف ، قال الذهبي أخبرنا أبو علي بن الخلال ، حدثنا جعفر ، حدثنا أبو طاهر الحافظ ، حدثنا محمد بن مرزوق الزعفراني حدثنا الحافظ أبو بكر الخطيب قال : " أما الكلام على الصفات ، فإن ما روي منها في السنن الصحاح ، مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكيفية والتشبيه عنها ، وقد نفاها قوم ، فأبطلوا ما أثبته الله ، وحققها قوم من المثبتين ، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف ، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين ، ودين الله – تعالى – بين الغالي فيه والمقصِّر عنه ، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات ، ويُحتذى في ذلك حَذْوُه ومثالُه ، فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف ، فإذا قلنا لله يد وسمع وبصر ، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه ، ولا نقول : إن معنى اليد القدرة ، ولا إن معنى السمع والبصر العلم ، ولا نقول : إنها جوارح . ولا نشبِّهُها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدواتٌ للفعل، ونقول : إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله :
(ليس كمثله شيء) [4] ، (ولم يكن له كفواً أحد) [1] .

---

(1) مقدمة كتاب التطفيل ، ت : بسام الجابي ، ط1 (بيروت : دار ابن حزم ، 1420هـ) ص43 .
(2) انظر : تذكرة الحفاظ ، الحافظ الذهبي ، ج 3 / ص 1138 – 1139 .
(3) مقدمة كتاب السابق واللاحق ، ت : محمد بن مطر الزهراني ، ط2 (الرياض : دار الصميعي ، 1421هـ) ص48 .
(4) سورة الشورى ، الآية : 11 .

(7) رواية تلميذه الشيخ الجليل أبي المعالي الفضل بن سهل بن بشر بن أحمد الأسفراييني عنه كتاب **إجازة المجهول والمعدوم وتعليقها بشرط** ، حيث قال : أنبأنا الإمام العالم الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، ومن خطه نقلت : ثم سرد متن الكتاب..(2).

(8) رواية تلاميذه عنه حديث : (**ليس في الخيل والرقيق زكاة إلا في الرقيق صدقة الفطر**)(3) ، قال الذهبي : أخبرنا المسلم بن محمد ومؤمل بن محمد ويوسف الشيباني في كتابهم، قالوا : أنا أبو اليمن الكندي ، أنا أبو منصور الشيباني ، أنا أبو بكر الحافظ ، أنا أحمد بن محمد بن أحمد الأهوازي ، أنا محمد بن جعفر المطيري ، نا الحسن بن عرفة ، نا يحيى بن زكريا ابن أبي زائدة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن أسامة بن زيد ، عن عراك بن مالك ، عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قال : (ليس في الخيل والرقيق زكاة إلا في الرقيق صدقة الفطر) (4) .

(9) رواية تلميذه أبي منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون عنه كتاب **البخلاء** ، حيث قال : أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب الحافظ ، إجازة ، في يوم السبت الحادي والعشرين من شعبان سنة مئة ببغداد ، قال : ثم سرد متن الكتاب...(5).

(10) قال ابن عساكر (6) : سمعت الحسين بن محمد يحدث عن أبي الفضل بن خيرون أو غيره أن الخطيب ذكر أنه لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات ، وسأل الله ثلاث حاجات أخذاً

---

(1) انظر: تذكرة الحفاظ ، للذهبي ،3/ 1142– 1143 ، والآية في : سورة الإخلاص ، الآية : 4 .
(2) مقدمة كتاب إجازة المجهول والمعدوم وتعليقها بشرط ، ت : صالح يوسف معتوق ، ط1 (المكتب الإسلامي لإحياء التراث ، 1425هـ) ص44 .
(3) أخرجه أبو داود ، كتاب الزكاة ، باب صدقة الرقيق ، 394/4 ، ح1359 بلفظه مع تقديم وتأخير ، قال الألباني : صحيح ، انظر : السلسلة الصحيحة 220/5 .
(4) انظر : تذكرة الحفاظ ، 3 / 1145 – 1146 .
(5) مقدمة كتاب البخلاء ، ت : بسام الجابي ، ط1 (بيروت : دار ابن حزم ، 1421هـ) ص39 .
(6) هو الإمام الحافظ الكبير محدث الشام فخر الأئمة ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي صاحب التصانيف ، ولد أول سنة 499هـ ، انتهت إليه الرياسة في الحفظ والإتقان والثقة والمعرفة التامة ، فعدد شيوخه ألف وثلاث مائة شيخ ، ونيف وثمانون امرأة ، وله تاريخ دمشق ، والأربعون البلدانية وغيرها كثير ، توفي سنة 571هـ .
انظر: تذكرة الحفاظ 1328/4 ، وطبقات السبكي 215/7 ، والسير 554/20 .

بالحديث : (ماء زمزم لما شرب له) (1) ، فالحاجة الأولى أن يحدث بتاريخ بغداد بها ، والثانية أن يملي الحديث بجامع المنصور ، والثالثة أن يدفن عند بشر الحافي .. فقضى الله له ذلك (2) .

(11) رواية تلميذه الفقيه الإمام أبي الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيصي عنه كتاب **الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة** ، حيث قال : حدثنا الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب الحافظ من لفظه ، قراءة عليه ونحن نسمع ، في شوال سنة ست وخمسين وأربعمائة ، قال : ثم سرد متن الكتاب ... (3) .

(12) ما رواه تلميذه الشيخ أبو محمد بن عبد العزيز بن معالي بن مَنِينا البابصري ، حيث قال: قرئ على الشيخ القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله الأنصاري — وأنا أسمع فأقرّ به – عنه كتاب **المنتخب من كتاب الزهد والرقائق** ، حيث قال : حدثنا الشيخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب الحافظ من لفظه ، في المحرم من سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، قال : ثم سرد متن الكتاب .. (4)

(13) قال غيث الأرمنازي : نا أبو الفرج الأسفراييني (5) ، قال : كان الخطيب معنا في الحج، فكان يختم كل يوم قريب الغياب قراءة ترتيل ، ثم يجتمع عليه الناس وهو راكب فيقولون : حدثنا : فيحدث (6) .

(14) رواية تلميذه الشيخ أبي الفتح محمد بن عبد الله بن الحسين بن طلحة المعروف بابن النحاس ، عنه كتاب **المتفق والمفترق** ، حيث قال : أخبرنا الإمام الحافظ أبو بكر ؛ أحمد بن

---

(1) أخرجه ابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب الشرب من زمزم ، 182/9 ، ح 3053 بلفظه ، وأحمد ، في مسند باقي المكثرين ، في مسند جابر بن عبد الله ﷺ ، 29 /369 ، ح14320 ، والحاكم في= المستدرك ، كتاب المناسك ، باب ماء زمزم لما شرب له فإن شربته تستشفي منه ، 285/4 ، ح1693 بلفظه مع زيادة في آخره ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد إن سلم من الجارودي ولم يخرجاه .

(2) انظر : تذكرة الحفاظ ، 3 / 1139 .

(3) مقدمة الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة ، أخرجه : عز الدين علي السيد ، ط3 (القاهرة : مكتبة الخانجي ، 1417هـ) ص3 .

(4) مقدمة المنتخب من كتاب الزهد والرقائق ، ت : عامر حسن صبري ، ط1 (بيروت : دار البشائر الإسلامية ، 1420هـ) ص51 .

(5) هو الشيخ الإمام أبو الفرج سهل بن بشر بن أحمد بن سعيد الأسفراييني الصوفي ، المحدث المتقن الرحال ، نزيل دمشق ، ولد سنة409هـ ، كيس صدوق ، توفي سنة 491هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء 162/19 ، والشذرات 397/3.

(6) انظر : تذكرة الحفاظ ، 3 / 1139 .

علي بن ثابت الخطيب قراءة بلفظه ، في رمضان سنة ثمان خمسين وأربعمائة ، قال : ثم سرد متن الكتاب ... [1] .

(15) وقال عبد المحسن الشيحي [2] : عادلت الخطيب من دمشق إلى بغداد فكان له في كل يوم وليلة ختمة [3] .

(16) رواية تلميذه الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن أبي العلاء المصيصي عنه كتاب **الكفاية في علم الرواية** ، حيث قال نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الحافظ ، قدم علينا من لفظه ، قال : ثم سرد متن الكتاب ... [4] .

ورواية تلاميذه بالسند دليل آخر على حرصه واهتمامه رحمه الله بهذا الفن ، إذ من الواضح تأثرهم بشيخهم وبطريقته الإثباتية العجيبة ، فرحمه الله رحمة واسعة .

---

(1) مقدمة المتفق والمفترق ، ت : محمد صادق الحامدي ، ط1 (دمشق : دار القادري ، 1417هـ) ص105 .

(2) هو الإمام أبو منصور عبد المحسن بن محمد بن علي بن أحمد بن علي بن شهدانكه الشيحي ثم البغدادي ، المحدث الفقيه الجوال الصدوق ، ولد سنة 421هـ ، نقل الخطيب إلى العراق ، فأهدى إليه تاريخه بخطه ، فكان عنده أصل أبي بكر الخطيب بتاريخ بغداد ، خصه به ، وتوفي سنة 489هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 152/19 ، وتذكرة الحفاظ 1227/4 ، والشذرات 392/3 .

(3) انظر : تذكرة الحفاظ ، 3 / 1139 ، وانظر : الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث، محمود الطحان ، ص53 .

(4) مقدمة الكفاية في علم الرواية ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1409هـ) ص2 .

المبحث الثاني
التأليف

تعريف التأليف :

في اللغة : من ألّفه :أي جمع بعضه على بعض ، وتألّف تَنَظَّمَ ، وألَّفت بينه تأليفاً إذا جمعت بينهم بعد تفرق ، وألَّفتُ الشيء تأليفاً إذا وصلْت بعضه ببعض ؛ ومنه تأليف الكتب [1] .

مؤلفاته :

الخطيب البغدادي – رحمه الله – من المكثرين من التصنيف ، ومن العلماء الذين لهم باعٌ طويل في التأليف في مختلف العلوم ، وسأذكر مؤلفاته التي وقفتُ عليها :

أولاً : مؤلفات في العقيدة :

1/ القول في علم النجوم [2] .

وهذا الكتاب أفادني كثيراً في مجال البحث ، لكون موضوعه عقديّاً ، ويتعلق بأنواع التوحيد الثلاثة كلها : توحيد الربوبية ، توحيد الألوهية ، توحيد الأسماء والصفات .

وفيه رد على من يتعلق بغير الله من النجوم والكواكب والبروج ، ويقدم لها القرابين من ذبائح ونحوها ويدعوها من دون الله ويرجوها ..

2/ جواب أبي بكر الخطيب عن سؤال أهل دمشق في الصفات [3] .

وهي عبارة عن رسالة موجزة ، رواها عن الحافظ الخطيب البغدادي تلميذه أبو الحسن محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق الزعفراني ، في ربيع الأول من سنة 456هـ .

وقد تحدث الخطيب فيها عن ثلاثة أمور مهمة ، بدأها بمقدمة .

---

(1) لسان العرب ، ابن منظور ، 9 /10 – 11 .

(2) درسه وحققه د.يوسف بن محمد السعيد ، ط 1 (الرياض : نشر دار أطلس للنشر والتوزيع 1420هـ) . كما حققه طارق بن محمد العمودي ، تحت عنوان : رسالة في علم النجوم ، وهل الشروع محمود أو مذموم ..؟ ط1 (بيروت : نشر دار الكتب العلمية 1425هـ) .

(3) تحقيق : جمال عزون ، ط 1 (الإمارات العربية المتحدة : نشر دار الريان للنشر والتوزيع 1413هـ) .

شملت المقدمة سبب تأليف هذه الرسالة ، وهو كما قال الخطيب – رحمه الله – : "كتب إليّ بعض أهل دمشق يسألني عن مسائل ذكرها ، فأجبته عن ذلك .." .

ثم ذكر بعده جواب تلك المسائل وهي ثلاث ..

أولاها : الكلام على الصفات ؛ وأن ما روي منها في السنن الصحاح ؛ مذهب السلف – رضوان الله عليهم – إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكيفية والتشبيه عنها .

وقد نفاها قوم ، فأبطلوا ما أثبته الله سبحانه ..... وأن الأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ، ويحتذي في ذلك حذوه ومثاله ...إلى آخر ما قال –رحمه الله– .

والثانية : ردّه – رحمه الله – على أهل البدع الذين عابوا على المحدثين رواياتهم في باب العقيدة ، ورموهم بالتشبيه ، حيث قال : " ولما تعلق أهل البدع على عيب أهل النقل برواياتهم هذه الأحاديث ، ولبّسوا على من ضعُف علمه بأنهم يروون ما لا يليق بالتوحيد، ولا يصح في الدين ، ورموهم بكفر أهل التشبيه ، وغفلة أهل التعطيل ... " ، ثم أجاب عن ذلك – رحمه الله – .

والثالثة : أن الأحاديث المروية في الصفات تنقسم ثلاثة أقسام :

أ – منها أخبار ثابتة .. أجمع أئمة النقل على صحتها ، لاستفاضتها ، وعدالة ناقليها .

ب – ومنها أخبار ساقطة ، بأسانيد واهية وألفاظ شنيعة .. أجمع أهل العلم على بطلانها ، فهذه لا يجوز الاشتغال بها ، ولا التعريج عليها .

ج – ومنها أخبار اختلف أهل العلم في أحوال نقلتها .. فقبلها البعض دون الكل ، فهذه يجب الاجتهاد والنظر فيها ، لتلحق بأهل القبول ، أو تُجعل في حيز الفساد و البطول ...إلخ .

ثانياً : مؤلفات أدرج فيها شيئاً من مسائل العقيدة ، منها :

1/ الكفاية في علم الرواية [1] .

تحدث في مقدمة كتابه عن ما جاء في التسوية بين حكم كتاب الله – تعالى – وحكم سنة رسول الله ﷺ في وجوب العمل ولزوم التكليف .

وأطال الكلام عن مسألة " خبر الواحد " في أربعة أبواب ، باب الرد على من قال يجب القطع على خبر الواحد ، وذكر شبهة من زعم أن خبر الواحد يوجب العلم وإبطالها ، وباب ذكر بعض الدلائل على صحة العمل بخبر الواحد ووجوبه ، وباب ذكر ما يقبل فيه خبر الواحد وما لا يقبل فيه .

كما خصص باباً عن مسألة كتمان العلم ، وسمّاه باب وجوب تعريف المزكي ما عنده من حال المسئول عنه .

وأسهب في الحديث عن الصحابة ورواياتهم في ثلاثة أبواب ، باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة ، وباب القول في معنى وصف الصحابي أنه صحابي ، والطريق إلى معرفة كونه صحابياً ، وباب القول في حكم من بعد الصحابة ، وذكر الشرائط التي توجب قبول روايته .

وأفرد باباً عن ما جاء عن رسول الله ﷺ في ذكر الكبائر .

وتحدّث أيضاً عن ما جاء في الأخذ عن أهل البدع والأهواء والاحتجاج برواياتهم .

2/ اقتضاء العلم العمل [2] .

ذكر فيه عدة أحاديث عن السؤال يوم القيامة عن علم المرء وعمله .

وتطرق لمسألة " ليس الإيمان بالتحلي " .

كما خصص بابين في مسألة " النية في طلب العلم " باب في ذم طلب العلم للمباهاة به ؛ سرد فيه أحاديث من طلب العلم ابتغاء الآخرة أدركها .. وباب كراهة طلب الحديث للمفاخرة .

كما أفرد باباً أيضاً في ما جاء من الوعيد في قراءة القرآن للصيت ؛ ذكر فيه حديث : الذين تسعّر بهم النار قبل غيرهم .

3/ شرف أصحاب الحديث [1] .

---

(1) د.ط (بيروت : نشر دار الكتب العلمية 1409هـ) .

(2) تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، ط 1 (الرياض : نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع 1422هـ) .

ذكر فيه مسألة " افتراق الأمة " وأدرج تحتها حديث : (ستفترق أمتي ..) ، وحديث : (لا تزال طائفة من أمتي ..) .

4/ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (2) .

بدأ كتابه بـ " باب النية في طلب الحديث " ، وفصّل الحديث عنها ، واستدل عليها بأحاديث من أقوال النبي ﷺ وآثار من أقوال السلف الصالح .

5/ الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة (3) .

أورد الخطيب في كتابه هذا كثيراً من الأخبار التي تتعلق بالمسائل العقدية ، مدرجة تحت أبواب، حيث بدأها بـ :

باب الإيمان ولواحقه :

وأدرج تحته : " ترتيب أركان الإسلام ، حب الجمال ليس من الكبر المنافي للإيمان ، التشدد في العبادة منهي عنه ، تحريم قتل من قال : لا إله إلا الله ، القدر وعقاب من ينازع فيه ، الاعتصام بالكتاب والسنة ، ما جاء به النبي هو الشريعة كتاباً وسنة .."

باب في القران الكريم وإثبات أنه منزل ليس مخلوقاً :

وأدرج تحته : "كيفية نزول الوحي ، نزول القرآن على سبعة أحرف .."

باب في علامات النبوة :

وأدرج تحته : " بركة الطعام في الوليمة ، انكباب فرس سراقة في حادث الهجرة ، تبشيره بفتح الحيرة .. إلخ " .

باب في الدعاء :

وأدرج تحته : " اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، الإشارة في الدعاء بالأصبع الواحدة.."

---

(1) تحقيق : أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي ، ط 1 (بيروت : نشر دار عالم الكتب للنشر والتوزيع 1423هـ) .

(2) تحقيق : محمود الطحان ، د.ط (الرياض : نشر مكتبة المعارف 1403هـ) .

(3) تحقيق : عز الدين علي السيد ، ط 3 (القاهرة : نشر مكتبة الخانجي 1417هـ) .

باب في الأيمان :

وأدرج تحته : " عدم جواز الحلف بغير الله كالآباء .."

باب في الفتن :

وأدرج تحته : " رأس الخوارج [1] : الجعد بن بعجة [2] ، يقول لعلي : اتق الله فإنك ميت .. إلخ " .

6/الفقيه والمتفقه [3] .

تحدث فيه الخطيب عن مسألة " العمل بخبر الواحد " وأفرد لها بابين : باب في القول في وجوب العمل بخبر الواحد ، وباب في وصف الخبر الذي يلزم قبوله ويجب العمل به .

كما تكلم أيضاً عن مسألة " التمسك بالسنن والاعتصام بها " تحت مسمى : باب تعظيم السنن والحث على التمسك بها والتسليم لها .

وتحدث أيضاً عن إخلاص النية والقصد بالتفقه في باب مستقل .

كما ذكر مسألة " القول على الله بغير علم " مدرجة تحت باب ما جاء من الوعيد لمن أفتى وليس هو من أهل الفتوى .

7/ الفصل للوصل المدرج في النقل [4] .

---

(1) الخوارج أول فرقة ظهرت في الإسلام ، ظهرت في عهد الصحابة ﷺ ، عمدة مذهبهم الكلام في الإيمان والكفر ما هما ، والتسمية بهما ، والوعد والإمامة ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم ، فمن وافق الخوارج في إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر ، والقول بالخروج على أئمة الجور ، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار ، وأن الإمامة جائزة في غير قريش ، فهو خارجي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون ، وكذلك كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً ؛ سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان ، وإن خالفهم فيما سبق فليس خارجياً ، بلغت فرقهم العشرين ، وكبارها ستة ، والباقي فروعهم ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك .

انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل 89/2 ، والملل والنحل للشهرستاني 113/1 ، والفرق بين الفرق ص17 .

(2) هو رجل من رؤوس الخوارج من أهل البصرة ، من الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ، ولم أجد له ترجمة مستقلة ، والله أعلم .

انظر: كتاب الأسماء المبهمة للخطيب 49/1 ، وتاريخ دمشق 485/42، 544 .

(3) تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، ط 3 (الدمام : نشر دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع 1426هـ) .

(4) تحقيق : محمود نصار ، ط 1 (بيروت : نشر دار الكتب العلمية 1424هـ) .

سرد الخطيب البغدادي أحاديث كثيرة جداً ليبين المدرج فيها ، وكان من ضمن هذه الأحاديث أحاديث تتعلق بالمسائل العقدية منها :

– مسألة " الغلو في الأنبياء " .. ذكر حديث النبي ﷺ : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبد الله ، فقولوا : عبد الله ورسوله) (1) .

– مسألة " الحلف الكاذب " .. ذكر حديث النبي ﷺ : (من حلف على يمين كاذباً ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان)(2).

– مسألة " التوكل على الله حق التوكل " .. ذكر حديث النبي ﷺ : (عرضت علي الأنبياء بأتباعها ، وإذا النبي ليس معه أحد ، وقد أنبأكم الله عن قوم لوط فقال : (أليس منكم رجل رشيد) ، قال : حتى مر بي موسى بن عمران في كبكبة من بني إسرائيل ، فلما رأيتهم أعجبوني وراعوني ، قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا أخوك موسى بن عمران ، ومن تبعه من بني إسرائيل ، قلت : يا رب أين أمتي ؟ قال : انظر عن يمينك فنظرت فإذا الظراب (3) ظراب مكة قد سد من وجوه الرجال ، فقال أرضيت يا محمد ؟ قلت : رضيت . قال : انظر عن يسارك، فإذا الأفق قد سد من وجوه الرجال ، قال : أرضيت يا محمد ؟ فقلت : يا رب رضيت ، قال : ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب) ، فأنشأ رجل يقال له عكاشة بن محصن الأسدي فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : (اللهم اجعله منهم) ، ثم قام رجل آخر فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : (سبقك بها عكاشه)، ثم قال لهم النبي ﷺ : (إن استطعتم بأبي وأمي أن تكونوا من السبعين ، فإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أصحاب الظراب ، فإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أصحاب الأفق ، فإني رأيت ناساً يتهاوشونه كثيراً ، قال : إني لأرجوا أن يكون من يتبعني من أمتي ربع أهل الجنة ، فكبر القوم ، ثم قال : إني

---

(1) أخرجه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)، 11/ 262 ، ح 3189 بلفظ مقارب جداً .

(2) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الشهادات ، باب قوله تعالى : (إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمناً قليلاً) ، 171/9 ، ح 2480 بنحوه ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار ، 335/1 ، ح 197 .

(3) الظراب : الجبال الصغيرة ، واحدها ظَرِب بوزن كَتِف . وقد يجمع في القلة على أظرب . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، 3/ 156 .

لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، فكبر القوم ، ثم تلا هذه الآية : (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) ، ثم تذاكروا بينهم من هؤلاء السبعين ، فقال بعضهم : قوم ولدوا في الإسلام لم يعرفوا غيره ، وماتوا وهم عليه حتى رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ فقال : (هم الذين لا يكتوون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون) (1) .

- مسألة " عظم الشرك بالله " .. ذكر حديث النبي ﷺ عن عمرو ابن شرحبيل أبي ميسرة عن عبد الله قال سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم ؟ قال : (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) ، قلت : إن ذلك لعظيم ، ثم أي ؟ قال : (ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك)، قلت : ثم أي ؟ قال : (ثم أن تزاني بحليلة جارك) (2) .

ذكر أيضاً حديث النبي ﷺ : (من مات وهو يشرك بالله دخل النار ، من مات وهو لا يشرك بالله دخل الجنة) (3) .

ثالثاً : مؤلفات لم يذكر فيها شيئاً من مسائل العقيدة ، منها :

1/ من وافقت كنيته اسم أبيه مما لا يؤمن وقوع الخطأ فيه .

2/ التطفيل .

3/ حديث الستة من التابعين .

4/ تقييد العلم .

5/ تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم .

6/ موضح أوهم الجمع والتفريق .

7/ البخلاء .

---

(1) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، 491/1 ، ح 320 مختصرا .

(2) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (فلا تجعلوا لله أنداداً) ، 44/23 ، ح 6966 بلفظ مقارب جداً . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون الشرك أعظم الذنوب وبيان أعظمها بعده ، 238/1 ، ح 124 .

(3) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ، 458/4 ، ح 1162 ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرِك بِالله شيئا دخل الجَنَّة ومن مات مشْركًا دخل النَّار ، 251/1 ، ح 134 بنحوه .

8/ إجازة المجهول والمعدوم وتعليقها بشرط .

9/ السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد .

10/ تالي تلخيص المتشابه .

11/ غنية الملتمس إيضاح الملتبس .

12/ مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أُسند إليه .. والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه.

13/ المنتخب من كتاب الزهد والرقائق .

14/ المتفق والمفترق .

المبحث الثالث
المناظرات

تعريف المناظرات :

في اللغة : مفردها :مناظرة ، قال ابن منظور : والمُنَاَظرَةُ : أن تُناظِر أخاك في أمر إذا نَظَرْتما فيه معاً كيف تأتيانه . والتناظُر : التراوض في الأمر ، ونظيرك : الذي يُراوِضك وتُناظره ، وناظرَه من المُناظرَة [1] .

وفي الاصطلاح : المناظرة والمجادلة والمحاورة والمناقشة والمباحثة ألفاظ مترادفة إلى حد كبير، وقد توجد بعض الفروق بينها عند علماء البحث ، فيرى بعضهم أن الجدل يراد منه إلزام الخصم ومغالبته ، والمناظرة تردد الكلام بين شخصين ، ويقصد كل منهما تصحيح قوله ، وإبطال قول صاحبه ، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق ، والمحاورة هي المراجعة في الكلام ، ومنه التحاور [2].

مناظراته :

مناظرته بطرابلس مع شيعي [3] .

(1) لسان العرب ، ابن منظور ، 5 /217 – 219 .
(2) انظر: مناهج الجدل ، ص25 ، الكافية في الجدل ، ص19 ، مفتاح السعادة ، 304/1، 599/2 .
(3) الشيعة هم الذين شايعوا علياً ﷺ على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً

كانت طرابلس في حكم بني عمار المتشيعة ، ولم يثن ذلك الخطيب ،بعد الذي حدث له مع الشيعة (1) ، عن استخدام علمه في مناظراتهم بديارهم ؛ فهو شجاع يبرز إلى الميدان كلما دُعي إليه ، وها هو ذا يناظر الحسين بن بشر بن علي الأطرابلسي المعروف بالقاضي، وهو شيعي صاحب خطب ، ويقول الكراجكي (2) الشيعي : إنه حكم له على الخطيب بالتقدم في العلم ، ولو قال إنه حجة بهذه المناظرة ، لكان أقرب إلى التصديق (3) .

ففي هذه المناظرة مايثبت بأن الخطيب البغدادي – رحمه الله – كان يستخدم الحوار العقلي أحياناً في الرد على بعض المسائل العقدية .

وإما خفياً ، وقالوا : إنه الإمام بعد رسول الله ﷺ ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه ولا عن أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده ، وقالوا : ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة ، وينتصب الإمام بنصبهم ، بل هى قضية أصولية ، وهى ركن الدين لا يجوز للرسل إغفاله وإهماله ، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله ، يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر ، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا فى حال التقية ، ولهم فى تعدية الإمام كلام وخلاف كثير ، وعند كل تعدية وتوقف مقالة ومذهب وخبط ، وعمدةُ كلامهم في الإمامة والمفاضلة بين أصحاب النبي ﷺ ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم ، ومن وافق الشيعة في أن علياً ﷺ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون ، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً . ورؤوسهم خمس فرق : كيسانية ، وزيدية ، وإمامية ، وغلاة وإسماعيلية وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال ، وبعضهم إلى السنة ، وبعضهم إلى التشبيه .

انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل 89/2 ، والملل والنحل للشهرستاني 146/1 ، والتعريفات للجرجاني 171/1 .

(1) ماحدث له مع الشيعة : أنه كان من الكتب التي سمعها ، وورد بها دمشق ، فضائل الصحابة الأربعة لأحمد بن حنبل ، وفضائل العباس لابن رزقويه ، ولعل إنساناً سأله قراءتها عليه ، أو أنه اتفق له تدريسها عرضاً ، دون أن يقدر مالذلك من أثر ، فعرف تدريسه لذلك الكتابين الحسين بن علي المعروف بالمقري الدمشقي ، وكان شيعياً متعصباً ، فسعى بأبي بكر إلى أمير الجيوش وقال هو ناصبي (أي متعصب على علي بن أبي طالب) يروي فضائل الصحابة ، وفضائل العباس في الجامع ، فأمر أمير الجيوش بالقبض عليه .

انظر : تاريخ دمشق ، 349:4 .

(2) هو شيخ الإمامية وعالمهم محمد بن علي أبو الفتح الكراجكي الرافضي صاحب التصانيف ، والكراجكي هو الخيمي . مات بصور سنة 449هـ ، وله عدة مصنفات ، وكان من فحول الرافضة، بارع في فقههم وأصولهم ، نحوي لغوي منجم طبيب ، رحل إلى العراق ، ولقي الكبار كالمرتضى ، وله كتاب تلقين أولاد المؤمنين ، وكتاب الأغلاط مما يرويه الجمهور ، وكتاب موعظة العقل للنفس ، وكتاب ما جاء على عدد الاثني عشر ، وكتاب المؤمن إلى غير ذلك من هذيانات الإمامية .

انظر: سير أعلام النبلاء 121/18 ، وتاريخ الإسلام 236/30 ، وشذرات الذهب 283/3 .

(3) انظر : الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها ، يوسف العش ، د.ط (دمشق :مطبعة الترقي 1364هـ) ص 45 .

الفصل الثاني
جهود الخطيب البغدادي في تقرير العقيدة
وأصول الإيمان .. وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : الإيمان بالله تعالى .
المبحث الثاني : الإيمان بالملائكة .
المبحث الثالث : الإيمان بالكتب .
المبحث الرابع : الإيمان بالرسل .
المبحث الخامس : الإيمان باليوم الآخر .
المبحث السادس : الإيمان بالقدر خيره وشرّه
المبحث السابع : الصحابة رضي الله عنهم .
المبحث الثامن : الإمامة .
المبحث التاسع : مسائل الإيمان .

المبحث الأول
الإيمان بالله تعالى

الإيمان بالله : هو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه ، وأنه الخالق الرازق المحيي ، المميت وأنه المستحق لأن يُفرد بالعبادة والذل والخضوع وجميع أنواع العبادة ، وأن الله هو المتصف بصفات الكمال والعظمة والجلال ، المنزه عن كل عيب ونقص (1) .

والإيمان بالله تعالى قائم على التوحيد لله – عز وجل – ، الذي هو أساس الإيمان بالله ، ولقد كان للخطيب البغدادي جهود في تقرير التوحيد بأنواعه ؛ ولكن قبل أن أبدأ في عرض جهوده – رحمه الله – يحسن بي أن أعرِّف بالتوحيد وأقسامه ..

تعريف التوحيد :

في اللغة : مشتق من وحّد الشيء إذا جعله واحداً ، فهو مصدر وحّد يوحد ، أي جعله واحداً .

والتوحيد : الإيمان بالله وحده لا شريك له ، والله الواحد الأحد : ذو الوحدانية والتوحيد. وقيل : والله الأحد والمتوحد وذو الوحدانية ، ومن صفاته الواحد الأحد (2) .

وفي الشرع : تعريف التوحيد الجامع لكل أنواعه هو : " إثبات صفة الكمال له سبحانه ، وإثبات كونه فاعلاً بمشيئته ، وقدرته ، واختياره ، وأن له فعلاً حقيقة ، وأنه وحده الذي يستحق أن يُعبد ، ويخاف ، ويرجى ، ويتوكل عليه ، فهو المستحق لغاية الحب بغاية الذل"(3).

أقسام التوحيد :

ينقسم التوحيد عند أهل السنة والجماعة إلى :

1/ توحيد في المعرفة والإثبات ، وهو توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، ويسمى التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي ، لتعلقه بالأخبار والمعرفة ، ويسمى توحيداً قولياً ؛ لاشتماله على أقوال القلوب ، وهو اعترافها واعتقادها ، وعلى أقوال اللسان والثناء على الله بتوحيده ، ولهذا التوحيد ضدان : التعطيل ، والتشبيه والتمثيل .

2/ توحيد في الطلب والقصد ، وهو توحيد الألوهية والعبادة ، ويسمى التوحيد الإرادي الطلبي القصدي ، لتعلقه بالقصد والإرادة ، ويسمى توحيداً عملياً فعلياً ؛ لأنه متضمن لأفعال القلوب

(1) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، عبد العزيز محمد السلمان ، ط 6 (الرياض : رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد 1402 هـ) ص 16 .
(2) لسان العرب ، 450/3 .
(3) الصواعق المرسلة ، 933/3 .

والجوارح ، فهو توحيد بأفعال العبيد ، وأن لا يُتخذ له شريك ولا نديد ، ولهذا التوحيد ضدان : الإعراض عن محبته ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، والإشراك به في ذلك ، واتخاذ أوليائه شفعاء من دونه [1].

تعريف توحيد الربوبية : هو الإقرار بأن الله – تعالى – رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت ، النافع الضار ، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار ، الذي له الأمر كله ، وبيده الخير كله ، القادر على ما يشاء ، ليس له في ذلك شريك ، وهو توحيد الله بأفعاله [2].

من أدلة توحيد الربوبية :

قوله تعالى : (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ) [3] ، و قوله سبحانه : (قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ)[4] .

تعريف توحيد الأسماء والصفات : هو إثبات ما أثبته الله عز وجل لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات ، ونفي ما نفاه الله – عز وجل – عن نفسه ، ونفاه عنه رسوله من غير تكييف ولا تمثيل ومن تحريف ولا تعطيل [5].

من أدلة توحيد الأسماء والصفات :

قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) [6] .

عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات :

قال ابن تيمية : " ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، وغير تكييف ولا تمثيل ، يثبتون لله ما أثبته من الصفات ، وينفون عنه مماثلة المخلوقات ، يثبتون له صفات الكمال ، وينفون عنه ضروب الأمثال ،

---

(1) انظر هذا التقسيم في : اقتضاء الصراط المستقيم 2/861–862 ، مدارج السالكين 1/33و3/468 ، شرح الطحاوية 1/42–43، تيسير العزيز الحميد ص32، فتح المجيد ص32، معارج القبول 1/98 .
(2) تيسير العزيز الحميد ص33 ، القول السديد ص12 .
(3) سورة الأعراف ، الآية 54 .
(4) سورة المؤمنون ، الآية 88 .
(5) القول المفيد ، ص 12 .
(6) سورة الشورى ، الآية 11 .

ينزهونه عن النقص والتعطيل ، وعن التشبيه والتمثيل ، إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل (ليس كمثله شيء) ردّ على الممثلة ، وهو (السميع البصير) ردّ على المعطلة " [1] .

وقد خالف أهل السنة والجماعة في معتقدهم في الأسماء والصفات ، طائفتان :

1/ الممثلة : وهم الذين يثبتون صفات الله على وجه يماثل صفات المخلوقين ، فيقولون لله يد وعين كأيدينا وأعيننا ، قال ابن تيمية : " ومن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق فهو المشبه المبطل المذموم " [2] ، وأكثرهم من الرافضة [3] الغالية ، وجُهّال أهل الحديث ، وبعض المنحرفين .

2/ المعطلة : وهم الذين أنكروا ما وصف الله به نفسه ، إمّاً كليّاً أو جزئيّاً ، وهم أقسام : فمنهم : من أثبت الأسماء وبعض الصفات ونفى الباقي . ومنهم :من أثبت الأسماء دون الصفات . ومنهم : من نفى الأسماء والصفات . ومنهم : من أنكر في حق الله الإثبات والنفي، فنفوا عنه الوجود والعدم والحياة والموت ، وقالوا : لا موجود ولا معدوم ، ولا حي ولا ميت[4] .

ومن المعلوم أن القسم الأول من أقسام التوحيد وهو العلمي الخبري – الربوبية والأسماء والصفات – لا يكفي العبد في حصول الإسلام ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله : " وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية ، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم ... " ثم قال : " وذلك أن الرجل لو أقر بما يستحق الرب – تعالى – من الصفات ، ونزهه عن كل ما يُنزه عنه ، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء ، لم يكن موحداً ، بل ولا مؤمناً حتى يشهد أن لا إله إلا الله ، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة ، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له " [5] .

---

(1) منهاج السنة ، 111/2 .

(2) شرح الطحاوية ، 84/1 ، ودرء التعارض ، 32/2 – 145/4 .

(3) فرقة من أكذب فرق الضلال ، سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر ، ورفضهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما تولى الشيخين ، ولم يتبرأ منهما ، وهم مجمعون على أن النبي نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه ، وأظهر ذلك وأعلنه ، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ ، وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف، وأنها قرابة ، وأنه جائز للإمام في حال التقية أن يقول إنه ليس بإمام ، وأبطلوا جميعاً الاجتهاد في الأحكام ، وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس ، ولهم شَبه كبير وعلاقات متينة باليهود وأعداء الإسلام ، ولا زال الإسلام يؤتى من قبلهم ، ولهم شناعات بيّنها الأئمة في مصنفاتهم .
انظر : الفِصل 137/4 ، ومقالات الإسلاميين 16/1 .

(4) انظر أقوالهم و الرد عليهم في التدمرية ص12–46 ، مجموع الفتاوى 44/6 – 50.

(5) درء التعارض ، 225/1–226 .

وقال أيضاً : " وإلا فمجرد توحيد الربوبية قد كان المشركون يقرون به وذلك وحده لا ينفعهم " [1] .

تعريف توحيد الألوهية :هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وتجريد محبته ، والإخلاص له ، وخوفه ، ورجاؤه والتوكل عليه ، والرضا به ربّاً وإلهاً ووليّاً ، وأن لا يُجعل له عدلاً في شيء من الأشياء [2] .

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ، قال شيخ الإسلام : " والرسل دعوا الخلق إلى توحيد الإلهية ، وذلك متضمن لتوحيد الربوبية .

كما قال كل منهم لقومه : (اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [3] .

من أدلة توحيد الألوهية :

من القرآن : قال الله تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) [4]

من السنة : عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن ، قال : (إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا فعلوا الصلاة فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم ، فترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أمول الناس) [5] .

2/جهود الخطيب البغدادي في تقرير الإيمان بالله تعالى :

(1) درء التعارض ، 345/9 .

(2) شرح الطحاوية 24/1، تيسير العزيز الحميد ص36، القول السديد ص12، أعلام السنة المنشورة ص50 .

(3) درء التعارض 344/9 . والآية في سورة الأعراف ، الآية : 59 .

(4) سورة الأنعام ، الآية 162-163 .

(5) متفق عليه . رواه البخاري ، كتاب الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ، 289/5، ح 1389 ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، 1/ 112 ، ح 19 ، عن ابن عباس رضي الله عنه .

بعد أن بيّنت تعريف التوحيد وأقسامه ، أذكر الآن جهود الخطيب البغدادي – رحمه الله – في التوحيد بأقسامه :

أولاً : توحيد الألوهية .. ويشمل عدة مسائل ، منها :

المسألة الأولى : الإخلاص وما يضاده ..

1- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي عبد الله الروذباري يقول : من خرج إلى العلم يريد العلم لم ينفعه العلم ، ومن خرج إلى العلم يريد العمل بالعلم نفعه قليل العلم . قال وسمعت أبا عبد الله يقول : العلم موقوف على العمل به ، والعمل موقوف على الإخلاص ، والإخلاص لله يورث الفهم عن الله عز وجل [1] .

2- عندما تحدث عن النية في طلب العلم ،أفرد لها باباً كاملاً لأهميتها ، وقال : " يجب على طالب الحديث أن يخلص نيته في طلبه ، ويكون قصده بذلك وجه الله سبحانه " [2]. واستدل عليه بما أخرجه بسنده عن علقمة [3] قال : سمعت عمر بن الخطاب على المنبر يقول : قال رسول الله ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى) [4] .

التعليق :

تعريف الإخلاص : في اللغة : الإخلاص مصدر من أخلص الشيء إذا جعله خالصاً ، أي صافياً من الشوائب المخالطة [5] .

في الاصطلاح : تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين [6] . وقال ابن القيم : " قال صاحب المنازل : الإخلاص : تصفية العمل من كل شوب ، أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب

(1) تاريخ بغداد ، 337/4 .
(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، تحقيق:محمود الطحان ،81/1-82.
(3) هو علقمة بن وقاص ، بتشديد القاف ، المؤذن الليثي العتواري المدني ، أحد العلماء ، له أحاديث ليست بالكثيرة ، وهو ثقة ثبت ، قيل إنه ولد في عهد النبي ﷺ ، مات في خلافة عبد الملك .
انظر: سير أعلام النبلاء 61/4 ، وتذكرة الحفاظ 50/1 ، وتهذيب التهذيب 280/7 .
(4) تقدم تخريجه ص42 .
(5) القاموس ، ص 797 .
(6) مدارج السالكين ، 95/2 .

إرادات النفس ، إما طلب التزين في قلوب الخلق ، وإما طلب مدحهم ، والهرب من ذمهم ، أو طلب تعظيمهم ، أو طلب أموالهم ، أو خدمتهم ومحبتهم ، وقضائهم حوائجه ، أو غير ذلك من العلل والشوائب ، التي عقد متفرقاتها : هو إرادة ما سوى الله بعمله ، كائناً ما كان"[1] .

من الأدلة على الإخلاص :

من القرآن : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [2] .

من السنة : عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) [3] .

وما يضاد الإخلاص : الرياء ، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا .

تعريف الرياء : عرّفه العلماء بعدة تعريفات منها : قال ابن حجر : " الرياء مشتق من الرؤية ، والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها ، والسمعة مشتقة من سمع ، والمراد بها نحو ما في الرياء ، لكنها تتعلق بحاسة السمع ، والرياء بحاسة البصر" [4] .

وقد ورد ذم الرياء في القرآن والسنة ، ومن ذلك :

من القرآن : (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ) [5].

ومن السنة : عن جندب بن عبد الله البجلي [6] قال : قال رسول الله ﷺ : (من سمّع ، سمّع الله به ، ومن يرائي يرائي الله به) [7].

المسألة الثانية : أحب الأشياء إلى الله وفضل لا إله إلا الله ..

---

(1) مدارج السالكين ، 96/2 .
(2) سورة البينة ، الآية 5 .
(3) تقدم تخريجه ص42 .
(4) فتح الباري ، 408/11 .
(5) سورة الماعون ، الآية 4-6 .
(6) هو جندب بن عبد الله ، أبو عبد الله الأزدي ، صاحب النبي ﷺ ، قدم دمشق ، ويقال له : جندب الخير ، يقال مات سنة 70هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 175/3 ، والإصابة 250/1 .
(7) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الرياء والسمعة ، 153/20 ، ح 6018 ، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله – تحريم الرياء – ، 255/14 ، ح 5301 عن جندب رضي الله عنه .

1- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن عمر بن ذر الهمداني [1] أنه كان يقول : اللهم إنا أطعناك في أحب الأشياء إليك شهادة أن لا إله إلا أنت ، ولم نعصك في أبغض الأشياء إليك : الشرك ، فاغفر لنا ما بينهما [2] .

2- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن حبيب بن الشهيد عن الحسن ، قال : ثمن الجنة لا إله إلا الله [3] .

التعليق :

أحب الأشياء إلى الله ، التوحيد الذي هو معنى كلمة "لا إله إلا الله" ، وأبغض الأشياء إلى الله الشرك . قال ابن عباس : " أحب كلمة إلى الله – تعالى – لا إله إلا الله ، لا يقبل الله عملاً إلا بها " [4] .

وقال ابن تيمية – رحمه الله – : " وأطيب الكلام والعقائد : كلمة التوحيد ، واعتقاد أن لا إله إلا الله ، وأخبث الكلام والعقائد : كلمة الشرك ، وهو اتخاذ إله مع الله " [5] .

فضلها :

قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ...) [6]

قال ابن عباس عن الكلمة الطيبة : " هي شهادة أن لا إله إلا الله " [7] .

وهي كلمة التقوى ، كما قاله علي وغيره من الصحابة رضي الله عنهم [8] .

---

(1) هو عمر بن ذر بن عبدالله بن زرارة ، الإمام الزاهد العابد القاص ، أبو ذر الهمداني ، ثم المرهبي الكوفي ، كان ثقة بليغاً ، يرى الارجاء ، روى له البخاري والثلاثة ، مات سنة 157هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 385/6 ، وشذرات الذهب 240/1 .
(2) تاريخ بغداد ، 327/2 .
(3) المصدر السابق ، 318/4 .
(4) كلمة الإخلاص ، ابن رجب الحنبلي ، ص 49 .
(5) مجموع الفتاوى 74/4 .
(6) سورة إبراهيم ، الآية 24-25 .
(7) زاد المسير ، 358/4 .
(8) تفسير ابن كثير ، 197/4 .

وهي أفضل الذكر ، قال رسول الله ﷺ : (أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله) (1) .

وهي مفتاح دعوة الرسل ، قال ابن تيمية : " فأول دعوة الأنبياء شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله " (2) .

المسألة الثالثة : الخوف والرجاء ..

1- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي سليمان الداراني (3) يقول لأحمد بن داود: " يا بن داود ، إن الناس كلهم قد عملوا على الرجاء ، فإن استطعت أنت وحدك تعمل على الخوف فاعمل " (4) .

2- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله تعالى : (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ) (5) ، قال : مخافة إجلال (6) .

التعليق :

تعريف الخوف : قال ابن قدامة : " اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال " (7) .

من أدلة الخوف : من القرآن : قال تعالى : (فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (8).

---

(1) أخرجه الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ، 239/11 ، ح 3305 ، وابن ماجه ، كتاب الأدب ، فضل الحامدين ، 245/11 ، ح3790 ، عن جابر ﷺ ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (1526) .

(2) مجموع الفتاوى ، 23/2 .

(3) هو الإمام الكبير زاهد العصر أبو سليمان عبدالرحمن بن أحمد ، وقيل: عبدالرحمن بن عطية ، ولد في حدود سنة 140هـ ، مات سنة 215هـ .
انظر: وفيات الاعيان 131/3 ، وسير أعلام النبلاء 182/10 ، وشذرات الذهب 13/2 .

(4) تاريخ بغداد ، 309/14 .

(5) سورة النحل ، الآية 50 .

(6) تاريخ بغداد ، /331 .

(7) مختصر منهاج القاصدين ، ص 283 .

(8) سورة آل عمران ، الآية 175 .

من السنة : في الحديث القدسي : (قال الله عز وجل : وعزتي وجلالي ، لا أجمع على عبدي خوفين ، ولا أجمع له أمنين ، إن أمنني في الدنيا ، أخفته يوم القيامة ، وإن خافني في الدنيا ، أمّنته يوم القيامة) (1) .

تعريف الرجاء : انتظار محبوب تمهدت أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ، ولم يبق إلا ما ليس إلى اختياره ، وهو فضل الله – سبحانه – ، بصرف الموانع المفسدات (2) .

من أدلة الرجاء : من القرآن : قال سبحانه : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ) (3) .

ومن السنة : في الحديث قال النبي ﷺ : (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله) (4) .

أيهما أفضل الخوف أم الرجاء ..؟

قال ابن قدامة (5) : " والخوف والرجاء دواءان تُداوى بهما القلوب ، ففضلهما بحسب الداء الموجود ، فإن كان الغالب على القلب الأمن من مكر الله ؛ فالخوف أفضل ، وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية ، وإن كان الغالب عليه اليأس والقنوط فالرجاء أفضل " (6) .

المسألة الرابعة : التوسل ..

1- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن إسماعيل بن الحسين الصرصري (1) يقول استسقى أبو عمر حمزة بن القاسم بن عبد العزيز الهاشمي(2) فقال : " اللهم إن عمر بن الخطاب استسقى

---

(1) رواه ابن حبان ، كتاب الرقائق ، باب حسن الظن بالله تعالى ، 279/3 ، ح 642 ، والبيهقي في شعب الإيمان ، باب في الخوف من الله تعالى ، 2/ 290، ح 794 عن أبي هريرة ﷺ ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (742) ، (2666) .

(2) مختصر منهاج القاصدين ، ص 377 .

(3) سورة الإسراء ، الآية 57 .

(4) أخرجه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الأمر بحسن الظن بالله – تعالى – عند الموت ، 14 / 43 ، ح 5125 عن جابر ﷺ .

(5) هو موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجمّاعيلي ثم الدمشقي الصالحي ، الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد الفقيه الزاهد شيخ الإسلام ، وأحد الأعلام ، صاحب التصانيف الكثيرة الحسنة ، من أعظمها : (المغني) ، قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام : ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثله في جودته وتحقيق ما فيه، ولم تطب نفسي بالفتيا حتى صارت نسخة من المغني عندي ، ولد سنة 541هـ ، عمل الضياء المقدسي سيرته في جزأين ، مات سنة 620هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 165/22 ، وشذرات الذهب 88/5 .

(6) مختصر منهاج القاصدين ، ص 387 .

بشيبة العباس فسقي ، وهو أبي ، وأنا أستسقي به ، قال : فأخذ يحول رداءه ، فجاء المطر وهو على المنبر " [3] .

2- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن ابن عون قال كان رجاء بن حيوة [4] إذا لقي العدو يقول : " اللهم إني أسألك بحق نصر المؤمنين عليك أن تنصرنا عليهم ، ثم يقرأ :
(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) " [5].

التعليق :

تعريف التوسل : في اللغة : هو التقرب ، يقال توسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل [6].

ومعنى الوسيلة التي أمر الله بها كما قال شيخ الإسلام : " فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي : ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات " [7] ، فالتقرب إلى الله بهذه بالوسيلة الشرعية من الواجبات والمستحبات هو التوسل الشرعي[8] .

أنواعه :

التوسل ينقسم إلى قسمين ؛ مشروع وممنوع ..

---

(1) هو إسماعيل بن الحسن بن عبد الله بن الهيثم بن هشام أبو القاسم الصرصري ، روى عن جماعة، وروى عنه كثيرون ، وكان ثقة صدوقاً ، مات ببغداد سنة 403هـ ، وصلى عليه أبو حامد الإسفراييني.
انظر: تاريخ بغداد 311/6 ، والأنساب 535/3 .

(2) حمزة بن القاسم بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن على عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو عمر، ولد سنة 249هـ ، الإمام كان يتولى الصلاة بالناس في جامع المنصور ، وأول ما ولي ذلك في المحرم سنة 311هـ ، ثم تولى إمامة جامع الرصافة ، وحدث عن سعدان بن نصر ومحمد بن الخليل المخرميين ومحمد بن إسحاق الصاغاني وعباس بن محمد الدوري وحنبل بن إسحاق بن حنبل وغيرهم ، روى عنه الدارقطني وبن شاهين ومن بعدهما ، وكان ثقة ثبتا ظاهر الصلاح مشهورا بالديانة معروفاً بالخير وحسن المذهب ، توفي في سنة 335هـ .
انظر : تاريخ بغداد ، 181/8 .

(3) تاريخ بغداد ، 182/8 .

(4) هو رجاء بن حيوة بن جرول ، الإمام، القدوة الوزير العادل ، أبو نصر الكندي الأزدي ، ويقال: الفلسطيني ، الفقيه ، من جلة التابعين ، ولجده جرول بن الأحنف صحبة فيما قيل ، روى له مسلم والأربعة والبخاري تعليقاً ، كان ثقة عالماً فاضلاً كثير العلم مات سنة 112هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 557/4 ، وتهذيب التهذيب 265/3 ، وشذرات الذهب 145/1 .

(5) المصدر السابق ، 457/10 . والآية في سورة الروم ، آية : 47 .

(6) لسان العرب ، 724/11 – 725 .

(7) التوسل والوسيلة ، ص 48 .

(8) المصدر السابق ، ص 85 .

1/ التوسل المشروع : ينقسم إلى أقسام :

1) التوسل إلى الله عز وجل بأسمائه وصفاته ، قال تعالى : (وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) (1) .

2) التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة التي فعلها العبد ، ويدل على ذلك حديث أصحاب الغار الذين أووا إلى غار ، فتوسلوا إلى الله بأعمالهم .

3) التوسل إلى الله بدعاء من تُرجى إجابته ، ومن ذلك ما فعله الأعرابي حينما جاء إلى النبي ﷺ وهو يخطب يوم الجمعة ، فاستقبل النبي ﷺ فقال : هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله لنا أن يغيثنا ، فرفع يديه يدعو ، ورفع الناس أيديهم معه يدعون ، فأجاب الله دعاء نبيه ﷺ ومن معه فأغاثهم (2) .

والتوسل الممنوع : هو أن يتوسل إلى الله بما ليس بوسيلة ، أي بما لا يثبت في الشرع أنه وسيلة (3) ، وهو أنواع :

منها التوسل بالمخلوق .. وهذا كفر مخرج من الملة ، قال تعالى : (وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ..) (4) .

ومنها التوسل بالإقسام على الله بالمتوسل به .. كأن يقول : اللهم إني أقسمت عليك بفلان أن تشفي مريضه ونحو ذلك ، وهذا شرك أصغر لأنه قسم بغير الله ، وقد قال النبي ﷺ : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) (5) .

ومنها التوسل بجاه المخلوق وحرمته ونحو ذلك .. وهذا لا يجوز أيضاً .

المسألة الخامسة : التوكل ..

---

(1) سورة الأعراف ، الآية 180 .

(2) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة ، 474/3، ح881 مطولاً ، ومسلم ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء ، 432،4 ، ح 1493 بنحوه .

(3) مجموع فتاوى ابن عثيمين ، 339/2 .

(4) سورة المؤمنون ، الآية 117 .

(5) أخرجه أبو داود ، كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالآباء ، 66/9 ، ح 2829 ، والترمذي ، كتاب الأيمان والنذور عن رسول الله ﷺ ، 13/6 ، ح 1455 عن ابن عمر رضي الله عنه . وصححه الألباني في الإرواء (2561) .

1- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة – أو غير أبي هريرة الشك من أبي عبد الله – أن النبي ﷺ قال : (المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ولا تعجز ، فإن فاتك شيء فقل كذا قدر ، وكذا كان وإياك ولو فإنها مفتاح عمل الشيطان) ، **فهذا يدل على معنى التوكل بالتكسب، فإذا فاتهم الأمر بعد الكسب قالوا : كذا أراد الله ، وكذا قدر الله** [1] .

2- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي جعفر محمد بن عبد الله الفرغاني [2] يقول: " التوكل باللسان يورث الدعوى ، والتوكل بالقلب يورث المعنى " [3] .

التعليق :

تعريف التوكل : قال ابن قدامة : " التوكل عبارة عن اعتماد القلب على الموكِّل ، ولا يتوكل الإنسان على غيره إلا إذا اعتقد فيه أشياء : الشفقة ، والقوة ، و الهداية " [4] .

وقال ابن القيم [5] : " وحقيقة التوكل القيام بالأسباب ، والاعتماد بالقلب على المسبِّب ، واعتقاد أنها بيده ، فإن شاء منعها اقتضاءها ، وإن شاء جعلها مقتضية لضد أحكامها ، وإن شاء أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها وتدفعه " [6] .

أدلة التوكل :

من القرآن : قال تعالى : (وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [7] .

---

(1) تاريخ بغداد ، 223/12 .

(2) هو محمد بن عبد الله، أبو جعفر الفرغاني الصوفي ، نزل بغداد ولزم الجنيد بن محمد ، واشتهر بصحبته ، وروى عنه كلامه ، حجّ كثيراً ، وكان شيخاً صالحاً خدوماً ، ذكر أنه سمع من أصحاب أبي علي بن شاذان ، ولم يظهر له شيء ، مات بدمشق سنة 543هـ .
انظر: تاريخ بغداد 450/5 ، والأنساب 368/4 .

(3) المصدر السابق ، 451/5 .

(4) مختصر منهاج القاصدين ، ص 420 .

(5) هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرَعِي الأصل، ثم الدمشقي، الحنبلي، المشهور بشمس الدين ابن قَيِّم الجوزية ، ولد سنة 691هـ ، وعرف بجودة تصانيفه، وكثرة إفاداته، وغزارة علمه، وشعره الرائق المتميز، إمام الأئمة ، وشمس الأمة علماً وعبادة وزهداً وخلقاً وكرم نفس، من مؤلفاته: إعلام الموقعين ، وزاد المعاد وغيرها ، مات سنة 751هـ .
انظر: الوافي بالوفيات 270/2 ، والذيل على طبقات الحنابلة 447/2 ، والدرر الكامنة 21/4 .

(6) مدارج السالكين ، 522/4 .

(7) سورة المائدة ، الآية 23 .

ومن السنة : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً ، وتروح بطاناً)[1].

قال ابن القيم – في أقسام الناس في التوكل وأفضلهم في ذلك – : أولياء الله وخاصته يتوكلون عليه في الإيمان ونصرة دينه ، وإعلاء كلمته ، وجهاد أعدائه ، وفي محابه وتنفيذ أوامره ، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في استقامته في نفسه ، وحفظ حاله مع الله فارغاً عن الناس ، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في معلوم يناله منه ، من رزق أو عافية ، أو نصر على عدوه ، أو زوجة أو ولد ، ونحو ذلك ، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في حصول الإثم والفواحش ، وأفضل التوكل : التوكل في الواجب – أي واجب الحق ، وواجب الخلق ، وواجب النفس – وأوسعه وأنفعه : التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية أو في دفع مفسدة دينية ، وهو توكل الأنبياء في إقامة الدين ودفع فساد المفسدين في الأرض [2] .

المسألة السادسة : حُسن الظن بالله ..

1- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن يزِيد الرقاشي [3] عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : " لا يموتن أحدكم حتى يحسن ظنّه بالله، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة"[4].

2- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي العيناء محمد بن القاسم ، قال : قال الفضل بن سهل [5] : رأيت جملة البخل سوء الظن بالله – تعالى – ، وجملة السخاء حسن الظن بالله –

---

(1) أخرجه الترمذي ، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ ، باب في التوكل على الله – تعالى – ، 342/8 ، ح 2266 عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب التوكل واليقين ، 199/12 ، ح 4154 ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (310) .

(2) انظر : مدارج السالكين ، 118/2–119 .

(3) هو يزيد بن أبان الرقاشي البصري أبو عمرو الزاهد العابد ، يروي عن أنس بن مالك وغنيم بن قيس والحسن ، وروى عنه حماد بن سلمة ومعتمر بن سليمان وجماعة من أهل البصرة والعراقيون، وكان من خيار عباد الله من البكائين بالليل في الخلوات ، ممن غفل عن صناعة الحديث وحفظها واشتغل بالعبادة ، فلا تحل الرواية عنه إلا على سبيل التعجب ، وكان قاصا يقص بالبصرة ويبكى الناس .
انظر : المجروحين 67/1 – 3 /98 ، والميزان 4 / 418 .

(4) تاريخ بغداد ، 182/1 .

(5) هوالفضل بن سهل بن إبراهيم أبو العباس الحافظ الأعرج البغدادي أصله من خراسان ، روى عن أبي أحمد الزبيري ، ذو الرياستين وزير المأمون ، قتله بعض أعدائه في حمام بسرخس ، فانزعج المأمون وتأسف عليه ، وقتل به جماعة ، توفي سنة 202هـ .
انظر : لسان الميزان 234/3 ، العبر في خبر من غبر 63/1 .

تعالى – ، قال الله عز وجل: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) [1] ، وقال الله عز وجل: (وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) [2] .

التعليق :

أفرد الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله — في كتاب التوحيد باباً مستقلاً في هذا الموضوع ، فقال :

باب قول الله — تعالى – : (يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) [3] .

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله [4]— رحمه الله – شارح كتاب التوحيد : أراد المصنف بهذه الترجمة التنبيه على وجوب حسن الظن بالله ، لأن ذلك من واجبات التوحيد ، ولذلك ذمّ الله من أساء الظن به ؛ لأن مبنى حسن الظن على العلم برحمة الله وعزته وإحسانه وقدرته وعلمه وحسن اختياره ، وقوة المتوكل عليه ، فإذا تم العلم بذلك أثمر له حسن الظن بالله ، وقد ينشأ حسن الظن من مشاهدة بعض هذه الصفات ، وبالجملة ، فمن قام بقلبه حقائق معاني أسماء الله وصفاته قام به من حسن الظن ما يناسب كل اسم وصفة ؛ لأن كل صفة لها عبودية خاصة ، وحسن ظن خاص ، وقد جاء في الحديث القدسي ، قال الله – تعالى – : (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني) [5] ، وعن جابر ﷺ أنه سمع النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول

---

(1) سورة البقرة ، الآية 268 .

(2) تاريخ بغداد ، 385/5 . والآية في سورة سبأ ، الآية 39 .

(3) سورة آل عمران ، الآية 154 .

(4) هوالحافظ المحدث الفقيه المجتهد الثقة الشيخ سليمان بن الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولد سنة 1200 هـ ، كان آية في العلم والحفظ والذكاء ، له معرفة تامة في الحديث ورجاله وصحيحه وحسنه وضعيفه ، والفقه والتفسير والنحو ، أخذ العلم عن أبيه ، والشيخ حمد بن معمر ، والشيخ حسين بن غنام ...وغيرهم ، صنف شرح كتاب التوحيد لجده ، فمن بعده عيال عليه ؛ ولم يكمله ، والدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك ، يحفظها طلبة العلم عن ظهر قلب ، أخذ عنه العلم عدد كثير من أهل الدرعية وغيرهم ، منهم الشيخ محمد بن سلطان ، قتله إبراهيم باشا سنة، مات سنة 1233هـ ، رحمه الله رحمة واسعة .
انظر : ترجمته في مقدمة كتابه : تيسير العزيز الحميد 12–13 .

(5) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) 24/23 ، ح 6951 ، وأخرجه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى ، 13/ 189 ، ح 4849 عن أبي هريرة .

: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل) [1] ، وفي الحديث الآخر : (حسن الظن من حسن العبادة) [2] .

وقوله سبحانه في الحديث القدسي : (أنا عند ظن عبدي بي) أي : إن ظن بي خيراً حصَّل خيراً ، وإن ظن بي شراً حصَّل شراً ، ولهذا على العبد المؤمن أن يُقبل على طاعة الله، وأن لا يظن بربه إلا خيراً ، ويتأكد هذا الأمر عند الموت ، كما قال النبي ﷺ : (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن) ، فيظن بربه أنَّه سيرحمه ويغفر له ، ويدخله الجنة ، وينجيه من النار [3] .

وفي المقابل فإن سوء الظن بالله – تعالى – من الأمور التي تنافي التوحيد ، كما قال الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله – : " هناك أشياء تنافي التوحيد ، وتقتضي الردة عن الإسلام ؛ ومنها سوء الظن بالله ؛ فسوء الظن بالله خطير ؛ لأن حسن الظن بالله من واجبات التوحيد ، وسوء الظن به ينافي التوحيد .

وقد وصف الله المنافقين أنهم يظنون به غير الحق ، فقال تعالى : (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) [4] .

وأخبر عنهم في الآية الأخرى أنهم يظنون به ظن السوء، فقال : (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) " [5] .

المسألة السابعة : الرُّقية ..

– ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن عبد العزيز بن صهيب [6] قال : " دخلت أنا

---

(1) أخرجه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ، 14/ 43 ، ح 5125 ، عن جابر .

(2) انظر : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، ص 605 . والحديث : أخرجه أبو داوود ، كتاب الأدب ، باب في حسن الظن ، 13/ 176 ، ح 4341 ، وأخرجه أحمد في مسنده ، في مسند باقي المكثرين مسند أبو هريرة 18 / 455 ، ح 8912 .

(3) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي ، عبد الرزاق البدر ، ص 605 .

(4) سورة آل عمران ، الآية 154 .

(5) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، ص 82 . والآية في سورة الفتح ، الآية 6 .

(6) هو عبد العزيز بن صهيب البناني البصري الأعمى الحافظ ، وثقه أحمد بن حنبل وغيره ، وما هو بالمكثر ، روى له الجماعة ، مات سنة 130هـ .

وثابت على الحسن فقال يا أبا حمزة اشتكيت ، فقال أنس : ألا أرقيك رقية رسول الله ﷺ ؟ فقال : بلى ! فقال : اللهم رب الناس ، مذهب البأس ، أنت الشافي لا شافي إلا أنت ، أشف شفاء لا يغادر سقماً " (1) .

التعليق :

تعريف الرُّقية : "الرقية : العُوذَة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات " (2) . " وهي ما يقرأ على المريض من الدعاء لطلب الشفاء " (3) .

حكم الرُّقية :

قال ابن حجر : " أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : أن يكون بكلام الله تعالى وأسمائه وصفاته ، وباللسان العربي ، أو بما يُعرف معناه من غيره ، وأن
يُعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله – تعالى – " (4) .

من أدلة جواز الرُّقية :

ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منَّا إنسان ، مسحه بيمينه ثم قال : أذهب البأس رب الناس ، وأشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً) (5) .

المسألة الثامنة : التصوير ..

– ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن سعيد بن أبي الحسن – أخي الحسن – عن عبد الله بن العباس – وجاءه رجل فقال : إني أصور أعمل التصاوير ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

انظر : سير أعلام النبلاء 103/6 ، وتهذيب التهذيب 341/6 .

(1) تاريخ بغداد ، 257/4 .

(2) النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير ، 254/2 .

(3) عون المعبود ،10/ 264 .

(4) فتح الباري ، 10 /240 .

(5) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب المرضى ، بَاب دُعَاءِ الْعَائِدِ لِلْمَرِيضِ وَقَالَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ سَعْدٍ عن أَبِيهَا اللهم اشف سعداً قاله النبي ﷺ ، 5 /2147 ، ح 5243 بلفظ مقارب ، وَ باب رقية النبي ﷺ ، 2168/5 ، ح 5302 بلفظ مقارب ، وَ باب مسح الراقي الوجع بيده اليمنى ، 2170/5 ، ح 5309 بنحوه ، وأخرجه مسلم ، كتاب السلام ، باب استحباب رقية المريض ، 1722/4 ، ح 4061 بنحوه .

(إن الله يعذب المصورين بما صوروا) ، فولَّى الرجل وقال : إن لي عيالاً قال : فصور ولا تصور شيئاً فيه الروح [1] .

التعليق :

تعريف التصوير :

في اللغة : الصورة : التمثال ، وجمعها (صور) مثل غرفة وغرف ، و (تَصوَّرت) الشيء مثلت (صورته) ، وشكله في الذهن (فَتَصَوَّر) هو [2] .

من أدلة تحريم التصوير :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله – تعالى - : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا حبة ، وليخلقوا ذرة) [3] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

(من صوّر صورة في الدنيا كُلِّف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة ، وليس بنافخ) [4] .

المسألة التاسعة : الكهانة ..

1- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن هبيرة بن مريم عن عبد الله قال : " من أتى ساحراً ، أو كاهناً ، أو عرافاً ، فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ " [5] .

---

(1) تاريخ بغداد ، 224/4 . والحديث أخرجه النسائي في الكبرى ، 503/5 ، ح 9785 ، وابن حبان ، كتاب الحظر والإباحة ، 226/24 ، ح 5942 ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (1899) .

(2) المصباح المنير ، لأحمد الفيومي ، ص 350 . وعرَّفه الشيخ صالح الفوزان : " نقل شكل الشيء وهيئته بواسطة الرسم ، أو الالتقاط بالآلة ، أو النحت ، وإثبات هذا الشكل على لوحة أو ورقة أو تمثال " انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص40 .

(3) متفق عليه . رواه البخاري ، كتاب اللباس ، باب نقض الصور ، 330/18 ، ح 5497 ، ومسلم، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ، 27/11 ، ح 3947 عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(4) متفق عليه . رواه البخاري ، كتاب اللباس ، باب من صور صورة كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ، 346/18 ، ح 5506 ، ومسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ، 11/ 26 ، ح 3946 ، عن ابن عباس رضي الله عنه .

(5) تاريخ بغداد ، 60/8 .

2- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : " إن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء فيستمعون الكلمة من الوحي فيهبطون بها إلى الأرض، فيزيدون معها تسعاً ، فيجد أهل الأرض تلك الكلمة حقاً والتسع باطلاً ، فلا يزالون كذلك ، حتى بعث الله محمداً ﷺ ، فمنعوا تلك المقاعد ، فذكروا ذلك لإبليس فقال : لقد حدث في الأرض حدث ، فبعثهم فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ القرآن ، فقالوا : هذا والله الحدث ، وذكر بقية الحديث [1] .

التعليق :

تعريف الكهانة : " بكسر الكاف – هي الإخبار بالغيب من غير طريق شرعي ، وكان كثيراً في الجاهلية ، لا سيما قبل البعثة ، وكان منهم من يزعم أن له رائياً من الجن يلقي إليه الأخبار، ومنهم من يدعي أنه يستدرك ذلك بفهم أُعطيه " [2] .

والكاهن هو : " الذي يخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضها ، ويخطئ أكثرها ، ويزعم أن الجن تخبره بذلك " [3] .

والأصل في الكهانة : استراق الجن السمع من كلام الملائكة ، فتلقيه في أذن الكاهن [4] . كما في صحيحي البخاري ومسلم من حديث عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، إن الكهان كانوا يحدثوننا بالشيء فنجده حقاً ، قال : (تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه ، ويزيد فيها مائة كذبة) [5] .

من أدلة تحريم الكهانة :

من القرآن : (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) [6] .

---

(1) تاريخ بغداد ، 32/14 .
(2) شرح العقيدة الطحاوية ، للإمام أبو العز الحنفي ، ص 762 .
(3) الزواجر عن اقتراف الكبائر ، للهيثمي 2/ 109 ، وانظر غذاء الألباب 1 /249 .
(4) انظر : تيسير العزيز الحميد ص 409 .
(5) متفق عليه . رواه البخاري ، كتاب الطب ، باب الكهانة ، 51/18 ، ح 5320 ، ومسلم ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ، 270/11 ، ح 4134 ، عن عائشة رضي الله عنها.
(6) سورة النمل ، الآية 65 .

من السنة : عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال : (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) (1) .

المسألة العاشرة : الالتزام بالألفاظ الشرعية ..

1- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي سعيد ، عن الحسن ، قال قدم ابن أبي طالب – يعني عقيلاً – البصرة ، فتزوج امرأة فقالوا : " بالرفأ والبنين ، فقال : لا تقولوا ذلك فإن النبي ﷺ نهانا عن ذلك ، وأمرنا أن نقول : بارك الله لك ، وبارك عليك " (2) .

2- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن قيس بن عباد (3) قال : "كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الجنائز ، وعند القتال ، وعند الذكر " (4) .

3- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ :
(أخنع اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى بملك الأملاك) قال : عبد الله سمعت أبي يقول : سألتُ أبا عمرو الشيباني عن (أخنع) فقال : أوضع . (5) .

التعليق :

الالتزام بالألفاظ الشرعية والتعبير بها عن الحق هو سبيل أهل السنة والجماعة ، قال ابن أبي العز الحنفي : " والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة" (6) .

وللالتزام بالألفاظ الشرعية عند أهل السنة ؛ الذي هو التزام بالشرع ، أمثلة كثيرة منها :

---

(1) رواه مسلم ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ، 273/11 ، ح 4137 عن بعض أزواج النبي ﷺ .
(2) تاريخ بغداد ،42/11 .
(3) هو قيس بن عُبَاد –بضم المهملة وتخفيف الموحدة– الضُّبَعي –بضم المعجمة وفتح الموحدة– أبو عبد الله البصري ، ثقة من الثانية ، مخضرم ، مات بعد الثمانين ، ووهم من عدَّه في الصحابة ، روى له الجماعة إلا الترمذي .
انظر: تقريب التهذيب 34/2 ، وتهذيب التهذيب 357/8 .
(4) المصدر السابق ، 91/8 .
(5) المصدر السابق ، 330/6 .
(6) شرح الطحاوية ، أبي العز الحنفي ،1/ 70 .

– التزامهم بالألفاظ الشرعية في باب الأسماء والصفات ، فلا يثبتون إلا ما أثبته الشرع ، ولا ينفون إلا ما نفاه .

– ومن ذلك التزامهم بالألفاظ الشرعية في توحيد الألوهية ، مثل : البعد عن الألفاظ الشركية كما في الحديث : (أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت ، فقال : أجعلتني لله ندّاً ، بل ما شاء الله وحده) [1] ، وغير ذلك [2] .

المسألة الحادية عشرة : مخالفة المشركين ..

1– ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن الأصبغ بن زيد ، قال : قال علي بن أبي طالب: " لا تدخلوا عليهم كنائسهم في أيام أعيادهم ، فإن السخطة تنزل عليهم فتصيبكم معهم " [3] .

2– ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن عامر الشعبي عن ابن عباس في قول الله تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً) [4] ، قال : أعياد المشركين ، يعني لا يشهدون الشعّانين وغير ذلك [5] .

التعليق :

مخالفة المشركين من أصول الإيمان ؛ وضمن عقيدة الولاء والبراء ؛ الولاء للمؤمنين ، والبراء من المشركين .. ومن أدلة ذلك :

من القرآن : قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [6] ، قال ابن كثير : " نهى الله عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم

(1) أخرجه أحمد في مسند بني هاشم ، في بداية مسند عبد الله بن عباس ، 274/4 ، ح 1742 ، عن ابن عباس رضي الله عنه . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (139) .
(2) انظر كتاب التوحيد ، باب التسمي بقاضي القضاة ، ص377 ، وباب لا يقول عبدي وأمتي وغير ذلك ، ص406 .
(3) تاريخ بغداد ، 25/7 .
(4) سورة الفرقان ، الآية 72 .
(5) تاريخ بغداد ، 13/12 .
(6) سورة البقرة ، الآية 104 .

وفعالهم ، وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لِمَا يقصدونه من التنقيص ، عليهم لعائن الله ،فإذا أرادوا أن يقولوا : اسمع لنا ، قالوا راعنا يورون بالرعونة " (1) .

وقد جاءت السنة مؤكدة لهذا المعنى أيضاً ، قال شيخ الإسلام : " ولِمَا دلّ عليه الكتاب – أي من مخالفة المشركين – جاءت سنة رسول الله ﷺ وسنة خلفائه الراشدين ، التي أجمع الفقهاء عليها بمخالفتهم ، وترك التشبه بهم " (2) ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) (3) ، قال شيخ الإسلام : " أمر بمخالفتهم ، وذلك يقتضي أن يكون جنس مخالفتهم أمراً مقصوداً للشارع " (4) .

والأمور التي جاءت السنة بمخالفة المشركين فيها كثيرة ، قال الذهبي : " ففرض – أي رسول الله – مخالفة ما اختصوا به في صور كثيرة " (5) ، ومن ذلك :

1) إحفاء الشوارب وتوفير اللحى ، قال رسول الله ﷺ : (خالفوا المشركين : احفوا الشوارب وأوفوا اللحى) (6) .

2) ترك الصلاة في النعال ، قال رسول الله ﷺ : (خالفوا اليهود ، فإنهم لا يصلون في نعالهم، ولا خفافهم) (7) .

3) تعجيل الفطر ، قال رسول الله ﷺ : (لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر ، لأن اليهود والنصارى يؤخرون) (8).

---

(1) تفسير ابن كثير ، 1 /141 .
(2) اقتضاء الصراط المستقيم ، 165/1 .
(3) متفق عليه . رواه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، 11/ 278 ، ح 3203، ومسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب في مخالفة اليهود في الصبغ ، 5/11 ، ح 3926 عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(4) اقتضاء الصراط المستقيم ، 165/1 .
(5) تشبيه الخسيس ، ص 24 .
(6) متفق عليه . رواه البخاري ، كتاب اللباس ، باب تقليم الأظفار ، 249/18 ، ح 5442 ، ومسلم ، كتاب الطهارة ، باب خصال الفطرة ، 72/2 ، ح 382 عن ابن عمر رضي الله عنهما .
(7) أخرجه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في النعل ، 289/2 ، ح 556 عن شداد بن أوس رضي الله عنه، وصححه الألباني في أصل الصفة 109/1 .
(8) للاستزادة انظر : اقتضاء الصرط المستقيم 345/1 وما بعدها ، وتشبيه الخسيس ص 24 وما بعدها، والحديث أخرجه أبو داود ، كتاب الصوم ، باب ما يستحب من تعجيل الفطر ، 302/6 ، ح 2006 بلفظه

ثانياً : توحيد الأسماء والصفات .. ويشمل مسألتين :

المسألة الأولى : الأسماء .. وفيها :

1/ أسماء الله وعدّها ..

– ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (لله تعالى تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة وساق الأسماء إلى آخرها ..) [(1)] .

التعليق :

قال ابن القيم – رحمه الله – : "كل اسم من أسمائه عزوجل له تعبد مختص به علماً ومعرفة وحالاً .

علماً ومعرفة : أي إن من عَلِم أن الله مسمى بهذا الاسم وعرف مايتضمنه من الصفة ثم اعتقد ذلك فهي عبادة .

وحالاً : أي إن لكل اسم من أسماءالله مدلولاً خاصاً وتأثيراً معينة في القلب والسلوك ، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك ، تجاوب مع هذه المعاني، وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه " [(2)] .

ومما ورد ذكره بالأثر السابق قوله ﷺ : (من أحصاها) ، ومراتب إحصاء أسماءالله الحسنى التي جاء الحديث بأن من أحصاها دخل الجنة ثلاث :

الأولى : إحصاءألفاظها وعدِّها .

الثانية : فهممعانيها ومدلولها .

الثالثة :دعاؤه بها ، كما قال تعالى : (وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) [(3)] .

، والنسائي في السنن الكبرى ، باب في الترغيب في تعجيل الفطر ، 253/2 ، ح 3313 بلفظه ، والحاكم في المستدرك ، كتاب الصوم ، 596/1 ، ح 1523 بلفظه ، وابن حبان ، كتاب الصوم، باب الإفطار وتعجيله ، 3/15 ، ح 3572 بلفظه ، وابن خزيمة ، كتاب الصيام ، جماع أبواب وقت الإفطار ، وما يستحب أن يفطر عليه ، 382/7 ، ح 3005 بلفظه . وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ، كتاب الصوم ، باب في مسائل من كتاب الصوم ، 1/ 451 ، ح 1995 .

(1) تاريخ بغداد ، 370/10 .

(2) مدارج السالكين ، 420/1 .

(3) سورة الأعراف ، الآية 180 . مباحث في العقيدة ، لعبدالله الطيار ، 1/ 103 .

فالأسماءالحسنى لا تحد بعدد ولاتدخل تحت حصر فللة أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل ،كما جاء في الحديث : (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فب كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك) (1) .

قال شيخ الاسلام بن تيمية – رحمه الله – : " جمهور العلماء وسلف الأمة وأئمتها متفقون على أن أسماء الله عزوجل غير محصورة في تسعة وتسعين اسماً ، ثم قال : وهو الصواب من ثلاثةوجوه :

أحدها : أن التسعة والتسعين إسماً لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبى ﷺ .

ثانيها : ثبت في الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : (إن الله وتر يحب الوتر) (2) وليس هذا الإسم في هذه التسعة والتسعين ، وثبت فى الصحيح عنه أنه قال :(إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا) (3) وليس هذا فيها .

ثالثها : ما إحتج به الخطابى وغيره وهو حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال : (ما أصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال اللهم أنى عبدك وإبن عبدك وإبن أمتك ناصيتى بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل إسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو إستاثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى وشفاء صدرى وجلاء حزنى وذهاب غمى وهمى ، إلا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحا ، قالوا يارسول الله أفلا نتعلمهن ؟ قال :بلى ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن) رواه الإمام احمد في المسند وأبو حاتم إبن حبان في صحيحه .

قال الخطابى وغيره فهذا يدل على أن له اسماء إستاثر بها وذلك يدل على أن قوله : (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) إن في أسمائه تسعة وتسعين من أحصاها دخل الجنة كما يقول القائل أنا لى ألف درهم أعددتها للصدقة وإن كان ماله أكثر من ذلك ، والله في

---

(1) أخرجه أحمد ، 391/1 ، وصححه الألباني – السلسلة الصحيحة ، 336/1 ح 199 .
(2) أخرجه مسلم باب في أسماء الله وفضل من أحصاها ، 2062/4 ح 2677 .
(3) أخرجه مسلم مع الشرح للنووي باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ، 7 /100 ح 1015 .

القرآن قال : (وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) (1) . فأمر أن يدعى بأسمائه الحسنى مطلقا ، ولم يقل ليست أسماؤه الحسنى إلا تسعة وتسعين إسما ، والحديث قد سلم معناه .. والله أعلم " (2) .

2/ اسم المؤمن ..

ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن جابر بن زيد قال عن ابن عباس – يعني عكرمة – في رجل ذبح ونسي أن يسمي ، قال : " المؤمن اسم من أسماء المؤمن عز وجل " (3).

التعليق :

المؤمن مأخوذ : إمّا من الإيمان أي التصديق ، فهو الذي يصدق عباده وعده ، أو من الأمان ، والأمن ضد الخوف ، فيُؤمّنهم في القيامة من عذابه (4) .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي (5) : " المؤمن : الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال ، وبكمال الجلال والجمال ، الذي أرسل رسله ، وأنزل كتبه بالآيات والبراهين ، وصدّق رسله بكل آية وبرهان ، يدل على صدقهم وصحة ما جاءوا به " (6).

وقد ورد هذا الاسم في كتاب الله ، في قوله عز وجل : (السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ) (7) ، وفي السنة : في حديث أبي هريرة الطويل عند الترمذي في عدّ أسماء الله الحسنى (8).

2/ اسم الحنَّان ، واسم المنّانَ :

1- قال الخطيب : حدثنا عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن السود بن سفيان بن يزيد بن أكينة (1) بن عبد الله التميمي – من لفظه – قال سمعت أبي

---

(1) سورة الأعراف ، الآية 180 . مباحث في العقيدة ، لعبدالله الطيار ، 1/ 103 .
(2) مجموع الفتاوى ، 482/22 – 486 باختصار .
(3) تاريخ بغداد ، 175/11 .
(4) النهاية في غريب الحديث ، 69/1 ، شرح أسماء الله الحسنى للرازي ، ص 198 .
(5) هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، النجدي ، مفسر محدث فقيه أصولي متكلم واعظ ، ولد في عنيزة القصيم بنجد سنة 1307هـ ، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها ، وحفظ القرآن ، وطلب العلم على علماء نجد، ثم درس ووعظ وأفتى وخطب ، له نحو 30 كتاباً ، منها : تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن ، والأدلة القواطع ، والبراهين في إبطال أصول الملحدين ، توفي سنة 1376هـ .
انظر: الأعلام للزركلي 340/3 ، ومعجم المؤلفين 396/13 ، ومشاهير علماء نجد ص392 .
(6) تيسير الكريم ، 624/5 .
(7) سورة الحشر ، الآية 23 .
(8) أخرجه الترمذي ، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد ، 412/11، ح 3429 عن أبي هريرة ﷺ . وضعفه الألباني في تخريج المشكاة (2288) .

يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت علي بن أبي طالب وقد سُئل عن الحنّان والمنّان فقال : الحنّان الذي يقبل على من أعرض عنه ، والمنّان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال (2) .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبان بن أبي عياش (3) عن أنس بن مالك : أن أبا عياش الزرقي قال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام يا حيياقيوم إني أسألك – فقال النبي : (لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى!) (4) .

التعليق :

معنى الحنّان : " الحنّان الرحيم ؛ من الحنان وهو الرحمة ، وحناناً من لدنا ، أي رحمة من لدنا"(5) . وقال ابن الأثير : " في أسماء الله – تعالى – الحنّان هو بتشديد النون : الرحيم بعباده، فعّال من الرحمة للمبالغة " (6) . وقيل : " الحنّان : من أسماء الله – عز وجل – ، قال ابن الأعرابي :

---

(1) هو أكينة جد رزق الله ابن عبد الوهاب التميمي قال ابن ماكولا: قال لي رزق الله إن لجده أكينة صحبة ، وحدث ابن ماكولا أيضاً عن رزق الله أن جده عبد الله قدم على النبي ﷺ وكان اسمه عبد اللات، فسماه عبد الله ، وهو رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن الأسود بن سفيان بن يزيد بن أكينة بن عبد الله التميمي.

وقد أخرج الخطيب عن عبد الوهاب والد رزق الله عن آبائه حديثاً ينتهي إلى أكينة المذكور ، قال : سمعت علي بن أبي طالب فذكر أثراً ولم يقع يزيد في النسب الذي ساقه الخطيب ، وكذلك أورده ابن الصلاح في علوم الحديث ، ونص الخطيب على أنهم تسعة آباء ، ولا يصح ذلك إلا بإثبات يزيد ، وقد ساق ابن ماكولا نسب أكينة فقال: ابن يزيد بن الهيثم بن عبد الله بن الحارث بن كلدة بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم. قال الذهبي: أكثر آبائه لا ذكر لهم في تاريخ ولا في أسماء الرجال .

انظر: الإصابة 109/1 ، ولسان الميزان 27/4 .

(2) أخرجه الهيثمي في زوائد مسند الحارث ، 960/2 ، وابن حبان في صحيحه ، 3/ 175 من أبي أسامة ، والحاكم في المستدرك ، 63/1 ، تاريخ بغداد ، 32/11 .

(3) هوأبان بن أبي عياش البصري الزاهد أبو إسماعيل بن فيروز ، واسمه فيروز ويقال دينار مولى عبدالقيس العبدي أبو إسماعيل البصري روى عن إبراهيم بن يزيد النخعي وأنس بن مالك والحسن البصري وخليد بن عبد الله العصري د والربيع بن لوط ورفيع أبي العالية الرياحي وسعيد بن جبير وشهر بن حوشب وعطاء بن أبي رباح ، قال عنه ابن حجر في التقريب : متروك من الخامسة ، مات في حدود الأربعين .

انظر: تاريخ الإسلام ج9/ ص55 ، تهذيب الكمال ج 2 / ص19 ، و تقريب التهذيب ج1/ص87 .

(4) الأسماء المبهمة في الأنباءالمحكمة ، للخطيب البغدادي ، ص 347 .

(5) لسان العرب ، لامنظور ، 366/3 .

(6) النهاية في غريب الحديث ، 453/1 .

الحنّان بتشديد النون ، بمعنى الرحيم " [1] . قال تعالى : (وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا) [2] ، معنى الحنان في هذه الآية : الحنان : بالتخفيف : مصدر من حنَّ عليه يحنُّ حناناً [3] .

قال السعدي : " وحناناً من لدنا أي رحمة ورأفة ، تيسرت بها أموره ، وصلحت بها أحواله ، واستقامت أفعاله " [4] .

وقد اختلف في الحنّان هل هو من أسماء الله أو لا ..؟

– منهم من قال إنه ليس من أسماء الله ، قال القرطبي [5] : " وقال القاضي أبو بكر بن العربي: والمختار أن الله تعالى لا يوصف به لأنه لا يصح مورده ، ولو صح مورده لكان بمعنى الرأفة قلت – القرطبي – : قد اجتلبنا فيه من الأخبار ما صح به مورده ، وثبت معناه ، وذكره جماعة من العلماء " [6] ، وقال أيضاً : " قال ابن العربي : وهذا الاسم لم يرد به قرآن ولا حديث صحيح ، وإنما جاء من طريق لا يعوّل عليه ، غير أن جماعة من الناس قبلوه وتأولوه ، وكثر إيراده في كتب التأويل والوعظ . قلت – القرطبي – ذكره كاف في دخوله في جملة الأسماء ، وذلك يدل على صحة الحديث فيه معنى " [7] .

وممن كره الدعاء بنحو : (يا حنّان) الإمام مالك ؛ لأنه ليس من أسماء الله [8] .

(1) لسان العرب ، لابن منظور ، 366/3 .
(2) سورة مريم ، الآية 13 .
(3) لسان العرب ، 367/3 .
(4) تيسير الكريم ، 95/5 .
(5) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح – بسكون الراء والحاء الغفل – ، الإمام العلامة أبو عبدالله الأنصاري الخزرجي القرطبي ، إمام متفنن متبحر في العلم ، من عباد الله الصالحين ، والعلماء العارفين، الورعين الزاهدين في الدنيا ، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة ، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف ، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله ، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان ؛ وله كتاب الأسنى في الأسماء الحسنى ، وكتاب التذكرة ، وأشياء تدل على إمامته وذكائه وكثرة اطلاعه ، وكان من أهل العلم بالحديث والاعتناء التام بروايته، مات سنة 671هـ .
انظر: السفر الخامس من كتاب الذيل للمراكشي 585/2 ، الديباج المذهب لابن فرحون 317/1 ، ونفح الطيب للمقري 210/2 .
(6) الأسنى ، للقرطبي ، 270/1 .
(7) المصدر السابق ، 265/1 .
(8) مجموع الفتاوى ، 224/1 وَ285/10 ، ومعجم المناهي اللفظية ، ص575 .

– ومنهم من قال إنه من أسماء الله ؛ بناءً على وروده في بعض الروايات ، منها : ما أخرجه أحمد في مسنده عن أنس [1] ، قال : (كنت جالساً مع رسول الله ﷺ في الحلقة ورجل قائم يصلي ، فلما ركع وسجد وتشهد ثم دعا فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت ، الحنّان ، بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم ، إني أسألك ، فقال رسول الله ﷺ أتدرون بما دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى) [2] .

ومنها : ما رواه أحمد و البيهقي من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : (إن رجلاً في النار ينادي ألف سنة : يا حنان يا منان ...إلخ) [3] .

والأصل أن أسماء الله توقيفية ، فما لم يوجد عليه دليل لا يُسمّى الله به ، قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – [4] : " وقد رأيت كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية أنكر فيه أن يكون الحنّان من أسماء الله تعالى " [5] .

---

(1) هو أنس بن مالك بن النضر، الإمام المفتي المقرئ المحدث راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء، وتلميذه ، وآخر أصحابه موتاً، روى عن النبي ﷺ علماً جماً ودعا له. مات سنة 93هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 395/3 ، وشذرات الذهب 100/1 .

(2) أخرجه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء ، 291/4 ، ح 1277 ، والنسائي في الكبرى ، 441/3 ، ح 1300 ، وابن ماجه ، كتاب الدعاء ، باب اسم الله الأعظم ، 317/11 ، ح 3848 عن أنس رضي الله عنه ، وأحمد ، في باقي مسند المكثرين ، في مسند أنس بن مالك رضي الله عنه ، 196/25 ، ح 12150 . وصححه الألباني في أصل الصفة 1017/3 .

(3) أخرجه أحمد ، في باقي مسند المكثرين ، في مسند أنس بن مالك رضي الله عنه ، 478/26 ، ح 12931 ، والبيهقي في شعب الإيمان ، كتاب في القصاص من المظالم ، باب مامن عبد قال : لا إله إلا الله ، 383/1 ، ح 353 ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ، 246/9 ، ح 4100 . وهو ضعيف لحال هلال بن أبي هلال ، قال ابن حجر : ضعيف .
التقريب ص 576 ، رقم 7349 .

(4) هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد العثيمين الوهيبي التميمي ، ولد في مدينة عنيزة في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام 1347هـ ، له مؤلفات كثيرة تبلغ 40 ما بين كتاب ورسالة ، توفي سنة 1420هـ .
انظر: المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثمين ص7 ، و 14 عاماً مع سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ص9–22 .

(5) الجواب المختار لهداية المحتار ، ص9 .

المنّـان : مـن المـن الـذي هـو العطـاء دون طلـب عـوض ، وهـو إحسـان المحسـن غـير مُعتَـدّ بالإحسان[1] ، قال تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ) [2] ، أي : أنعم عليهم وتفضل؛ إذ المنّان هو المنعم المتفضل [3] ، قال ابن الأثير : " في أسماء الله تعالى المنان : هو المنعم المعطي ، من المنّ : العطاء ، وكثيراً ما يرد المنُّ في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه ، ولا يطلب الجزاء عليه ، فالمنان من أبنية المبالغة ، كالسّفاك والوهّاب " [4] .

" والمنان هو العظيم المواهب ، فإنه أعطى الحياة والعقل والنطق وصور فأحسن الصور ، وأجزل وأنعم ، وأسنى النعم ، وأكثر العطايا والمنح " [5] ، والمنّان هو المعطي ابتداء ، ولله المنة على عباده ، ولا منة لأحد منهم عليه " [6] . قال قوّام السنة الأصبهاني [7] : " المنّان : الكثير العطاء ، والمنُّ العطاء ، ومنه قوله تعالى : (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [8] .

و المنّان : اسم من أسماء الله الحسنى التي ثبتت له ؛ في سنة المصطفى ﷺ ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (كنت جالساً مع النبي ﷺ في المسجد ورجل يصلي ، فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنّان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم، اسألك فقال النبي ﷺ هل تدرون بما دعا ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ؛ فقال : دعاالله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى) [9] .

المسألة الثانية : الصفات .. وفيها :

---

(1) لسان العرب ، 13/ 197 ، والأسنى للقرطبي ، 259/1 .
(2) سورة آل عمران ، الآية 164 .
(3) انظر زاد المسير ، 1/ 494 ، والأسماء والصفات ، للبيهقي ص 86 ، والأسنى للقرطبي 260/1.
(4) النهاية في غريب الحديث ، 365/4 باختصار .
(5) الأسماء والصفات ، ص 86 ، والأسنى للقرطبي ، 260/1 .
(6) انظر لسان العرب 13/ 197-198.
(7) هو أبو القاسم ، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر القرشي التيمي ، ثم الطلحي الأصبهاني ، الإمام العلامة الحافظ ، شيخ الإسلام ، الملقب بقوام السنة ، مصنف كتاب الترغيب والترهيب وله تفسير الجامع وغيره ، مولده في سنة 457هـ ، أملى وصنف ، وجرح وعدل ، وكان من أئمة العربية ، مات سنة 535هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 80/20 ، وشذرات الذهب 105/4 .
(8) الحجة ، ص 164.والآية في سورة ص ، الآية : 39 .
(9) تقدم تخريجه ص 146 .

1/ صفة العلو :

- ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن مصعب العابد ، يقول : "من زعم أنك لا تُكلم ولا ترى في الآخرة ، فهو كافر بوجهك ولا يعرفك ، أشهد أنك فوق العرش ، فوق سبع سموات ليس كما يقول أعداؤك الزنادقة " [1].

التعليق :

قال ابن القيم : " والله – تعالى – له العلو المطلق من جميع الوجوه : على القدر ، وعلو القهر، وعلو الذات " [2] ، والأدلة في ذلك كثيرة ومتنوعة ، فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره ، وسنة رسول الله ﷺ من أولها إلى آخرها ، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ، ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو نص وإما ظاهر ، في أن الله – سبحانه وتعالى – هو العلي الأعلى ، وهو فوق كل شيء ، وهو على كل شيء ، وأنه فوق العرش ، وأنه فوق السماء ، – ثم قال – : وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا بالكلفة ، – ثم قال – : ثم عن السلف من ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو ألوفاً [3] .

وقد ذكر ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية الأدلة من الكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة ومن بعدهم ، في إثبات العلو لله – تعالى – ، **فمن أدلة القرآن** : قال الله تعالى : (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ) [4] ، وقال تعالى : (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) [5] .

ومن أدلة السنة : حديث معاوية بن الحكم السلمي [6] وفيه : (أن النبي ﷺ قال للجارية أين الله ؟ قالت : في السماء ، قال : ومن أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال: اعتقها فإنها مؤمنة) [1] .

---

(1) تاريخ بغداد ، 280/3 .

(2) مدارج السالكين ، 40/1 .

(3) انظر : مجموع الفتاوى 12/5-15 .

(4) سورة الأنعام ، الآية 18 .

(5) سورة الأعلى ، الآية 1 .

(6) هو الصحابي معاوية بن الحكم السلمي، قدم المدينة وروى عن النبي حديثاً طويلاً، وفرقه بعضهم وجعله أحاديث، روى له مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، والبخاري في جزء القراءة، لم يذكروا سنة وفاته .
انظر: تقريب التهذيب 195/2 ، وتهذيب التهذيب 185/10 .

وأما الإجماع : فقال الأوزاعي [2] : "كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات " [3].

2/ صفة الاستواء على العرش ..

1-ما أخرجه الخطيب بسنده عن داود بن علي [4] قال : كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال : يا أبا عبد الله ما معنى قول الله – تعالى – : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [5] ؟ قال: هو على عرشه كما أخبر ، قال الرجل : ليس هو كذلك يا أبا عبد الله ، إنما معنى قوله استوى (استولى) ، فقال ابن الأعرابي : اسكت ما يدريك ما هذا ؟ العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد ، فأيهما غلب قيل استولى عليه ، والله لا مضاد له، وهو على عرشه كما أخبر، والاستيلاء بعد المغالبة ، قال النابغة [6] :

إلا لمثلك أو من أنت سابقه ... سبق الجواد إذا استولى على الأمد [7]

2-ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن أحمد بن النضر [1] – وهو ابن بنت معاوية بن عمرو – قال : كان أبو عبد الله بن الأعرابي جارنا ، وكان ليله أحسن ليل ، وذكر لنا أن ابن أبي داود سأله : أتعرف في اللغة استوى بمعنى استولى ؟ فقال : لا أعرفه [2].

---

(1) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ، باب تحريم الكلام فى الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ، 3،140 ، ح 836 عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه .

(2) هو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي، ولد سنة 88هـ ، وكان خيراً فاضلاً مأموناً كثير العلم والحديث والفقه، حجة، جمع العبادة والعلم والقول بالحق، كان يسكن بمحلة الأوزاع ، وهي العقيبة الصغيرة بدمشق ، ثم تحول إلى بيروت مرابطاً بها إلى أن مات سنة 157هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 107/7 ، وشذرات الذهب 241/1 .

(3) درء التعارض ، 6/ 260 ، ومختصر العلو ، ص187 .

(4) هو داود بن علي بن خلف ، أبو سليمان البغدادي ، المعروف بالأصبهاني ، مولى أمير المؤمنين المهدي ، رئيس أهل الظاهر ، الإمام البحر ، الحافظ العلامة ، عالم الوقت ، بصير بالفقه ، عالم بالقرآن، حافظ للأثر ، رأس في معرفة الخلاف ، من أوعية العلم ، له ذكاء خارق ، وفيه دين متين، لكنه كان يقول : القرآن الذي في اللوح المحفوظ غير مخلوق ، والذي بين أيدي الناس مخلوق!! مات سنة 270هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 97/13 ، وشذرات الذهب 158/2 .

(5) سورة طه ، الآية 5 .

(6) هو النابغة الجعدي ، أبو ليلى، حيان بن قيس، شاعر زمانه ، له صحبة ووفادة ورواية ، وهو من بني عامر بن صعصعة ، وكان فيه دين وخير، مات حدود سنة 70هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 178/3 ، والإصابة 537/3 .

(7) هذا البيت للنابغة الذبياني. انظر: ديوان النابغة صـ20 ، مختار الشعر الجاهلي، بشرح مصطفى السقا، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ص152، والبيت مع القصة في لسان العرب 408/14.

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن سلمويه بن عاصم [3] قال كتب بشر المريسي إلى منصور بن عمار يسأله عن قول الله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [4] ، كيف استوى ؟ فكتب إليه منصور : استواؤه غير محدود ، والجواب فيه تكلف ، ومسألتك عن ذلك بدعة ، والإيمان بجملة ذلك واجب ، قال الله تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ) وحده ، ثم استأنف الكلام فقال : (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ) ، فنسبهم إلى الرسوخ في العلم بأن قالوا لما تشابه منه عليهم (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) [5] ، فهؤلاء هم الذين أغناهم الرسوخ في العلم عن الاقتحام على السدد المضروبة دون الغيوب ، بما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ، فمدح اعترافهم بالعجز عن تأويل مالم يحيطوا به علماً ، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم رسوخاً في العلم . فانته رحمك الله من العلم إلى حيث انتهى بك إليه ، ولا تجاوز ذلك إلى ما حظر عنك علمه فتكون من المتكلفين ، وتهلك مع الهالكين ، والسلام عليك [6].

التعليق :

استواء الله – تعالى – على عرشه ، ثابت بالكتاب والسنة ، وإجماع سلف الأمة ، فأهل السنة والجماعة يعتقدون ويقرون بأن الله مستو – بمعنى عالٍ [7] – على عرشه فوق سمواته بائن من خلقه ، ولا يكيفون صفة ذلك ، بل يقولون كما قال الإمام مالك [8] :

---

(1) هو محمد بن أحمد بن النضر ، أبو بكر الأزدي، ابن بنت معاوية بن عمرو، ولد سنة 196هـ وكان ثقة، مات سنة 291هـ ، وله خمس وتسعون سنة .
انظر: تاريخ بغداد 364/1 ، والأنساب 347/5 ، وتاريخ الإسلام 242/22 .
(2) تاريخ بغداد ، 283/5 .
(3) لم أقف من ترجمته إلا على أنه قاضي هجر، وأنه قضى بالجزيرة والشام .
انظر: تاريخ بغداد 484/5 ، وتاريخ دمشق 338/60 ، وضعف الألباني رحمه الله روايته في مختصر العلو .
(4) سورة طه ، الآية 5 .
(5) سورة آل عمران ، الآية 7 .
(6) تاريخ بغداد ، 75/13 .
(7) انظر : عبارات معنى استوى عند السلف في درء التعارض ، 20/2 .
(8) هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر، ولد سنة 93هـ عام وفاة أنس بن مالك ، شيخ الإسلام، حجة الأمة ، إمام دار الهجرة ، وله مؤلفات عدة ، أشهرها الموطأ وعدة رسائل أرسلها إلى جماعة من العلماء في الأمصار، مات سنة 179هـ عن 89 سنة .
انظر: سير أعلام النبلاء 48/8 ، وشذرات الذهب 12/2 .

" الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة " [1] . قال الذهبي معلقاً على قول الإمام مالك : " وهو قول أهل السنة قاطبة : أن كيفية الاستواء لا نعقلها ، بل نجهلها ، ، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه ، وأنه كما يليق به ، ولا نتعمق ولا نتحذلق ، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً ، بل نسكت ونقف كما وقف السلف ، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة ، والتابعون ، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه .. " [2] . قال ابن تيمية : " وقد أخبرنا الله أنه استوى على العرش ، ولم يخبرنا كيف استوى فوجب على المؤمنين أن يصدقوا ربهم باستوائه على العرش ، وحرِّم عليهم أن يصفوا كيف استوى ، لأنه لم يخبرهم كيف ذلك.." [3] .

وقد ذكر استواء الرب – تعالى – على العرش في سبعة مواضع من القرآن [4] ، ومنها :

قال تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [5] .

ومن السنة : عن أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : (لما قضى الله الخلق : كتب في كتابه ، فهو عنده فوق عرشه إن رحمتي غلبت غضبي) [6] .

وقد أجمع المسلمون على أن الله تعالى مستو على عرشه فوق سماواته : قال إسحاق بن راهويه[7] : " قال الله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [8] ، " إجماع أهل العلم أنه فوق العرش .."

---

(1) عقيدة السلف ، للصابوني ، ص 180.

(2) مختصر العلو ، للذهبي ، ص141-142 .

(3) درء التعارض ، 6/ 117 .

(4) عقيدة السلف للصابوني ، ص 175 .

(5) سورة طه ، الآية 5 .

(6) متفق عليه . رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قول الله تعالى : (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ، 466/10 ، ح 2955 ، ومسلم ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، 306/13 ، ح 4939 عن أبي هريرة ﵁.

(7) هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم ، الإمام الكبير ، شيخ المشرق ، سيد الحفاظ ، مولده سنة 161هـ، إمام عصره في الحفظ والفتوى ، قرين الإمام أحمد ، أملى كتابه المسند ، وهو الآن مطبوع ، سكن نيسابور ، ومات بها سنة 238هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء 358/11 ، وشذرات الذهب 89/2 .

(8) سورة طه ، الآية 5 .

[1] ، قال الصابوني [2] : " وعلماء الأمة ، وأعيان الأئمة من السلف رحمهم الله لم يختلفوا في أن الله – تعالى – على عرشه ، وعرشه فوق سماواته " [3] .

3/ صفة الرؤية ..

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن حامد بن يحيى البلخي [4] قال قيل لسفيان بن عيينة [5] : إن بشر المريسي يقول : إن الله لا يُرى يوم القيامة ، فقال : قاتله الله دويبة ، ألم يسمع الله يقول: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) [6] ، فجعل احتجابه عنهم عقوبة لهم ، فإذا احتجب عن الأولياء والأعداء ، فأي فضل للأولياء على الأعداء [7].

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي إسحاق بن عامر بن سعد عن أبي بكر الصديق [8] (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) [9] ، قال : النظر إلى وجه الله – تعالى – [10].

---

(1) درء التعارض ، 260/6 .

(2) هو أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن إسماعيل النيسابوري الصابوني ، الإمام العلامة القدوة المفسر المذكِّر المحدث شيخ الإسلام ، ممن شهدت له أعيان الرجال بالكمال في الحفظ والتفسير ، ولد سنة 373هـ ، له مصنف في السنة واعتقاد السلف باسم عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، مات سنة 449هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 40/18 ، وشذرات الذهب 282/3 .

(3) عقيدة السلف ص ، 176 .

(4) هوحامد بن يحيى بن هانئ البلخي أبو عبد الله ، نزيل طرسوس ، ثقة حافظ من العاشرة ، مات سنة 242هـ وروى له أبو داود .
انظر: تقريب التهذيب 181/1 ، وتهذيب التهذيب 148/2 .

(5) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم، أخي الضحاك بن مزاحم، الإمام الكبير حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي الكوفي، ثم المكي، لا يدلس إلا عن ثقة متقن، ولا يكاد يوجد لسفيان بن عيينة خبر دلس فيه إلا وجد ذلك الخبر بعينه قد بين سماعه عن ثقة مثل نفسه، مات سنة 199هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 454/8 ، وتهذيب التهذيب 117/4 .

(6) سورة المطففين ، الآية 15 .

(7) تاريخ بغداد ، 65/7 .

(8) هوعبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، أبو بكر بن أبي قحافة ، الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ، جمعت فضائله في مصنفات، وهو فوق ذلك، مات في جمادى الأولى سنة (13هـ)، وله ثلاث وستون سنة .
انظر: تقريب التهذيب 513/1 وتهذيب التهذيب 276/5 .

(9) سورة يونس ، الآية 26 .

(10) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده ، 793/3 ، والدارمي في الرد على الجهمية ، 117/1 ، تاريخ بغداد ، 134/9 .

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن معمر [1] في قول الله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) [2] ، قال تنظر في وجه الرحمن عز وجل [3] .

التعليق :

قال الإمام الطحاوي [4] عن رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة أنها : " من أشرف مسائل أصول الإيمان وأجلها ، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون ، وتنافس المتنافسون ، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون ، وعن بابه مطرودون " [5] ، ولذا قال الحسن البصري [6] : " لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم تعالى لذابت أنفسهم في الدنيا " [7] ، فأهل السنة يؤمنون برؤية المؤمنين لربهم في الآخرة ، قال الإمام الصابوني : " ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم – تبارك وتعالى – يوم القيامة بأبصارهم ، وينظرون إليه على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ " [8] ، وقال قوّام السنة الأصبهاني : " ومن مذهب أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم – تبارك وتعالى – بأبصارهم يوم القيامة " [9] .

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف .. **فمن القرآن** : قوله تعالى : (وُجُوهٌ

([1]) هو معمر بن راشد أبو عروة بن أبي عمرو الأزدي ، الإمام الحافظ ، شيخ الإسلام ، مولاهم البصري ، من أوعية العلم ، مع الصدق والتحري ، والورع والجلالة ، وحسن التصنيف ، كالجامع وغيره ، مات آخر سنة 216هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 5/7 ، وتهذيب التهذيب 243/10 .

(2) سورة القيامة ، الآية 22-23 .

(3) تاريخ بغداد ، 44/8 .

(4) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبدالملك الأزدي المصري الطحاوي الحنفي، الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها ، ولد سنة 239هـ ، كان ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلاً ، لم يخلف مثله ، وله تصانيف منها : اختلاف العلماء ، وشرح معاني الآثار ، وشرح المشكل وغيره ، مات سنة 321هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 27/15 ، وشذرات الذهب 288/2 .

(5) شرح الطحاوية ، 1/ 208 .

(6) هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد ، مولى زيد بن ثابت ، سيد أهل زمانه علماً وعملاً ، من رؤوس العلماء في الفتن والدماء والفروج ، مات سنة 110هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 563/4 ، وشذرات الذهب 136/1 .

(7) الشريعة ، للإمام أبو بكر محمد الآجري ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط 1 (الرياض : مكتبة دار السلام 1413 هـ) ، 7/2 .

(8) عقيدة السلف ، ص263 .

(9) الحجة ، 236/2 .

يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ) (1) ، قال ابن عباس : " تنظر إلى ربها " (2) .

وقال عكرمة (3) : " تنظر إلى ربها نظراً " (4) .

ومن السنة : فقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في إثبات الرؤية، قال ابن كثير : " وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله – عز وجل – في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها " (5) .

ومن هذه الأحاديث : عن جرير بن عبد الله البجلي (6) قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر ، قال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا " (7) .

وأما الإجماع : قال ابن القيم : دلَّ القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث على أن الله – سبحانه وتعالى – يرى يوم القيامة بالأبصار عياناً ، كما يرى القمر ليلة البدر صحواً ، وكما ترى الشمس في الظهيرة (8) ، وقال ابن كثير : " وهذا – أي إثبات الرؤية

---

(1) سورة القيامة ، الآية 22 .

(2) شرح السنة ، للالكائي ، 514/3 .

(3) هو عكرمة البربري أبو عبد الله المدني مولى ابن عباس ، أصله من البربر كان لحصين بن أبي الحر العنبري فوهبه لابن عباس لما ولي البصرة لعلي، كان من أعلم الناس بالفقه والقرآن ، قيل: كان يرى رأي الصفرية ، وهو ثقة روى له الجماعة ، مات سنة 107هـ .
انظر : تقريب التهذيب 685/1 ، وتهذيب التهذيب 234/7 .

(4) تفسير ابن جرير ، 12/ 343 .

(5) تفسير ابن كثير ، 450/4 .

(6) هو جرير بن عبد الله بن جابر، وهو السليل بن مالك بن نصر بن ثعلبة البجلي القسري أبو عمرو ، وقيل: أبو عبد الله اليماني، صاحب النبي ﷺ، أسلم في رمضان سنة عشر، لم يزل معتزلاً لعلي ومعاوية بالجزيرة ونواحيها، حتى مات بالسراة سنة 54هـ .
انظر : تهذيب الكمال 533/4 ، والإصابة 232/2 .

(7) متفق عليه . رواه البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، 389/2 ، ح521 ، ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر ، 336/3 ، ح 1002 عن جرير رضي الله عنه .

(8) انظر : حادي الأرواح ، ص 316 .

– بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين ، وسلف هذه الأمة ، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام ، وهداة الأنام " [1] .

وقد ألف أئمة الإسلام في هذه المسألة مؤلفات خاصة ، قال شيخ الإسلام : " قد دوّن العلماء فيها كتباً ، مثل كتاب الرؤية للدار قطني ، ولأبي نعيم ، وللآجري ، وذكرها المصنفون في السنة كابن بطة ، اللالكائي ، وابن شاهين ، وقبلهم عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وحنبل بن إسحاق والخلال ، والطبراني ، وغيرهم ، وخرجها أصحاب الصحيح والمسانيد والسنن وغيرهم " [2] .

" والمخالفون في الرؤية : الجهمية [3] والمعتزلة ، ومن تبعهم من الخوارج والإمامية [4] ، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة " [5] .

4/ صفة الوجه ..

---

(1) تفسير ابن كثير ، 450/4 .

(2) مجموع الفتاوى ، 6 / 486 .

(3) هم طائفة مبتدعة تنسب إلى الجهم بن صفوان ، يقولون : إن الله في كل مكان بذاته ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وهو تلقاه عن شيخه الجعد بن درهم من أهل الشام ، وهو تلقى هذا المذهب الخبيث عن رجل يقال له أبان بن سمعان ، وأخذه أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم ، عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي ، وهم من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته بترمذ ، وقتله سالم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية ، يزعمون أن الكفر خصلة واحدة ، وبالقلب يكون وهو الجهل بالله ! ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات الأزلية ، وزادوا عليهم نفي بقية الصفات كلها ! ومن فضائحهم وشنعهم قولهم بأن علم الله تعالى محدث مخلوق ، وأنه تعالى لم يكن يعلم شيئاً حتى أحدث لنفسه علماً علم به !!

انظر : البداية والنهاية 19/10 ، ومقالات الإسلاميين 132/1 – 141 ، والفصل لابن حزم 155/4، والملل والنحل 86/1 .

(4) هم الفرقة الثانية من الشيعة (الإمامية) ، وهم القائلون بإمامة اثني عشر إماماً ، أولهم أمير المؤمنين علي المرتضى ، ثم ابنه الحسن المجتبى ، ثم أخوه الحسين شهيد كربلاء ، ثم ابنه علي السجاد ...إلخ ، حيث قالوا بإمامة علي ﷺ بعد النبي ﷺ نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف ، بل إشارة اليه بالعين ، قالوا : وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام حتى تكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة ، فإنه إنما بعث لرفع الخلاف ، وتقرير الوفاق ، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملاً ، يرى كل واحد منهم رأياً ، ويسلك كل واحد منهم طريقاً لا يوافقه في ذلك غيره ؛ بل يجب أن يعين شخصاً هوالمرجوع إليه ، وينص على واحد هو الموثوق به والمعول عليه ، وقد عين علياً ﷺ في مواضع تعريضاً ، وفي مواضع تصريحاً .

انظر : الملل والنحل 162/1 ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا 231/13 .

(5) شرح الطحاوية ، 1/ 207 ، و مجموع الفتاوى ، 2/ 336 .

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي إسحاق بن عامر بن سعد عن أبي بكر الصديق (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) (1) ، قال : النظر إلى وجه الله – تعالى – (2).

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن محمد بن عمر بن الحكم أبو الحسن بن العطار قال : سمعت محمد بن مصعب العابد (3) يقول : من زعم أنك لا تكلم ولا ترى في الآخرة ، فهو كافر بوجهك لا يعرفك ، أشهد أنك فوق العرش ، فوق سبع سموات ليس كما يقول أعداؤك الزنادقة (4).

التعليق :

هي من الصفات الذاتية الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة والإجماع .

فمن أدلة القرآن : قال تعالى : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)(5) ، وقال تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (6) ، قال ابن خزيمة (7) : " فأثبت لنفسه وجهاً وصفة بالجلال والإكرام ، وحكم لوجهه بالبقاء ، ونفى عنه الهلاك"(1) .

---

(1) سورة يونس ، الآية 26 .

(2) تاريخ بغداد ، 134/9 .

(3) هو أبو جعفر محمد بن مصعب البغدادي الدَعَّاء ، أحد العباد المذكورين والقراء المعروفين ، كان رجلاً صالحاً ، وكان يقص ويدعو قائماً في المسجد ، اتفقوا على صدقه وثقته ، أثنى عليه أحمد ابن حنبل ووصفه بالسنة ، مات سنة 228هـ .

انظر : تاريخ بغداد 279/3 ، وطبقات الحنابلة 320/1 ، والأنساب 481/2 ، وتاريخ الإسلام 16/ 385 .

(4) قال الليث : الزنديق معروف ، وزندقته أنه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق ، وعن ثعلب : ليس زنديق ولا فرزين من كلام العرب ، وقال: معناه على ما يقوله العامة ملحد ودهري ، وعن ابن دريد أنه فارسي معرب ، وأصله زنده ، أي يقول بدوام بقاء الدهر ، وفي مفاتيح العلوم الزنادقة هم المانوية ، وكان المزدكية يسمون بذلك ، و(مزدك) هو الذي ظهر في أيام قباذ ، وزعم أن الأموال والحرم مشتركة ، وأظهر كتاباً سماه زندا ، وهو كتاب المجوس الذي جاء به زرادشت الذي يزعمون أنه نبي ، فنسب أصحاب مزدك إلى زندا ، وعربت الكلمة فقيل زنديق ، وللجماعة زنادقة .

انظر: المغرب 369/1 .

(5) سورة الرحمن ، الآية 26-27 .

(6) سورة القصص ، الآية 88 .

(7) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة ، الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام ، إمام الأئمة ، أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي ، ولد سنة 223هـ ، يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان ، يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القارئ السورة ، كأن السنن كلها بين عينيه ، مصنفاته تزيد على مئة وأربعين كتاباً سوى المسائل ، والمسائل المصنفة أكثر من مئة جزء ، مات سنة 311هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 365/14 ، والوافي بالوفيات 196/2 ، وشذرات الذهب 262/2 .

ومن أدلة السنة : عن أبي موسى الأشعري [2] قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال : (إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، ، حجابه النور ، لوكشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) [3] ، وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : (جنات الفردوس أربع : ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما ، وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) [4] .

وأما الإجماع : فقال ابن خزيمة : " فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر ، مذهبنا : أن نثبت لله ما أثبته لنفسه ، نقر بذلك بألسنتنا ، ونصدق ذلك بقلوبنا ، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ، عز ربنا أن يشبه المخلوقين ، وجل ربنا عن مقالة المعطلين ، وعز أن يكون عدماً كما قاله المبطلون ، لأن ما لا صفة له عدم ، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في في محكم تنزيله ، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ " [5] .

فهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في صفة الوجه ، وقد تأول أهل البدع هذه الصفة بعدة تأويلات كلها باطلة مخالفة للقرآن والسنة ، وإجماع السلف [6] .

5/ صفة النزول ..

- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي الطيب أحمد بن عثمان السمسار [1] ؛ والد أبي حفص

---

(1) التوحيد ، 25/1 .
(2) هو عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ، أبو موسى الأشعري الفقيه المقرئ ، الإمام الكبير ، صحب رسول الله ﷺ ودعا له ، ولي البصرة ثم ولي الكوفة ، وبها مات سنة 42هـ . انظر: سير أعلام النبلاء 380/2 ، والتاريخ الكبير 23/5 ، وتاريخ خليفة ص 178 .
(3) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قوله عليه السلام : إن الله لا ينام ، 420/1 ، ح 264 عن أبي موسى رضي الله عنه .
(4) متفق عليه . رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله : (ومن دونهما جنتان) ، 138/15 ، ح 4500 ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ، 422/1 ، ح 265 عن أبي موسى رضي الله عنه .
(5) التوحيد : 26/1 .
(6) انظر : أقوالهم والرد عليهم في مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم ، 2/ 386-398 .

بن شاهين ، يقول : حضرت عند أبي جعفر الترمذي ، فسأله سائل عن حديث النبي ﷺ : (إن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا) ، فالنزول كيف يكون يبقى فوقه علو ؟ " فقال أبوجعفر الترمذي : النزول معقول ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة " [2] .

التعليق :

نزول الرب – تبارك وتعالى – من الصفات الفعلية الثابتة لله – عز وجل – ، وأهل السنة يثبتون هذه الصفة ويؤمنون بها ، وقد استفاضت الأحاديث في إثبات هذه الصفة إلى أن بلغت حد التواتر ، قال ابن عبد البر [3] عن حديث النزول : " هو حديث منقول من طرق متواترة، ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبي ﷺ " [4] ، وقال ابن تيمية : " قد استفاضت به — أي حديث النزول — السنة عن النبي ﷺ ، واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك ، وتلقيه بالقبول " [5] .

ومن هذه الأحاديث : ما رواه أبو هريرة [6] عن النبي ﷺ قال :

---

(1) هو أحمد بن عثمان بن أحمد بن أيوب بن أزداد بن سراح بن عبد الرحمن أبو الطيب السمسار والد أبي حفص عمر بن شاهين، وثقه الخطيب، أصله من مرو الروذ ، مات سنة 327هـ .
انظر: تاريخ بغداد 298/4 ، وتاريخ الإسلام 201/24 .

(2) تاريخ بغداد ، 365/1 .

(3) هو أبو عمر ، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي، الإمام العلامة ، حافظ المغرب ، شيخ الإسلام ، صاحب التصانيف الفائقة ، منها : التمهيد لم يؤلف في الإسلام مثله ، والاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ، وجامع بيان العلم وفضله وغيرها، ولد سنة 368هـ ، إمام عصره ، وواحد دهره ، سارت بتصانيفه الركبان ، مات سنة 463هـ عن 95 سنة .
انظر: سير أعلام النبلاء 153/18 ، وشذرات الذهب 314/3 .

(4) التمهيد ، لابن عبد البر ، 7/ 128 .

(5) مختصر الصواعق ، 2/ 430 .

(6) هو الإمام الفقيه المجتهد الحافظ ، صاحب رسول الله ﷺ ، أبو هريرة الدوسي اليماني ، سيد الحفاظ الأثبات ، اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال جمة ، أرجحها : عبدالرحمن بن صخر. حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه لم يلحق في كثرته ، أسلم سنة سبع ، كان من أهل الصفة ، ومن أبر الناس بأمه ، رأس في القرآن وفي السنة ، وفي الفقه ، مات سنة 59هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 578/2 ، وتهذيب التهذيب 267/12 ، والإصابة 63/12 ، وشذرات الذهب 63/1 .

(ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول من يدعوني فاستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له) (1) ، قال ابن خزيمة:
" نشهد شهادة مقر بلسانه ، مصدق بقلبه ، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن نصف الكيفية ، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل ، والله – جل وعلا – لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه ، من أمر دينهم . فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته ، أو بصفة الكيفية ، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول " (2) .
وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن " الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا على ما أتت به الآثار كيف شاء ، لا يحدون في ذلك شيئاً " (3) ، وقد تأول أهل البدع نزول الرب سبحانه وتعالى بتأويلات باطلة ، مثل نزول أمره ورحمته ، وقد رد عليهم علماء أهل السنة ، وبينوا فساد تأويلاتهم الباطلة (4) .

6/ صفة العلم ..

– ما أخرجه الخطيب بسنده عن سعيد جبير ، عن ابن عباس (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) (5) ، قال يعلم السر في نفسك ، وقال الصيدلاني (6) : ما تسر في نفسك ويعلم ما تعلم غدا (7).

التعليق :

العلم صفة ذاتية لازمة لله – تعالى – لا تنفك عنه بأي وقت من الأوقات ، وهو سبحانه " محيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات ، فعلم ما كان ، وما لم

---

(1) متفق عليه . رواه البخاري ، كتاب أبواب التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، 315/4 ، ح 1077 ، ومسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ، 138/4 ، ح 1261 عن أبي هريرة ﷺ .
(2) التوحيد ، 1 /289–290 .
(3) شرح حديث النزول ، ص 458 ، وضمن المجموع 5/ 578.
(4) انظر شرح حديث النزول ص 232 وما بعدها .
(5) سورة طه ، الآية 7 .
(6) هو محمد بن حمدان بن حماد ، أبو بكر الصيدلاني ، وكان ثقة يتفقه على مذهب أحمد بن حنبل، مات سنة 320هـ .
انظر: تاريخ بغداد 287/2 ، وطبقات الحنابلة 66/2 ، والمقصد الأرشد 401/2 .
(7) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ، 1/ 254 عن ابن عباس ، والخطيب في تاريخ بغداد ، 287/2 .

يكن لو كان كيف يكون ، وعلم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم ، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار ، من قبل أن يخلقهم ، ومن قبل أن يخلق الجنة والنار ، علم دق ذلك وجليله وكثيره وقليله وظاهره وباطنه وسره وعلانيته ومبدأه ومنتهاه ، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ، ومقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب " [1] .

ومن أدلة هذه الصفة : من القرآن : قال تعالى : (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) [2] ، وقال سبحانه : (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ) [3] .

ومن السنة : حديث جابر في الاستخارة : (اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، إنك أنت علاّم الغيوب .....) [4] .

وعن أبي هريرة قال سئل رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين فقال: (الله أعلم بما كانوا عاملين) [5] .

وعن ابن عمر [6] قال : قال رسول الله ﷺ : (مفاتح الغيب خمس لايعلمها إلا الله : لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله) [1] .

---

(1) معارج القبول ، 290/3 .
(2) سورة الحشر ، الآية 22 .
(3) سورة سبأ ، الآية 3 .
(4) أخرجه البخاري ، كتاب أبواب التطوع ، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ، 347/4 ، ح 1096 عن جابر بن عبد الله ؓ .
(5) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، 5/ 181 ، ح 1318 ، ومسلم ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، 123/13 ، ح 2659 عن أبي هريرة ؓ .
(6) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى ، الإمام القدوة شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن القرشي العدوي المكي، ثم المدني، روى علماً كثيراً عن النبي ﷺ، كان يتبع أمر رسول الله ﷺ وآثاره وحاله، ويهتم به، قال الذهبي : كاد أن تنعقد البيعة له يومئذ ، مع وجود مثل الإمام علي وسعد ابن أبي وقاص، ولو بويع لما اختلف عليه اثنان، ولكن الله حماه وخار له، مات سنة 73هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 203/3 ، والإصابة 347/2 .

7/ صفة الفرح والضحك والعجب ..

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : (والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم بضالته بأرض المهلك يخاف أن يقتله فيها العطش) (2).

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ، والله لله أفرح بتوبة أحدكم من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا ومن جاءني يمشي جئته أهرول) (3).

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عائشة أم المؤمنين قالت : قال رسول الله ﷺ : (إن الله ليضحك من إياس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة لهم ، قالت عائشة : قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أو يضحك ربنا تعالى قال والذي نفس محمد بيده إنه ليضحك فقلت لم يعد منا منه خيرا إذا ضحك) (4).

4- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : (إن الله يعجب من سائل يسأل غير الجنة ، ومن معط يعطى لغير الله ، ومن متعوذ يتعوذ من غير النار، إلا فليباهى بالعبادة لمن فوقه ، وفي الغنى إلى من دونه ، حتى يكتب شاكرا صابرا فان أولياء الله أخروا النعيم للآخرة وعجلوا الشدة في الدنيا للراحة) (5).

التعليق :

هذه الأحاديث فيها إثبات صفة الفرح والضحك والعجب لله سبحانه وتعالى ، وكلها صفات فعلية اختيارية ، أما **الضحك** فإنه قد جاء من طرق كثيرة بلغت حد التواتر، فثبوته مستفيض في سنة النبي ﷺ ، وهو صفة كمال ؛ لأن الضحك في موضعه صفة كمال ، وكل كمال اتصف به

---

(1) تقدم تخريجه ، ص59 .
(2) تاريخ بغداد ، 12 / 446 . والحديث رواه مسلم في كتاب التوبة ، باب في الحض على التوبة والفرح بها ، 4/ 2102 ح 2675 بنحوه .
(3) تاريخ بغداد ، 43/2 . والحديث رواه مسلم في كتاب التوبة ، باب في الحض على التوبة والفرح بها ، 4/ 2102 ح 2675 بنحوه .
(4) تاريخ بغداد ، 44/13 .والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ، 66/7 .
(5) تاريخ بغداد ، 267/9 . والحديث ضعفه الألباني انظر في ضعيف الجامع ، ح 1742 .

المخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالخالق أولى به ، وهذا الدليل يسميه أهل العلم قياس الأولى .

فإذا كنا نقر بأن الضحك كمال في موضعه ، يعني : عند وجوب موجب الضحك فإننا نثبته لله سبحانه وتعالى عقلاً كما أنه ثابت بالنص ، فالنص قد أثبته في أحاديث كثيرة متواترة كما تقدم ، وما ذكرناه سابقاً منها .

والمؤولون المعطلون المحرفون للكلم عن مواضعه قالوا : إن الضحك خفة في الروح ناتجة عن حصول ما ينفع أو اندفاع ما يضر، هذا معنى الضحك عندهم ، وإذا كان كذلك فإنه منتفٍ عن الرب، فالرب لا يضحك ، النبي ﷺ يقول : (إن الله ليضحك) وهؤلاء يقولون : الله جل وعلا لا يضحك ؛ لأن الضحك خفة ، والله منزه عنها ! نقول : أنتم عرفتم الضحك بالنسبة للمخلوق ، أما الخالق: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) (1) ، يجب إثبات ما أثبته النبي ﷺ لربه، وإلا فإننا لم نسلم له ﷺ القياس، ولم نؤمن به حق الإيمان ؛ لأن مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله تصديقه فيما أخبر ، وهو يخبرنا بأن الله يضحك ، وهؤلاء المحرفون يقولون : لا يضحك ، هل يستقيم هذا في العقل ؟ وهل يكون هذا ممن عظم الله حق تعظيمه؟ وامتثل أمر النبي ﷺ ؟ المهم أن هؤلاء أنكروا الضحك ، فلما ورد الضحك في السنة النبوية في مواضع كثيرة فإنه يحتاج عندهم إلى التحريف والتأويل ، فقالوا : الضحك هو إبانة الفضل ، والضحك : هو إرادة الثواب والإحسان ، والضحك : الإخبار بالرضا عن الفعل ، كل هذا فراراً من إثبات ما أثبته الله لنفسه ، وكل هذه المعاني تفسير للضحك بلازمه ، ونحن لا ننكر اللازم ، فهو معنى صحيح ثابت ، لكن هل تثبتون لله هذا الوصف ؟ يقولون : لا .

نقول : إذاً : لم تؤمنوا بما أخبر به النبي ﷺ ، ونحن نثبت هذا الوصف لله ، ونقول : إن الله يضحك وهو موصوف بالضحك جل وعلا ، لكن لا يلزم من ذلك مماثلة المخلوقين .

ثم إن من لازم ضحكه جل وعلا رضاه وإثابته ، وما إلى ذلك من المعاني الأخرى التي تثبت بثبوت هذه الصفة .

(1) سورة الشورى ، آية : 11 .

وأما الفرح : فأول ما بدأ به مؤلف الواسطية – رحمه الله – من الصفات صفة الفرح ، وذلك في قول النبي ﷺ : (لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته) ، وهذا فيه إثبات صفة الفرح لله سبحانه وتعالى ، وفرحه بتوبة العبد من كمال جوده وإحسانه وبره ورحمته بعبده ، حيث يفرح بالتوبة وهو الذي وفقه إليها .

والمنتفع من التوبة من ؟ العبد نفسه ! فإنه قد قال سبحانه وتعالى : (يا عبادي ! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) [1] ، كما في الحديث الإلهي الذي رواه أبي ذر . فالمنتفع العبد لكن الله جل وعلا جوداً منه وكرماً وبراً وإحساناً ولطفاً يفرح بتوبة عبده، فالفرح صفة فعلية اختيارية للرب جل وعلا ، ثبت وصف الله بها في أحاديث متعددة ، وتلقاها أهل السنة بالقبول ، وأثبتوها للرب سبحانه وتعالى .

المحرفون المبطلون قالوا : الله لا يفرح ولا يوصف بالفرح ؛ لأن الفرح لذة تقع في القلب بإرادة المحبوب ونيل المشتهى ، هكذا زعموا .

قيل لهم : إذا كان هذا في حق المخلوق فالخالق ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وهم لهم عدة شبه ، ونحن عندما نذكر بعض شبههم في إبطالهم ما أثبته الله لنفسه ، ليس ما نذكره حصراً لشبههم في إبطال ما وردت به النصوص من إثبات الصفات الفعلية للرب سبحانه وتعالى .

والجواب على هذه الشبهة الباطلة أن يقال : نثبت الفرح من غير أي لازم باطل ، كما أثبته سبحانه وتعالى لنفسه ، ونجري فيه كما جرينا في غيرها من الصفات من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

أما العجب : فقد جاء في كتاب الله عز وجل في قوله تعالى: (بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ) [2] في قراءة حمزة ، و الكسائي ، و خلف ، والباقون قرءوا (بل عجبتَ ويسخرون) ويكون الخطاب للنبي ﷺ ، أما بالضم فهو مضاف إلى الله سبحانه وتعالى ، فالتاء في (عجبت) ضمير الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى.

---

(1) رواه مسلم في باب تحريم الظلم ، 12/ 455 ح 4674 جزءاً منه .
(2) سورة الصافات : آية : 12 .

والعجب وصف كمال له سبحانه وتعالى ، نثبته كما أثبته الله لنفسه في كتابه على هذه القراءة، وكما أثبتته السنة في أحاديث متعددة [1] .

وأهل السنة يثبتون الفرح ويقولون إن الفرح معلوم المعنى والضحك معلوم المعنى والعَجَبْ معلوم المعنى ولا يمكن حده بحد واضح بين ؛ لأن هذه المعاني راجعة إلى القلب – يعني قلب الإنسان – ولما كانت راجعة إلى القلب فإن الإنسان إذا فسرها فسيفسرها بمعهوده ، سيفسرها بما أدرك في الخارج والمعاني هذه معان كلية توجد كلية في الذهن ، توجد كلية في التصور أما في الخارج فتختلف بالتخصيص والإضافة .

ففرح فلان غير فرح فلان وضحك فلان غير ضحك فلان آخر ، أما مجموع اسم الضحك أو اسم الفرح فإن هذا يوجد في معنى كلي في الذهن وأما في الخارج فلا يوجد إلا مضافا [2] .

8/ صفة العظمة ..

– ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا : قال رسول الله ﷺ : (يقول الله تعالى : العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدة منهما ألقيته في جهنم) [3].

التعليق :

والعظيم لغة : هو بمعنى السعة في الذات والكمال في الصفات ، مع العز والمجد والكبرياء ، واسم الله العظيم يدل على ذات الله وعلى صفة العظمة المطلقة بدلالة المطابقة ، وعلى ذات الله وحدها بالتضمن ، وعلى صفة العظمة المطلقة بدلالة التضمن ، ويدل باللزوم على الحياة والقيومية والسيادة والصمدية ، وانتفاء الشبيه والمثلية ، والكمال المطلق في كل شيء [4] .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق قوله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي : (العظمة إزاري والكبرياء ردائي) يعني : أن هذه من الخصائص التي يختص بها سبحانه وتعالى ، وهي ملازمة لله ، وليس لغيره أن يبحث عنها وأن يتطلبها ؛ لأن هذه من خصائص الله عز وجل .

وقوله : (إزاري وردائي) الشاهد من الحديث أن الله تعالى مختص بها وأنه لا ينازعه أحد فيها ،

(1) شرح العقيدة الواسطية ، للمصلح ، 11/ 6 بتصرف .
(2) شرح العقيدة الواسطية ، للهراس ، 1/ 409 .
(3) تاريخ بغداد ، 290/13 . والحديث أخرجه بن ماجه ، كتاب الزهد ، باب البراءة من الكبر 1397/2 ، ح4175 ، وصححه الشيخ الألباني –رحمه الله–.
(4) أسماء الله الحسنى ، 19/12 .

كما أن من يكون له إزار ورداء من الخلق فإن ذلك الإزار والرداء مختص به ليس لأحد غيره مشاركته فيه . ومن صفات الله عز وجل (صفة العظمة) و(صفة الكبرياء)، وذكر الإزار والرداء إشارة إلى الاختصاص ، وإلى عدم الأحقية في المنازعة فيها ، فلا يقال : إن لله إزاراً . ويُسْكَت عن التفصيل ، وإنما يقال : إن لله الكبرياء وله العظمة ، وأن الله عز وجل بين أنه مختص بها كما أن من يكون من الناس عليه إزار ورداء فإن إزاره ورداءه مختصان به ، فدل هذا على أن ذلك من خصائص الله سبحانه وتعالى ، وأن ليس لأحد أن يتعاطى ذلك أو يتطلب ذلك أو يبحث عن ذلك أو يؤمل أن يحصل له ذلك ؛ لأن هذا خصائص الله سبحانه وتعالى [1] .

أثر صفة العظمة :

هذه الصفة مشتقة من اسمه تعالى العظيم ، والعظمة صفة من صفاته لا يقوم لها خلق ، والمقصود أن عظمة الله سبحانه لا يمكن أن يتصف بها أحد من خلقه والله خلق بين الخلق عظمة يعظم بها بعضهم بعضا ، فمن الناس من يعظم لمال ، ومنهم من يعظم لعلم ، ومنهم من يعظم لسلطان ، ومنهم من يعظم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يعظم لمعنى دون معنى ، والله – عز وجل – يعظم في الأحوال كلها ، فينبغي لمن عرف حق عظمته سبحانه أن لا يتكلم بكلمة يكرهها الله ، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله .

فإذا شعر العبد بعظمة الله خاف مولاه واتقاه ورغب في مرضاته –سبحانه تعالى– والحديث السابق الذكر دال على صفة العظمة له جل وعلا [2] .

9/ صفة الرحمة ..

– ما أخرجه الخطيب بسنده عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ : (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل) [3].

التعليق :

---

(1) شرح سنن أبي داوود ، لعبد المحسن العباد ، 118/23 .

(2) الوسطية في القران الكريم ، 60/2 .

(3) تاريخ بغداد ، 124/4 . والحديث أخرجه البخاري في صحيحه في بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى(قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أو ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) ، 2686/6 ح 6941 ، فيه تقديم وتأخير. ومسلم في بَاب رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذلك ، 1809/4 ح 2319 .

الرحمة صفة فعليه اختيارية من صفات الله جل وعلا يثبتها أهل السنة والجماعة ، لما جاء في الكتاب والسنة من إثبات هذه الصفة ؛ ولأن السلف أجمعوا على ذلك ، ولدلالة الفطر والعقول عليها .

والرحمة صفة عظيمة من صفات الله جل وعلا ، وهذه الصفة جاء لها اسمان من أسماء الله في القرآن وهما : (**الرحمن الرحيم**) ، وكلاهما مشتق من الرحمة التي هي صفته سبحانه

وتعالى [1] .

ذكر الإمام ابن القيّم ـ رحمه الله ـ أنّ صفة الرّحمة الَّتي دلّ عليها اسم الرَّحمن أوسع الصّفات ؛ ولهذا يقرن استواءه على العرش بهذا الاسم كثيرًا ؛ لبيان أنّ الله استوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصّفات [2] .

قال الشيخ البراك في شرحه للواسطية : دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن الرحمة المضافة إلى الله تعالى رحمتان :

1 – **رحمة هي صفته** ؛ وصفاته غير مخلوقة ، وإضافتها إلى الله هي من إضافة الصفة إلى الموصوف ؛ كما قال تعالى عن نبي الله سليمان عليه السلام : (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) [3] ، وقال تعالى: (وربك الغفور ذو الرحمة) [4] ، وقال تعالى: (الرحمن الرحيم) [5] ؛ فهذان الاسمان متضمنان صفة الرحمة ، فاسمه الرحمن يدل على الرحمة الذاتية التي لم يزل ولا يزال موصوفًا بها ، واسمه الرحيم يدل على الرحمة الفعلية التابعة لمشيئته سبحانه وتعالى ؛ كما قال تعالى : (إن يشأ يرحمكم) [6] ، وقال تعالى: (ويرحم من يشاء) [7] .

---

(1) شرح العقيدة الواسطية ، للمصلح ، 2/7 .
(2) مدارج السّالكين ، لابن القيّم ، 33/1 .
(3) سورة النمل ، آية : 19 .
(4) سورة الكهف ، آية : 58 .
(5) سورة الفاتحة ، آية : 3 .
(6) سورة الإسراء ، آية : 54 .
(7) سورة العنكبوت ، آية : 21 .

وأهل السنة والجماعة يثبتون الرحمة لله تعالى صفة قائمة به سبحانه ، والمعطلة ومن تبعهم ينفون حقيقة الرحمة عن الله تعالى – ومنهم الأشاعرة – ويؤولونها بالإرادة أو النعمة .

2- والرحمة الأخرى مما يضاف إليه تعالى : **رحمة مخلوقة** ، وإضافتها إليه هي من إضافة المخلوق إلى خالقه، ومن شواهدها قوله تعالى: (فانظر إلى آثار رحمة الله)(1) ، وقوله تعالى : (وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون)(2) .

والرحمة المذكورة في الحديث هي الرحمة المخلوقة ، وهي التي جعلها الله عز وجل في مائة جزء. والرحمة المخلوقة في الدنيا والآخرة هي أثر الرحمة التي هي صفته سبحانه وتعالى ومقتضاها (3) .

وأهل السنة والجماعة منهجهم في هذه الصفات وهذه الأسماء منهج واحد ، إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات مع نفي التمثيل ونفي العلم بالكيفية وهذا معنى قول السلف في نصوص الصفات أَمِرُّوها كما جاءت ، يعني أَمِرُّوها كما جاءت مثبتين عليه مؤمنين بها غير محرِّفِين لها ولا مكيِّفين لما تدلُّ عليه بلا كيْف.

فأهل السنة والجماعة يثبتون لله –سبحانه وتعالى– صفة الرحمة على حقيقتها حقيقة ، وأما أهل الكلام أهل البدع والضلال فهم ينفون حقيقة عندهم ويفسرون الرحمة في حقه بنحو ما يفسرون به المحبة فيما سبق يفسرونها بالإرادة أو بما يخلق الله من النعم والمنافع التي ينتفع بها العباد وينفون حقيقة الرحمة .

فالجهمية والمعتزلة والأشاعرة ينفون حقيقية الرحمة ؛ لأنهم يقولون إن الرحمة رقة تعتري من قامت به الرحمةُ وهذا ما لا يليق به –سبحانه– الرقة فيها ضعْف وهذا خطأ هذا تفسير لرحمة المخلوق هي التي يعبَّر عنها بأنها رقة تعتري مَن قامت به تعتريه رقة وانفعال، هذه رحمة المخلوق فبسبب هذا التوهُّم لما توهموا من إثبات صفة الرحمة أنها مثل رحمة المخلوق نفوا حقيقة الرحمة وفسروها أنها رحمة بالإرادة (4) .

10/ صفة الخلة لله ..

(1) سورة الروم ، آية : 50 .

(2) سورة آل عمران ، آية : 107 .

(3) تعليقات الشيخ البراك على المخالفات العقدية في فتح الباري ، 1/50-51 .

(4) شرح البراك للواسطية ، 1/72 .

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ومنزلي ومنزل إبراهيم يوم القيامة في الجنة تجاهين والعباس بيننا مؤمن بين خليلين) [1].

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الله قال إن الله اتخذ إبراهيم خليلا وإن صاحبكم خليل الله وإن محمد ﷺ سيد بنى آدم يوم القيامة ثم قرأ (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) [2].

التعليق :

إثبات صفة الخلة لله عز وجل في قوله: (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) [3] . وهذا تشريف عظيم لإبراهيم عليه السلام حيث اتخذه الله خليلاً ، فخالط قلبه حب الله سبحانه وتعالى فتخلله حتى لم يبقِ فيه محلاً لشيء آخر .

ومعنى الخلة : أن تتخلل المحبة القلب حتى لا تدع فيه محلاً لأي شيء آخر ، فإبراهيم قد ملأ قلبه حبُّ الله فلم يبقَ فيه محل لولد ولا أهل ولا وطن ولا أي شيء آخر ، فخرج عن أقاربه جميعاً متجهاً إلى الله ، وهاجر في ذات الله عز وجل ، وقال : (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي) [4] ، وترك أمته وولده بمكة في واد غير ذي زرع ، فقالت : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذاً لا يضيعنا . ولما أوحي إليه بذبح ولده قال : (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) [5] ، فلم يُبقِ في قلبه مكاناً لمحبة أي شيء غير محبة الله سبحانه وتعالى ، فاستحق بذلك جائزة كبرى هي : الخلة، فاصطفاه الله من خلقه خليلاً .

وهذه الخلة أيضاً أعطاها الله محمداً ﷺ ، فقد اتخذه الله خليلا ، فقد ثبت عنه أنه قال : (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله).

وخلة الله هي أعلى منازل العبادة ، ولم تثبت إلا لرجلين فقط : إبراهيم عليه السلام ، ومحمد ﷺ [1] .

---

(1) تاريخ بغداد ، 227/5 . حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، المستدرك على الصحيحين ، 599/2 ح 4018 جزءاً منه .

(2) تاريخ بغداد ، 301/12 . والآية في سورة الإسراء ، آية :79 .

(3) سورة النساء ، آية : 125 .

(4) سورة العنكبوت ، آية : 26 .

(5) سورة الصافات ، آية : 102 .

فابن القيم يقول عن الجهمية أنهم نفوا عن الله تعالى صفة الخلة وهي صفة جاءت في الحديث المتقدم الذكر، والخلة هي أعلى مراتب المحبة لأنها لا تقال إلا إذا تخلل الحبيب كل القلب ، ولهذا سمي إبراهيم عليه السلام خليل الله تعالى .

فالجهمية نفت صفة الخلة وجعلوا الخلة هي حاجة المرء لربه ، فرد عليهم ابن القيم أن هذه الصفة لا يتميز المسلم بها عن الكافر لأن جميع الخلق (مؤمنهم وكافرهم) محتاجون إلى الله تعالى، وجميع الخلق في قبضته وأسره.

وبسبب نفيهم صفة الخلة عن الله تعالى وقولهم بتعطيل صفات الله تعالى كالكلام وكذا علوه على خلقه استحقوا القتل ، وقد قتل القسري الجعد بن درهم لقوله بهذه العقيدة الفاسدة .

وقد مدح العلماء (أهل السنة) صنيع خالد القسري هذا وكذا مدحه ابن القيم بقوله : "لله درك من أخي قربان" [2] .

11/ الصورة ..

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يقولن أحدكم لأخيه قبح الله وجهك ووجه من يشبه وجهه وجهك فان الله خلق آدم على صورته) [3] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه ولا يقولن قبح الله وجهك ووجه من اشبه وجهك فان الله خلق آدم على صورته) [4].

التعليق :

الصورة : صفةٌ ذاتيةٌ خبريةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ بالأحاديث الصحيحة [5] . **ومن الأدلة على ذلك** : حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الطويل في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ، وفيه

---

(1) سلسلة الأسماء والصفات ، لمحمد الشنقيطي ، 15/12 .

(2) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ، علي الشحود ، 253/54 .

(3) تاريخ بغداد ، 74/3 . أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ، 227/1 ح 1150 .

(4) تاريخ بغداد ، 221/2 . رواه مسلم في صحيحه ، باب النهي عن ضرب الوجه ، 165/16 ح 2612 قريباً منه .

(5) صفات الله عزوجل الواردة في الكتاب والسنة ، لعلوي السقاف ، 137/1 .

: (فيأتيهم الجبار في صورته التي رأوه فيها أوَّلَ مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا...) [1] .

قال أبو محمد ابن قتيبة في : " والذي عندي – والله تعالى أعلم – أن الصُّورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين ، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن ، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن ، ونحن نؤمن بالجميع ، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حدٍّ " [2] .

وقال شيخ الإسلام : " أن الأحاديث مع آيات القرآن أخبرت بأنه يأتي عباده يوم القيامة على الوجه الذي وصف ، وعند هؤلاء هو كل آتٍ ، وما في الدنيا والآخرة ، وأما أهل الإلحاد والحلول الخاص ، كالذين يقولون بالاتحاد أو الحلول في المسيح أو علي أو بعض المشايخ أو بعض الملوك أو غير ذلك مما قد بسطنا القول عليهم في غير هذا الموضع ؛ فقد يتأولون أيضاً هذا الحديث كما تأوله أهل الاتحاد والحلول المطلق ؛ لكونه قال : فيأتيهم الله في صورة ، لكن يقال لهم : لفظ (الصُّورة) في الحديث (يعني رحمه الله : حديث أبي سعيد) كسائر ما ورد من الأسماء والصفات التي قد يسمى المخلوق بها على وجه التقييد ، وإذا أطلقت على الله مختصة به؛ مثل العليم والقدير والرحيم والسميع والبصير ، ومثل خلقه بيديه واستوائه على العرش ونحو ذلك " [3] .

اختلف أهل العلم : هل الضمير في (صورته) عائد على آدم أم على الله ..؟

جمهور أهل السنة على أن الضمير يرجع إلى الله عز وجل وأن الله تعالى خلقه على صورته ، وفسّروا ذلك بأنه سميع بصير متكلم ، وإن كان ما يضاف إلى الله عز وجل من السمع والبصر والكلام يليق به ، وما يضاف إلى الإنسان من السمع والبصر والكلام يليق به ، هذا هو المشهور عند أهل السنة ، وقد جاء عن ابن خزيمة أنه قال : إن الضمير يرجع إلى آدم ، ولكن المشهور عند أهل السنة هو القول الأول [4] .

---

(1) أخرجه البخاري ، باب قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناضرة) ، 448/22 ح 6886 جزء من حديث . ومسلم ، باب معرفة طريق الرؤية ، 427/1 ح 269 جزء من حديث .

(2) تأويل مختلف الحديث ، ص 261 .

(3) نقض تأسيس الرازي ، ورقة / 455 .

(4) شرح سنن أبي داوود ، لعبد المحسن العباد ، 28/29 .

المبحث الثاني
الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة : هو التصديق الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور ، وأنهم كما وصفهم الله (عباد مكرمون) ، يسبحون الليل لا يفترون ، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله القيام بها [1].

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان ، فلا يتحقق إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم ، وعليه أن يؤمن بمن ورد ذكرهم في القرآن والسنة على وجه التفصيل ، كما يجب الإيمان بصفاتهم الخَلقية والخُلقية ، والأعمال التي يقومون بها [2].

يقول محمد رشيد رضا [3] في أثناء حديثه عن الإيمان بالملائكة : " إن الإيمان بالملائكة أصل للإيمان بالوحي ، ولذلك قدم ذكر الملائكة على ذكر الكتاب والنبيين ، قال الله تعالى : (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَ الْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) [4] ، فالملائكة هم الذين يؤتون النبيين الكتاب ، قال تعالى : (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ) [5] ، وقال سبحانه : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) [6].

---

(1) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، عبد العزيز محمد السلمان ، ص 17.

(2) نواقض الإيمان القولية والعملية ، عبد العزيز العبد اللطيف ، ص 209 .

(3) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة (المنار) ، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) سنة 1282هـ ، ونظم الشعر في صباه ، وكتب في بعض الصحف ، ثم رحل إلى مصر سنة 1315هـ، فلازم الشيخ محمد عبده ، وتتلمذ له ، ثم أصدر مجلة (المنار) لبثّ آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، وأصبح مرجع الفتيا، في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة. ولما أعلن الدستور العثماني سنة 1326هـ ، زار بلاد الشام ، واعترضه في دمشق وهو يخطب على منبر الجامع الأموي أحد أعداء الإصلاح ، فكانت فتنة ، عاد على أثرها إلى مصر ، وأنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد)، ثم قصد سورية في أيام الملك فيصل بن الحسين ، وانتخب رئيساً للمؤتمر السوري فيها ، وغادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها سنة 1920م ، فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة في سيارة كان راجعاً بها من السويس إلى القاهرة ، ودفن بالقاهرة . أشهر آثاره مجلة (المنار) ، وتفسير القرآن الكريم ولم يكمله ، وغيره ، مات سنة 1354هـ .
انظر: الأعلام للزركلي 126/6 .

(4) سورة البقرة ، الآية : 177 .

(5) سورة القدر ، الآية : 4 .

(6) سورة الشعراء ، الآية : 193-195 .

فيلزم من إنكار الملائكة إنكار الوحي والنبوة وإنكار الأرواح ، وذلك يستلزم إنكار اليوم الآخر " [1] .

كيفية الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة يتضمن عدة أمور لا بد للعبد من تحقيقها حتى يتحقق له الإيمان بالملائكة، وهي :

1 – الإقرار بوجودهم والتصديق بهم كما دلت على ذلك النصوص المتقدمة من أن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقق الإيمان إلا بذلك .

2 – الإيمان بأنهم خلق كثير جدًّا لا يعلم عددهم إلا الله تعالى كما دلت على ذلك النصوص، قال تعالى : (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) [2] . أي لا يعلم جنود ربك وهم الملائكة إلا هو وذلك لكثرتهم ، قال بذلك بعض السلف [3] .

وجاء في حديث الإسراء الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديث مالك بن صعصعة [4] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (..... ثم رفع لي البيت المعمور ، فقلت : يا جبريل ! ما هذا ؟ قال : هذا البيت المعمور ؛ يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم) [5] .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) [6] ، فدل الحديثان على كثرة الملائكة ، فإذا كان البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا

---

(1) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، 113/2 .
(2) سورة المدثر ، الآية : 31 .
(3) تفسير القرطبي ، 82/19 .
(4) هو مالك بن صعصعة الأنصاري المازني ، من بني مازن بن النجار ، روى عنه أنس حديث المعراج ، سكن المدينة ، وروى عن رسول الله ﷺ حديثين ، مات بالمدينة .
انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب 420/1 ، الإصابة في معرفة الصحابة 2/ 39 .
(5) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، 484/10 ح 2968 ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات ، 389/1 ح 238 .
(6) أخرجه مسلم ، كتاب الجنة ووصف نعيمها وأهلها ، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين ، 487/13 ح 5076 .

يعودون إليه وإنما يأتي غيرهم ، وجهنم يأتي بها يوم القيامة هذا العدد من الملائكة ، فكيف بغيرهم من الملائكة الموكلين بأعمال أخرى ممن لا يعلم عددهم إلا خالقهم تبارك وتعالى .

3 – الإقرار لهم بمقاماتهم العظيمة عند ربهم وكرمهم عليه وشرفهم عنده ، كما قال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) [1] ، وقال جل وعلا : (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ) [2] ، فوصفهم بأنهم مكرمون منه سبحانه . وقال تعالى في حقهم :(فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ) [3] ، فوصفهم بأنهم عنده وهذا تشريف لهم ، مع مقام التعبد له بلا سآمة ، كما أنه تعالى أقسم بهم في غير موطن من كتابه وهذا لشرفهم عنده ؛ فقال : (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) [4] ، وقال عز وجل :(فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا) [5] .

وشواهد صور إكرام الملائكة وتنوع أساليبها وتعدد سياقاتها من كتاب الله كثيرة لا تخفى على متدبر ، مما يحتم تقرير هذا في الشرع والله أعلم .

4 – اعتقاد تفاضلهم وعدم تساويهم في الفضل والمنزلة عند الله – تعالى – على ما دلت على ذلك النصوص ، قال تعالى : (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) [6] ، وقال عز وجل : (لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ) [7]، فأخبر أن منهم مصطفين بالرسالة ومقربين ، فدل على فضلهم على غيرهم ، وأفضل الملائكة: المقربون مع حملة العرش ، وأفضل المقربين الملائكة الثلاثة الوارد ذكرهم في دعاء النبي ﷺ الذي كان يفتتح به صلاة الليل فيقول : (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة) [8] .

---

(1) سورة الأنبياء ، الآية : 26–27 .
(2) سورة عبس ، الآية : 15–16 .
(3) سورة فصلت ، الآية : 38 .
(4) سورة الصافات ، الآية : 1–3 .
(5) سورة المرسلات ، الآية : 4–5 .
(6) سورة الحج ، الآية : 75 .
(7) سورة النساء ، الآية : 172 .
(8) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب ما يستفتح به الصلاة ، 421/2 ح 653 ، والترمذي في سننه ، كتاب الدعوات عن رسول الله ، باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل ، 298/11 ح 3342 .

وأفضل الثلاثة جبريل – عليه السلام – وهو الموكل بالوحي ، فشرفه بشرف وظيفته ، وقد ذكره الله في كتابه بما لم يذكر غيره من الملائكة ، وسماه بأشرف الأسماء ، ووصفه بأحسن الصفات ، فمن أسمائه الروح : قال تعالى : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) [1] ، وقال عز وجل : (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا) [2] . وقد ورد هذا الاسم مضافًا إلى الله – تعالى – إضافة تشريف ، قال تعالى : (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) [3] . وورد مضافًا إلى القدس ، قال تعالى : (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ) [4] والقدس هو الله على الصحيح من أقوال المفسرين [5] . ومما جاء في وصفه قوله تعالى : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) [6] ، وقال تعالى : (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى) [7] ، فوصفه الله – تعالى – بأنه رسول وأنه كريم عنده ، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه ، وأنه مطاع في السماوات ، وأنه أمين على الوحي .

5 – موالاتهم والحذر من عداوتهم ، لقوله تعالى : (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) [8] ، فدخل الملائكة في هذه الآية لأنهم مؤمنون قائمون بطاعة ربهم كما أخبر الله عنهم : (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [9] ، وأخبر جل وعلا عن موالاة الملائكة لرسوله وللمؤمنين ، فقال : (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) [10] ، وقال عز وجل : (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) [11] ، وقال : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) [12]

([1]) سورة الشعراء ، الآية : 193 .
([2]) سورة القدر ، الآية : 4 .
([3]) سورة مريم ، الآية : 17 .
([4]) سورة النحل ، الآية : 102 .
([5]) تفسير الرازي ، 436/3 .
([6]) سورة التكوير ، الآية : 19–21 .
([7]) سورة النجم ، الآية : 5–6 .
([8]) سورة التوبة ، الآية : 71 .
([9]) سورة التحريم ، الآية : 6 .
([10]) سورة التحريم ، الآية : 4 .
([11]) سورة الأحزاب ، الآية : 43 .
([12]) سورة فصلت ، الآية : 30 .

، فوجبت موالاة الملائكة على المؤمنين لموالاتهم لهم ونصرهم وتأييدهم واستغفارهم لهم ، وقد حذر الله – تعالى – من عداوة الملائكة فقال : (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) (1) ، فأخبر أن عداوة الملائكة موجبة لعداوة الله وسخطه ، وذلك لأنهم إنما يصدرون عن أمره وحكمه ، فمن عاداهم فقد عادى ربه .

6 – الاعتقاد بأن الملائكة خلق من خلق الله لا شأن لهم في الخلق والتدبير وتصريف الأمور ، بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله ، والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك ، كما أنه لا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة لهم ، بل يجب إخلاص العبادة لخالقهم وخالق الخلق أجمعين ، الذي لا شريك له في ربوبيته وألوهيته ولا مثيل له في أسمائه وصفاته ، وقد بين الله – تعالى – ذلك فقال عز من قائل : (وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (2) ، وقال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) (3) ، فأخبر سبحانه أنه لم يأمر بعبادتهم ؛ وكيف يأمر بعبادتهم وهي كفر بالله العظيم ، ثم أبطل تعالى دعوى من زعم أن الملائكة بنات الله ونزه نفسه عن ذلك ، وبين أنهم عباد مكرمون بكرامته لهم عاملون بأمره مشفقون من خشيته ، وأنهم لا يملكون الشفاعة لأحد إلا من رضي الله عنه من أهل التوحيد . ثم ختم السياق ببيان جزاء من ادعى الألوهية منهم وأن جزاءه جهنم ، فظهر من ذلك أنهم عباد مقربون لا حول لهم ولا قوة إلا بربهم وخالقهم .

7 – الإيمان المفصل بمن جاء التصريح بذكرهم من الملائكة على وجه الخصوص في الكتاب والسنة : كجبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، ومالك ، وهاروت وماروت ، ورضوان ، ومنكر ونكير ، وغيرهم ممن جاءت النصوص بتسميتهم ، وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف : كرقيب وعتيد ، أو بذكر وظيفته : كملك الموت وملك الجبال ، أو من جاءت

(1) سورة البقرة ، الآية : 98 .
(2) سورة آل عمران ، الآية : 80 .
(3) سورة الأنبياء ، الآية : 26–29 .

النصوص بذكر وظائفهم في الجملة : كحملة العرش ، والكرام الكاتبين والموكلين بحفظ الخلق، والموكلين بحفظ الأجنة والأرحام ، وطواف البيت المعمور ، والملائكة السيَّاحين ، إلى آخر من أخبر الله – تعالى – ورسوله ﷺ عنهم .

فيجب الإيمان بذلك إيماناً مفصلاً على نحو ما جاء في النصوص من أسمائهم وصفاتهم ، ووظائفهم ، وأخبارهم ، والتصديق بكل ذلك .

فهذه جملة ما يجب اعتقاده في حق الملائكة الكرام مما دلت عليه النصوص الشرعية [1] .

من ثمرات الإيمان بالملائكة :

للإيمان بالملائكة ثمرات عظيمة على المؤمن ، فمن ذلك :

1- أن تتطهر عقيدة المسلم من شوائب الشرك وأدرانه ، لأن المسلم إذا آمن بوجود الملائكة الذين كلّفهم الله بهذه الأعمال العظيمة تخلّص من الاعتقاد بوجود مخلوقات وهمية تسهم في تسيير الكون .

2- أن يعلم المسلم أن الملائكة لا ينفعون ولا يضرون ، وإنما هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، فلا يعبدهم ولا يتوجه إليهم ، ولا يتعلق بهم [2] .

3- العلم بعظمة خالقهم عز وجل وكمال قدرته وسلطانه .

4- شكر الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده حيث وكّل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة .

5- محبة الملائكة على ما هداهم الله إليه من تحقيق عبادة الله على الوجه الأكمل ونصرتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم [3] .

جهود الخطيب البغدادي في تقرير الإيمان بالملائكة :

يقول العلامة السعدي – رحمه الله – : " الإيمان بالملائكة أحد أصول الإيمان ، ولا يتم الإيمان بالله وكتبه ورسله إلا بالإيمان بالملائكة " [1] .

---

(1) انظر : أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، نخبة من العلماء ، ط 1 (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد 1421هـ) ص 133 – 143 .

(2) الإسلام أصوله ومبادئه ، محمد السحيم ، 182/1 .

(3) انظر : أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، نخبة من العلماء ، ص 153 .

ونظراً لأهميته فقد كان للخطيب البغدادي – رحمه الله – جهوداً في تقرير الإيمان بالملائكة ، وذلك في عدة مسائل ، منها :

المسألة الأولى : عِظم شأن الملائكة :

وفيها ثلاثة مطالب :

الأول : لعِظم شأن الملائكة ؛ فإنهم لا يدخلون بيتاً فيه صورة ..

ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن القاسم عن عائشة أم المؤمنين ﵂ أنها أخبرته أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام بالباب ولم يدخل فعرفت عائشة وأنكرت وجهه ، فقالت : يا رسول الله تبت إلى الله ماذا أذنبت ؟ فقال : ما هذه النمرقة ؟ قالت : اشتريتها لك تجلس عليها وتوسدها فقال: (إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم : أحيوا ما خلقتم وإن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة) [2] .

الثاني : ولعِظم شأنهم ؛ عَظُم تأمينهم ..

1- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن سعيد بن المسيب وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنهما أخبراه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : (إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفِر له ما تقدم من ذنبه) [3] .

2- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن محمد بن عمران الضبي [4] قال : سمعت محمد بن سماعة القاضي قال : مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى إلا يوماً واحداً ماتت فيه أمي ففاتتني صلاة واحدة في جماعة ، فقمت فصليت خمساً وعشرين صلاة أريد بذلك التضعيف ،

---

(1) تيسير الكريم المنان ، السعدي ، ص29 .

(2) تاريخ بغداد ، 1/ 322 . والحديث متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب النكاح ، باب هل يرجع إذا رأى منكراً في الدعوة ، 176/16 ح 4783 ، وأخرجه مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ مافيه صورة ، 21/11 ح 3941 .

(3) تاريخ بغداد ، 5/ 170 . والحديث متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الأذآن ، باب جهر الإمام بالتأمين ، 244/3 ح 738 ، وأخرجه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب التسميع والتحميد والتأمين ، 379/2 ح 618 .

(4) لم أقف على ترجمة له .

فغلبتني عيني ، فأتاني آت فقال : يا محمد ، قد صليت خمساً وعشرين صلاة ، ولكن كيف لك بتأمين الملائكة ؟ [1] .

الثالث : ولِعِظم شأنهم ؛ عَظُم اللعن الصادر منهم ..

1- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن عن زرارة بن أوفي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها باتت تلعنها الملائكة حتى تصبح) [2].

المسألة الثانية : أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه البشر :

1- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن بن شهاب الزهري عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ : (كان لا يأكل الثوم ولا الكراث ولا البصل من أجل أن الملائكة تأتيه وأنه يكلم جبريل) [3] .

2- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي برزة الأسلمي عن بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا صليت فصَلِّ في نعليك ، فإن لم تفعل فضعهما تحت قدميك ؛ ولا تضعهما عن يمينك ولا عن يسارك فتؤذي الملائكة والناس ، وإذا وضعتهما بين يديك كأنما بين يديك قبلة) [4] .

التعليق :

الملائكة خلق من مخلوقات الله – تعالى – ، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة — بإذن الله تعالى – ، ولهم قوى عظيمة ، وقدرة كبيرة على التنقل ، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله ، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره ، فلا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

---

(1) تاريخ بغداد ، 367/1 .

(2) المصدر السابق ، 3 / 22 . والحديث أخرجه مسلم ، في صحيحة كتاب النكاح ، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها ، 301/7 ح 2594 .

(3) تاريخ بغداد ، 309/1 . والحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ، 7/ 50 بنحوه ، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط في باب الألف باب من اسمه إبراهيم ، 156/6 قريباً منه .

(4) تاريخ بغداد ، 4/ 293 . والحديث أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في أين توضع النعل ، 359/4 رقم الحديث 1422 قريباً منه .

وأما بالنسبة لأصل خلقهم ؛ فإن المادة التي خلق الله منها الملائكة هي " النور " ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم) [1] .

صفاتهم :

قد تضمن الكتاب والسنة الكثير من النصوص المبينة صفات الملائكة وحقائقها ، فمن ذلك :

– روى أبو داود من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام) [2] .

– ومن صفاتهم أنهم يتفاوتون في الخلق والمقدار فهم ليسوا على درجة واحدة ، فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أربعة ، ومنهم من له ستمائة جناح ، قال تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ) [3] .

– ومن صفاتهم الحسن والجمال فهم على درجة عالية من ذلك ، قال تعالى في حق جبريل – عليه السلام – : (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى) [4] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : ذو مرة : ذو منظر حسن ، وقال قتادة : ذو خلق طويل حسن [5] .

وقال تعالى مخبراً عن النسوة عند رؤيتهن ليوسف – عليه السلام – : (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) [6] ، وإنما قلن ذلك لما هو مقرر عند الناس من وصف الملائكة بالجمال الباهر .

---

(1) أخرجه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب في أحاديث متفرقة ، 273/14 ح 5314 .

(2) أخرجه أبو داود كتاب السنة ، باب في الجهمية ، 335/12 ح 4102 ، قال الهيثمي في المجمع : رجاله رجال الصحيح .

(3) سورة فاطر ، الآية : 1 .

(4) سورة النجم ، الآية : 5–6 .

(5) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، 260/4 .

(6) سورة يوسف ، الآية : 31 .

- ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها أنهم كرام أبرار ، قال تعالى : (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ *كِرَامٍ بَرَرَةٍ) [1] ، وقال عز وجل : (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ *كِرَامًا كَاتِبِينَ) [2] .

- ومن صفاتهم الحياء لقول النبي ﷺ في حق عثمان رضي الله عنه : (ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة) [3] .

- ومن صفاتهم أيضا العلم ، قال تعالى في خطابه للملائكة : (قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تعلمون) [4] ، فأثبت الله – عز وجل – للملائكة علمًا وأثبت لنفسه علمًا لا يعلمونه . وقال تعالى في حق جبريل – عليه السلام – : (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) [5] ، قال الإمام الطبري–رحمه الله–[6]: " علم محمدًا ﷺ هذا القرآن جبريل عليه السلام " [7] ، وهذا متضمن وصف جبريل بالعلم والتعليم .

إلى غير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة من صفاتهم العظيمة وأخلاقهم الكريمة الدالة على علو شأنهم وسمو منازلهم عليهم السلام .

خصائصهم :

للملائكة – عليهم السلام – خصائص وصفات قد اختصهم الله تعالى بها ، وامتازوا بها عن الجن والإنس وسائر المخلوقات ، فمنها :

أن مساكنهم في السماء وإنما يهبطون إلى الأرض تنفيذًا لأمر الله في الخلق وما أسند إليهم من تصريف شؤونهم ، قال تعالى : (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)[8] ،

---

(1) سورة عبس ، الآية : 15-16 .
(2) سورة الانفطار ، الآية : 10-11 .
(3)أخرجه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، 122/12 ح 4414 .
(4) سورة البقرة ، الآية : 30 .
(5) سورة النجم ، الآية : 5 .
(6) العالم المجتهد المحدث ، الفقيه المقرئ ، المؤرخ علاّمة وقته ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري ثم الآملي ، من أهل طبرستان وإليها نسبته ، ولد في آخر سنة 224هـ ، وتوفي سنة 310 هـ ، ومن أبرز شيوخه : إبراهيم بن سعيد الجوهري ، وأحمد بن الحسن الترمذي ، ومن أبرز تلاميذه : سليمان بن أحمد أبوالقاسم الطبراني ، وعبد الله بن الحسن أبو شعيب الحراني ، ومن أشهر مصنفاته : تفسير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، وتاريخ الطبري المسمى (بتاريخ الأمم والملوك) .
انظر : سير أعلام النبلاء 14/ 267-282 ، والبداية والنهاية 846/14- 850 .
(7) تفسير الطبري ، 498/22 .
(8) سورة النحل ، الآية : 2 .

وقال تعالى : (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون) [2] ، والنصوص في هذاكثيرة جدًّا يصعب حصرها هنا .

– ومن خصائصهم أنهم لا يوصفون بالأنوثة ، قال تعالى منكراً على الكفار ذلك :

(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)[3] ، وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى)[4].

– ومن خصائصهم أنهم لا يعصون الله في شيء ، ولا تصدر منهم الذنوب ، بل طبَّعهم الله على طاعته ، والقيام بأمره ، كما قال تعالى في وصفهم : (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [5] ، وقال أيضا : (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) [6] .

– ومن خصائصهم أيضا أنهم لا يفترون عن العبادة ولا يسأمون ، قال تعالى : (وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) [7] ، وقال في آية أخرى : (فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ) [8] .

فهذه بعض خصائص الملائكة التي اختصهم الله بها دون الثقلين من الإنس والجن .

وبالجملة فالملائكة جنس آخر ، يتميزون في أصل خلقتهم وتكوينهم عن الإنس والجن ، كما أن لكل من الإنس والجن خصائصهما التي يتميز بها أحد الجنسين عن الآخر والله أعلم [9] .

---

(1) سورة الزمر ، الآية : 75 .

(2) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله – تعالى – تعرج الملائكة والروح إليه ، 439/22 ح 6878 ، أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الفجر والعصر والمحافظة عليهما ، 335/3 ح 1001 .

(3) سورة الزخرف ، الآية : 19 .

(4) سورة النجم ، الآية : 27 .

(5) سورة التحريم ، الآية : 6 .

(6) سورة الأنبياء ، الآية : 27 .

(7) سورة الأنبياء ، الآية : 19–20 .

(8) سورة فصلت ، الآية : 38 .

(9) انظر : أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، نخبة من العلماء ، ص126–129 .

فتبين لنا بعد ذكر صفاتهم وخصائصهم ، عِظم شأنهم ، وعلو قدرهم ومكانتهم ، فلذلك عَظُم تأمينهم في الصلاة فيجب الحرص على إدراكه ، وعَظُم اللعن الصادر منهم فلذلك يجب الحرص على تجنب مواطن لعن الملائكة ، والحرص على خلو البيوت من الصور لضمان دخول الملائكة إليها ؛ فإنهم لا يدخلون بيتاً فيه صورة كما ثبت عن النبي ﷺ ، ويجب احترامهم واحترام المكان الذي يكونون فيه فإنهم يتأذون مما يتأذى منه البشر ؛ كما ثبت عنه ﷺ .

المسألة الثالثة : بعضاً من أنواع الملائكة وما هيأهم الله – تعالى – له ، ووكلهم به :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عثمان بن عطاء [1] عن أبيه قال : أوحى الله – تعالى- إلى دانيال[2] : " أن احفر لي سيبين [3] نهرين بالعراق " قال دانيال : إلهي بأي مكاتل ؟ وبأي مساحي ؟ وبأي رجال ؟ وبأي قوة ؟ أحفر لك هذين النهرين فأوحى الله – تعالى- أن أعد سكة حديد وعرضها واجعلها في خشبة وألقها فوق ظهرك فإني باعث إليك الملائكة يعينونك على حفر هذين السيبين " قال : ففعل فحفر فكان إذا انتهى إلى أرض أرملة أو يتيم حاد عنه حتى حفر الدجلة والفرات فهذه العواقيل التي في الدجلة والفرات من حفر دانيال [4] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عطاء الخرساني ، قال قال أبو الدرداء : سَمِعت رسول الله ﷺ يقول: (من سلك طريقاً يطلب به علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطَالِب العلم رضاً عنه ، وإنه ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان

([1]) هو عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخرساني ، أبو مسعود المقدسي ، أصله من بلخ ، ولد سنة 88هـ، يروي عن أبيه وأبي عمران مولى أم الدرداء وإسحاق بن قبيصة ، ويروي عنه ابن المبارك وابن وهب ومحمد بن شعيب ، أكثر روايته عن أبيه ، وأبوه لايجوز الاحتجاج بروايته لما فيها من المقلوبات ، توفي سنة 155هـ .

انظر : لسان الميزان 225/3 ، المجروحين 100/2 ، تهذيب التهذيب 7 /126 .

([2]) دانيال : نبي من بني اسرائيل يقال له دانيال .

انظر : تهذيب اللغة ، 133/14 ، ولسان العرب ، 14/ 276 .

([3]) سيبين : (السيب) السين والياء والباء أصل يدل على استمرار شيء وذهابه ومن ذلك سيب الماء مجراه .

انظر : معجم مقاييس اللغة 119/3 ، العين ، 7/ 313 .

([4]) تاريخ بغداد ، 1/ 24 .

في جوف الماء ، ولفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء) [1].

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن صفوان بن عسال [2] عن رسول الله ﷺ أنه قال : (ما غدا رجل يلتمس علماً إلا فرشت له الملائكة أجنحتها رضاء بما يصنع) [3] .

4- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يزال العبد في صلاة ما دام ينتظر الصلاة تقول الملائكة اللهم اغفر له اللهم ارحمه) [4].

5- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن عباد بن منصور [5] قال : سمعت عدي بن أرطاه يخطب على منبر المدائن فجعل يعظنا حتى بكى وأبكانا ثم قال : كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه : بني أوصيك أن لا تصلي صلاة إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها غيرها حتى تموت وتعال بني حتى نعمل عمل رجلين كأنهما قد أُوقفا على النار ثم سألا الكرة ، ولقد سمعت فلاناً – نسي عباد اسمه ما بيني وبين رسول الله ﷺ غيره ، قال : إن رسول الله ﷺ قال : (إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته ما منهم ملك يقطر دمعه من عينه إلا وقعت ملكاً يسبح ، قال :

([1]) المصدر السابق ، 1/ 183 ، والحديث أخرجه أبو داود كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم ، 49/10 ح 3157 بنحوه وزيادة في آخره ، وأخرجه أحمد في مسنده ، مسند الأنصار في باقي حديث أبي الدرداء رضي الله – تعالى – عنه ، 192/44 ح 20723 بنحوه .

([2]) هو صفوان بن عسال بن زاهر المرادي ، من بني الربض ، سكن الكوفة ، روى النبي ﷺ أحاديث ، يُقال روى عنه من الصحابة عبد الله بن مسعود ، وأما الذين يروون عنه زر بن حبيش وعبد الله بن سلمة وأبو العريف ، له صحبة ، وذُكر أنه غزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة ، توفي في حدود 40هـ.
انظر : الإصابة في معرفة الصحابة 42/2 ، الإستيعاب في معرفة الأصحاب 218/1 ، الوافي بالوفيات 248/5 .

([3]) تاريخ بغداد ، 213/1 ، والحديث أخرجه الطبراني في في المعجم الأوسط ، في باب الحاء ، 64/8 ح 3577 .

([4]) تاريخ بغداد ، 5/ 16 ، والحديث أخرجه مسلم ، ك الصلاة 459/1 ح 649 عن أبي هريرة ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ، في باقي مسند المكثرين ، مسند أبي هريرة ﷺ ، 21/ 457 ح 10413 مع زيادة في آخره .

([5]) هو عباد بن منصور الناجي ، أبو سلمة البصري ، روى عن عكرمة وعطاء والحسن وأيوب وهشام بن عروة ، وروى عنه حماد بن سلمة وريحان بن سعيد ووكيع ، وولي قضاء البصرة خمس مرات ، مات سنة 152 هـ .
انظر : العبر في خبر من غبر 40/1 ، لسان الميزان 3/ 213 ، الوافي بالوفيات 330/5 .

وملائكة سجوداً منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وصفوفاً لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم تعالى فنظروا إليه قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك) [1] .

التعليق :

الملائكة بالنسبة إلى ما هيأهم الله – تعالى – له ووكلهم به ؛ على أقسام :

1/ منهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام ، وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام ، قال الله تعالى : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) [2] .

2/ ومنهم الموكل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله – عز وجل – ، وهو ميكائيل – عليه السلام – ، وفي حديث ابن عباس أنه ﷺ قال لجبريل (على أي شيء ميكائيل ؟ قال :على النبات والقطر) [3] .

3/ ومنهم الموكل بالصور ، وهو إسرافيل – عليه السلام – ، ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه – عز وجل – : الأولى نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق ، نفخة القيام لرب العالمين، وفي حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له . قالوا كيف نقول يا رسول الله ؟ قال قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا) [4] ، وهؤلاء الثلاثة من لملائكة هم الذين ذكرهم النبي ﷺ في دعائه من صلاة الليل (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات

([1]) تاريخ بغداد ، 5/ 369 ، والحديث أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة 1/ 267 ح 260 بلفظه ، وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى ، باب ذكر مناظرات الممتحنين بين أيدي الملوك الجبارين الذين دعوا الناس إلى هذه الضلالة ، 95/6 ح 2483 .

([2]) سورة الشعراء ، آية 193–195 .

([3]) أخرجه الطبراني في المسند الكبير ، الباب الثالث ، 73/10 ح 11893 .

([4]) أخرجه الترمذي ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ، 463/8 ح 2355 ، وأخرجه أحمد في مسنده في مسند الكوفيين 39/ 339 ح 18539 .

والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)[1].

4/ ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه ، قال الله – تعالى – : (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) [2].

5/ ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وترحاله وفي نومه ويقظته وفي كل حالاته ، وهم المعقبات ، قال الله تعالى : (سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [3] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية : والمعقبات من الله هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدر الله — تعالى – خلوا عنه .

6/ ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر ،، وهم الكرام الكاتبون ، وهؤلاء يشملهم مع ما قبلهم قوله – عز وجل – : (وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً) [4] ، وقال سبحانه : (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [5] ، فالذي عن اليمين يكتب الحسنات ، والذي عن الشمال يكتب السيئات.

7/ ومنهم الموكلون بفتنة القبر وهم منكر ونكير .

8/ ومنهم خزنة الجنة ومقدمهم – رضوان عليهم السلام – ، قال الله – تعالى – : (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) [6] .

9/ ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفياتهم ، وفي يوم القيامة ، كما قال – تعالى – : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب ما يستفتح به الصلاة ، 421/2 ح 653 ، والترمذي في سننه ، كتاب الدعوات عن رسول الله ، باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل ، 298/11 ح 3342 .

(2) سورة السجدة ، آية 11 .

(3) سورة الرعد ، آية 10 –11 .

(4) سورة الأنعام ، آية 61 .

(5) سورة ق ، آية 17–18 .

(6) سورة الزمر ، آية 73 .

تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ) [1] .

10/ ومنهم خزنة جهنم عياذاً بالله منها ، وهم الزبانية ، ورؤساؤهم تسعة عشر ، ومقدمهم مالك – عليه السلام – . قال سبحانه : (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ)[2] ، وفي صحيح مسلم (يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام ، كل زمام في يد سبعين ألف ملك يجرونها) [3].

11/ ومنهم الموكلون بالنطفة في الرحم ، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ...) الحديث [4] .

12/ ومنهم حملة العرش ، وهم الذين قال الله – تعالى – فيهم : (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) [5] .

13/ ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله – عز وجل – تنادوا : (هلموا إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، فيسألهم ربهم – عز وجل – وهو أعلم بهم منهم : ما يقول عبادي ؟ قالوا : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك ..) الحديث [6] .

---

(1) سورة فصلت ، آية 30 – 32 .

(2) سورة الزخرف ، آية 77 .

(3) أخرجه مسلم ، كتاب الجنة ووصف نعيمها وأهلها ، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين ، 487/13 ح 5076 .

(4) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، 485/10 ح 2969 ، وأخرجه مسلم , كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ، 100/13 ح 4781 .

(5) سورة غافر ، آية 7 .

(6) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز وجل ، 24/20 ح 5929، وأخرجه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل مجالس الذكر، 196/13 ح 4854.

14/ ومنهم الموكل بالجبال ، وقد ثبت ذكره في حديث خروج النبي ﷺ إلى بني عبد يا ليل وعوده منهم ، وفيه قول جبريل له ﷺ : (إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوه عليك)، وفيه قول ملك الجبال : (إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين) فقال ﷺ :
(بل استأنِ بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً) [1] .

15/ ومنهم زوار البيت المعمور الذي أقسم الله – تعالى – به في كتابه ، ثبت ذلك في حديث المعراج ، وهو بيت في السماء السابعة بحيال الكعبة في الأرض لو سقط لوقع عليها، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم [2] .

16/ ومنهم ملائكة صفوف لا يفترون ، وقيام لا يركعون ، وركّع وسجّد لا يرفعون ، ومنهم غير ذلك (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) [3] ، وعن حكيم بن حزام قال : بينما رسول الله مع أصحابه إذ قال لهم (هل تسمعون ما أسمع ؟ قالوا : ما نسمع من شيء . فقال رسول الله ﷺ : أسمع أطيط السماء وما تلام أن تئطَّ ، ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد) [4].

([1]) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، 8/11 ح 2992 ، وأخرجه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ ، 278/9 ح 3352 .
([2]) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب المناقب ، باب المعراج ، 273/12 ح 3598 ، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات ، 389/1 ح 238 .
([3]) سورة المدثر ، آية 31 .
([4]) انظر : حافظ بن أحمد الحكمي ، معارج القبول ، د.ط (المملكة العربية السعودية : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، د.ت) 77/2–91 . والحديث أخرجه أبي عاصم في الآحاد والمثاني ، باب إني لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط ، 140/2 ح 559، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، الباب الأول ، 331/3 ح 3051.

المبحث الثالث
الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب : هو الركن الثالث من أركان الإيمان ؛ أي الإيمان بكتبه المنزلة على رسله المطهرة من الكذب والزور ، ومن كل باطل ، ومن كل ما لا يليق بها ، قال الله – تعالى – : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً)(1).

وهو التصديق الجازم بأن لله كتباً أنزلها على أنبيائه ورسله ، وهي من كلامه حقيقة ، وأنها نور وهدى ، وأن ما تضمنته حق ، ولا يعلم عددها إلا الله ، وأنه يجب الإيمان بها جملة إلاّ ما سمى الله منها ، وهي : التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن ، فيجب الإيمان بها على التفصيل ، ويجب مع الإيمان بالقرآن ، وأنه منزل من عند الله الإيمان بأن الله تكلم به حقيقة كما تكلم بالكتب المنزلة على أنبيائه ، وأنه المخصوص بمزية الحفظ من التبديل والتغيير ، قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (2) ، وقال : (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (3) .

والإيمان بكتب الله – عز وجل – يجب إجمالاً فيما أجمل ، وتفصيلاً فيما فصل ، ومما يجب الإيمان به مفصلاً :

الإيمان بالقرآن الكريم " وهو الاعتقاد الجازم بأنه كلام الله – سبحانه وتعالى – القرآن العظيم ، وهو كتاب الله المبين ، وحبله المتين ، وصراطه المستقيم ، منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، والله سبحانه تكلم به حقيقة ، ولا يجوز القول بأنه حكاية عن كلام الله، كما يقوله الكلابية ، أو عبارة عن كلام الله كما يقوله الأشاعرة ، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله – تعالى – حقيقة ، وهو سور محكمات وآيات بيّنات ، وحروف وكلمات ، فيه محكم ومتشابه ، وناسخ ومنسوخ ، وخاص وعام ، وأمر ونهي ..إلخ .

---

(1) انظر : معارج القبول ، حافظ بن أحمد الحكمي ، 91/2 . والآية في سورة النساء ، آية : 136.
(2) سورة الحجر ، الآية 9 .
(3) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، عبد العزيز محمد السلمان ، ص 17-18 . والآية في سورة فصلت ، الآية : 43 .

والدليل على أن القرآن الكريم من كلام الله : قوله سبحانه : (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ) [1] ، وقوله : (يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ)[2]، وغيرها من الآيات " [3] .

وتحقيق النصيحة لهذا القرآن العظيم كما قال ﷺ : (الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم)[4].

يقول النووي – في بيان معنى النصيحة لكتابه – : " وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى ، فالإيمان بأنه كلام الله – تعالى – وتنزيله ، ولا يشبه من كلام الخلق ، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق ، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته ، وتحسينها والخشوع عندها ، وإقامة حروفه في التلاوة ، والذب عنه لتأويل المحرفين ، وتعرض الطاعنين ، والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه وأمثاله ، والاعتبار بمواعظه ، والتفكر في عجائبه ، والعمل بمحكمه ، والتسليم لمتشابهه ، والبحث عن عمومه وخصوصه ، وناسخه ومنسوخة ، ونشر علومه ، والدعاء إليه ، وإلى ما ذكرنا من نصيحته " [5] .

ويقول ابن رجب [6] — في شرح معنى النصيحة لكتابه — : " وأما النصيحة لكتابه ، فشدة حبه ، وتعظيم قدره ، إذ هو كلام الخالق ، وشدة الرغبة في فهمه ، وشدة العناية في تدبره ، والوقوف عند تلاوته لطلب معاني ما أحب مولاه أن يفهمه عنه ، ويقوم به له بعدَ ما يفهمه ، وكذلك الناصح من العباد يفهم وصية من ينصحه ، وإن ورد عليه كتاب منه عُني بفهمه ليقوم عليه بما

---

(1) سورة التوبة ، الآية 6 .
(2) سورة الفتح ، الآية 15 .
(3) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، عبد العزيز محمد السلمان ، ص 96- 98 .
(4) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، 182/1 ، ح82 عن تميم الداري ﷺ.
(5) التبيان في آداب حملة القرآن ، النووي ، ص 97-98 .
(6) هوزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي أبو الفرج الشهير بابن رجب الحنبلي، الإمام الحجة، ولد في بغداد سنة 736هـ أحد الأئمة الحفاظ الكبار والعلماء الزهاد الأخيار، العلامة الحافظ الزاهد شيخ الحنابلة ، من مؤلفاته : فتح الباري بشرح البخاري وشرح الترمذي وشرح علل الترمذي وغيرها، مات سنة 795هـ .
انظر: الأعلام 295/3 ، ذيول تذكرة الحفاظ 76/1 ، ومعجم المؤلفين 118/5 .

كتب به فيه إليه ، فكذلك الناصح لكتاب ربه يعني بفهمه ، ليقوم لله بما أمره به، كما يحب ربنا ويرضى ، ثم ينشر ما فهمه في العباد ، ويديم دراسته
بالمحبة له ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه " [1] .

ويجب الإيمان بكل ما فيها من الشرائع ، ويجب على الأمم الذين نزلت إليهم الصحف الأولى الانقياد لها ، والحكم بما فيها ، كما قال – تعالى – : (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ .... **إلى قوله** : وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) [2]

وأن جميعها يصدق بعضها بعضاً لا يكذبه ، كما قال تعالى في الإنجيل : (وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ) [3] ، وقال في القرآن : (مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ) [4]، وأن كل من كذب بشيء منها ، أو أبى عن الانقياد لها مع تعلق خطابه به يكفر بذلك ، كما قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) [5].

جهود الخطيب البغدادي في تقرير الإيمان بالكتب :

من أهم هذه الكتب وأعظمها منزلة وأجلها مكاناً — القرآن الكريم —كتاب الله الذي
(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [6] .

وقد كان للخطيب البغدادي جهود كبيرة في كتاب الله — القرآن الكريم — ، وأنه منزل غير مخلوق ، وذلك في عدة مسائل ، منها :

---

(1) جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي ، ص 78 .
(2) سورة المائدة ، الآية 44-49 .
(3) سورة المائدة ، الآية 46 .
(4) سورة المائدة ، الآية 48 .
(5) انظر : معارج القبول ، 2/92-93 حافظ بن أحمد الحكمي . والآية في سورة الأعراف ، الآية : 40 .
(6) سورة فصلت ، الآية 42 .

المسألة الأولى : القرآن كلام الله غير مخلوق :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي نعيم يقول : " القرآن كلام الله ليس بمخلوقاً " (1).

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي بكر بن أبي شيبة يقول : لما أن جاءت المحنة إلى الكوفة قال لي أحمد بن يونس : الق أبا نعيم فقل له ، فلقيت أبا نعيم فقلت له ، فقال : إنما هو ضرب الأسياط . قال ابن أبي شيبة فقلت له : ذهب حديثنا عن هذا الشيخ ، فقيل لأبي نعيم، فقال : أدركت ثلاثمائة شيخ كلهم يقولون : القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، وإنما قال هذا قوم من أهل البدع ،كانوا يقولون : لا بأس أن ترمي الجمار بالزجاج ، ثم أخذ زره فقطعه ثم قال : رأسي أهون علي من زري (2).

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة (3) ، قال : سمعت علي بن المديني يقول – قبل أن يموت بشهرين – القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر (4) .

4- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن أيوب بن أبي مليكة ، قال : كان عكرمة بن أبي جهل يأخذ المصحف فيضعه على وجهه ويقول : كلام ربي كلام ربي (5) .

5- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن سعيد بن نصير الواسطي – في مجلس خلف البزار – قال سمعت ابن عيينه (6) يقول : ما يقول هؤلاء – يعني بشراً المريسي – قالوا يا أبا محمد ، يزعمون أن القرآن مخلوق ، فقال كذب . قال الله – تعالى - : (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ) (1) ، فالخلق خلق الله ، والأمر أمر القرآن " (2).

---

(1) تاريخ بغداد ، 12/ 349 .

(2) تاريخ بغداد ، 12/ 349 .

(3) هو محمد بن عثمان بن أبي شيبة الإمام الحافظ المسند ، أبو جعفر العبسي الكوفي ، كان عالماً بصيراً بالحديث والرجال ، وله معرفة وفهم ، وله تآليف مفيدة ، منها تاريخ كبير ، كذبه غير واحد ، لكن اختار المحققون قبوله ، وأن حديثه لا ينزل عن رتبة الحسن، والله أعلم، مات سنة 297هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 21/14 ، ولسان الميزان 280/5 ، وشذرات الذهب 226/2 ، والصحيحة 365/2 .

(4) تاريخ بغداد ، 472/11 .

(5) المصدر السابق ، 10/ 320 .

(6) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون ، مولى محمد بن مزاحم ، أخي الضحاك بن مزاحم ، الإمام الكبير ، حافظ العصر، شيخ الإسلام ، أبو محمد الهلالي الكوفي ، ثم المكي ، ولد سنة 107هـ حمل علماً

6- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي حنيفة [3] ، قال : من قال القرآن مخلوق فهو مبتدع ، فلا يقولن أحد بقوله ، ولا يصلين أحد خلفه [4].

التعليق :

مذهب سلف الأمة و أئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة ، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة، أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه ، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته ، فكلامه قائم بذاته ، ليس مخلوقاً بائناً عنه [5] .

والأدلة على أن القرآن كلام الله كثيرة ، منها :

من القرآن : قال الله – تعالى – : (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ) [6] .

ومن السنة : حديث جابر بن عبد الله [7] قال : كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : (هل من رجل يحملني إلى قومه ؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز

جماً، وأتقن وجود وجمع وصنف، وعمر دهراً، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد، وكان صاحب سنة واتباع، واختلط قبل موته بسنة، مات سنة 198هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 454/8 ، وتهذيب التهذيب 117/4 .

(1) سورة الأعراف ، الآية 54 .

(2) تاريخ بغداد ، 9/ 88 .

(3) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي ، الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة الإمام ، فقيه الملة ، عالم العراق ، يقال: إنه من أبناء الفرس ، ولد سنة 80هـ في حياة صغار الصحابة ، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة ، ولم يثبت له حرف عن أحد منهم ، قال الذهبي: الإمامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام ، وإليه المنتهى ، والناس عليه عيال في ذلك . اهـ
وضعفه النسائي ، والدارقطني ، وابن عدي وغيرهم في الحديث ، مات سنة 150هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 390/6 ، وتهذيب التهذيب 449/10 ، وشذرات الذهب 227/1 .

(4) تاريخ بغداد ، 13/ 383-384 .

(5) انظر : مجموع الفتاوى 12 /37 -38 .

(6) سورة التوبة ، الآية 6 .

(7) هو جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة ، الإمام الكبير، المجتهد الحافظ ، صاحب رسول الله ﷺ أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن، الأنصاري الخزرجي السلمي المدني الفقيه، من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتاً. روى علماً كثيراً عن النبي ﷺ، وكان مفتي المدينة في زمانه، مات سنة 78هـ وعمره 94 سنة .

وجل) [1] ، وعن عدي بن حاتم [2] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ..) [3] ، وأيضاً ما احتج به الإمام أحمد وغيره من قول النبي ﷺ : (أعوذ بكلمات الله التامات) [4] ، قالوا : والمخلوق لا يستعاذ به [5] .

ومن أقوال أهل السنة في ذلك : قال ابن أبي زمنين " : ومن قول أهل السنة : أن القرآن كلام الله وتنزيله ليس بخالق ولا مخلوق ، منه تبارك وتعالى بدأ ، وإليه انتهى " [6] .

وقال قوّام السنة الأصبهاني : " والقرآن كلام الله غير مخلوق ،...تكلم به كما شاء من غير كيفية ، لا طريق لنا إلى معرفة كيفية ذلك ، إنما علمنا أنه كلامه تكلم به " [7] .

والقول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق مجمع عليه عند السلف ، قال إسحاق بن راهويه : " ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وكيف يكون من الرب عز ذكره مخلوقاً " [8] ، وقال شيخ الإسلام : " وأئمة الدين كلهم متفقون على ما جاء به الكتاب والسنة ، واتفق عليه سلف الأمة من أن كلّم الله موسى تكليماً ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق " [9] ،

انظر : سير أعلام النبلاء 189/3 ، والإصابة 213/1 .

(1) أخرجه أبو داود ، كتاب السنة ، باب في القرآن ، 345/12 ، ح 4109 ، والترمذي ، كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ ، 168/10 ، ح 2849 ، وابن ماجه في المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية، 233/1 ، ح 197 عن جابر رضي الله عنه ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1947) .

(2) هو عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي، الأمير الشريف، أبو وهب وأبو طريف الطائي، صاحب النبي ﷺ، وَلَد حاتمِ طي الذي يضرب بجوده المثل، كان على طيئ يوم صفين مع علي مات سنة (67هـ) .

انظر : سير أعلام النبلاء 162/3 ، والإصابة 468/2 .

(3) متفق عليه ، رواه البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة قبل الرد ، 225/5 ، ح 1324 ، ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة ،195/5 ، ح 1688 عن عدي بن حاتم رضي الله عنه .

(4) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء ، 2080/4 ، ح 2708 عن خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها . و باب مايقول عند النوم وأخذ المضجع ، 2081/4 ، ح 2709 عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(5) مجموع الفتاوى 12 /313 .

(6) أصول السنة ، ص 82 .

(7) الحجة ، 292/2 .

(8) مجموع الفتاوى ، 516/12 .

(9) مجموع الفتاوى ، 12 /504 وانظر 6/ 528 ، ومنهاج السنة 416/5 ، 3/ 369 .

وقد خالف أهل السنة والجماعة في معتقدهم في القرآن الجهمية ، والمعتزلة، والأشاعرة وغيرهم ، وقد تصدى لهم أئمة السنة وردوا باطلهم [1] .

المسألة الثانية : تكفير القائلين بخلق القرآن ..

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن يحي بن أكثم [2] يقول : القرآن كلام الله ، فمن قال مخلوق يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه [3] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن شاذ بن يحي [4] يقول : سمعت يزيد بن هارون يحلف بالله الذي لا إله إلا هو أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر [5] .

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن يزيد بن هارون [6] يقول : القرآن كلام الله ، لعن الله جهماً ومن يقول بقوله ، كان كافراً جاحداً [7] .

4- ما أخرجه الخطيب بسنده عن يحي بن خلف بن الربيع الطرسوسي [8] ، يقول : جاء رجل إلى مالك بن أنس وأنا شاهد ، فقال له : يا أبا عبد الله ما تقول في رجل يقول القرآن مخلوق ؟

---

(1) المصدر السابق ، 12 /42-52 ، ودرء التعارض 246/2 وما بعدها ، وشرح الطحاوية 172/1.

(2) هو يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن، قاضي القضاة، الفقيه العلامة الصدوق، أبو محمد التميمي المروزي، ثم البغدادي، ولد في خلافة المهدي، وله رحلة ومعرفة، وكان من أئمة الاجتهاد، وله تصانيف، منها كتاب التنبيه. ولي قضاء البصرة وعمره 20 سنة، مات سنة 242هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 5/12 ، وشذرات الذهب 91/2 .

(3) تاريخ بغداد ، 14/ 198 .

(4) هو شاذ بن يحيى الواسطي، شيخ صدوق، وذكره الإمام أحمد بخير.
انظر: سير أعلام النبلاء 434/10 ، وتهذيب التهذيب 299/4 .

(5) تاريخ بغداد ، 14/ 342 .

(6) هو يزيد بن هارون بن زاذي ، الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، أبو خالد السلمي مولاهم ، الواسطي ، الحافظ ، مولده في سنة 118هـ ، وكان رأساً في العلم والعمل ، ثقة حجة ، كبير الشأن، وكان يزيد رأساً في السنة ، معادياً للجهمية ، منكراً تأويلهم في مسألة الاستواء ، مات سنة 206هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 358/9 ، وشذرات الذهب 16/2 .

(7) المصدر السابق ، 14/ 342 .

(8) هو يحيى بن خلف بن الربيع بن مرزوق الطرسوسي المقرئ ، كوفي سكن طرسوس ، قال الذهبي – وعنه ابن حجر– : ليس بثقة ، أتى عن مالك بما لا يحتمل ، بينما قال الحسن بن عبد الله بن قوهي الغازي الراوي عنه : وكان ثقة ، كذا نقله اللالكائي ، وعند أبي نعيم قال الحسن بن إسحاق التستري –وهو الراوي عنه عنده–: من ثقات المسلمين وعبادهم .
انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 416/1 ، وحلية الأولياء 325/6 ، وميزان الاعتدال 372/4 ، ولسان الميزان 252/6 .

! قال : كافر زنديق خذوه فاقتلوه ، قال : إنما أحكي لك كلاماً سمعته ، قال : لم أسمعه من أحد إنما سمعته منك [1] .

5- ما أخرجه الخطيب بسنده عن علي بن المديني [2] يقول : هو كفر – يعني من قال القرآن مخلوق [3] .

6- ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال : سمعت عليا على المنبر يقول : من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر ، ومن زعم أن الله لا يرى فهو كافر ، ومن زعم أن الله لم يكلم موسى على الحقيقة فهو كافر [4] .

التعليق :

الآثار الواردة عن السلف الصالح – رحمهم الله – في تكفير القائلين بخلق القرآن كثيرة ؛ وقد امتلأت كتب السنة بها ، وكلها تدل دلالة واضحة وصريحة على موقف السلف من القائلين بخلق القرآن ؛ وهو تكفيرهم واستتابتهم ، فإن تابوا وإلا القتل ، وذلك بإجماع منهم – رحمهم الله – ، فقد نقل الإمام اللالكائي عن خمسمائة وخمسين نفساً من العلماء قول : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر .. إلى أن قال : فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً أو أكثر من التابعين ، وأتباع التابعين ، والأئمة المرضيين ، سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصار ، ومضي السنين والأعوام ، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم ، وتدينوا بمذاهبهم ، ومن أنكر قولهم استتابوه ، أو أمروا بقتله، أو نفيه ، أو صلبه [5].

وقال الإمام عبد الغني المقدسي : " وأجمع السلف والمقتدى بهم من الخلف على أنه غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر " [6].

---

(1) المصدر السابق ، 5/ 308 .

(2) هو أبو الحسن علي بن عبدالله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد السعدي ، مولاهم البصري ، المعروف بابن المديني ، مولى عروة بن عطية السعدي الشيخ الإمام الحجة ، أمير المؤمنين في الحديث ، برع في هذا الشأن ، وصنف وجمع ، وساد الحفاظ في معرفة العلل، بلغت تصانيفه مئتي مصنف، ولد سنة 161هـ قال البخاري : ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني! مات سنة 234هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 41/11 ، وميزان الاعتدال 138/3 ، وتهذيب التهذيب 349/7 .

(3) المصدر السابق ، 11/ 472 .

(4) المصدر السابق ، 11/ 472 .

(5) انظر : شرح السنة للالكائي ، 344/2 .

(6) الاقتصاد في الاعتقاد ، ص136 .

قال شيخ الإسلام : " اشتهر عن أئمة السلف تكفير من قال : القرآن مخلوق ، وأنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل " [1] .

وقد بين العلماء سبب تكفير السلف للقائلين بخلق القرآن ..قال شيخ الإسلام : " وهؤلاء الصابئة [2] المحضة من المتفلسفة يقولون : إن الله ليس له كلام في الحقيقة ؛ لكن كلامه – عند من أظهر الإقرار بالرسل منهم – ما يفيض على لسان الأنبياء ، وهو أنه محدث في نفوسهم من غير أن يكون في الخارج عن نفوسهم لله عندهم كلام ، وهكذا كان الجهم يقول أولاً : أنّ الله لا كلام له ، ثم احتاج أن يطلق أن له كلاماً لأجل المسلمين فيقول : هو مجاز ؛ ولهذا كان الإمام أحمد وغيره من الأئمة يعلمون مقصدهم ، وأنّ غرضهم التعطيل ، وأنهم زنادقة ، والزنديق المنافق " [3] ، وقال أيضاً : " فلما عرف السلف حقيقته ، وأنه مضاد لقول المتفلسفة المعطلة [4] الذين

---

(1) مجموع الفتاوى ، 506/12 .

(2) في اللغة : صبأ الرجل إذا مال وزاغ ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم : الصابئة ، وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين ، كما أن مدار مذهب الحنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين، والصابئة تدعي أن مذهبها هو الاكتساب ، والحنفاء تدعي أن مذهبها هو الفطرة ، فدعوة الصابئة إلى الاكتساب ، ودعوة الحنفاء إلى الفطرة ، فقد كانت الفرق في زمان إبراهيم الخليل عليه السلام راجعة إلى صنفين اثنين: أحدهما: الصابئة، والثاني: الحنفاء ، فالصابئة كانت تقول: إنا نحتاج في معرفة الله تعالى ومعرفة طاعته وأوامره وأحكامه إلى متوسط ، لكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانياً لا جسمانياً ، وذلك لزكاء الروحانيات وطهارتها ، وقربها من رب الأرباب ، والجسماني بشر مثلنا يأكل مما نأكل ، ويشرب مما نشرب ، يماثلنا في المادة والصورة، قالوا : (ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون) ثم لما لم يتطرق للصابئة الاقتصار على الروحانيات البحتة والتقرب إليها بأعيانها والتلقي عنها بذواتها فزعت جماعة إلى هياكلها ، وهي السيارات السبع ، وبعض الثوابت = فصابئة النبط والفرس والروم مفزعها السيارات ، وصابئة الهند مفزعها الثوابت ، وربما نزلوا عن الهياكل إلى الأشخاص التي لا تسمع ولا تبصر ، ولا تغني عنهم شيئاً والفرقة الأولى : هم عبدة الكواكب، والثانية : هم عبدة الأصنام ، والصابئة المندائية هي طائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم ، والتي تعتبر يحيى عليه السلام نبيًّا لها، يقدّس أصحابها الكواكب والنجوم ويعظمونها .

انظر: الملل والنحل 228/1 – 4/2 ، والرد على المنطقيين ص454 ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة 136/1 .

(3) مجموع الفتاوى ، 351/12 .

(4) هو اسم يشمل فرقاً مختلفة كالجهمية والمعتزلة والرافضة والصوفية والمرجئة والأشاعرة والماتريدية والباطنية الغالية، لتوافقهم في نفي صفات الباري سبحانه وتعالى وتأويل ما لا يتوافق مع مذهبهم من نصوص الكتاب والسنة وتعطيلها عن حقيقة معناها .

انظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، وكتاب اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم .

يقولون إن الله لم يتكلم " [1] ، وقال أيضاً : " وأما إطلاق القول بأن الله لم يكلم موسى فهذه مناقضة لنص القرآن ، فهو أعظم من القول بأن القرآن مخلوق ؛ وهذا لا ريب يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، فإنه أنكر نص القرآن ، وبذلك أفتى الأئمة في مثله ، والذي يقول القرآن مخلوق هو في المعنى موافق له ، فلذلك كفره السلف " [2] .

وقد أور د الخطيب آثاراً كثيرة في نسبة أبي حنيفة للقول بخلق القرآن ، وكثير منها ساقط ضعيف ، قال الشيخ الألباني [3] – في الروايات التي ذكرها الخطيب في نسبة أبي حنيفة للقول بخلق القرآن : " دققت النظر في بعضها فوجدته لا يخلو من قادح ، ولعل سائرها كذلك "[4]، وقد ذكر ابن تيمية أن اعتقاد الإمام أبي حنيفة في القرآن هو اعتقاد الأئمة الثلاثة : مالك ، والشافعي ، وأحمد [5] .

وقال الإمام الطحاوي في بيان اعتقاد الإمام أبي حنيفة وصاحبيه : " وأيقنوا أن كلام الله في الحقيقة ليس بمخلوق " [6] .

وحينما سمى اللالكائي علماء السلف الذين قالوا بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ؛ ذكر من بينهم الإمام أبا حنيفة – رحمه الله – [7] .

المسألة الثالثة : نشأة القول بخلق القرآن ..

---

(1) مجموع الفتاوى ، 310/12 .
(2) المصدر السابق ، 508/12 .
(3) هو محدث عصره ، المجاهد بقلمه ، الإمام ، أبو عبدالرحمن ، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم ، الأشقودري ، الألباني ، الأرنؤوطي ، الحنفي (قديماً) ، ثم الإمام المجتهد (بعد) . المولود بـ : "أشقودرة" عام 1332هـ ، والمتوفى بـ : "عَمَّان" عام 1420هـ . له الكثير من المؤلفات والتحقيقات والتخريجات العلمية النافعة ، منها تحقيقه لكتب السنة الأربعة ، واختصاره للصحيحين ، وإرواء الغليل ، وسلسلتا الأحاديث الصحيحة والضعيفة ، أفاد العامة والخاصة بكتبه ورسائله ومقالاته ، وشهد له بعلو مكانته وصدق منهجه وسلامة معتقده أئمة عصره ، وصنف في ترجمته عدة مؤلفات . وتوفي سنة 1420هـ .
انظر: نبع الأماني في ترجمة الشيخ الألباني للحويني ، وحياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه للشيباني، وعلماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب 287/1 . 325 .
(4) مختصر العلو ، ص 156 .
(5) منهاج السنة ، 106/2 .
(6) شرح الطحاوية 172/1 .
(7) شرح السنة للالكائي 297/2 .

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن يحيى بن أكثم قال : قال لنا المأمون : لولا مكان يزيد ابن هارون لأظهرت القرآن مخلوق . فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين ومن يزيد حتى يكون يتقى ، قال : فقال : ويحك ، إني لا أتقيه لأن له سلطاناً أو سلطنة ، ولكن أخاف إن أظهرته فيرد علي ، فيختلف الناس وتكون فتنة ، وأنا أكره الفتنة ، قال : فقال له الرجل فأنا أخبر لك ذلك منه . قال : فقال له : نعم ! قال : فخرج إلى واسط فجاء إلى يزيد فدخل عليه المسجد ، وجلس إليه ، فقال له : يا أبا خالد إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ، ويقول لك : إني أريد أن أظهر القرآن مخلوق . قال : فقال : كذبت على أمير المؤمنين ، أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه ، فإن كنت صادقاً فاقعد إلى المجلس ، فإذا اجتمع الناس فقل . قال : فلما أن كان من الغد اجتمع الناس : فقام فقال : يا أبا خالد رضي الله عنك إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك : إني أردت أن أظهر القرآن مخلوق فما عندك في ذلك ؟ قال : كذبت على أمير المؤمنين ، أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه ، وما لم يقل به أحد . قال : فقدم . فقال يا أمير المؤمنين كنت أنت أعلم ، قال : كان من القصة كيت وكيت ، قال : فقال له ويحك تلعب بك" [1] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أحمد بن يسار بن أيوب [2] يقول : أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي ذكر لنا أنه من موالي عبد الرحمن بن سمرة ، وقد لقي وجالس الناس ، ورحل في الحديث ، وكان صاحب قشافة ، وهو من آحاد المعدودين في الزهد ، قدم مرو أيام المأمون يريد التوجه إلى الغزو ، فأدخل على المأمون ، فلما سمع كلامه جعله من الخاصة من إخوانه ، وحبسه عنده إلى أن خرج معه إلى الغزو ، فلم يزل عنده مكرماً إلى أن أراد إظهار كلام جهم وقول القرآن مخلوق ، وجمع بينه وبين بشر المريسي ، وسأله أن يكلمه ، وكان عبد السلام يرد على أهل الأهواء من المرجئة [3] والجهمية والزنادقة ، والقدرية [1] ، وكلم بشر المريسي غير مرة بين يدي

---

(1) تاريخ بغداد ، 14/ 342 .

(2) هو أحمد بن يسار بن أيوب ، أبو الحسن المروزي الفقيه ، ثقة حافظ ، أحد أصحاب الوجوه من الشّافعية ، وكان بعض العلماء يشبهِّه في زمانه بابن المبارك علماً وفضلاً ، مات سنة 268هـ وله سبعون سنة .

انظر : تاريخ الإسلام 45/20 ، وتقريب التهذيب 36/1 .

(3) فرقة من الفرق الإسلامية المبتدعة، يقولون بالإرجاء، وهو تأخير العمل عن مسمى الإيمان، وبعضهم أخرج القول ، وبعضهم أخرج الاعتقاد !! ثم انقسموا إلى فرق : مرجئة الخوارج ، ومرجئة قدرية ، ومرجئة

المأمون مع غيره من أهل الكلام ، كل ذلك كان الظفر له ، وكان يعرف بكلام الشيعة ، وناظرته في ذلك لأستخرج ما عنده فلم أره يفرق ، ورأيته يقدم أبا بكر وعمر ، ويترحم على علي وعثمان ، ولا يذكر أصحاب النبي ﷺ إلا بالجميل ، وسمعته يقول : هذا مذهبي الذي أدين الله به ، إلا أن ثم أحاديث يرويها في المثالب ، وسألت إسحاق بن إبراهيم عن تلك الأحاديث ، وهي أحاديث مروية نحو ما جاء في أبي موسى ، وما روي في معاوية فقال : هذه أحاديث قد رويت . قلت : فتكره كتابتها وروايتها ، والرواية عمن يرويها ؟ فقال : أما من يرويها على طريق المعرفة فلا أكره ذلك ، وأما من يرويها ديانة ويريد عيب القوم فإني لا أرى الرواية عنه [2] .

التعليق :

إن أول من أظهر القول بخلق القرآن هو الجعد بن درهم [3] (ت124هـ) ، وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء ، قال اللالكائي – رحمه الله – [4] : " ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال : القرآن مخلوق (الجعد بن درهم) في سني نيف وعشرين ومائة ثم جهم بن صفوان ، فأما جعد فقتله خالد بن عبد الله القسري ، أما جهم فقتل بمرو في خلافة هشام ابن عبد الملك" [5] .

وقال ابن تيمية – رحمه الله – : " وأول من قال هذه المقالة في الإسلام كان يقال له الجعد بن

جهمية ، ومرجئة خلص ، وغيرهم ، وأقرب فرق المرجئة إلى أهل السنة من ذهب إلى أن الإيمان هو التصديق باللسان والقلب معاً ، وأن الأعمال إنما هي شرائع الإيمان وفرائضه فقط.

انظر: مقالات الإسلاميين ص132 ، والفصل في الملل والأهواء والنحل 88/2 ، والملل والنحل 138/1 .

(1) فرقة من الفرق الإسلامية المبتدعة، يقولون بالقدر، وأصل مذهب القدرية طلب العلة في كل شيء، ويشتركون في نسبة أفعال العباد إليهم خلقاً ، فيقولون: الله خالق العبد والعبد خالق فعل نفسه ، وإلا لم يصح أن يحاسب عليه ، وفي زمان المتأخرين من الصحابة حدث أول خلاف القدرية في القدر والاستطاعة من معبد الجهني وغيلان الدمشقي والجعد بن درهم .

انظر: الملل والنحل 15/1 ، والفرق بين الفرق 14/1 .

(2) تاريخ بغداد ، 11/ 47 .

(3) هو مؤدب مروان بن محمد ، ولهذا يقال له مروان الجعدي ، كان الجعد أول من تفوه بأن الله لا يتكلم ، وقد هرب من الشام . ويقال : إن الجهم بن صفوان أخذ عنه مقالة خلق القرآن ، وأصله من حران ، كان الجعد زنديقاً .

انظر: تاريخ الإسلام 3/7، 37 والبداية والنهاية 17/10 .

(4) هو الإمام الحافظ المجود ، المفتي أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، اللالكائي الشافعي، برع في المذهب، مفيد بغداد في وقته، صنف كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، مات سنة 418هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 419/17 ، وشذرات الذهب 211/3 .

(5) شرح السنة ، للالكائي ، 344/2 .

درهم ، فضحى به خالد بن عبد الله القسري [1] يوم أضحى ، فإنه خطب الناس فقال في خطبته : ضحوا أيها الناس ! تقبل الله ضحاياكم ، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيرا ، ثم نزل فذبحه ، وكان ذلك في زمن التابعين سنة 158هـ ، فشكروا ذلك ، وأخذ هذه المقالة عنه جهم بن صفوان ، وقتله بخراسان سلمة بن أحوز " [2] .

وقد أخذ الجعد بن درهم مقالة التعطيل للصفات – والتي منها القول بخلق القرآن – من تلامذة اليهود والمشركين ، وضلال الصابئين ، قال شيخ الإسلام : " أصل هذه المقالة – مقالة التعطيل للصفات – إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين ، وضلال الصابئين، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام ، هو الجعد بن درهم ، وقد قيل إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان ، وأخذها أبان بن طالوت ابن أخت لبيد الأعصم ، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ " [3] .

وقد تلقف هذه المقالة الكفرية ، بشر بن غياث المريسي (ت:218) ، ولكنه لم يستطع إظهارها ، لعله بتهديد أمير المؤمنين هارون الرشيد [4] حيث قال : " بلغني أن بشر المريسي يزعم أن القرآن مخلوق ، لله علي إن أظفرني به لأقتلنه قتلة ما قتلها أحد قط " ، فبقي مختفياً مدة ، ثم ظهر مرة أخرى لما تولى المأمون الخلافة . ولم تنشر هذه المقالة ، وابتلي بها الناس حتى تولى المأمون الخلافة ، قال ابن القيم : " ... إلى أن جاء أول المائة الثالثة وولي على الناس عبد الله المأمون وكان يحب أنواع العلوم ، وكان مجلسه عامراً بأنواع المتكلمين ، فغلب عليه حب

(1) هو الأمير الكبير أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري الدمشقي أمير العراقيين لهشام، وولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبد الملك، ثم لسليمان، كان جواداً ممدحاً معظماً عالي الرتبة من نبلاء الرجال، لكنه فيه نصب معروف، قتل سنة 126هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء 425/5 ، وشذرات الذهب 169/1 .
(2) مجموع الفتاوى ، 502/12.
(3) مجموع الفتاوى ، 20/5 .
(4) هو الخليفة ، أبو جعفر هارون بن المهدي محمد ، بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي ، الملقب بالرشيد ، ولد بالري سنة 148هـ ، واستخلف بعهد معقود له بعد الهادي من أبيهما المهدي في سنة 170هـ ، من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك ، ذو حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي ، وصِلاته للعلماء مشهورة ، مات غازياً بخراسان سنة 193هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 286/9 ، وشذرات الذهب 334/1 .

المعقولات .. إلى أن قال : فغلب على مجلسه جماعة من الجهمية ممن كان أخوه الأمين قد أقصاهم ، وتتبعهم بالحبس والقتل ؛ فحشوا بدعة التجهم في أذنه وقلبه فقبلها واستحسنها ودعا الناس إليها وعاقبهم عليها " [1] .

وقد كان المأمون يريد إظهار القول بخلق القرآن ، ولكنه لم يفعل لمكان يزيد بن هارون الواسطي (ت206هـ) من العامة ، ثم لما توفي يزيد بن هارون بفترة وذلك في سنة 212 هـ بدأ المأمون بإظهار القول بخلق القرآن ، قال ابن كثير في حوادث 212هـ : " وفي ربيع الأول أظهر المأمون في الناس بدعتين فظيعتين إحداهما أطم من الأخرى ، وهي القول بخلق القرآن ، والثانية تفضيل علي بن أبي طالب على الناس بعد رسول الله ﷺ " [2] ، وفي عام 218هـ ، عزم المأمون على امتحان العلماء والقضاة بهذه المقولة الكفرية ، فكتب إلى عماله ونوابه بامتحان العلماء ، بما هو معروف مشهور [3].

المسألة الرابعة : المناظرات بين أهل السنة، والمبتدعة في هذه المسألة ..

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن الواثق [4] – الذي يقال له المهتدي بالله – يقول : كان أبي إذا أراد أن يقتل رجلاً أحضرنا ذلك المجلس ، فأتى بشيخ مخضوب مقيد. فقال أبي : ائذنوا لأبي عبد الله وأصحابه يعني ابن أبي داود ، قال : فأدخل الشيخ ، والواثق في مصلاه فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين . فقال له : لا سلم الله عليك . فقال: يا أمير المؤمنين بئس ما أدبك مؤدبك . قال الله تعالى : (وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) [5]. والله ما حييتني بها ولا بأحسن منها . فقال ابن أبي داؤد : يا أمير المؤمنين الرجل متكلم . فقال له : كلمه ! فقال : يا شيخ ، ما تقول في القرآن ؟ قال الشيخ : لم تنصفني – يعني ولي السؤال – فقال له : سل ، فقال له الشيخ : ما تقول في القرآن ؟ فقال مخلوق ، فقال هذا شيء علمه

(1) مختصر الصواعق ، 269/1 باختصار .
(2) البداية والنهاية ، 278/10وما بعدها ، وانظر السير 286/10 ، وشذرات الذهب 27/2.
(3) الآثار العقدية ، ج 2ص366
(4) هو أمير المؤمنين ، المهتدي بالله ، أبو إسحاق ، وأبو عبد الله ، محمد بن الواثق هارون بن المعتصم محمد بن الرشيد العباسي ، مولده في دولة جده ، وبويع ابن بضع وثلاثين ؛ سنةَ 255هـ ، كان ورعاً عادلاً صالحاً متعبداً بطلاً شجاعاً، قوياً في أمر الله، خليقاً للإمارة، لكنه لم يجد معيناً، قتل سنة 256هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 535/12 ، وشذرات الذهب 132/2 .
(5) سورة النساء ، الآية 86 .

النبي ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والخلفاء الراشدون ، أم شيء لم يعلموه ؟ فقا ل : شيء لم يعلموه . فقال : سبحان الله ! شيء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراشدون علمته أنت ؟ قال : فخجل ! فقال : أقلني والمسألة بحالها ، قال : نعم ! قال : ما تقول في القرآن ؟ فقال : مخلوق .فقال هذا شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء الراشدون أم لم يعلموه ؟ فقال : علموه ، ولم يدعو الناس إليه ، قال : أفلا وسعك ما وسعهم ؟ قال : ثم قام أبي ، فدخل مجلس الخلوة ، واستلقى على قفاه ووضع إحدى رجليه على الأخرى . وهو يقول : هذا شيء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراشدون علمته أنت ؟ سبحان الله ! شيء علمه النبي ﷺ و أبو بكر و عمر و عثمان و علي و الخلفاء الراشدون ، ولم يدعوا الناس إليه ؟ أفلا وسعك ما وسعهم ؟ ثم دعا عمار الحاجب فأمر أن يرفع عنه القيود ويعطيه أربعمائة دينار ويأذن له في الرجوع ، وسقط من عينه ابن أبي داؤد . ولم يمتحن بعد ذلك أحداً [1] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أحمد بن سندي الحداد [2] قال : قرئ على أحمد بن الممتنع – وأنا أسمع – قيل أخبركم صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور الهاشمي ، قال : حضرت المهتدي بالله أمير المؤمنين – رحمة الله عليه – وقد جلس للنظر في أمور المتظلمين في دار العامة ، فنظرت إلى قصص الناس تقرأ عليه من أولها إلى آخرها ، فيأمر بالتوقيع فيها ، وينشأ الكتاب عليها ، ويحرر ويختم ، وتدفع إلى صاحبها بين يديه ، فسرني ذلك واستحسنت ما رأيت منه ، فجعلت أنظر إليه ، ففطن ونظر إلي ، فغضضت عنه ، حتى كان ذلك مني ومنه مراراً ثلاثة ، إذا نظر غضضت ، وإذا شغل نظرت ، فقال لي : يا صالح ! قلت لبيك يا أمير المؤمنين ، وقمت قائماً ، فقال : في نفسك مني شيء تريد – أو قال تحب – أن تقوله ؟ قلت : نعم يا سيدي ، فقال لي : عد إلى موضعك ، فعدت وعاد إلى النظر ، حتى إذا قام قال للحاجب : لا يبرح

(1) تاريخ بغداد ، 4/ 151 .

(2) هو أحمد بن سندي بن الحسن بن بحر أبو بكر الجداري الحداد، وكان ثقة صادقاً خيراً فاضلاً يسكن قطيعة بني حداد، قال أبو نعيم: كان يعد من الأبدال ثقة انتخب عليه الدارقطني وكان مجاب الدعوة، مات سنة 359هـ .

انظر: تاريخ بغداد 187/4 ، والأنساب 28/2 .

صالح ، وانصرف الناس ثم أذن لي ، وهمتني نفسي ، فدخلت فدعوت له ، فقال لي : اجلس ، فجلست ، فقال : يا صالح تقول لي ما دار في نفسك ، أو أقول أنا ما دار في نفسي أنك استحسنت ما رأيت منا ، فقلت : أي خليفة خليفتنا إن لم يكن يقول إن القرآن مخلوق، فورد على قلبي أمر عظيم، ثم قلت : يا نفس هل تموتين قبل أجلك ، وهل تموتين إلا مرة ، وهل يجوز الكذب في جد أو هزل ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ما دار في نفسي إلا ما قلت ، فأطرق ملياً ثم قال : ويحك اسمع مني ما أقول ، فو الله لتسمعن إلا الحق . فسري عني ، وقلت: يا سيدي ومن أولى بقول الحق منك ، وأنت خليفة رب العالمين ، وابن عم سيد المرسلين من الأولين والآخرين ، فقال : ما زلت أقول إن القرآن مخلوق صدراً من أيام الواثق، حتى أقدم أحمد بن أبي داؤد علينا شيخاً من أهل الشام من أهل أذنه [1] ، فأدخل الشيخ على الواثق مقيداً وهو جميل الوجه ، تام القامة ، حسن الشيبة ، فرأيت الواثق قد استحيا منه ورق له ، فما زال يدنيه ويقربه حتى قرب منه ، فسلم الشيخ فأحسن ودعا فبلغ وأوجز . فقال له الواثق: اجلس فجلس ، وقال له : يا شيخ ناظر ابن أبي داؤد على ما يناظرك عليه ، فقال له الشيخ : يا أمير المؤمنين ابن أبي داؤد يصبو ويضعف عن المناظرة ، فغضب الواثق وعاد مكان الرقة له غضباً عليه ، وقال : أبو عبد الله بن أبي داؤد يصبو ويضعف عن مناظرتك أنت ؟ فقال الشيخ : هون عليك يا أمير المؤمنين ما بك ، وإيذن في مناظرته ، فقال الواثق: ما دعوتك إلا للمناظرة ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تحفظ علي وعليه ما يقول ، قال : أفعل ، فقال الشيخ : يا أحمد أخبرني عن مقالتك هذه هي مقالة واجبة داخلة في عقد الدين فلا يكون الدين كاملاً حتى يقال فيه بما قلت ؟ قال : نعم ، قال الشيخ : يا أحمد أخبرني عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله إلى عباده هل ستر رسول الله شيئاً مما أمره الله به في أمر دينهم ؟ فقال : لا ، فقال الشيخ : فدعا رسول ﷺ الأمة إلى مقالتك هذه ، فسكت ابن أبي داؤد ، فقال الشيخ : تكلم ، فسكت ، فالتفت الشيخ إلى الواثق فقال : يا أمير المؤمنين واحدة ، فقال الواثق : واحدة ، فقال الشيخ : يا أحمد أخبرني عن الله – عز وجل – حين أنزل القرآن على رسول الله ﷺ : قال : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

(1) أذنه : إحدى ثغور الشام .
انظر : الأنساب ، 507/1 .

وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) [1] ، كان الله – تعالى – الصادق في إكماله دينه ، أو أنت الصادق في نقصانه ، حتى يقال فيه بمقالتك هذه ؟ فسكت ابن أبي داؤد ، فقال الشيخ : أجب يا أحمد ، فلم يجب ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين اثنتان ، فقال الواثق : نعم اثنتان ، قال الشيخ : يا أحمد أخبرني عن مقالتك هذه علمها رسول الله ﷺ أم جهلها ؟ قال ابن أبي داؤد : علمها ، قال : فدعا الناس إليها ؟ فسكت ، قال الشيخ : يا أمير المؤمنين ثلاث ، فقال الواثق ثلاث : فقال الشيخ : يا أحمد فاتسع لرسول الله ﷺ أن علمها و أمسك عنها كما زعمت ، ولم يطالب أمته بها ؟ قال : نعم ، قال الشيخ : واتسع لأبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان وعلي ﷺ ؟ قال ابن أبي داؤد نعم ! فأعرض الشيخ عنه ، وأقبل على الواثق فقال : يا أمير المؤمنين قد قدمت القول إن أحمد يصبو ويضعف عن المناظرة ، يا أمير المؤمنين إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة ما زعم هذا أنه اتسع لرسول الله ﷺ ، ولأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، فلا وسع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم — أو قال فلا وسع الله عليك — فقال الواثق : نعم ، إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فلا وسع الله علينا ، اقطعوا قيد الشيخ، فلما قطع ضرب الشيخ بيده إلى القيد حتى يأخذه ، فجاذبه الحداد عليه ، فقال الواثق: دع الشيخ يأخذه ، فأخذه فوضعه في كمه ، فقال له الواثق : يا شيخ لم جاذبت الحداد عليه؟ قال : لأني نويت أن أتقدم إلى من أوصي إليه إذا أنا مت أن يجعله بيني وبين كفني ، حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة ، وأقول : يا رب سل عبدك هذا لم قيدني وروع أهلي وولدي وإخواني بلا حق أوجب ذلك علي ، وبكى الشيخ فبكى الواثق ، وبكينا، ثم سأله الواثق أن يجعله في حل وسعة مما ناله ، فقال له الشيخ : والله يا أمير المؤمنين لقد جعلتك في حل وسعة من أول يوم إكراماً لرسول الله ﷺ إذ كنت رجلاً من أهله ، فقال الواثق : لي إليك حاجة ، قال الشيخ : إن كانت ممكنة فعلت . فقال له الواثق : تقيم قبلنا فننتفع بك وتنتفع بك فتياتنا ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين إن ردك إياي إلى الموضع الذي أخرجني عنه هذا الظالم أنفع لك من مقامي

(1) سورة المائدة ، الآية 3 .

عليك ، وأخبرك بما في ذلك ، أصير إلى أهلي وولدي فأكف دعاءهم عليك ، فقد خلفتهم على ذلك . فقال الواثق : فتقبل منا صلة تستعين بها على دهرك ؟ قال : يا أمير المؤمنين لا يحل لي ، أنا عنها غني ، وذو مرة سوي ، فقال : سل حاجة ، قال : أو تقضيها يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ! قال تأذن لي أن يخلى لي السبيل الساعة إلى الثغر ، قال قد أذنت لك ، فسلم عليه وخرج .

قال صالح بن علي : قال المهتدي بالله : فرجعت عن هذه المقالة ، وأظن أن الواثق قد كان قد رجع عنها منذ ذلك الوقت [1] .

التعليق :

إن مناظرة أهل البدع لإقامة الحجة عليهم ، ولإظهار دين الله تعالى ، ولكشف الشبهات ودحضها ، أمر واجب ، وليس في ذلك معارضة لما ورد عن السلف في ذم المناظرة لأهل البدع والأهواء .

فإنما نهى السلف عن المناظرة ، إذا ترتب عليها مفاسد ، من نشر الباطل ، ودفع الحق ، وما أشبه ذلك ، وأما إذا كانت المناظرة لإقامة الحجة ونصر الملة ، فإن هذا أمر مشروع بل قد يكون واجباً ، فقد ذكر الله تعالى لنا في القرآن مناظرة بعض الأنبياء لأقوامهم لإقامة الحجة عليهم ، ولنصر دين الله وإعلاء كلمته . قال تعالى في مناظرة إبراهيم عليه السلام مع قومه :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ...) [2] ، ومناظرة الأنبياء مع أقوامهم كثيرة [3].

وقد كانت مناظرات كثيرة للسلف ﷺ مع أهل الأهواء والبدع ، فمن ذلك ، مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما مع الخوارج حينما خرجوا على علي رضي الله عنه بشبهات فاسدة ، فذهب إليهم ابن عباس وناظرهم حتى أقام الحجة عليهم ، فرجع معه منهم جماعة كثيرة [4] ، ومن ذلك مناظرة سالم بن عبد الله بن عمر [1] مع بعض القدرية [2] ، وقال الشافعي [3] : " ناظروا القدرية

(1) تاريخ بغداد ، 10/ 75 .
(2) سورة البقرة ، الآية 258 .
(3) انظر : الآثار العقدية ، ج 2 ص366 .
(4) انظر : تاريخ الطبري ، 5/ 64 .

بالعلم ، فإن أقروا به خصموا ، وإن أنكروا كفروا " [4] .

ومن المناظرات التي جرت لعلماء أهل السنة مع أهل البدع في مسألة القرآن مناظرة الإمام أحمد –رحمه الله – للجهمية في مجلس الخليفة المعتصم [5] .

المسألة الخامسة : مسألة الوقف ..

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي مزاحم موسى بن عبيد الله [6] قال : قال لي عمي عبد الرحمن بن يحي بن خاقان : أمر المتوكل بمسألة أحمد بن حنبل عمن يتقلد القضاء ، قال أبو

---

(1) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبو عمر أو أبو عبد الله المدني ، أحد الفقهاء السبعة، وكان ثبتاً عابداً فاضلاً ، كان يشبه بأبيه في الهدي والسمت، روى له أصحاب الكتب الستة، مات في آخر سنة 106هـ .

انظر: تهذيب الكمال 145/10 ، وتقريب التهذيب 335/1 .

(2) انظر : اللالكائي ، 14/ 761 .

(3)هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع من بني هاشم بن المطلب بن عبد مناف، الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبد الله القرشي ثم المطلبي الشافعي المكي، الغزي المولد سنة 150هـ ، نشأ يتيماً في حجر أمه، صنف التصانيف، ودون العلم، ورد على الأئمة متبعاً الأثر، وصنف في أصول الفقه وفروعه، وبعد صيته، وتكاثر عليه الطلبة، لم يحفظ في دهر الشافعي كله أنه تكلم في شيء من الأهواء، ولا نسب إليه، ولا عرف به، مع بغضه لأهل الكلام والبدع، مع الزهد والعبادة، ومن أقواله: إذا صح الحديث فهو مذهبي، وإذا صح الحديث، فاضربوا بقولي الحائط، ومن مؤلفاته: الأم ، والرسالة ، وغيرها مات سنة 204هـ .

انظر: آداب الشافعي لابن أبي حاتم ، ومناقب الشافعي للبيهقي ، ومناقب الشافعي للرازي ، وتوالي التأسيس بمعالي ابن إدريس ، وانظر الجزء الأول من طبقات الشافعية للسبكي ، بل له ترجمة في الكتب التي ترجمت للمذاهب الأخرى ، فانظر: الديباج المذهب 156/2-161 ، وطبقات الحنابلة 280/1 ، وانظر : البداية والنهاية 251/10-254 ، وسير أعلام النبلاء 5/10 .

(4) شرح الطحاوية ، 354/2 .

(5) انظر سير ة الإمام أحمد ص 51-58 ، والإبانة لابن بطة ك3 / م2/ 249. والحلية لأبي نعيم 199/9 ، وابن الجوزي في المناقب ص 321، والذهبي في السير 11/ 243-247 .

(6) هو موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبو مزاحم الخاقاني البغدادي ابن وزير المتوكل، إمام مقرئ مجود محدث أصيل ثقة سني، من جلة العلماء، وكان بصيراً بالعربية شاعراً مجوداً، قال ابن الجزري : هو أول من صنف في التجويد فيما أعلم ، وله فيه قصيدة ، وقصيدة في الفقهاء ، مات سنة 325هـ .

انظر: تاريخ الإسلام 182/24 ، ومعرفة القراء الكبار 275/1 .

مزاحم : فسأله عمي فأجابه فذكر جماعة ، ثم قال : وسألته عن يعقوب بن شيبة [1] ؟ فقال : مبتدع صاحب هوى ؟ قلت إنما وصفه أحمد بذلك لأنه كان يذهب إلى الوقف في القرآن [2].

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي العباس محمد بن رجاء البصري [3] قال : قلت لأبي داود السجستاني : لم أرك تحدث عن الرمادي ؟ قال : رأيته يصحب الواقفة ، فلم أحدث عنه[4].

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي عبد الله – يعني السلمي – قال : سألت حارثاً النقال [5] : ما تقول في القرآن ؟ فقال كلام الله ، لا أقول غير هذا . فقلت له : إن أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول هو كلام الله غير مخلوق ؟ فقال لي : إن أبا عبد الله لثقة عدل[6].

4- ما أخرجه الخطيب بسنده عن زكريا بن يحيى الساجي [7] قال : وتركوا إسحاق بن أبي إسرائيل لموضع الوقف ، وكان صدوقاً [8] .

5- قال الخطيب : قال ابن أبي حاتم [9] : وسمعت أبي يقول : ما علمته إلا صدوقاً ، وقف في القرآن فترك الناس حديثه .

---

(1)

(2) تاريخ بغداد ، 14/ 282 .

(3)لم أقف من ترجمته إلا على قول الطبراني: حدثنا محمد بن رجاء السقطي البصري أبو العباس الفقيه.
انظر: المعجم الصغير للطبراني 69/2/(797) .

(4) المصدر السابق ، 5/ 153 .

(5) هو الحارث بن سريج النقال أحد الفقهاء، روى عن الحمادين وغيرهما قال ابن معين: كذاب خبيث ليس بشيء، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال موسى بن هارون: متهم في الحديث، وقال ابن عدي: ضعيف يسرق الحديث، وهو الذي حمل الرسالة للشافعي إلى ابن مهدي، مات سنة 236هـ .
انظر: طبقات الشافعية 60/1 ، ولسان الميزان 149/2 .

(6) المصدر السابق ، 8/ 211 .

(7) هو أبو يحيى زكريا بن يحيى بن عبدالرحمن بن بحر بن عدي الضبي البصري الشافعي ، الإمام الثبت الحافظ ، محدث البصرة وشيخها ومفتيها ، له كتاب اختلاف العلماء ، وكتاب علل الحديث ، وعن الساجي أخذ أبو الحسن الأشعري مقالة السلف في الصفات، واعتمد عليها أبو الحسن في عدة تآليف، مات بالبصرة سنة 307هـ وهو في عشر التسعين .
انظر: سيرأعلام النبلاء 197/14 ، وتذكرة الحفاظ 709/2 ، وميزان الاعتدال 79/2 ، وشذرات الذهب 250/2 .

(8) المصدر السابق ، 6/ 360 .

(9) هو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي الحافظ الثبت بن الحافظ الثبت، ثقة جليل القدر ، عظيم الذكر ، إمام من أئمة خراسان، ممن جمع علو الرواية ومعرفة الفن ، وله الكتب النافعة ككتاب الجرح والتعديل ، والتفسير الكبير ، وكتاب العلل ، وكان يعد من الأبدال ، وقد أثنى عليه جماعة بالزهد والورع التام والعلم والعمل، مات سنة 327هـ .

التعليق :

المراد بالوقف بالقرآن : هو قول القرآن كلام الله ، والوقف على ذلك ، فلا يقال مخلوق ، ولا غير مخلوق [1].

والواقفة : هم الذين يقولون القرآن كلام الله ، ولا نقول مخلوق ولا غير مخلوق .

والواقفة منهم : من يقف القرآن فلا يقول مخلوق ولا غير مخلوق شكّاً ، وهؤلاء بدّعهم السلف وكفروهم ، وبينوا أنهم شر من الجهمية الذين يقولون القرآن مخلوق .

والآثار الواردة عن السلف في التحذير منهم كثيرة ، فمن ذلك ، قول عبد الملك الماجشون[2]: " من وقف بالقرآن بالشك فهو مثل من قال : مخلوق " [3]. وقال عثمان ابن أبي شيبة [4] : " الواقفة شر من الجهمية بعشرين مرة ، هؤلاء شكوا في الله " [5]. وسُئل أبو بكر بن أبي شيبة [6] عن الواقفة فقال : " هم شر من أولئك – يعني الجهمية – " [7]. وقال الإمام أحمد [8] : " الواقفة كفار " [1].

انظر: تاريخ الإسلام 206/24 ، ولسان الميزان 432/3 .

(1) انظر: الإبانة لابن بطة ، ك 3م 284/1 .

(2) هو العلامة الفقيه ، مفتي المدينة ، أبو مروان ، عبدالملك بن الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة بن الماجشون التيمي ، مولاهم المدني المالكي ، تلميذ الإمام مالك ، فقيه فصيح ، دارت عليه الفتيا في زمانه، وعلى أبيه قبله ، وكان ضريراً ، كان لا يعقل الحديث ولكنه ثقة في نفسه ، مات سنة 213هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 359/10 ، وشذرات الذهب 28/2 .

(3) اللالكائي ، 2/ 358 .

(4) هو الإمام الحافظ الكبير المفسر، أبو الحسن، عثمان بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي مولاهم الكوفي، صاحب التصانيف، وأخو الحافظ أبي بكر، ولد بعيد 160هـ ، حافظ متقن ، أكثر عنه البخاري في صحيحه ، مات سنة 239هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 151/11 ، وشذرات الذهب 92/2 .

(5) الإبانة لابن بطة ، ك 3 م 290/1 رقم 59.

(6) هو عبدالله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي الإمام العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار : المسند ، والمصنف ، والتفسير ، أبو بكر العبسي مولاهم الكوفي ، أسرته بيت علم ، وأبو بكر أجلّهم ، وهو من أقران أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه وعلي بن المديني في السن والمولد والحفظ، بحر من بحور العلم، يضرب به المثل في قوة الحفظ ، حدث عنه: الشيخان ، وأبو داود، وابن ماجه ، مات سنة 235هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 122/11 ، وشذرات الذهب 85/2 .

(7) المصدر السابق ، ك 3 م 303/1 رقم 87 .

(8) هو الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي ، أحد الأئمة الأعلام ، ولد سنة 164هـ ، قال إسحاق بن راهويه: أحمد حجة

ومنهم من يقف ورعاً مع اعتقاده بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ولكنه يقول أسكت كما سكت القوم قبلي ، وقد بيّن العلماء أن هؤلاء لا يسعهم السكوت بعد حدوث الفتنة في القرآن ، وأن قولهم بدعة : فعن أبي داوود قال : سمعت أحمد يُسأل : هل لهم رخصة أن يقول الرجل : القرآن كلام الله ، ثم يسكت ، قال : لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت ، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا لأي شيء لا يتكلمون " قال الآجري [2] معلقاً : " معنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى : يقول : لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله تعالى ؟ فلما جاء جهم بن صفوان فأحدث الكفر بقوله : القرآن مخلوق ، لم يسع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق بلا شك ، ولا توقف فيه ، فمن لم يقل : غير مخلوق سمي واقفياً ، شاكّاً في دينه " [3]. قال هارون ابن موسى الفروي [4] : " من وقف بالقرآن بالشك فهو كافر ، ومن وقف بغير شك فهو مبتدع " [5].

كما بيّن العلماء : أن مثل هؤلاء المتورعين ، يُبين لهم الحق ، ويُبصرون به ، سُئل الإمام أحمد عمّن وقف لا يقول غير مخلوق ، وقال : أنا أقول القرآن كلام الله ، قال : يقال : إن العلماء يقولون : غير مخلوق ، فإن أبى فهو جهمي " [6]. وقيل للإمام أحمد : فالواقفة ، قال : أما من كان لا يعقل فإنه يُبَصَّر ، وإن كان يعقل ويبصر فهو مثلهم " [7].

المسألة السادسة : مسألة اللفظ ..

بين الله وبين خلقه. وقال ابن المديني: أعز الله الدين بالصديق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة. صنف مصنفات كثيرة ، منها : المسند ، وفضائل الصحابة ، والعلل وغيرها، مات سنة 241هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 178/11 ، وشذرات الذهب 96/2 .
(1) المصدر السابق ، ك 3 م 306/1 .
(2) هو شيخ الحرم الشريف، أبو بكر، محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري، الإمام المحدث القدوة، صاحب التواليف، منها: الشريعة، والرؤية، وهو ثقة خيّر عابد صاحب سنة واتباع، مات سنة 360هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 133/16 ، وشذرات الذهب 35/3 .
(3) الشريعة ، 232/1 .
(4) هو هارون بن موسى بن أبي علقمة عبد الله بن محمد الفروي المدني أبو موسى المدني مولى آل عثمان بن عفان، لا بأس به، روى له الترمذي، مات سنة 253هـ وله نحو ثمانين سنة .
انظر: تهذيب الكمال 13/30 ، وتقريب التهذيب 260/2 .
(5) اللالكائي ، 359/2 رقم 529 .
(6) الإبانة لابن بطة ، ك3 م297/1 رقم 74 .
(7) المصدر السابق ، ك3 م 307/1 رقم 98 .

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن إبراهيم بن محمد [1] يقول : أنا توليت دفن محمد بن إسماعيل لما مات بخرتنك أردت حمله إلى مدينة سمرقند أن أدفنه بها ، فلم يتركني صاحب لنا فدفناه بها ، فلما أن فرغنا ورجعت إلى المنزل الذي كنت فيه قال لي صاحب القصر : سألته أمس فقلت يا أبا عبد الله ما تقول في القرآن ؟ فقال القرآن كلام الله غير مخلوق . قال : فقلت له : إن الناس يزعمون أنك تقول ليس في المصاحف قرآن ، ولا في صدور الناس قرآن. فقال : استغفر الله أن تشهد علي بشيء لم تسمعه مني ، أقول كما قال الله تعالى : (وَالطُّورِ* وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ) [2] ، أقول في المصاحف قرآن ، وفي صدور الناس قرآن ، فمن قال غير هذا يستتاب ، فإن تاب وإلا فسبيله سبيل الكفر [3].

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي عمرو أحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري [4] المعروف بالخفاف ببخارى يقول : كنا يوماً عند محمد بن إسحاق القيسي ، ومعنا محمد بن نصر المروزي ، فجرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري فقال محمد بن نصر : سمعته يقول : من زعم أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب ، فإني لم أقله . فقلت له : يا أبا عبد الله قد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه ؟ فقال : ليس إلا ما أقول ، وأحكي لك عنه . قال أبو عمرو الخفاف : فأتيت محمد بن إسماعيل فناظرته في شيء من الأحاديث حتى طابت نفسه فقلت : يا أبا عبد الله ها هنا أحد يحكي عنك أنك قلت هذه المقالة فقال : يا أبا عمرو
احفظ ما أقول لك من زعم من أهل نيسابور [5] ، وقومس [1] ،

(1) هو إبراهيم بن محمد بن سلام البيكندي السلمي أبو إسحاق نزيل بخارى، روى عن أبيه عن عيسى بن موسى التيمي البخاري ، عن أبي حمزة السكري عن رقبة نسخة، روى عنه أبو الهيثم خالد ابن أحمد البخاري ، ووصفه المزي بأنه (المؤدِّب) وأنه روى عن أبيه .
انظر: الجرح والتعديل 129/2 ، وتهذيب الكمال 342/25 .
(2) سورة الطور ، الآية : 1-2 .
(3) تاريخ بغداد ، 32/2-33 .
(4) هو الإمام، الحافظ الكبير، القدوة ، شيخ الإسلام ، أبو عمرو ، أحمد بن نصر بن إبراهيم ، النيسابوري ، المعروف بالخفاف ، كان نسيج وحده جلالة، ورئاسة، وزهداً وعبادة، وسخاء نفس، جمع وصنف، وبرع في هذا الشأن عظيم القدر، سيد مطاع ببلده ، نال رئاسة الدين والدنيا ، وكانوا يلقبونه بزين الأشراف ، مات سنة 299هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 560/13 ، وشذرات الذهب 231/2 .
(5) مدينة عظيمة قديمة من مدن خراسان ، ذات فضائل حسنة ، وعمارة ، كثيرة الخيرات والفواكه والثمرات، جامعة لأنواع المسرات، وعتبة الشرق، سميت بذلك لأن بانيها سابور، وهي مجمع العلماء، ومعدن الفضلاء

والري [2] ، وهمذان [3] ، وحلوان [4] ، وبغداد ، والكوفة ، والمدينة ، ومكة ، والبصرة، أني قلت : لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو كذاب ، فإني لم أقل هذه المقالة إلا أني قلت أفعال العباد مخلوقة[5] .

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن خشنام [6] وسمعته يقول : سئل محمد بن إسماعيل عن اللفظ بنيسابور فقال : حدثني عبيد الله بن سعيد – يعني ابن قدامة – عن يحي بن سعيد

، افتتحها عبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان ﷺ سنة ثلاثين، كانت في العصر العباسي من أشهر مراكز الثقافة والتجارة والعمران ، وذلك قبل أن يدمرها زلزال أصابها سنة 540 هـ، ثم أكمل خرابها غزو المغول لها سنة 618 هـ .

انظر: معجم البلدان 331/5 ، والروض المعطار في خبر الأقطار 588/1 .

(1) إقليم صغير يقع في محاذاة جبال البرز، وجنوبي شرقي إقليم طبرستان، أهم مدنه (الدامغان)، وهو بلد جليل القدر واسع، واسم المدينة الدامغان، وهي أول مدن خراسان ، فتحها عبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان ﷺ سنة ثلاثين ، وأهلها قوم عجم ، وأحذق قوم بعمل الأكسية البيض الصوف القومسية، وهي قليلة الماء ، متوسطة العمارة ، وأكثر ما يباع بها الأكسية البيض الطيالسة .

انظر: معجم البلدان 414/4 ، الروض المعطار في خبر الأقطار 231/1 .

(2) كورة معروفة تنسب إلى الجبل وليست منه ، وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد ، وأعلام المدن ، كثيرة الفواكه والخيرات ، وهي محط الحاج ، تقع في الطرف الشمالي الشرقي من إقليم الجبال ، واسمها عند اليونان راكس raxes ، وفي المئة الرابعة للهجرة خرب أكثرها ، وتحول أهلها إلى طهران القريبة منها ، ينسب إليها كثير من العلماء ، وزي أهلها زي العراق ، ولهم دهاء وتجارات، ولما فتح نعيم بن مقرن الري خرب مدينتها القديمة، وهي التي يقال لها العتيقة، وبنى الري الحديثة ، وهي مدينة ليس بعد= بغداد في المشرق مدينة أعمر منها إلا نيسابور ، فإنها أكبر منها عرصة ، وأوسع رقعة ، فأما اشتباك البناء وكثرة العمارة فالري أعمر من نيسابور، ومقدار الري فرسخ في مثله .

انظر: معجم البلدان 116/3 ، والروض المعطار في خبر الأقطار 278/1 .

(3) بالتحريك والذال المعجمة وآخره نون ، في الإقليم الرابع ، أكبر مدينة في منطقة الجبال ، كبيرة جداً فرسخ في مثله ، ولها أربعة أبواب ، وهي كثيرة المياه والبساتين والزروع، ينسب إليها جماعة من العلماء والأدباء .

انظر: معجم البلدان 410/5 ، والروض المعطار في خبر الأقطار 596/1 .

(4) بالضم ثم السكون ، والحلوان في اللغة الهبة ، وهي في آخر حدود سواد العراق مما يلي الجبال في بغداد، مدينة سهلية جبلية على سفح الجبل المطل على العراق، وسميت بذلك لأن معناها حافظ حد السهل، لأن حلوان أول العراق وآخر حد الجبل، وقيل سميت بحلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة كان بعض الملوك أقطعه إياها فسميت به، وأكثر ثمارها التين .

انظر: معجم البلدان 290/2 ، والروض المعطار في خبر الأقطار 195/1 .

(5) تاريخ بغداد ، 32/2 .

(6) هو محمد بن خشنام بن سعيد الخزاعي أبو عبد الرحمن، ولم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من المصادر.

انظر: تاريخ دمشق 92/44 ، وتهذيب الكمال 572/25 .

قال : أعمال العباد كلها مخلوقة فمرقوا عليه قال فقالوا له بعد ذلك : ترجع عن هذا القول حتى يعودوا إليك ؟ قال : لا أفعل إلا أن يجيئوا بحجة فيما يقولون أقوى من حجتي . وأعجبني من محمد بن إسماعيل ثباته . (1)

4- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبيد الله بن سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول : ما زلت أسمع أصحابنا يقولون إن أفعال العباد مخلوقة . قال أبو عبد الله البخاري : حركاتهم ، وأصواتهم ، واكتسابهم وكتاباتهم ، مخلوقة . فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف ، المسطور المكتوب ، الموعى في القلوب ، فهو كلام الله ليس بمخلوق ، قال الله تعالى : (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) (2) .

التعليق :

مسألة اللفظ وهي قول " لفظي بالقرآن مخلوق " هذه المسألة مما وقع فيها النزاع والاضطراب بين أهل السنة . قال شيخ الإسلام : " ومسألة اللفظ بالقرآن قد اضطرب فيها أقوام لهم علم وفضل ودين وعقل ، وجرت بسببها مخاصمات ومهاجرات بين أهل الحديث والسنة ، حتى قال ابن قتيبة كلاماً معناه ، لم يختلف أهل الحديث في شيء من مذاهبهم إلا في مسألة اللفظ"(3) .

وقد بيّن الإمام ابن قتيبة (4) السبب في ذلك فقال : " و إنما اختلفوا في فرع لم يفهموه لغموضه ولطف معناه ، فتعلق كل فريق منهم بشعبة منه " (5) ، وهذا الغموض متعلق

" بلفظي القرآن " ، هل يراد باللفظ المصدر أي تلفظي بالقرآن ، أو يراد به المفعول أي الملفوظ ، فمن قال يراد به المصدر قال هو مخلوق ؛ لأنه فعل العبد ، وأفعال العبد مخلوقة ، ومن قال يراد به المفعول قال هو غير مخلوق كلام الله ، وكلام الله غير مخلوق (1) .

---

(1) تاريخ بغداد ، 30/2 .

(2) المصدر السابق ، 30/2 – 31 . والآية في سورة العنكبوت ، الآية : 49 .

(3) مجموع الفتاوى 333/12 ، و درء التعارض 263/1 .

(4) هو العلامة الكبير ، ذو الفنون ، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، وقيل : المروزي ، الكاتب ، صاحب التصانيف ، نزل بغداد ، وصنف وجمع ، وبعد صيته ، ثقة دين فاضل ، من تصانيفه : غريب القرآن ، وغريب الحديث ، وكتاب المعارف ، ومشكل الحديث وغيرها ، ولي قضاء الدينور ، وكان رأساً في علم اللسان العربي، والأخبار وأيام الناس، من كبار العلماء المشهورين ، عنده فنون جمة، وعلوم مهمة ، مات سنة 276هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء 297/13 ، وشذرات الذهب 169/2 .

(5) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية ، ص 57 .

وهذه المقالة في أصلها من مقالات الجهمية ، فإنهم كانوا يقولون : " هذا القرآن المنزل المسموع هو تلاوة القرآن وقراءته ، وتلاوة القرآن مخلوقة ، وقراءة القرآن مخلوقة . ويقولون : تلاوتنا للقرآن مخلوقة ، وقراءتنا له مخلوقة ، ويُدخِلون في ذلك نفس الكلام المسموع – أي القرآن – ويقولون لفظنا بالقرآن مخلوق ، ويُدخِلون في ذلك القرآن الملفوظ المتلو المسموع – أي كلام الله – فأنكر الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة هذا وقالوا : اللفظية جهمية ، وقالوا افترقت الجهمية : ثلاث فرق : فرقة قالت القرآن مخلوق، وفرقة قالت : نقف فلا نقول مخلوق ولا غير مخلوق ، وفرقة قالت : تلاوة القرآن واللفظ به مخلوق " [2] .

والحسين الكرابيسي [3] ، هو أول من قال لفظي بالقرآن مخلوق . قال الذهبي : أول من أظهر اللفظ الحسين بن علي الكرابيسي – ثم نقل عن المرُّوذي قال : وكان الكرابيسي قد ألف كتاباً قي المدلسين يطعن فيه على الأعمش ، وسليمان التيمي ، وطلب منه جماعة من العلماء أن يعرضوه على الإمام أحمد ، فوافق الكرابيسي على ذلك ، فلما عرض على الإمام أحمد ، أنكر بعض ما فيه من التعرض للصحابة والتابعين وقال : حذِّروا منه ، فلما انكشف أمر الكرابيسي وبلغه ذلك قال : لأقولن مقالة حتى يقول أحمد بن حنبل بخلافها، فيكفر ، فقال : لفظي بالقرآن مخلوق ، وقال أقول إن القرآن كلام الله غير مخلوق من كل الجهات ، إلا أن لفظي بالقرآن مخلوق ، ومن لم يقل لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر [4].

وممن نسب لهذه المقالةالحارث المحاسبي [5]، وداود بن علي الأصبهاني وغيرهم وهم اللفظية النفاة [1] . وبعدما انتشرت هذه المقالة بين أهل السنة ، أراد بعض أهل السنة الرد عليها فقابلها ببدعة أخرى وهي قول " لفظنا بالقرآن غير مخلوق " .

---

(1) انظر درء التعارض ، 1/ 264 .
(2) درء التعارض 1/ 260 .
(3) هو العلامة ، فقيه بغداد ، أبو علي ، الحسين بن علي بن يزيد البغدادي ، صاحب التصانيف ، وتفقه بالشافعي ، وكان من بحور العلم ، ذكياً فطناً فصيحاً لسناً ، تصانيفه في الفروع والأصول تدل على تبحره ، إلا أنه وقع بينه وبين الإمام أحمد ، فهجر لذلك ، وهو أول من فتق اللفظ ، مات سنة 245هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 80/12 ، وشذرات الذهب 117/2 .
(4) تاريخ الإسلام حوادث ووفيات (241–250هـ) ص84–85 باختصار .
(5) هو الزاهد العارف ، أبو عبد الله، الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي، شيخ الصوفية، صاحب التصانيف الزهدية ، له كتب كثيرة في الزهد وأصول الديانة والرد على المعتزلة والرافضة، قال سعيد ابن عمرو البرذعي : شهدت أبا زرعة الرازي، وسئل عن المحاسبي وكتبه، فقال: إياك وهذه الكتب، هذه كتب

قال شيخ الإسلام : " فلما انتشر ذلك – أي قول لفظي بالقرآن مخلوق – عن أهل السنة غلطت طائفة فقالت : لفظنا بالقرآن غير مخلوق ، وتلاوتنا له غير مخلوقه . فبدّع الإمام أحمد هؤلاء وأمر بهجرهم " (2) . وممن نسب لهذه المقالة محمد بن يحيى الذهلي (3) ، وأبو حاتم الرازي (4) ، وأبو زرعة (5) وغيرهم (6).

وأما الإمام أبو عبد الله البخاري – رحمه الله – (7) فقد افتري عليه أنه يقول : لفظي بالقرآن مخلوق ، وهو منه براء . قال ابن تيمية : " افترى بعض الناس على البخاري الإمام صاحب الصحيح أنه كان يقول : لفظي بالقرآن مخلوق ، وجعلوه من اللفظية ؛ قد وقع بينه وبين أصحابه : مثل محمد بن يحيى الذهلي ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم وغيرهم بسبب ذلك ، وكان في القضية

بدع وضلالات، عليك بالأثر تجد غنية، هل بلغكم أن مالكاً والثوري والأوزاعي صنفوا في الخطرات والوساوس؟! ما أسرع الناس إلى البدع !! مات سنة 243هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 110/12 ، وشذرات الذهب 103/1 .

(1) انظر: مجموع الفتاوى ، 12 / 206 ، ودرء التعارض ، 1/ 267 .

(2) درء التعارض ، 1/ 261 .

(3) هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب، الإمام العلامة الحافظ البارع، شيخ الإسلام، وعالم أهل المشرق، وإمام أهل الحديث بخراسان، أبو عبد الله الذهلي مولاهم، النيسابوري، وانتهت إليه رئاسة العلم والعظمة، والسؤدد ببلده، أحد الأئمة العارفين، والحفاظ المتقنين شديد التمسك بالسنة، كانت له جلالة عجيبة بنيسابور، من نوع جلالة الإمام أحمد ببغداد ، ومالك بالمدينة ، مات سنة (258هـ) .
انظر: سير أعلام النبلاء 273/12 ، وشذرات الذهب 138/2 .

(4) هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران: الإمام الحافظ، الناقد، شيخ المحدثين، الحنظلي الغطفاني، من تميم بن حنظلة بن يربوع، وقيل: عرف بالحنظلي لأنه كان يسكن في درب حنظلة، بمدينة الري. مولده سنة 195هـ ، كان من بحور العلم. طوف البلاد، وبرع في المتن والإسناد، وجمع وصنف، وجرّح وعدّل، وصحّح وعلّل، قال الذهبي: لا يوثق إلا رجلاً صحيح الحديث، وإذا لين رجلاً ، أو قال فيه: لا يحتج به. فتوقف حتى ترى ما قال غيره فيه، فإن وثقه أحد، فلا تبن على تجريح أبي حاتم، فإنه متعنت في الرجال . مات سنة 277هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 247/13 ، وشذرات الذهب 171/2 .

(5) هو الإمام، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ محدث الري، أبو زرعة الرازي، سيد الحفاظ، إمام رباني حافظ متقن مكثر، لم يخلف في علم الحديث وعلله مثله، مات آخر يوم من سنة 264هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 65/13 ، وشذرات الذهب 148/2 .

(6) انظر : مجموع الفتاوى ، 12 / 207 .

(7) هو أبو عبد الله البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، ولد سنة 194هـ ، أمير المؤمنين في الحديث وعلله، وفقيه مستبصر فضّله بعضهم على الإمام أحمد، صنف الجامع الذي هو أصح كتاب مصنف في الإسلام، وله كتب أخرى كالتاريخ الكبير ، والصغير ، والأوسط ، وهو مشهور بالعلم وحمله، مجمع على حفظه ونبله ، مات سنة 256هـ وقد بلغ 62 سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء 391/12 ، وشذرات الذهب 134/2 .

أهواء وظنون " (1) ، وسبب هذه الفرية أن البخاري – رحمه الله – سئل عن اللفظ بالقرآن فقال : أفعالنا مخلوقة ، وألفاظنا من أفعالنا ، فوقع بين الناس اختلاف ، فقال بعضهم : قال لفظي بالقرآن مخلوق ، وقال بعضهم : لم يقل (2) . ولا ريب أن البخاري لم يقل ذلك ، وإنما أشاع عنه ذلك من كان في باطنه حسد البخاري ، حتى أن البخاري نفسه صرح بذلك فقال : "كم يعتري محمد بن يحيى الحسد في العلم ، والعلم رزق الله يعطيه من يشاء " (3) . وقال ابن القيم : " وساعد ذلك نوع حسد باطن للبخاري لما كان الله نشر له من الصيت والمحبة في قلوب الخلق ، واجتماع الناس عليه حيث حلّ ، حتى هضم كثير من رياسة أهل العلم ، وامتعضوا لذلك ، فوافق الهوى الباطن الشبهة الناشئة من القول المجمل – أي قول البخاري وألفاظنا من أقوالنا – .." (4) . والناظر في كتاب خلق أفعال العباد للبخاري ، يعلم يقيناً عقيدة الإمام البخاري في هذه المسألة فهو يقرر أن أفعال العباد مخلوقة ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ..إلخ (5) .

المسألة السابعة : من ثبت في المحنة ..

1– أعظمهم بلاءً وأشدهم ثباتاً وصبراً في المحنة : إمام أهل السنة (الإمام أحمد بن حنبل) ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن سويد الطحان (6) قال : كنا عند عاصم بن علي ، ومعنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، وإبراهيم بن أبي ليث – وذكر جماعة – وأحمد بن حنبل يضرب ذلك اليوم ، فجعل عاصم يقول : ألا رجل يقوم معي فنأتي هذا الرجل فنكلمه . قال فما يجيبه أحد . قال : فقال إبراهيم بن أبي الليث . يا أبا الحسين أنا أقوم معك ، فصاح يا غلام خفي ، فقال له إبراهيم يا أبا الحسين أبلغ إلي بناتي فأوصيهم وأجدد بهم عهداً ، قال فظننا أنه ذهب يتكفن ويتحنط ، ثم جاء فقال عاصم يا غلام خفي ، فقال يا أبا الحسين إني ذهبت إلى بناتي فبكين ، قال وجاء كتاب بنتي عاصم بن واسط : يا أبانا إنه بلغنا أن هذا الرجل أخذ أحمد بن

---

(1) مجموع الفتاوى 12 / 364 وانظر 12/ 433 .
(2) انظر : مقدمة فتح الباري ، ص 677 .
(3) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 12/ 457 ، ومقدمة فتح الباري : ص 678 .
(4) مختصر الصواعق المرسلة ، 487/2 .
(5) انظر ص7 وما بعدها ، وانظر مجموع الفتاوى 12/ 365 .
(6) هو محمد بن سويد بن يزيد أبو جعفر الطحان ، ثقة، مات آخر سنة (282هـ) .
انظر: تاريخ بغداد 330/5 ، وتاريخ الإسلام 263/21 ، والأنساب 52/4 .

حنبل ، فضربه بالسوط على أن يقول القرآن مخلوق، فاتق الله ولا تجبه إن سألك ، فوالله لأن يأتينا نعيك أحب إلينا من أن يأتينا أنك قلت [1].

2- وممن ثبت في المحنة : يوسف بن يحيى أبو يعقوب البويطي . قال الخطيب : أخبرنا العتيقي حدثنا علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى المصري [2] حدثنا أبي . قال : يوسف بن يحيى أبو يعقوب البويطي كان من أصحاب الشافعي وكان متقشفاً، حمل من مصر أيام الفتنة والمحنة بالقرآن إلى العراق ، فراودوه على الفتنة فامتنع ، فسجن ببغداد وقيد ، وأقام مسجوناً إلى أن توفي بالسجن والقيد ببغداد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين [3] .

3- و ممن ثبت في المحنة : محمد بن نوح [4] . ما أخرجه الخطيب بسنده عن حنبل بن إسحاق بن حنبل [5] قال : سمعت أبا عبد الله يقول : ما رأيت أحداً على حداثة سنة ، وقلة علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح ، وإني لأرجو أن يكون الله قد ختم له بخير . قال لي ذات يوم وأنا معه خلوين : يا أبا عبد الله ! الله الله إنك لست مثلي ، أنت رجل يقتدى بك ، وقد مدَّ هذا الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك ، فاتق الله واثبت لأمر الله ، أو نحو هذا من الكلام . قال أبو عبد الله : فعجبت من تقويته لي وموعظته إياي ، ثم قال أبو عبد الله : انظر بما ختم له ! فلم

(1) تاريخ بغداد ، 248/12 .

(2) هو أبو الحسن علي بن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المنجم المصري المشهور ، صاحب الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس، وهو زيج كبير في أربع مجلدات، بسط القول والعمل فيه وما أقصر في تحريره، ولم ير في الأزياج على كثرتها أطول منه، وذكر أن الذي أمره بعمله وابتدأه له العزيز أبو الحاكم صاحب مصر ، لا يحل الأخذ عنه فإنه منجم ساحر ، وذكره ابن الطحان في ذيل تاريخ مصر ، وكان مع هذا مغفلاً سيئ الحال، رث الثياب، طويلاً يتعمم على طرطور طويل ويتطيلس فوقه، ويركب حماراً فمن رآه ضحك منه، مات سنة 399هـ .
انظر : وفيات الأعيان 3/ 429 ، والبداية والنهاية 392/11 ، ولسان الميزان 232/4 ، وشذرات الذهب 156/3 .

(3) تاريخ بغداد ، 303/14 .

(4) هو أبو الحسن محمد بن نوح الجنديسابوري الفارسي، الإمام الحافظ الثبت، نزيل بغداد ، ثقة حافظ مأمون، ليس أصح من كتبه، ولا أحسن، مات سنة 321هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء 34/15 ، والأنساب 318/3.

(5) هو حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد الإمام الحافظ المحدث الصدوق المصنف، أبو علي الشيباني، ابن عم الإمام أحمد، وتلميذه. ولد قبل المئتين، ثقة ثبت له مسائل كثيرة عن أحمد، ويتفرد، ويغرب، له كتاب في الفتن ، وآخر في التاريخ ، وجزء حنبل وغيره، مات سنة 273هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء 51/13 ، وطبقات الحنابلة 143/1 .

يزل ابن نوح كذلك ، ومرض حتى صار إلى بعض الطريق فمات ، قال أبو عبد الله : فصليت عليه ، ودفنته . أظنه قال بعانة [(1)] .

4- و ممن ثبت في المحنة : محمود بن غيلان [(2)] . ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي بكر المروزي [(3)] قال : سألته – يعني أحمد بن حنبل – عن محمود بن غيلان فقال : ثقة أعرفه بالحديث ، صاحب سنة ، وقد حبس بسبب القرآن [(4)] .

5- و ممن ثبت في المحنة : نعيم بن حماد . ما أخرجه الخطيب بسنده عن إبراهيم بن محمد ابن عرفة [(5)] .قال : سنة تسع وعشرين ومائتين فيها مات نعيم بن حماد ، وكان مقيداً محبوساً لامتناعه من القول بخلق القرآن ، فجر بأقياده فألقي في حفرة ، ولم يكفن ولم يصلِّ عليه ، فعل ذلك به صاحب ابن أبي داؤد [(6)] .

6- وممن ثبت في المحنة : أحمد بن نصر. ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي بكر المروزي قال : سمعت أبا عبد الله – يعني أحمد بن حنبل – وذكر أحمد بن نصر - فقال : رحمه الله، ما كان أسخاه لقد جاد بنفسه [(7)] .

التعليق :

لما جاءت فتنة خلق القرآن ، وابتلي بها العلماء والقضاة ، ثبت من ثبت منهم وأجاب من

---

(1) تاريخ بغداد ، 323/3 .

(2) هو أبو أحمد محمود بن غيلان العدوي، مولاهم المروزي، الإمام الحافظ الحجة، من أئمة الأثر وفرسان الحديث، ثقة صاحب سنة، حبس بسبب القرآن ، مات سنة 239هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 223/12 وشذرات الذهب 92/2 .

(3) هو أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد بن إبراهيم الأموي المروزي، الإمام الحافظ قاضي حمص. ولد بعد المئتين. ثقة له تصانيف منها: كتاب العلم ، ومسند عائشة وغير ذلك ، مات سنة 292هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 527/13 ، وطبقات الحنابلة 52/1 .

(4) تاريخ بغداد ، 89/13 .

(5) هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان ، العتكي الازدي ، الواسطي، الإمام الحافظ النحوي العلامة الإخباري، صاحب التصانيف، المشهور بنفطويه. ولد سنة 244هـ أخذ العربية عن محمد بن الجهم وثعلب والمبرد ، وتفقه على داود ، وكان متضلعاً من العلوم ، خلط نحو الكوفيين بنحو البصريين ، وصار رأساً في رأي أهل الظاهر ، وكان ذا سنة ودين وفتوة ومروءة وحسن خلق وكيس ، وله نظم ونثر ، صنف غريب القرآن ، وكتاب المقنع في النحو ، وتاريخ الخلفاء ، وأشياء ، مات سنة 323هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 75/15 وشذرات الذهب 298/2 .

(6) المصدر السابق ، 314/13 .

(7) المصدر السابق ، 177/5 .

أجاب ، وهؤلاء هم نماذج ممن ثبتهم الله عز وجل لنصرة دينه وإعلاء كلمته ، وقد كان لهم في الأنبياء والرسل ، وصالحي المؤمنين أسوة ، فقد ابتلوا في دينهم فصبروا وثبتوا حتى أعز الله دينه ونصر أولياءه . قال ابن القيم : " وثبت الله أقواماً جعل قلوبهم في نصر دينه أقوى من الصخر ، وأشد من الحديد ، فأقامهم بنصرة دينه ، وجعلهم أئمة يقتدي بهم المؤمنون لما صبروا وكانوا بآياته يوقنون ، فإنه بالصبر واليقين تنال الإمامة بالدين ، قال تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (1) ، فصبروا من الجهمية على الأذى الشديد ، ولم يتركوا سنة سول الله ﷺ لما رغبوهم به من الوعد ولا لما أرغبوهم به من الوعيد " (2) .

ومن أعظم هؤلاء صبراً وثباتاً ، إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى – الذي تعرض لأنواع الابتلاء من الضرب والحبس والطرد ، والترغيب والترهيب ، فصبر على كل أنواع البلاء والأذى في ذات الله تعالى . قال ابن تيمية : " فإن الإمام أحمد صار مثلاً سائراً يُضرب به المثل في المحنة ، والصبر على الحق ، وأنه لم تكن تأخذه في الله لومة لائم ، حتى صار اسم الإمام مقروناً باسمه في لسان كل أحد ، فيقال : الإمام أحمد ، هذا مذهب الإمام أحمد ، لقوله تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)(3) ، فإنه أُعطي من الصبر واليقين ما يستحق به الإمامة في الدين ، وقد تداوله " ثلاثة خلفاء " مسلطون من شرق الأرض إلى غربها ، ومعهم من العلماء المتكلمين، والقضاة ، والوزراء ، والسعاة ، والأمراء ، والولاة من لا يحصيهم إلا الله ، فبعضهم بالحبس ، وبعضهم بالتهديد الشديد بالقتل وبغيره ، وبالترغيب في الرياسة والمال ما شاء الله ، وبالضرب ، وبعضهم بالتشديد والنفي ، وقد خذله في ذلك عامة أهل الأرض حتى أصحابه العلماء ، والصالحون الأبرار ، وهو مع ذلك لم يعطهم كلمة واحدة مما طلبوه منه ، وما رجع عن ما جاء به الكتاب والسنة ، ولا كتم العلم ، ولا استعمل التقية ، بل قد أظهر من سنة رسول الله ﷺ وآثاره ، ودفع من البدع المخالفة لذلك ما لم يتأت مثله لعالم

(1) سورة السجدة ، الآية : 24 .
(2) مختصر الصواعق المرسلة ، 170/1 .
(3) سورة السجدة ، الآية : 24 .

من نظرائه ، وإخوانه المتقدمين والمتأخرين ، ولهذا قال بعض شيوخ الشام : لم يظهر ما جاء به الرسول ﷺ كما أظهر أحمد بن حنبل " [1] .

المسألة الثامنة : من أجاب في المحنة وموقف الأئمة منهم..

1- ممن أجاب في المحنة :

أبو نصر التمار [2] ، وأبو معمر [3] ، ويحيى بن معين [4] . ما أخرجه الخطيب بسنده عن سعيد بن عمرو البرذعي [5] قال : سمعت أبا زرعة يقول : كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التمّار ، ولا عن أبي معمر، ولا يحيى بن معين ، ولا أحد ممن امتحن فأجاب [6] .

2- وممن أجاب في المحنة : سعيد بن سليمان ويعرف بسعدويه [1] . ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي مسلم صالح بن أحمد العجلي [2] حدثني أبي قال : سعيد بن سليمان ويعرف بسعدويه واسطي ثقة ، قيل له بعد ما انصرف من المحنة ما فعلتم ؟ قال : كفرنا ورجعنا [3] .

(1) مجموع الفتاوى ، 438/12-439 .

(2) هوعبدالملك بن عبد العزيز بن عبدالملك بن ذكوان بن يزيد، أبو نصر التمار، الإمام الثقة الزاهد القدوة القشيري مولاهم النسوي الدقيقي التمار، نزيل بغداد. مولده عام مقتل أبي مسلم الخراساني ، ثقة، يعد من الأبدال ، مات سنة 228هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 571/10 ، والأنساب 76/3 .

(3) هو الإمام الحافظ الكبير الثبت ، أبو معمر، إسماعيل بن إبراهيم بن معمر بن الحسن الهذلي الهروي، ثم البغدادي القطيعي، ولد سنة نيف وخمسين ومئة، ثقة ثبت، صاحب سنة وفضل، وعندما أجاب في المحنة فلما خرج قال: كفرنا وخرجنا ! مات سنة 236هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 69/11 ، وشذرات الذهب 86/2 .

(4) هو أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام، الإمام الحافظ الجهبذ، شيخ المحدثين، ولد سنة 158هـ أحد الائمة في الحديث ثقة مأمون، وهو أسن الجماعة الكبار الذين هم: علي بن المديني، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو خيثمة، فكانوا يتأدبون معه، ويعترفون له، وكان أعلمهم بالرجال والكنى، له هيبة وجلالة، يركب البغلة، ويتجمل في لباسه، وقال أبو حاتم والفلاس وغيرهما: إذا رأيت الرجل يقع في يحيى بن معين، فاعلم أنه كذاب، يضع الحديث، وإنما يبغضه لما يبين من أمر الكذابين، مات سنة 233هـ ودفن بالبقيع .

انظر: سير أعلام النبلاء 72/11 ، وتهذيب التهذيب 280/11 .

(5) هو أبو عثمان سعيد بن عمرو بن عمار الأزدي البرذعي، الإمام الحافظ، رحال جوال مصنف، قال: عرضت على أبي زرعة كتاب المزني، فكلما قرأت عليه مما يخالف الشافعي بقي يتبسم ويقول: لم يعمل صاحبك شيئاً في اختياره، لا يمكنه الانفصال فيما ادعى ، مات سنة 292هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 77/14 ، والوافي بالوفيات 147/13 .

(6) تاريخ بغداد ، 271/6 .

3- وممن أجاب في المحنة : علي بن المديني . ما أخرجه الخطيب بسنده عن إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد [4] قال : سمعت يحي بن معين – وذُكر عنده علي بن المديني فحملوا عليه – فقلت ليحيى : يا أبا زكريا ، ما عليّ عند الناس إلا مرتد ، فقال : ما هو بمرتد ، هو على إسلامه رجل خاف فقال ما عليه [5] .

التعليق :

كثير ممن أجاب في فتنة خلق القرآن ؛ أجاب كرهاً وخوفاً تحت وطء التهديد والوعيد ، قال ابن القيم : " أخذوا الناس – أي في المحنة – بالرغبة والرهبة ؛ فمن بين أعمى مستجيب ، ومن بين مكره مفتدٍ بنفسه منهم بإعطاء ما سألوه ، وقلبه مطمئن بالإيمان" [6] .

ومع أن كثيراً منهم أجاب مكرهاً ، إلا أن الإمام أحمد كان له موقف خاص ، حيث لا يرى الكتابة عنهم ، ولا حضور جنائزهم ، وقد أجاب ابن الجوزي – رحمه الله – في كتابه "مناقب الإمام أحمد" عن سبب ذلك فقال : "فإن قال قائل : إذا ثبت أن القوم أجابوا مكرهين فقد استعملوا الجائز ، فلم هجرهم الإمام أحمد ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه[7] :

أحدها : أن تُوعِّدوا ولم يضربوا فأجابوا ، والتوعد ليس بإكراه .

---

(1) هو أبو عثمان سعيد بن سليمان الضبي الواسطي البزاز ، الملقب بسعدويه، الحافظ الثبت الإمام، سكن بغداد، ونشر بها العلم، ولد سنة بضع وعشرين ومئة، قال: بعد ما انصرف من المحنة كفرنا ورجعنا، كان كثير الحديث، ثقة، مات سنة 225هـ ، وقيل عاش مئة سنة .

انظر: سير أعلام النبلاء 481/10 ، وشذرات الذهب 56/2 .

(2) هو صالح بن أحمد بن عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي. أبو مسلم الأطرابلسي المغربي. روى عن أبيه كتابه في الجرح والتعديل، وهو مصنف جليل في بابه، سمعه منه سنة 256هـ ، كان معروفاً بالعلم والتحديث في إفريقية والأندلس ، حيث ذكر ابن الفرضي في تراجم عديد من علماء الأندلس أنهم رحلوا إلى المشرق وسمعوا منه ، مات سنة 322هـ .

انظر: تاريخ الإسلام 107/24 ، ومقدمة الثقات للعجلي ص32 .

(3) تاريخ بغداد ، 86/9 .

(4) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد، الختلي، ثم السرمرائي البغدادي، الشيخ الإمام الحافظ، ثقة من أصحاب يحيى بن معين، وثقه الخطيب، وله جموع وتواليف ورحلة واسعة، وله كتب في الزهد والرقائق مات قرب سنة 270هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 631/12 ، وطبقات الحنابلة 96/1 ، ولسان الميزان 45/1 .

(5) المصدر السابق ، 471/11 .

(6) مختصر الصواعق المرسلة ، 170/1 .

(7) كتاب المناقب ، 475 .

والثاني : أنه هجرهم على وجه التأديب ليعلم العوام تعظيم القول الذي أجابوا عليه فيكون ذلك حفظاً لهم من الزيغ .

والثالث : يقال : إن معظم القوم لما أجابوا قبلوا الأموال ، وترددوا إلى القوم ، وتقربوا منهم، ففعلوا ما لا يجوز ، فلهذا استحقوا الذم والهجر " .

وأقرب هذه الوجوه الأول ، ويدل عليه ما قاله صالح بن الإمام أحمد [1] ، قال : قال أبي : إن امتحن فلا يجيب ولا كراهة ، فالمكروه لا يكون عندي إلا أن ينال بضرب أو بتعذيب، فأما المتهدد فلا يكون عندي بالتهديد مكرهاً ، لأن الآية التي قال الله فيها : (إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ) [2] ، فالإيمان نزلت في عمّار ، عذّب " [3] .

فالإمام أحمد يرى أن الإكراه لا يكون بالتوعد والتهديد ، بل لابد أن يكون هناك ضرب أو تعذيب حتى يكون مكرهاً ، وتحل له الإجابة حينئذ .

ولا مانع من القول بالوجهين الآخرين ؛ فإن هجره لهم تأديباً لهم ، بل إن في القوم من يكتف بمجرد الإجابة بل تردد عليهم وقبل صلاتهم كما قال أبو بكر المرُّوذي [4] :

" دخلنا العسكر إلى أن خرجنا ما ذاق أبو عبد الله طبيخاً ولا دسماً ، وقال : كم تمتع أولئك – يعني أبي شيبة وابن المديني وعبد الأعلى – إني لأعجب من حرصهم على الدنيا ، فكيف يطوفون على أبوابهم " [5] .

المسألة التاسعة : الاستهزاء بالقرآن ..

---

(1) هوصالح بن أحمد بن محمد بن حنبل ، الإمام المحدث الحافظ الفقيه القاضي ، أبو الفضل الشيباني البغدادي ، قاضي أصبهان ، ولد سنة 203هـ ، هو أكبر إخوته وكان سخياً جداً ، صدوق ثقة ، مات سنة 266هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 529/12 ، وشذرات الذهب 149/2 .

(2) سورة النحل ، الآية : 106 .

(3) سيرة الإمام أحمد لولده صالح ، ص 73 .

(4) هو الإمام، القدوة، الفقيه ، المحدث ، شيخ الإسلام ، أبو بكر ، أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي ، نزيل بغداد، وصاحب الإمام أحمد، وكان والده خوارزمياً، وأمه مروذية. ولد في حدود المئتين. وحدث عن أحمد بن حنبل ولازمه، وكان أجل أصحابه، هو الذي تولى إغماضه لما مات، وغسله وقد روى عنه مسائل كثيرة، وهو إمام في السنة، شديد الاتباع، له جلالة عجيبة ببغداد مات سنة 275هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 173/13 ، وشذرات الذهب 2/ 166 .

(5) مناقب الإمام أحمد ، 475 .

– ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن الفضيل [1] – وهو البلخي – قال سمعت عبد الله بن محمد العابد [2] قال : جاء كتاب من أسفل في كل مدينة يقرأ على المنابر ومعه حرسيان ، وفيه مكتوب ، (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً) [3] ، وكان ولي عهده صبياً – يعني الخليفة – قال فلما جاء الكتاب إلى بلخ ليقرأ ، فسمع أبو مطيع فقام فزعاً ودخل على والي بلخ فقال له : بلغ من خطر الدنيا أنا نكفر بسببها ؟ فكرر مراراً حتى أبكى الأمير ، فقال الأمير لأبي مطيع : إني معك ، وإني عامل لا أجترئ بالكلام ، ولكن خلّيت الكورة إليك ، وكن مني آمناً ، وقل ما شئت ، قال : وكان أبو مطيع يومئذٍ قاضياً قال : فذهب الناس إلى الجمعة ، وقال سلم بن سالم : إني معك وأبو معاذ معك يا أبا مطيع ، قال فجاء سلم إلى الجمعة متقلداً بالسيف ، قال فلما أذّن ارتقى أبو مطيع إلى المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ، وأخذ بلحيته ، فبكى وقال : يا معشر المسلمين ، بلغ من خطر الدنيا أن نجر إلى الكفر ؟ من قال(وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً) [4] ، غير يحيى بن زكريا ، فهو كافر . قال فرجّ أهل المسجد بالبكاء ، وقام الحرسيان فهربا [5].

التعليق :

الاستهزاء بالقرآن أو شيء منه كفر بالله العظيم ، وردة عن دين الإسلام ، قال تعالى : (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) [6] ، سئل الشافعي عمن هزل بشيء من آيات الله تعالى فقال هو كافر ، ثم استدل بالآية السابقة [7] . وقال تعالى : (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً أُوْلَئِكَ لَهُمْ

(1) هو محمد بن الفضيل بن العباس بن الحجاج البلخي العابد ، كنيته أبو سليمان ، وكان شيخاً متعبداً متقناً، ولكنه كان مرجئاً .
انظر: الثقات لابن حبان 123/9 .
(2) هو الإمام الكبير، حافظ بلخ، أبو علي، عبد الله بن محمد بن علي البلخي، وجمع، وصنف كتاب العلل، وكتاب التاريخ. عظمه الحاكم وفخمه. وكان أحد أئمة الحديث حفظاً وإتقاناً وثقة وإكثاراً، استشهد أبو علي – رحمه الله– على يد القرامطة، في سنة 294هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 529/13 ، وشذرات الذهب 219/2 .
(3) سورة مريم ، الآية : 12 .
(4) سورة مريم ، الآية : 12 .
(5) تاريخ بغداد ، 224/8 .
(6) سورة التوبة ، الآية :65–66 .
(7) انظر : الصارم المسلول ، ص513 .

عَذَابٌ مُّهِينٌ) (1) ، فقد توعد الله من اتخذ آياته هزواً بالعذاب المهين ، ولم يجئ إعداد العذاب المهين إلا في حق الكافر (2) .

وقد عدّه الإمام محمد بن عبد الوهاب (3) من نواقض الإسلام فقال : " السادس : من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر " (4) . وقد أجمع العلماء على ذلك ، قال سليمان بن عبد الله : " أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر " (5) ، والاستهزاء والهزل بالقرآن من أشد أنواع الكفر ، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – : " ومن المعلوم أن الاستهزاء والهزل بشيء من هذه أشد من الكفر المجرد ، لأن هذا كفر وزيادة احتقار وازدراء ، فإن الكفار نوعان : معرضون ومعارضون ، فالمعارض المحارب لله ورسوله ، القادح بالله وبدينه ورسوله ؛ أغلظ كفراً وأعظم فساداً ، والهازل بشيء منها من هذا النوع " (6) ، وسواء في ذلك من استهزأ بالقرآن جاداً أم هازلاً ، لأن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة ، كما قال القرطبي (7) ، وقال ابن الجوزي في قوله تعالى : (قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) (8) ، وهذا يدل على أن الجد واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء " (9) . وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد ذكره لنواقض الإسلام : " ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد ، والخائف إلا المكره ، وكلها من أعظم ما يكون خطراً ،

---

(1) سورة الجاثية ، آية :9 .
(2) انظر : الصارم المسلول ، ص52 .
(3) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أَحمد بن راشد التميمي .
ولد سنة 1115هـ في بلدة العيَينة الواقعة شمال الرياض، كثير الاعتناء والمطالعة بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، سلفي العقيدة والأصول، حنبلي المذهب في الفروع، ألصقت بدعوته الكثير من الشناعات التي ردها علماء الدعوة في الكثير من مؤلفاتهم، وشهد له الكثيرون بأنه من الأئمة المجددين في القرن الثاني عشر بمعونة أمير الدرعية الإمام محمد بن سعود رحمه الله، مات بالدرعية سنة 1206 هـ .
انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، للشيخ أحمد بن حجر آل أَبو طامي، وكتاب دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقد، للشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف .
(4) نواقض الإسلام ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، 386/1 .
(5) تيسير العزيز الحميد ، ص627 .
(6) القول السديد ، ص154-155 .
(7) تفسير القرطبي ، 197/8.
(8) سورة التوبة ، الآية : 66 .
(9) زاد المسير ، 465/3 .

وأكثر ما يكون وقوعاً ، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف على نفسه ، نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه " [1] . وقال سليمان بن عبد الله بعد حكايته للإجماع في كفر من فعل شيئاً من ذلك : "كَفَر ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً " [2] .

(1) نواقض الإسلام ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، 387/1.
(2) تيسير العزيز الحميد ، ص627.

المبحث الرابع
الإيمان بالرسل

الإيمان برسل الله : هو الركن الرابع من أركان الإيمان ، وهو التصديق الجازم بأن لله رسلاً أرسلهم لإرشاد الخلق في معاشهم ومعادهم ، واقتضت حكمة اللطيف الخبير أن لا يُهمل خلقه ، بل أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين ، فيجب علينا الإيمان بمن سمى الله منهم في كتابه على التفصيل ، والإيمان جملة بأن لله رسلاً غيرهم ، وأنبياء لا يحصى عددهم إلا الله ، ولا يعلم أسماءهم إلا هو جل وعلا ، قال تعالى : (وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) [1] .

يقول الشيخ حافظ الحكمي [2] : " ومعنى الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدقون ، بارّون راشدون ، كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون ، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون ، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به ، لم يكتموا منه حرفاً ولم يغيروه ، ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً ولم ينقصوه ، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ، وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين ، والهدى المستبين ، وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً ، واتخذ محمداً ﷺ خليلاً ، وكلم موسى تكليماً ، ورفع إدريس مكاناً علياً، وأن عيسى عبد الله

---

(1) انظر : مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، عبد العزيز السلمان ، ص 18 . والآية في سورة النساء ، الآية : 164 .

(2) هو حافظ بن أحمد الحكمي نابغة الجنوب ولد سنة 1342هـ ، في قرية السلام من مدينة جازان، حيث تقيم قبيلته التي ينتسب إليها "الحكامية"، والحكمي نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة ، بطن من مذحج من كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، أوتي سرعة في الحفظ ، وقوة في الفهم ، وجودة في الخط بالقلم ، وذكاء خارقاً، نماها شيخه عبد الله القرعاوي تجاه العقيدة السلفية التي ألف الحكمي في نصرتها وتوضيحها بعد ذلك عدة كتب منها : معارج القبول ، وأعلام السنة المنشورة وغيرها، مات سنة 1377هـ .
انظر : المستدرك على معجم المؤلفين ص183 ، ومقدمة كتابه " معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول " ص 11-26 ، ومجلة البحوث الإسلامية 145/48 .

ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الله تعالى فضل بعضهم على بعض ، ورفع بعضهم على بعض درجات " [1].

وتظهر أهمية الأنبياء بأنه الطريق إلى الإيمان بالله – تعالى – ، فلا يتحقق الإيمان بالله – عز وجل – بدون الإيمان بالأنبياء – عليهم السلام – . قال ابن تيمية متحدثاً عن أهمية الإيمان بالأنبياء عليهم السلام : " الرسالة ضرورية للعباد ، لا بد لهم منها ، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء والرسالة روح العالم ، ونوره وحياته ، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور ؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة ، وكذلك العبد مالم تشرق في قلبه شمس الرسالة ، ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة ، وهو من الأموات ، قال تعالى : (أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا) [2] ، فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل ، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان ، وجعل له نوراً يمشي به في الناس ، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات " [3] .

ويقول – رحمه الله – : " وبالجملة فينبغي للعاقل أن يعلم أن قيام دين الله في الأرض إنما هو بواسطة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فلولا الرسل لما عُبد الله وحده لا شريك له ، ولما علم الناس أكثر ما يستحقه سبحانه من الأسماء الحسنى والصفات العُلا، ولا كانت له شريعة في الأرض " [4] .

ويؤكد ابن القيم على ضرورة وأهمية الإيمان بالأنبياء عليهم السلام فيقول : " لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ، ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلى من جهتهم ، ولا يُنال رضا الله البتة إلا على أيديهم ، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ، ليس إلا هديهم ، وما جاءوا به ، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأعمال والأخلاق ، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال ، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه ، والعين إلى نورها ، والروح إلى حياتها ، فأي ضرورة وحاجة فرضت ، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير ، وما ظنك

(1) معارج القبول ، 97/2 .
(2) سورة الأنعام ، الآية : 122 .
(3) مجموع الفتاوى ، 93/19-94 .
(4) الصارم المسلول ، ص 249 .

بمن إذا غاب عنك هديه ، وما جاء به طرفة عين، فسد قلبك ، وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة ، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال ، بل أعظم ، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي " وما لجرح بميت إيلام " [1] .

إن الإيمان بالرسل – عليهم السلام – يتضمن تصديقهم ، وإجلالهم ، وتعظيمهم ، كما شرع الله تعالى ، وأنهم أفضل الخلق عند الله تعالى ، قد اختصهم الله – تعالى – بوحيه ، وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ دينه ، وهم أكمل الخلق علماً وعملاً [2] .

و **أما عدد الأنبياء والرسل المذكورين في القرآن** خمسة وعشرون ، وهم : آدم ، إدريس ، نوح ، هود ، صالح ، إبراهيم ، لوط ، يونس ، إسماعيل ، إسحاق ، يعقوب ، يوسف ، أيوب ، شعيب ، موسى ، هارون ، اليسع ، ذو الكفل ، داوود ، زكريا ، سليمان ، إلياس ، يحيى ، عيسى ، محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وموضوع رسالة الرسل : التبشير و الإنذار ، قال تعالى : (رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) [3] ، **والحكمة من إرسال الرسل** : دعوة أممهم على عبادة الله وحده والنهي عن عبادة ما سواه . قال تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) [4] .

يقول الشيخ حافظ الحكمي : " وقد اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدين ، وهو توحيد الله عز وجل بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، ونفي ما يضاد ذلك ، أو ينافي كماله ، وأما فروع الشرائع من الفرائض والحلال والحرام فقد تختلف ، فيفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء ، ويخفف على هؤلاء ما شدد على أولئك ، ويحرم على أمة ما يحل للأخرى وبالعكس لحكمة بالغة ، وغاية محمودة قضاها ربنا عز وجل ليبلوكم فيما آتاكم ، ليبلوكم أيكم أحسن عملاً " [5] .

---

(1) زاد المعاد 1/ 69 ، وانظر مفتاح دار السعادة 2/2 .
(2) انظر : نواقض الإيمان القولية والعملية ، عبد العزيز العبد اللطيف ، ص 178–179 .
(3) سورة النساء ، الآية : 165 .
(4) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، عبد العزيز السلمان ، ص 18–19. والآية في سورة النحل ، الآية : 36 .
(5) معارج القبول ، 2/97–98 .

وأولوا العزم من الرسل هم : محمد ، ونوح ، و إبراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، وهم المذكورون في قوله تعالى : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (1) ، وفي قوله تعالى : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) (2) .

وأما الواجب علينا نحو الرسل عليهم الصلاة والسلام .. فإنه يجب علينا تصديقهم وبأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به ، وبينوه بياناً واضحاً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله ، ولا يحل خلافه ، قال تعالى : (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ) (3) ، فيجب علينا الإيمان بأنهم معصومون من الكذب والخيانة والكتمان ، وأنهم معصومون من الكبائر ، وأما الصغائر فقد تقع منهم ، والكتاب والسنة يدلان على ذلك ، لكن لا يقرون عليها ، بل يوفقون للتوبة منها ، ويجب احترامهم ، وأن لا يفرق بينهم ، ويجب الاهتداء بهديهم ، والائتمار بأمرهم ، والكف عما نهوا عنه ، وتجب اعتقاد أنهم أكمل الخلق علماً وعملاً ، وأصدقهم وأبرهم وأكملهم أخلاقاً ، وأن الله خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد ، وبرأهم من كل خلق رذيل ، ويجب محبتهم وتعظيمهم ، ويحرم الغلو فيهم ورفعهم فوق منازلهم .

والدليل على صدق الرسل ..أن الله أيدهم بالدلالة الباهرة الدالة على صدقهم في دعواهم الرسالة ، فمن معجزاته ﷺ القرآن الذي أعجز الخلق كلهم، ومثل انشقاق القمر ، وحراسة السماء بالشهب ، ومعراجه إلى السماء ، وكفاية الله له أعداءه ، وعصمته من الناس ، وإجابة دعائه ، وإعلامه بالمغيبيات الماضية والمستقبلية ، وتأثيره في تكثير الطعام والشراب إلى غير ذلك ، وكما أيد الله موسى عليه السلام ، قال تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) (4) ، وسائر رسله مع انضمام ذلك أحوالهم الجليلة ، وأخلاقهم السامية مع سلامة الفطرة والعفاف والكرم والشجاعة والعدل والمروءة التامة إلى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة الدالة لمن تأملها أن ما جاءوا به حق وصدق لا شك فيه (1).

---

(1) سورة الشورى ، الآية : 13 .
(2) سورة الأحزاب ، الآية : 7 .
(3) سورة النساء ، الآية : 80 .
(4) سورة الإسراء ، الآية : 101 .

والفرق بين والرسول والنبي : الرسول .. هو كل من أوحي إليه ، وأمر بالتبليغ ، والنبي .. من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولاً [2] .

جهود الخطيب البغدادي في تقرير الإيمان بالرسل :

الإيمان بالرسل طريق إلى الإيمان بالله – تعالى – ، فلا يتحقق الإيمان بالله – عز وجل – بدون الرسل – عليهم الصلاة والسلام – ، فقد كان للخطيب البغدادي جهود كبيرة في وجوب الإيمان بالرسل ، وعظم من ناقض ذلك قولاً أو فعلاً ، وتمثل هذا في مسألة سبِّ النبي ﷺ ..

فمن جهوده فيها :

– ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن عبد الرحمن التيمي المكي [3] قال : حدثني المطلب بن عكاشة المزني [4] ، قال : قدمنا إلى أمير المؤمنين الهادي –شهوداً على رجل منا – شتم قريشاً ، وتخطى إلى ذكر رسول الله ﷺ ، فجلس لنا مجلساً أحضر فيه فقهاء زمانه ومن كان بالحضرة على بابه ، وأحضر الرجل وأحضرنا ، فشهدنا عليه بما سمعنا منه ، فتغير وجه الهادي ثم نكس رأسه ورفعه ، فقال : إني سمعت أبا المهدي يحدِّث عن أبيه المنصور ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن عبد الله بن عباس ، قال : من أراد هوان قريش أهانه الله ، وأنت يا عدو الله لم ترض بأن أردت ذلك من قريش حتى تخطيت إلى ذكر رسول الله ﷺ ؟ اضربوا عنقه ، فما برحنا حتى قتل [5] .

التعليق :

---

(1) انظر : مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، عبد العزيز السلمان ، ص 18-21 .

(2) انظر : معارج القبول ، حافظ الحكمي ، 95/2 .

(3) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مليكة التيمي أبو غر ارة بكسر المعجمة وتخفيف الراء الجدعاني ، وقيل إن أبا غرارة غير الجدعاني ، فأبو غرارة لين الحديث والجدعاني متروك، والأرجح أنه أبو عقيل، وأنه مكي مدني وليس مكياً، مات قبيل المائتين .
انظر: تقريب التهذيب 102/2 ، ولسان الميزان 367/7 .

(4) لم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من المصادر.

(5) تاريخ بغداد ، 22/13 .

الأقوال التي تناقض الإيمان بالأنبياء عليهم السلام ، لها صور متعددة ، وأمثلة كثيرة ، منها سبهم والطعن فيهم ، والاستهزاء بهم وتنقصهم ، أو إنكار نبوة واحد منهم ، أو القول بتفضيل الأئمة عليهم ، أو إنكار معجزاتهم وآياتهم .

وإذا أخذنا سبّهم –كمثال لتلك النواقض القولية ، ولجهود الخطيب فيها – فإن حكم سبّ سائر الأنبياء عليهم السلام كالحكم في سبّ نبينا محمد ﷺ كما قد بيّن ذلك جمع من أهل العلم .

يقول القاضي عياض : " من استخف بمحمد ﷺ أو بأحد من الأنبياء ، أو أزرى عليهم ، أو آذاهم ... فهو كافر بالإجماع " .

ويقول أيضاً : " وحكم من سبّ سائر أنبياء الله تعالى .. واستخف بهم أو كذبهم فيما أتوا به، وأنكرهم وجحدهم ، حكم نبينا محمد ﷺ .. قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً) [1] ، وقال تعالى : (كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) " [2] .

ويحكي ابن تيمية الإجماع على كفر ساب نبي من الأنبياء ، فيقول : " من خصائص الأنبياء أن من سب نبياً من الأنبياء قتل باتفاق الأئمة ، وكان مرتدّاً كما أن من كفر به وبما جاء به كان مرتداً ، فإن الإيمان لا يتم إلا بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله " [3] .

ويقول أيضاً : " والمسلمون آمنوا بالأنبياء كلهم ، ولم يفرقوا بين أحد منهم ، فإن الإيمان بجميع النبيين فرض واجب ، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم ، ومن سبّ نبياً من الأنبياء فهو كافر يجب قتله باتفاق العلماء " [4] .

---

(1) سورة النساء ، الآية : 150 – 151 .
(2) نواقض الإيمان القولية والعملية ، عبد العزيز العبد اللطيف ، ص 179–180 . والآية في سورة البقرة ، آية : 285 .
(3) الصفدية ، 261/1 .
(4) المصدر السابق ، 311/2 .

ويقول الشيخ حافظ الحكمي : " والإيمان برسل الله – عز وجل – متلازم ، من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله – تعالى – وبجميع الرسل – عليهم السلام – ، كما قال الله — تعالى – : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً) [1] ، وقال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) ..." [2] .

كما إن إيذاء النبي ﷺ وسبه وشتمه ، كفر مخرج من الملة ، قال تعالى : (قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) [3] ، قال شيخ الإسلام : " وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر ، فالسبُّ المقصود بطريق الأولى ، وقد دلت الآية على أن كل من تنقص رسول الله ﷺ جاداً أو هازلاً فقد كفر " [4] . والآيات الدالة على كفر شاتم النبي ﷺ وقتله أو على أحدهما كثيرة [5] ، وأما ما ورد من الأحاديث في ذلك ، فعن ابن عباس أن رجلاً أعمى كانت له أم ولدٍ تشتم النبي ﷺ ، فقتلها ، فسأله عنها ، فقال : يا رسول الله إنها كانت تشتمك ، فقال رسول الله ﷺ :
" ألا إن دم فلانة قد هدر " [6] ، والأحاديث في هذا كثيرة أيضاً .

وقد أجمع العلماء على كفر ساب النبي ﷺ ، وأن عقوبته القتل حتى لو تاب . قال شيخ الإسلام : " إن من سبّ النبي ﷺ من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله ، هذا مذهب عليه عامة أهل العلم " [7] . ثم ذكر من قال بالإجماع من أهل العلم .

(1) سورة النساء ، الآية : 150 – 151 .
(2) معارج القبول ، 2/96–97 . والآية في سورة البقرة ، الآية : 91 .
(3) سورة التوبة، الآية : 65–66 .
(4) الصارم المسلول ، ص31 .
(5) المصدر السابق ، ص 26 وما بعدها .
(6) أخرجه أبو داود ، كتاب الحدود ، باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ ، 11/437 ، ح 3795 ، والنسائي في السنن الكبرى ، 2/304 ، ح 3533 عن ابن عباس ﷺ . قال الألباني : إسناده صحيح على شرط مسلم ، انظر : إرواء الغليل ، 5/92 .
(7) الصارم المسلول ، ص3 .

قال إسحاق بن راهويه : " أجمع المسلمون على أن من سبّ الله أو سبّ رسوله ﷺ أو دفع شيئاً مما أنزل الله – عز وجل – أو قتل نبياً من أنبياء الله عز وجل فإنه كافر بذلك ، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله " [1] ، ونقل ابن حجر عن بعض أئمة الشافعية قوله : "من سبّ النبي ﷺ مما هو قذف صريح كفر باتفاق العلماء ، فلو تاب لم يسقط عنه القتل ، لأن حدّ قذفه القتل ، وحدُّ القذف لا يسقط بالتوبة " [2] ، وقال ابن حجر : " نقل ابن المنذر الاتفاق على أن من سبّ النبي ﷺ صريحاً وجب قتله " [3] .

المبحث الخامس
الإيمان باليوم الآخر

(1) المصدر السابق ، ص3-4 .
(2) فتح الباري ،12/ 348 .
(3) المصدر السابق ، 348/12 .

الإيمان باليوم الآخر هو : الركن الخامس من أركان الإيمان ، وقد تحدث عنه القرآن الكريم بإسهاب وتفصيل ، وأكد وقوعه بأساليب كثيرة ، واهتم بتقريره في مواضع عديدة ، وربط بين الإيمان به والإيمان بالله – تعالى – ، كما جاء في قوله تعالى : (ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) (1) ، وأكثر القرآن من ذكر اليوم الآخر ، وسماه بأسماء متعددة تدل على تحقق وقوعه ؛ كالحاقة ، والواقعة ، والقيامة ..

ومعنى الإيمان باليوم الأخر : هو التصديق الجازم بإتيانه ، والعمل بموجب ذلك ، ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها ، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ بالصور ، وخروج الخلائق من القبور ، وتفاصيل المحشر ، ونشر الصحف ، ونصب الموازين ، وبالصراط ، والحوض ، والشفاعة ،والجنة والنار (2) .

يقول الإمام الطحاوي (3) في عقيدته المشهورة : " ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين ، ونؤمن بعذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً ، وبسؤال منكر ونكير للميت في قبره عن ربه ، ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين ، والقبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة ، والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب ، والصراط والميزان ، والجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان أبداً ولا يبيدان " (4) .

ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بأشراط الساعة وقرب وقوعها ..يقول الشيخ حافظ الحكمي : " لكننا نؤمن ونصدق من غير شك بكل ما قد صح سنده ، وصرح لفظه عن خير الورى نبينا محمد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى من أمارات تقع قبل الساعة ، وهي علامات لمجيء الساعة وقربها ودنوها .... وقد أشار القرآن إلى قربها ودنوها ، قال تعالى : (أَتَى

---

(1) سورة البقرة ، الآية : 232 .

(2) نواقض الإيمان القولية والعملية ، عبد العزيز العبد اللطيف ، ص 219 .

(3) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الحنفي ، المحدث الفقيه ، رحل إلى الشام ، وتولى القضاء ، له مصنفات ، توفي بمصر سنة 321هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 15/ 27 ، وشذرات الذهب 288/2 .

(4) العقيدة الطحاوية ، ص25–26 ، وانظر العقيدة الواسطية بشرح الهراس ص 132–143 .

أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ) [1] ، وقوله سبحانه : (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ) [2]. وأما الأحاديث في أشراط الساعة فكثيرة متواترة ؛ منها ما رواه حذيفة بن أسيد الغفاري [3] ﷺ قال : طلع النبي علينا ونحن نتذاكر ، قال : ما تذاكرون ؟ قالوا نذكر الساعة ، قال : إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ﷺ ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب . وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم " [4] . إلى غير ذلك من الأحاديث"[5] .

ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بالقبر وسؤاله وفتنته وعذابه ونعيمه .. يقول الشيخ حافظ الحكمي في شرح هذه الأبيات :

وإن كل مقعد مسئول   مالرب مالدين ومالرسول
وعند ذا يثبّت المهيمن   بثابت القول الذين آمنوا
ويوقن المرتاب عند ذلك   بإنما مورده المهالك

" في هذه الأبيات إثبات المسألة العظيمة ، وهي إثبات سؤال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه ، وقد تظاهرت بذلك نصوص الشريعة كتاباً وسنة ، وأجمع على ذلك أئمة السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أهل السنة والجماعة ، وإن أنكر ذلك بشر المريسي وأضرابه ، وأتباعهم من المعتزلة ، وحملوه على فاسد فهمهم ، والدليل على إثبات ذلك من القرآن ، قوله تعالى : (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ) [6]، قال ابن مسعود [7] وأبو مالك ، وابن جريج [1] ، والحسن البصري ،

---

(1) سورة النحل ، الآية : 1 .
(2) سورة الأنبياء ، الآية : 1 .
(3) سورة الأنبياء ، الآية : 1 .
(4) أخرجه مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ، 94/14 ، ح 5162 عن حذيفة بن أسيد ﷺ .
(5) انظر : معارج القبول ، 2/108-110 .
(6) سورة التوبة ، الآية : 101 .
(7) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، الإمام الحبر ، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري ، حليف بني زهرة ، كان من السابقين الأولين ، ومن النجباء

وسعيد [2] ، وقتادة ، وابن اسحاق [3] ما حاصله : " إن المراد بذلك عذاب الدنيا وعذاب القبر ، ثم يردون إلى عذاب عظيم هو عذاب النار " . وقال تعالى : (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) [4] ، قال البراء بن عازب [5] ، ومجاهد وأبوعبيدة [6] : يعني عذاب القبر ، وأما نصوص السنة في إثبات عذاب القبر فقد بلغت الأحاديث في ذلك مبلغ التواتر ، منها ما رواه أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب

العاملين ، شهد بدراً ، وهاجر الهجرتين ، وكان يوم اليرموك على النفل ، ومناقبه غزيرة ، روى علماً كثيراً ، وهو معدود في أذكياء العلماء ، مات سنة 33هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 461/1 و الإصابة 209/7 .

(1) هو عبدالملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام العلامة الحافظ، شيخ الحرم، أبو خالد، وأبو الوليد القرشي الأموي المكي، صاحب التصانيف، وأول من دون العلم بمكة، من بحور العلم، وكان يدلس، كان يصوم الدهر سوى ثلاثة أيام من الشهر. وكان له امرأة عابدة، عاش سبعين سنة فسنّه سن أبي حنيفة ومولدهما واحد ووفاتهما واحدة ، مات سنة 150هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 325/6 ، ووفيات الأعيان 163/3 .

(2) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة، الإمام العلم ، أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه. ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه، زوج بنت أبي هريرة، ممن برز في العلم والعمل، ليس في التابعين أحد أوسع علماً منه ، اعتد العلماء بمراسيله دون غيره ، مات سنة 93هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 217/4 ، وشذرات الذهب 102/1 .

(3) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، العلامة الحافظ الإخباري أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله القرشي المطلبي مولاهم المدني، صاحب السيرة النبوية، ولد ابن إسحاق سنة ثمانين، ورأى أنس بن مالك بالمدينة، علامة المغازي، ثقة حسن الحديث، أمسك عن الاحتجاج برواياته غير واحد من العلماء لأشياء، منها: تشيعه، ونسب إلى القدر، ويدلس في حديثه، فأما الصدق، فليس بمدفوع عنه. مات سنة 151هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 33/7 ، وشذرات الذهب 230/1 .

(4) سورة السجدة ، الآية : 21 .

(5) هو البراء بن عازب بن الحارث ، الفقيه الكبير ، أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني ، نزيل الكوفة ، من أعيان الصحابة ، قال: غزوت مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة ، مات سنة 72هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 194/3 ، والإصابة 142/1 .

(6) هو أبوعبيدة ، معمر بن المثنى التيمي، مولاهم البصري، النحوي، صاحب التصانيف. ولد في سنة 110هـ ، في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري، كان الغريب والشعر وأيام العرب أغلب عليه، وكان لا يقيم البيت إذا أنشده، ويخطئ إذا قرأ القرآن نظراً، وكان يبغض العرب، وألف في مثالبها كتباً، وكان يرى رأي الخوارج! كتبه تقارب مئتي مصنف، منها كتاب مجاز القرآن ، وكتاب غريب الحديث، من بحور العلم، ومع ذلك فلم يكن بالماهر بكتاب الله، ولا العارف بسنة رسول الله ﷺ، ولا البصير بالفقه= واختلاف أئمة الاجتهاد، وكان معافى من معرفة حكمة الأوائل والمنطق وأقسام الفلسفة، وله نظر في المعقول، ولم يكن من رجال الحديث، مات سنة 210هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 445/9 ، وشذرات الذهب 24/2 .

أصحابه حتى أنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال : انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة . قال النبي ﷺ : فيراهما جميعاً ، وأما الكافر أو المنافق فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس . فيقال : لا دريت ولا تليت ، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين) [1].

وقال القرطبي – رحمه الله – : " وقيل في قوله عز وجل : (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ) [2] هو عذاب القبر ، لأن الله ذكره عقب قوله : (فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ) [3] ، وهذا اليوم هو اليوم الآخر من أيام الدنيا ، فدلّ على أن العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر [4] .

ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بالعرض والحساب .. يقول الإمام القرطبي – رحمه الله– : فإذا بعثوا من قبورهم إلى الموقف وقاموا فيه ماشاء الله حفاة عراة ، وجاء وقت الحساب الذي يريد الله أن يحاسبهم فيه ، أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأُتوها ، فمنهم : من يُؤتى كتابه بيمينه ، فأولئك هم السعداء ، ومنهم من يُؤتى كتابه بشماله أو من وراء ظهره ، وهم الأشقياء ، فعند ذلك يقرأ كلٌّ كتابه .. [5] .

ويقول الشيخ حافظ الحكمي في شرح هذه الأبيات :

وأحضروا للعرض والحساب   وانقطعت علائق الأنساب

وارتكمت سحائب الأهوال   وانعجم البليغ في المقال

" (وأحضروا للعرض) العرض له معنيان معنى عام ، وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم عز وجل بادية له صفحاتهم لا تخفى عليه منهم خافية ، وهذا يدخل فيه من يناقش الحساب ، ومن لا

---

(1) انظر : معارج القبول ، 2/132–170 . والحديث متفق عليه . رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الميت يسمع خفق النعال ، (1273) ، ومسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، (2870) عن أنس رضي الله عنه .

(2) سورة الطور ، الآية : 47 .

(3) سورة الطور ، الآية : 45 .

(4) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، للإمام شمس الدين القرطبي ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي، ط2 (بيروت : دار الكتاب العربي 1410 هـ) 1/ 170 .

(5) التذكرة ، للقرطبي ، 1/ 315 .

يحاسب ، والمعنى الثاني عرض معاصي المؤمنين عليهم ، وتقريرهم بها ، وسترها عليهم، ومغفرتها لهم ، والحساب المناقشة ، وقد ذكر الله – تعالى – ذلك في كتابه العزيز في غير ما موضع إجمالاً وتفصيلاً كما قال : (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ) (1) ، وقال تعالى : (وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) (2) ، وغيرها من الآيات . ومن السنة : عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ، فقلت : يارسول الله أليس قد قال الله — تعالى – : (فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حساباً يسيراً) ؟ فقال : رسول الله ﷺ (إنما ذلك العرض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب) (3) .

ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بالوعد والوعيد ، وعدم إنكاره والاستهزاء به ، وقد حوى القرآن الكريم على وعد ووعيد ، فالوعد يكون بالمغفرة والرضوان ، والتكريم ودخول الجنان ونحو ذلك من أنواع الثواب ، والوعيد يكون إما بلعنة أو غضب أو دخول نار .. وغير ذلك من أنواع العقاب . قال الله تعالى : (وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ..)(4)، وقال تعالى : (وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ..) (5) .

ومما يتضمنه الإيمان بالوعد والوعيد : الإيمان بالجنة والنار ، وهو التصديق بوجودهما ، وأنهما مخلوقتان موجودتان ، لا تفنيان ولا تبيدان ، وقد تواترت الأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة في ذكرهما ، وأوصافهما وأحوالهما .. كما أجمع علماء الإسلام على ذلك ، وحكى الإجماع عدد كبير منهم (6) ، فأذكر طرفاً من أقوالهم ، فيما يلي :

يقول ابن تيمية : " الأكل والشراب في الجنة ثابت بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين ، وهو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ، وكذلك الطيور والقصور في الجنة بلا ريب ، كما

(1) سورة الحاقة ، الآية : 18 .
(2) سورة الكهف ، الآية : 48 .
(3) انظر : معارج القبول ، 2/247–267 . والحديث متفق عليه . رواه البخاري ، في كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجعه حتى يعرفه ، 1/180 ، ح 100 ، ومسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب ، 14/39 ، ح5122 عن عائشة ﵂ .
(4) سورة التوبة ، الآية : 68 .
(5) سورة التوبة ، الآية : 72 .
(6) نواقض الإيمان القولية والعملية ، للعبد اللطيف ، ص 233 .

وصف ذلك في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ ، وكذلك أن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يصقون ، لم يخالف من المؤمنين بالله ورسوله أحد ، وإنما المخالف في ذلك أحد الرجلين : إما كافر وإما منافق " [1] .

ويقول الشيخ حافظ الحكمي : " ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار ، والبحث فيه ينحصر في ثلاثة أمور :

الأول : كونهما حقاً لا ريب فيهما ولا شك ، وأن النار دار أعداء الله ، والجنة دار أوليائه، وهذا هو المشار بقولنا حق ، قال تعالى : (فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)[2].

الثاني : اعتقاد وجودهما الآن ، قال الله تعالى في الجنة : (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [3] ، وقال تعالى في النار : (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) [4] ، فهي أيضاً معدة لأعداء الله تعالى مرصدة لهم .

الثالث : في دوامهما وبقائهما بإبقاء الله لهما ، وأنهما لاتفنيان أبداً ، ولا يفنى من فيهما ، قال الله – تعالى – : (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [5] ، وقال تعالى : (لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ) [6] ، وكذلك النار ، قال الله – تعالى – :

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً* إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً) [7] .

ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بالحوض ، والكوثر ، والصراط ، والميزان ، والشفاعه، والعرش ، والكرسي ، والقلم .. وغيرها من الغيبيات المتعلقة باليوم الآخر .

وقد ذكر السعدي جملة من ثمرات الإيمان باليوم الآخر ، فقال : " إن معرفة ذلك اليوم حقيقة المعرفة ، يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء اللذين إن خلا القلب منهما ، خرب كل الخراب ،

---

(1) مجموع الفتاوى 313/4 .
(2) سورة البقرة ، الآية : 24–25 .
(3) سورة آل عمران ، الآية : 133 .
(4) سورة البقرة ، الآية : 24 .
(5) سورة التوبة ، الآية : 100 .
(6) سورة الحجر ، الآية : 48 .
(7) انظر : معارج القبول ، 279/2–292 . والآية في سورة النساء ، الآية 168–169 .

وإن عُمر بهما أوجب له الخوف الانكفاف عن المعاصي ، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها ، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور التي يخاف منها وتحذر ، كأحوال القبر وشدته ، وأحوال المواقف الهائلة ، وصفات النار المفظعة ، وبمعرفة تفاصيل الجنة وما فيها من النعيم المقيم ، والحبرة والسرور ، ونعيم القلب والروح والبدن ، فيحدث بسبب ذلك الاشتياق الداعي للاجتهاد في السعي للمحبوب المطلوب ، بكل ما يقدر عليه .

ومنها : أن يعرف بذلك فضل الله وعدله في المجازاة على الأعمال الصالحة والسيئة ، الموجب لكمال حمده ، والثناء عليه بما هو أهله .

وعلى قدر علم العبد بتفاصيل الثواب والعقاب ، يعرف بذلك فضل الله وعدله وحكمته"[(1)] .

2/ جهود الخطيب البغدادي في تقرير الإيمان باليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة ، وقد كثُر الحديث عنه في القرآن الكريم ، واهتم القرآن بتقريره وتأكيد وقوعه وذلك بطرق كثيرة ومتعددة .

ولقد كان للخطيب البغدادي جهود كبيرة في مسألة الإيمان باليوم الآخر وما يحدث فيه من الغيبيات ، وذلك في عدة مسائل ، منها :

المسألة الأولى : بعض أشراط الساعة كالمهدي والدابة :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي عبيد محمد بن علي الآجري [(2)] ، قال : سمعت أبا داوود قال ، وأبو خالد الأحمر : خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن فلم يكلمه سفيان حتى مات ، وكان سفيان يتكلم في عبد الحميد بن جعفر لخروجه مع محمد بن عبد الله بن حسن ، وسليمان يقول : إن مر بك المهدي وأنت في البيت فلا تخرج إليه حتى يجتمع عليه الناس [(3)] .

---

(1) تيسير الكريم المنان ، 1/ 29 .

(2) هو أبو عبيد محمد بن علي بن عثمان الآجري الحافظ راوي المسائل عن أبي داود ، مات سنة 275هـ . انظر: تهذيب التهذيب 150/4 .

(3) تاريخ بغداد ، 22/9 .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن شعبة عن عطية العوفي [1] (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) [2] ، قال : معها عصا تمسح وجه المؤمن وتخطم وجه الكافر . قال البرقاني في آخر الحديث : ليس لشعبة عن عطية إلا هذا فلا ، أدري هو من قول الإسماعيلي أو من قبله [3] .

التعليق :

المهدي : يؤمن أهل السنة بأشراط الساعة التي ورد ذكرها في القرآن والسنة ، ومنه إيمانهم بالمهدي الذي جاء ذكره في سنة النبي ﷺ وأن اسمه كاسم النبي ﷺ واسم أبيه كاسم أبي النبي ﷺ ، وأنه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وأن الخير يكثر في وقته .

وقد تواترت الأحاديث في المهدي وصححها كثير من العلماء [4] ، قال السفاريني [5] :

" وقد كثرت الروايات بخروجه حتى بلغت حد التواتر المعنوي ، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم – ثم قال – وقد روي عن بعض الصحابة بروايات متعددة ، وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعة العلم القطعي ، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة " [6] .

ومن الأحاديث الواردة في المهدي : عن أبي سعيد الخدري [7] أن سول الله ﷺ قال :

(1) هو عطية بن سعد بن جُنادة العوفي الجَدلي الكوفي أبو الحسن، من مشاهير التابعين، ضعيف الحديث يخطئ كثيراً، وهو شيعي مدلس، كان يأتي الكلبي يسأله عن التفسير ويكنيه بأبي سعيد ، فيقول : قال أبو سعيد ؛ يوهم أنه الخدري ، مات سنة 111هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 325/5 ، وتقريب التهذيب 678/1 ، وشذرات الذهب 144/1 .

(2) سورة النمل ، الآية : 82 .

(3) تاريخ بغداد ، 423/14 .

(4) انظر الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر ، للتويجري ، ص41 .

(5) هو محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الشهرة والمولد ، النابلسي الحنبلي الشيخ الإمام، والحبر البحر النحرير، الكامل الهمام، الأوحد العلامة، والعالم العامل الفهامة، صاحب التآليف الكثيرة،والتصانيف الشهيرة ،أبو العون شمس الدين، من تآليفه شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد ، وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، وهو محقق، عالم بالحديث والأصول والأدب، وله الباع الطويل في علم التاريخ، مات سنة 1188هـ .
انظر: الأعلام للزركلي 14/6 ، وسلك الدرر 31/4 .

(6) لوامع الأنوار البهية ، 84/2 .

(7) هو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الخزرجي ، أبو سعيد الخدري ، الإمام المجاهد ، مفتي المدينة ، أحد الفقهاء المجتهدين ، مسنده ألف ومئة وسبعون حديثاً، مات سنة 74هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 168/3 ، والإصابة 35/2 .

(يخرج في آخر أمتي المهدي ، يسقيه الله الغيث ، وتخرج الأرض نباتها ، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية ، وتعظم الأمة ، يعيش سبعاً أو ثمانياً " يعني حججا ") [1]. وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي) [2] ، وفي رواية : (واسم أبيه اسم أبي) [3] .

وقد أنكر بعض أهل البدع خروج المهدي ، ورد عليهم علماء السنة [4] .

الدابة : ومن أشراط الساعة التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة خروج الدابة في آخر الزمان ، قال الإمام الطحاوي : " ونؤمن بأشراط الساعة : من خروج الدجال ،...وخروج دابة الأرض من موضعها " [5] .

وقد دلّ على خروج الدابة الكتاب والسنة ، قال تعالى : (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) [6] ، قال القرطبي : " قال العلماء معنى وقع القول عليهم : أي وجب الوعيد عليهم لتماديهم في العصيان والعقوق والطغيان ، وإعراضهم عن آيات الله ، وتركهم تدبرها والنزول على حكمها ، وانتهائهم في المعاصي إلى ما لا ينجح معه فيهم موعظة ، ولا يصرفهم عن غيهم تذكرة ، يقول عز من قائل – فإذا صاروا كذلك – : (أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم) أي دابة تعقل وتنطق ، وذلك والله أعلم ليقع لهم العلم بأنه آية من قبل الله تعالى ضرورة ، فإن الدواب في العادة لا كلام لها ولا عقل " [7] .

ومن السنة : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة

---

(1) أخرجه الحاكم ، كتاب الفتن والملاحم ، باب ستلقون بعدي فتنة واختلافاً ، 83/20 ، ح 8823 عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (711) .
(2) أخرجه أبو داود ، كتاب المهدي ، 11/ 353 ، ح 3733 ، والترمذي ، كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في المهدي ، 174/8 ، ح 2156 عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 421/5 .
(3) هي رواية للحديث السابق عند أبي داود (4284) .
(4) انظر الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر ، للتويجري ، ص43 .
(5) شرح الطحاوية ، 754/2 .
(6) سورة النمل ، الآية : 82 .
(7) التذكرة ، ص785 .

الأرض) (1) . **قال الشوكاني** (2) : " وفي صفتها ومكان خروجها ، وما تصنعه ، ومتى تخرج ، أحاديث كثرة ، بعضها صحيح ، وبعضها حسن ، وبعضها ضعيف ، وأما كونها تخرج وكونها من علامات الساعة فالأحاديث الواردة في ذلك صحيحة " (3) .

وقد تأول بعض المفسرين الدابة ، بأنها إنسان متكلم يناظر أهل البدع والكفر، وقد بين القرطبي أن أقوال الصحابة والتابعين ترد هذا القول ، وقد اختلف العلماء في صفتها ومكان خروجها (4) .

المسألة الثانية : لقاء الله سبحانه :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن قتادة عن أنس بن مالك عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) ، فقالت له عائشة – أو بعض أزواجه – : يا رسول الله إنا لنكره الموت ! قال : (ليس من ذاك، ولكن العبد المؤمن إذا حضر أجله بُشّر عند ذلك برضوان الله وكرامته ، فليس شيء أحب إليه من لقائه ، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وإن الرجل الكافر إذا حضر أجله بُشّر بعد ذلك بسخط الله وعقابه ، فليس شيء أبغض إليه مما أمامه ، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه) (5) .

---

(1) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ، 376/1 ، ح 227 .

(2) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، أبو عبد الله، مفسر محدث أصولي مؤرخ، أديب نحوي منطقي متكلم حكيم، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد سنة 1173هـ بهجرة شوكان باليمن، ونشأ بصنعاء وولي قضاءها ومات حاكماً بها. وكان يرى تحريم التقليد، له 114 مؤلفاً، منها: نيل الأوطار من أسرار منتقى الاخبار ، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مات سنة 1250هـ .

انظر: الأعلام 298/6 ، ومعجم المؤلفين 53/11 .

(3) فتح القدير ، 153/4 .

(4) تفسير القرطبي ، 237/13 ، وللاستزادة انظر : أشراط الساعة ، ليوسف الوابل ، ص 403 –416 .

(5) تاريخ بغداد ، 109/3 . والحديث متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الرقائق ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، 20 / 165 ح 6026 ، وأخرجه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، 13 /184 ح 4845 عن عائشة رضي الله عنها .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن غالب بن علي [1] يقول : دخلت على أبي عثمان يوماً في مرضه الذي مات فيه ، فقيل له كيف تجد نفسك ؟ قال : أجد مولى كريماً رحيماً ؛ إلا أن القدوم عليه شديد ثم حكى عن شعوانة أنها قالت عند موتها : إني أكره لقاء الله ، فقيل لها : ولم ؟ قالت : مخافة ذنوبي [2] .

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن شريح بن هاني [3] عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) [4] .

4- ما أخرجه الخطيب بسنده عن يزيد بن خالد بن بنت الهياج [5] يقول : قال خالد بن الهياج جدي قال أبي الهياج : لولا الأكل والباه [6] ما أردت الدنيا ، ولولا لقاء الله والجنة

ونعيمها والحور وحسنها ما أردت الآخرة ، ولولا الله ما أردت الدنيا والآخرة [7] .

التعليق :

قال بدر الدين العيني [1] – شارح صحيح البخاري – : قوله : " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه " قال الكرماني : " ليس الشرط سببا للجزاء بل الأمر بالعكس ثم قال مثله يؤول بالأخبار

---

(1) هو غالب بن علي بن محمد اللخمي ، الشقوري (أبو تمام) طبيب ، ومن العلماء ، من أهل غرناطة ، رحل إلى المشرق فحج وقرأ الطب بالقاهرة ، وزاول العلاج ، وعاد فولي الحسبة بمدينة فاس ، له تآليف طبية ، وتوفي بسبتة سنة 741 هـ .
انظر : الأعلام 114/5 ، معجم المؤلفين 37/8 .
(2) تاريخ بغداد ، 139/4 .
(3) هو شريح بن هانئ بن يزيد بن كعب الحارثي المذحجي الكوفي ؛ كنيته أبو المقدام ، مخضرم ثقة ، وروى عن أبيه وعلي بن أبي طالب ، وكان من أصحابه ، وعمر وعائشة وسعد وأبي هريرة ، وروى عنه ابنه المقدام بن شريح ، وروى له مسلم والأربعة ، قتل بسجستان سنة ثمان وسبعين وكان في جيش بن أبى بكرة ، وقيل أنه توفي حدود التسعين .
انظر : الوافي بالوفيات 201/5 ، تاريخ أسماء الثقات 111/1 ، تقريب التهذيب 416/1 .
(4) تاريخ بغداد ، 371/5 . والحديث متفق عليه ؛ أخرجه البخاري كتاب الرقائق ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، 20 / 166 رقم الحديث 6027 ، وأخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، 13 /183 رقم الحديث 4844 و 187/13 رقم الحديث 4848 .
(5) لم أقف على ترجمة له .
(6) الباه والباهه : النكاح ، وقيل الباه : الحظ من النكاح .
انظر : لسان العرب 479/13 .
(7) تاريخ بغداد ، 206/6 .

أي من أحب لقاء الله أخبره الله بأن الله أحب لقاءه وكذلك الكراهة " . وقيل من خبرية وليست بشرطية وليس معناه أن سبب حب الله لقاء العبد حب لقائه ولا الكراهة ولكنه صفة حال الطائفتين في أنفسهم وعند ربهم والتقدير من أحب لقاء الله فهو الذي أحب الله لقاءه وكذا الكراهة .

وقال الخطابي : " اللقاء على وجوه : منها الرؤية ، ومنها البعث ،كقوله – تعالى – : (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللهِ) [2] ، أي بالبعث ، ومنها الموت ،كقوله : (مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ) [3] .

وقال ابن الأثير في (النهاية) : " المراد بلقاء الله هنا المصير إلى الدار الآخرة ، وطلب ما عند الله ، وليس الغرض به الموت لأن كلاً يكرهه ، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله ، ومن آثرها وركن إليها كره لقاء الله ، لأنه إنما يصل إليه بالموت " [4] .

وأما بالنسبة لمعنى الحديث ؛ فقد قال النووي – رحمه الله – : " هذا الحديث يفسر آخره أوله، ويبين المراد بباقى الأحاديث المطلقة من أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله ، ومعنى الحديث أن الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل التوبة ، فحينئذ يكشف لكل إنسان ما هو صائر ، إليه فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد الله لهم، ويحب الله لقاءهم ليجزل لهم العطاء والكرامة ، وأهل الشقاوة يكرهونه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه ، ويكره الله لقاءهم ، أي يبعدهم عن رحمته ، ولا يريد لهم الخير " [5] .

---

(1) هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن يوسف بن محمود العينتابي الحنفي قاضي القضاة بدر الدين العيني أبو محمد ، مؤرخ ، علامة ، من كبار المحدثين ، ولد في رمضان سنة 762هـ ، بعينتاب، وتفقه بها ثم قدم حلب ، وأخذ بها عن الجمال يوسف الملطي ، ثم قدم القاهرة فأخذ عن مشايخها وبرع في الفنون ، وولي حسبة القاهرة ، وله عدة مصنفات منها: " شرح البخاري " و " شرح معاني الآثار للطحاوي " ، و " شرح الشواهد الكبرى " ، ومختصره ، ومات في ذي الحجة سنة 855هـ .
انظر : نظم العقيان في أعيان الأعيان 60/1 ، الأعلام للزركلي 163/7 .

(2) سورة الأنعام ، الآية 31 .

(3) سورة العنكبوت ، الآية 5 .

(4) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، 33 / 298 .

(5) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للإمام النووي ، ط2 (بيروت : دار إحياء التراث العربي 1392) ، 9/17 .

وقال الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله – عند شرحه لهذا الحديث : هذ الحديث من الأحاديث المنثورة التي ذكرها النووي – رحمه الله – في آخر كتابه رياض الصالحين ، أن النبي ﷺ قال : (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، فقالت عائشة رضي الله عنها : أكراهية الموت يا رسول الله ، فكلنا يكره الموت ؟ قال : ليس كذلك ... فأخبر النبي ﷺ أن الإنسان إذا أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، وذلك أن المؤمن يؤمن بما أعد الله للمؤمنين في الجنة من الثواب الجزيل ، والعطاء العميم الواسع ، فيحب ذلك ، وترخص عليه الدنيا ولا يهتم بها ؛ لأنه سوف ينتقل إلى خير منها ، فحينئذ يحب لقاء الله ، ولاسيما عند الموت إذا بُشّر بالرضوان والرحمة ، فإنه يحب لقاء الله عز وجل ويتشوق إليه ، فيحب الله لقاءه ، أما الكافر والعياذ بالله فإنه إذا بُشّر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله ، فكره الله لقاءه، ولهذا جاء في حديث المحتضر أن نفس الكافر إذا بُشرت بالغضب والسخط تفرقت في جسده، وأبت أن تخرج ، ولهذا تنزع النفس روح الكافر من جسده كما يُنزع الشعر من السفود المبلول ، بمعنى أنه يكره على أن تخرج روحه ، وذلك لأنه يُبشر والعياذ بالله بالشر ، ولهذا قال الله – تعالى – : (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ) [1] ، فهم شحيحون بأنفسهم والعياذ بالله ، لا يريدون أن تخرج ، ولكن الملائكة تقول أخرجوا أنفسكم ، فإذا بُشرت تفرقت في الجسد فينتزعها الملائكة كما ينتزع السفود من الصوف المبلول والعياذ بالله حتى تخرج ، والمؤمن يحب لقاء الله لأنه يحب الله عز وجل يحب ثوابه يحب جنته يحب النعيم ، فهو يحب لقاء الله ولاسيما عند الموت فيحب الله لقاءه [2] .

المسألة الثالثة : عذاب القبر ونعيمه :

1– ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الله بن بحير [3] عن هاني مولى عثمان بن عفان[1]: أن عثمان كان إذا نظر إلى القبر بكى حتى تبتل لحيته ، فقيل تذكر النار فلا تبكي وتذكر القبر

(1) سورة الأنعام ، الآية 93 .
(2) انظر : شرح رياض الصالحين ، 2225/1 .
(3) هو عبد الله بن بحير بفتح الموحدة وكسر المهملة بن ريسان بفتح الراء وسكون التحتانية بعدها ، أبو وائل القاص المرادي الصنعاني ، وثقه ابن معين واضطرب فيه كلام ابن حبان .

وتبكي ؟ فقال سمعت النبي ﷺ يقول : " إن القبر أول منازل الآخرة ، وما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه [(2)] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي إسحاق عن البراء في قول الله تعالى : (عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ) [(3)] ، قال : عذاب القبر [(4)] .

التعليق :

من الغيبيات التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة عذاب القبر ونعيمه ، قال الطحاوي :

" ونؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهلاً ، وسؤال منكر ونكير له في قبره ؛ عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة – رضوان الله عليهم – " [(5)] .

وقال ابن تيمية : " ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت ، فيؤمنون بفتنة القبر ، وبعذاب القبر ونعيمه ... " [(6)].

وقال ابن القيم : " مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب"[(7)].

وقد استدل أهل السنة على إثبات عذاب القبر بآيات منها : قوله تعالى : (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) [(8)] ، فأخبر الله عن عذاب آل فرعون في القبور بعرضهم غدواً وعشيّاً على النار ، وفي يوم القيامة يردون إلى أشد العذاب . قال ابن كثير : " وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور " [(9)] .

انظر : تهذيب الكمال 323/14 ، ولسان الميزان 488/7 ، وتقريب التهذيب 479/1 .

(1) هو هانئ أبو سعيد البربري مولى عثمان بن عفان ، كانت له دار بدمشق عند سوق الأحد ، روى له أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه، كان ذاهب البصر ، قال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، فقال الحافظ: صدوق .

انظر : التاريخ الكبير 229/8 ، والجرح والتعديل 100/9 ، وتهذيب الكمال 147/30 ، تقريب التهذيب 262/2 .

(2) تاريخ بغداد ، 89/6 .

(3) سورة الطور ، الآية : 47 .

(4) تاريخ بغداد ، 77/6 .

(5) شرح الطحاوية ، 572/2 .

(6) الواسطية بشرح الهراس ، ص 147-148 .

(7) الروح ، ص96 .

(8) سورة غافر ، الآية : 45 .

(9) تفسير ابن كثير ، 4/ 83 .

والأحاديث في إثبات عذاب القبر ، وسؤال الملكين متواترة : قال ابن القيم : " فأما أحاديث عذاب القبر ومسألة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي ﷺ " (1) .

ومن هذه الأحاديث : عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ بقبرين فقال : (إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ، فدعا بجريدة رطبة فشقها نصفين ، وقال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا) (2) . ومن أحاديث المساءلة في القبر ، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعالهم ، فيأتيه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل ، محمد ﷺ ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقول له : انظر مقعدك من النار أبدله الله به مقعداً من الجنة ، فيراهما جميعاً ...) (3) .

وقد اختلف في السؤال هل هو عام للمسلم والكافر ، والصحيح أنه عام لهما ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة (4) .

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن العذاب والنعيم يقع على الروح والبدن جميعاً (5) .

المسألة الرابعة : الحساب :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عاصم ، عن أبي عثمان النهدي (6) ، قال : إن المؤمن يعطى كتابه في ستر من الله فيقرأ سيئاته ، فإذا قرأ سيئاته تغير لها لونه ، ثم يمر بحسناته ، فيقرأها ،

---

(1) الروح ، ص97 .

(2) متفق عليه . رواه البخاري ، كتاب الوضوء ، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله ، 362/1 ، ح 209 ، ومسلم ، كتاب الطهارة ، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ، 147/2 ، ح 439 عن ابن عباس رضي الله عنه .

(3) متفق عليه . رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ، 165/5 ، ح 1285، ومسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، 31/14 ، ح 5115 عن أنس رضي الله عنه.

(4) الروح ، ص 144 .

(5) مجموع الفتاوى ، 4/ 285 ، الروح ، ص96 .

(6) هو أبو عثمان النهدي عبدالرحمن بن عمرو بن عدي البصري، الإمام الحجة شيخ الوقت، مخضرم معمر ، أدرك الجاهلية والإسلام. وغزا في خلافة عمر وبعدها غزوات، من سادة العلماء العاملين، كان ثقة، وكان عريف قومه ، مات سنة 100هـ وعاش أكثر من مئة وثلاثين سنة ! .
انظر: سير أعلام النبلاء 175/4 ، وشذرات الذهب 118/1 .

فيرجع لونه إليه ، ثم ينظر ، فإذا سيئاته قد تحولت حسنات ، فعند ذلك يقول : (هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ) [1] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الصمد بن يزيد قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول [2] : المؤمن يحاسب نفسه ، ويعلم أن له موقفاً بين يدي الله – تعالى – ، والمنافق يغفل عن نفسه ، فرحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول ملك الموت به [3] .

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عطاء بن المبارك [4] قال : قال بعض العباد : لما علمت أن ربي يحاسبني زال عني حزني ؛ لأن الكريم إذا حاسب عبده تفضل [5] .

4- ما أخرجه الخطيب بسنده عن بشر بن المفضل [6] ، عن الجراح ، قال : حدثني فرقد السبخي [7] ، قال : قال لي إبراهيم : يا فرقد هل تدري ما سوء الحساب ؟ قلت لا . قال : أن يحاسب العبد بذنبه كله لا يغفر له منه شيء [8] .

التعليق :

يؤمن أهل السنة والجماعة بما يقع يوم القيامة من أهوال ، ومن ذلك الحساب حتى يوقف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيراً كانت أو شراً [1].

---

(1) تاريخ بغداد ، 6/11 . والآية في سورة الحاقة ، الآية : 19 .

(2) هو أبو علي، الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، التميمي اليربوعي الخراساني، الإمام القدوة الثبت، شيخ الإسلام، المجاور بحرم الله، ثقة نبيل فاضل عابد ورع كثير الحديث، من الأبدال، من أقران سفيان بن عيينة في المولد، ولكنه مات قبله بسنوات، مات سنة 187هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 421/8 ، وشذرات الذهب 361/1 .

(3) تاريخ بغداد ، 184/4 .

(4) هو عطاء بن المبارك ؛ قال الأزدي: لا يدري ما يقول.اهـ وقال عثمان بن سعيد الدارمي: روى عنه أحمد بن بشير الكوفي سألت يحيى بن معين عنه فقال: لا أعرفه .
انظر: الجرح والتعديل 337/6 ، وميزان الاعتدال 76/3 ، ولسان الميزان 172/4 .

(5) تاريخ بغداد ، 48/4 .

(6) هو بشر بن المفضل بن لاحق، الإمام الحافظ المجود أبو إسماعيل الرقاشي، مولاهم البصري، كان ثقة كثير الحديث، عثمانياً، مات سنة 186هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 36/9 ، وتهذيب التهذيب 458/1 .

(7) هو فرقد بن يعقوب السبخي بفتح المهملة والموحدة وبخاء معجمة، أبو يعقوب البصري صدوق صالح عابد، لكنه لين الحديث ، كثير الخطأ ، منكر الحديث ، لم يكن صاحب حديث، مات بالطاعون سنة 131هـ .
انظر: تهذيب التهذيب 236/8 ، وتقريب التهذيب 8/2 .

(8)المصدر السابق ، 454/5 .

قال ابن زمنين : " ومن قول أهل السنة أن الله يحاسب عباده يوم القيامة – ثم قال – وهل يحاسب العباد إلا الذي خلقهم وتعبدهم ، وأحصى أعمالهم ، وحفظها عليهم حتى يسألهم عنها ، فيغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، وهو العلي القدير " (2) . وقال الإمام الطحاوي : " ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب .." (3) ، وقال ابن بطة (4) : " ثم الإيمان بالمساءلة : أن الله عز وجل يسأل العباد عن كل قليل وكثير في الموقف ، وعن كل ما اجترموا " (5) .

وقد دلّ على إثبات الحساب الكتاب والسنة : قال تعالى : (أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) (6) .

وعن عائشة أن النبي ﷺ قال : (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك فقلت : يا رسول الله أليس قد قال الله – تعالى – : (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً)، فقال رسول الله ﷺ : (إنما ذلك العرض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب)(7) .

فالمراد بالآية العرض ، وهو إبراز الأعمال وإظهارها ، فيعرّف صاحبها بذنوبه ، ثم يتجاوز عنه، وهذا حساب الله للمؤمن ، وإلا فمن نوقش الحساب عذب ، لأن مناقشة الحساب تفضي إلى استحقاق العذاب ، ولأن من استقصي عليه هلك (8) .

وقد اختلف في محاسبة الكفار ، والصحيح : " أن الحساب قد يراد به الإحاطة بالأعمال، وكتابتها في الصحف ، وعرضها على الكفار ، وتوبيخهم على ما عملوه ، وزيادة العذاب ونقصه بزيادة الكفر ، فهذا الضرب من الحساب ثابت بالاتفاق .

---

(1) لوائح الأنوار السنية ، 232/2 .
(2) أصول السنة ، ص117 .
(3) شرح الطحاوية ، 588/2 .
(4) هو عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، الفقيه، إمام لكنه ذو أوهام ، ومع قلة إتقانه في الرواية ، كان إماماً في السنة ، إماماً في الفقه ، صاحب أحوال وإجابة دعوة، له روايات وزيادات مستنكرة، الحمل فيها عليه، مات سنة 387هـ .
انظر: لسان الميزان 112/4 .
(5) الإبانة الصغرى ، ص 225 .
(6) سورة الأنعام ، الآية : 62 .
(7) تقدم تخريجه ، ص 239.
(8) انظر شرح مسلم ، 208/17 ، وفتح الباري ، 490/11 .

وقد يراد بالحساب وزن الحسنات بالسيئات ليتبين أيهما أرجح : فالكافر لا حسنات له توزن بسيئاته ؛ إذ أعماله كلها حابطة ، وإنما توزن لتظهر خفة موازينه ، لا ليتبين رجحان حسنات له .

وقد يراد بالحساب أن الله : هل هو الذي يكلمهم أم لا ؟ فالقرآن والحديث يدلان على أن الله يكلمهم تكليم توبيخ وتقريع وتبكيت ، لا تكليم تقريب وتكريم ورحمة ، وإن كان من العلماء من أنكر تكليمهم جملة " [1] .

المسألة الخامسة : العرش والكرسي والقلم :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن فضيل عن ليث [2] عن مجاهد في قوله : (عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً) [3] ، قال : يقعده معه على العرش [4] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن إسحاق بن سليمان الرازي [5] قال : سمعت عمرو بن أبي قيس يذكر عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى : (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء) [6] ، قال : كان عرش الله على الماء ، ثم اتخذ لنفسه جنة ، ثم اتخذ من دونها أخرى ، ثم أطبعها بلؤلؤة واحدة . فقال : (وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ) [7]، قال : وهي – أولهما – التي قال تعالى :(فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) [8] ، قال: وهي لا يعلمه الخلائق ما فيها – أو فيهما – [9] .

---

(1) مجموع الفتاوى ، 487/4 .

(2) هو أبو بكر، ليث بن أبي سليم بن زنيم، محدث الكوفة وأحد علمائها الأعيان، على لين في حديثه لنقص حفظه. ولد بعد الستين، معدود في صغار التابعين، مضطرب الحديث، واختلط في آخر عمره، حتى كان لا يدري ما يحدث به، فكان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل، ويأتي عن الثقات بما ليس من حديثهم ، ولم يتميز من حديثه ما رواه قبل الاختلاط عما روى بعد فصار متروكاً عند الأئمة، مات سنة 143هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 179/6 ، وشذرات الذهب 207/1 .

(3) سورة الإسراء ، الآية : 79 .

(4) تاريخ بغداد ، 22/3 .

(5) هو إسحاق بن سليمان الرازي أبو يحيى العبدي ، كوفي الأصل ، ثقة فاضل ، من الأبدال يستسقى به، روى له الجماعة ، مات سنة 200هـ .
انظر: تهذيب الكمال 431/2 ، وتقريب التهذيب 81/1 .

(6) سورة هود ، الآية : 7 .

(7) سورة الرحمن ، الآية : 62 .

(8) سورة السجدة ، الآية : 17 .

(9) تاريخ بغداد ، 116/9 .

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن مسلم البطين [1] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس، قال : الكرسي موضع القدمين ، والعرش لا يقدر قدره شيء [2] .

4- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي ظبيان [3] ، عن ابن عباس . قال : أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : وما أكتب قال : اكتب القدر ما هو كائن من ذلك اليوم إلى يوم القيامة ، ثم ارتفع بخار الماء ففتق منه السموات السبع ، ثم خلق النون فبسط الأرض فوق ظهره ، فاضطرب النون وماجت الأرض ، فأثبتت الجبال ، فهن يفتخرن عليها [4] .

التعليق :

يؤمن أهل السنة والجماعة باليوم الآخر وما يحدث فيه من الغيبيات ، ومن ذلك إيمانهم بالعرش والكرسي .

قال الإمام الطحاوي : " والعرش والكرسي حق " [5] ، وقال ابن زمنين [6] : ومن قول أهل السنة والجماعة أن الله – عز وجل – خلق العرش ، واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ، ثم استوى عليه كيف شاء ، ... ومن قول أهل السنة : أن الكرسي بين يدي العرش وأنه موضع القدمين [7] . وقال ابن تيمية : " العرش موجود بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها ، وكذلك الكرسي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع جمهور السلف " [8] .

---

(1) هو مسلم بن عمران البطين ، ويقال ابن أبي عمران ، أبو عبد الله الكوفي ، ثقة ، روى له الجماعة .
انظر: تهذيب الكمال 526/27 ، وتقريب التهذيب 180/2 .
(2) تاريخ بغداد ، 251/9 .
(3) هو حصين بن جندب بن عمرو، أبو ظبيان الجنبي الكوفي ، من علماء الكوفة ، مجمع على صدقه ، وحديثه في الكتب كلها. وكان ممن غزا القسطنطينية مع يزيد بن معاوية سنة خمسين، مات سنة 90هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 362/4 ، وشذرات الذهب 99/1 .
(4) المصدر السابق ، 59/9 .
(5) شرح الطحاوية ، 364/2 .
(6) هو أبوعبد الله ، محمد بن عبدالله بن عيسى بن محمد، المري الأندلسي الألبيري، الإمام القدوة الزاهد ابن أبي زمنين شيخ قرطبة ، ولد سنة 324هـ ، تفنن، واستبحر من العلم ، وصنف في الزهد والرقائق، وقال الشعر الرائق ، وله من المؤلفات منتخب الأحكام ، وأصول السنة وغيرها، مات سنة 399هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 188/17 ، وشذرات الذهب 156/3 .
(7) انظر : أصول السنة ، 96،88 .
(8) مجموع الفتاوى ، 584/6 .

والعرش : في اللغة : عبارة عن السرير الذي للملك ، كما قال تعالى عن بلقيس : (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) [1] ، وعرش الرحمن : هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو سقف المخلوقات[2] .

وقد ورد ذكر عرش الرحمن في القرآن إحدى وعشرين مرة [3]. ووصف الله عرشه بأنه عظيم، قال تعالى : (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) [4] ، وقد أخبر الله أن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض ، قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء) [5] ، وقال رسول الله ﷺ : (كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض) [6] . وأخبر سبحانه أنه استوى على العرش ، قال تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [7] ، كما أخبر أن للعرش حملة يوم القيامة ، قال تعالى : (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) [8] ، وقال الرسول ﷺ :

(أُذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام) [9]. وأخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن للعرش قوائم كما في حديث أبي هريرة وفيه : (فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش) [10] ، وبيّن النبي – صلى الله عليه وسلم – عظمة العرش والكرسي فقال : (ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض

---

(1) لسان العرب ، 133/9 ، شرح الطحاوية ، 366/2 . والآية في سورة النمل ، الآية : 23.
(2) شرح الطحاوية ، 366/2 .
(3) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص580 .
(4) سورة التوبة ، الآية : 129 .
(5) سورة هود ، الآية : 7 .
(6) أخرجه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قول الله تعالى : (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ، 464/10 ، ح 2953 عن عمران بن حصين رضي الله عنه .
(7) سورة طه ، الآية : 5 .
(8) سورة غافر ، الآية : 7 .
(9) أخرجه أبو داود ، كتاب السنة ، باب في الجهمية ، 12/ 335 ، ح 4102 عن جابر رضي الله عنه . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 1/ 282 ح (151) .
(10) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) ، 197/11 ، ح 3146 ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل موسى – عليه السلام – ، 77/12 ، ح 4377 عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة)[1] .

وقد أنكر العرش أهل البدع كالجهمية وقالوا : " إن الله لما خلق السموات والأرض وما فيهن سمى ذلك كله عرشاً ، واستوى على جميع ذلك كله ، وبعضهم حرف الكلم وقال إن العرش هو الملك ، وقد رد عليهم أئمة الإسلام وبينوا باطلهم " (2) .

والكرسي ، ورد ذكره في قوله تعالى : (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) (3) ، وقيل الكرسي : هو العرش ، والصحيح والذي عليه الأكثر أنهما شيئان (4) ، فقيل عن الكرسي هو موضع القدمين كما جاء ذلك عن ابن عباس . قال زين المقدسي (5) : " والمشهور أنه جسم عظيم بين يدي العرش ، يسع السبع سموات والأرض كما دلت عليه الأحاديث والآثار " (6) .

القلم ، ومما يؤمن به أهل السنة والجماعة من الغيبيات ، إيمانهم بالقلم الذي كتب الله به مقادير كل شيء إلى يوم القيامة ، وأنه مخلوق من مخلوقات الله العظيمة ، قال الإمام الطحاوي: " ونؤمن باللوح والقلم ، وبجميع ما فيه قد رقم " (7) . وقال ابن أبي زمنين :

" ومن قول أهل السنة : إن اللوح المحفوظ والقلم حق يؤمنون بهما " (8) .

قال تعالى : (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) (9) ، قال ابن عباس : " هذا قسم بالقلم الذي خلقه الله، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو إلى يوم القيامة ، وكذا قال مجاهد ، ومقاتل (1) ، والسدي (2) ،

---

(1) أخرجه ابن حبان ، كتاب البر والإحسان ، باب ماجاء في الطاعات وثوابها ، 213/2 ، ح362 عن أبي ذر ﷺ . قال الحافظ في الفتح 411/13 : صححه ابن حبان ، وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور فى التفسير بسند صحيح عنه .اهـ لكن قال الحافظ الذهبي في العلو 90/1 : الخبر منكر.اهـ ، وقال الألباني : صحيح ، انظر: السلسلة الصحيحة 223/1 ،ح(109) ، وتنبيه القاري 178/1 .

(2) شرح الطحاوية ، 386/2 .

(3) سورة البقرة ، الآية : 255 .

(4) مجموع الفتاوى 585/6 ، شرح الطحاوية ، 368/2 .

(5) هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي ، مؤرخ أديب ، من كبار الفقهاء. ولد في طول كرم (بفلسطين) وانتقل إلى القدس ثم إلى القاهرة فتوفى فيها. له نحو سبعين كتاباً، منها، أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات، ودليل الطالب في فروع الفقه الحنبلي، وتوضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان، مات سنة 1033هـ .

انظر: الأعلام 203/7 ، ومعجم المؤلفين 218/12 .

(6) شرح الطحاوية ، 371/2 .

(7) شرح الطحاوية ، 344/2 .

(8) أصول السنة ، ص128 .

(9) سورة القلم ، الآية : 1 .

وغيرهم " [3] . وقال ابن جرير [4] : " الذي أقسم به ربنا من الأقلام : القلم الذي خلقه الله تعالى ذكره ، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة " [5] .

والذي دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة ، القلم الأول : العام الشامل لجميع المخلوقات .

القلم الثاني : حين خلق آدم عليه السلام ، وهو قلم عام أيضاً ، لكن لبني آدم ، ورد هذا في آيات تدل على أن الله قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم عقيب خلق أبيهم . القلم الثالث : حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه ، فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد . القلم الرابع : الموضوع على العبد عند بلوغه الذي بأيدي الكرام الكاتبين الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم [6] .

واختلف العلماء : هل القلم أول المخلوقات ، أو العرش على قولين ، ورجح ابن أبي العز الحنفي [7] أن العرش أول المخلوقات [8] .

المسألة السادسة : الشفاعة :

---

(1) هو أبو الحسن، مقاتل بن سليمان البلخي، كبير المفسرين، وهو من المشبهة، أجمعوا على تركه، قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، مات سنة نيف وخمسين ومئة .

انظر: سير أعلام النبلاء 201/7 ، وشذرات الذهب1/ 227 .

(2) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور السدي، أحد موالي قريش، الإمام المفسر، صالح الحديث، مرّ به إبراهيم النخعي وهو يفسر، فقال: إنه ليفسر تفسير القوم، مات سنة 127هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 264/5 ، وطبقات المفسرين 109/1 .

(3) تفسير القرطبي ، 225/18 .

(4) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، الإمام العلم المجتهد ، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، مولده سنة 224هـ ، كان من أفراد الدهر علماً وذكاء وكثرة تصانيف. من كبار أئمة الاجتهاد، قل أن ترى العيون مثله، وله كتاب التفسير لم يصنف مثله، وتهذيب الآثار لكن لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه. كان ثقة صادقاً حافظاً رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات وباللغة، وغير ذلك، مات سنة 310هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 267/14 ، وشذرات الذهب 260/2 .

(5) تفسير الطبري ، 177/12 .

(6) انظر : شرح الطحاوية ، 348/2 .

(7) شرح الطحاوية ، 371/2 .

(8) شرح الطحاوية ، 345/2 .

1 – ما أخرجه الخطيب بسنده عن الزهري حدثني أبو سلمة أن أبا هريرة قال :قال رسول الله ﷺ : (لكل نبي دعوة وأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة) [1].

2– ما أخرجه الخطيب بسنده عن أنس بن مالك قال : قال نبي الله ﷺ : (لكل نبي شفاعة واني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة) [2] .

3– ما أخرجه الخطيب بسنده عن بن بريدة عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إني أشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر أو مدر) [3] .

4– ما أخرجه الخطيب بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : (أنا أول شفيع يوم القيامة وانا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة إن من الأنبياء لمن يأتي يوم القيامة ما معه مصدق غير واحد) [4] .

التعليق :

بعد أن يحشر الناس إلى أرض المحشر حفاة عراةً غرلا ، تدنو الشمس من الرؤوس مقدار ميل ، ويغرقهم الغرق أو يكاد ،ويصبح الناس في عذاب وهم وضيق وشدة ، فعند ذلك يفزعون إلى الأنبياء والمرسلين حتى يشفعون عند الله تعالى ليبدأ الحساب .

تعريف الشفاعة :

الشفاعة في اللغة : الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه ،وأكثر مايستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى منه أدنى ومنه الشفاعة في القيامة [5] .

وشرعاً : سؤال التجاوز عن الذنوب والآثام .

---

(1) تاريخ بغداد ، 141/11 . والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، باب في المشيئة والإرادة ، 2718/6 ح 7036 عن أبي هريرة .

(2) تاريخ بغداد ، 396/1 . والحديث رواه أبوداوود ، والترمذي ، وصححه الألباني في مشكاة النبوة ، 5598/3 .

(3) تاريخ بغداد ، 329/12 .

(4) تاريخ بغداد ، 400/12 . والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، باب في قَوْلِ النبي ﷺ : (أنا أَوَّلُ الناس يَشْفَعُ في الْجَنَّةِ وأنا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا) ، 1/ 1888 ح 85 ، بنحوه .

(5) تاج العروس ، 1/ 5348 .

وأهل السنة والجماعة يثبتون الشفاعة للنبي ﷺ ولغيره من الأنبياء والملائكة والشهداء وصالحي المؤمنين ، كما وردت به الأدلة من القرآن والسنة ، وينفون مانفاه الكتاب والسنة (1) .

ومن أقوال علماء السنة في ذلك :

قال الإمام النووي - رحمه الله – عن القاضي عياض - رحمه الله – أنه قال عن الشفاعة : " وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها " (2) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله- : " وأما شفاعته ﷺ لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر الأئمة المسلمين الأربعة وغيرهم ، وأنكرها كثيرمن أهل البدع " (3) .

شروط الشفاعة :

ولا تصح الشفاعة عند الله تعالى إلا بشرطين :

أحدهما : إذن الله تعالى للشافع أن يشفع ، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (4) ، وقوله تعالى : (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ)(5).

الثاني : رضا الله عن المشفوع له أن يشفع فيه ، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى : (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) (6) . وقد دلت النصوص أن الله لا يرضى أن يشفع إلا في أهل التوحيد ، لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا) (7) . وقال تعالى في الكفار :(فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) (8) .

---

(1) مباحث في العقيدة ، لعبد لله الطيار ، 183/3 .
(2) شرح النووي على مسلم ، 325/1 .
(3) مجموع الفتاوى ، 148/1 .
(4) سورة البقرة ، آية : 255 .
(5) سورة سبأ ، آية : 23 .
(6) سورة الأنبياء ، آية : 28 .
(7) رواه مسلم كتاب الإيمان ، اختباء النبي دعوة الشفاعة لأمته ، ح 289 .
(8) سورة المدثر ، آية : 48 .

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الشفاعة عند الله يوم القيامة . أما الكتاب فقد تقدم ذكر بعضها ، وأما من السنة فالأحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة : منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (... فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط) [1] .

والأحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة جدًّا وقد صرح الأئمة المحققون بتواترها واشتهارها في كتب الصحاح والمسانيد . ففي الصحيحين : (يُخرج من النار من كان في قلبه حبة من خردل من إيمان) [2] .

أقسام الشفاعة :

والشفاعة تنقسم من حيث القبول والرد إلى قسمين :

1/ مردودة ؛ وهي ما فقدت أحد شروط الشفاعة السابقة .

2/ مقبولة وهي ما تحققت فيها شروط الشفاعة ... وقد ثبت لنبينا محمد ﷺ منها ثمانية أنواع ، وهي :

1 – الشفاعة العظمى ؛ وهي شفاعته ﷺ في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم وهي المقام المحمود وهذه الشفاعة مما اختص بها نبينا ﷺ على غيره من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

2 – شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة .

3 – شفاعته ﷺ في أقوام استحقوا النار أن لا يدخلوها .

4 – شفاعته ﷺ في رفع درجات أهل الجنة في الجنة .

5 – شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب . [3]

المسألة السابعة : الجنة والنار :

(1) رواه مسلم ، كتاب الإيمان باب معرفة الرؤية ، ح 269 آخر حديث الشفاعة الطويل .
(2) رواه مسلم ، كتاب الإيمان باب معرفة الرؤية ، ح 269 ضمن حديث الشفاعة الطويل .
(3) أصول الإيمان ، نخبة من العلماء ، 322/1 .

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن ابن أبي نجيح [1] ، عن مجاهد في قوله تعالى : (فِيهِنَّ قَاصِرَات الطَّرْفِ) [2] ، قال قصرن طرفهن على أزواجهن ، فلا يردن بهن بدلا [3] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن مجاهد عن ابن عباس . قال : لو قطرت قطرة من الزقوم لأفسدت على أهل الأرض معايشهم ، ولو أبرزت النار ما رآها أحد إلا مات [4].

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عيينة بن الغصن [5] ، عن الحسن .قال : إن الله – تعالى – لم يجعل الأغلال في أهل النار لأنهم أعجزوا الرب ، ولكن جعلها في أعناقهم إذا طفا بها اللهب أرسبتهم [6] .

التعليق :

يؤمن أهل السنة والجماعة بالجنة وما أعد الله فيها من النعيم لأهل طاعته ، وبالنار وما أعد الله فيها من الجحيم لأهل معصيته ، بما ورد في الكتاب السنة . وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، قال الطحاوي : " والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان " [7] ، وقال حافظ الحكمي :

" والجنة والنار حق وهما موجودتان لا فناء لهما " [8]

وقال الآجري : " اعلموا رحمنا الله وإياكم أن القرآن شاهد أن الله – عز وجل – خلق الجنة والنار ، قبل أن يخلق آدم – عليه الصلاة والسلام – ، وخلق للجنة أهلاً ، وللنار أهلاً ، قبل أن

---

(1) هو الإمام الثقة المفسر ، عبد الله بن أبي نجيح أبو يسار ، الثقفي المكي، واسم أبيه يسار ، مولى الأخنس بن شريق الصحابي، ثقة دخل في القدر وكان معتزلياً، وهو مفتي أهل مكة بعد عمرو بن دينار . وكان جميلاً فصيحاً، حسن الوجه، لم يتزوج قط، مات سنة 131هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 125/6 ، وتهذيب التهذيب 54/6 .

(2) سورة الرحمن ، الآية : 56 .

(3) تاريخ بغداد ، 411/4 .

(4) المصدر السابق ، 461/10 .

(5) هوعيينة بن الغصن بن خوط ، ترجمه البخاري وابن أبي حاتم ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات .
انظر: التاريخ الكبير 73/7 ، والجرح والتعديل 31/7 ، والثقات 284/5 و301/7 ، والإكمال 124/6 .

(6) تاريخ بغداد ، 260/2 .

(7) شرح الطحاوية ، 614/2 .

(8) معارج القبول ، 857/2 .

يخرجهم إلى الدنيا ، لا يختلف في هذا من شمله الإسلام ، وذاق طعم الإيمان ، دلّ على ذلك القرآن والسنة ، فنعوذ بالله ممن يكذب هذا " [1] .

وقد استدل أهل السنة والجماعة على وجود الجنة والنار بأدلة من القرآن والسنة ، فمن القرآن قوله تعالى : (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [2] ، وعن النار : (أُعِدَّتْ لِلْكافرينَ) [3] ، قال ابن كثير : " وقد استدل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن لقوله " أعدت " ، أي رصدت وهيئت " [4] .

ومن السنة : رؤية النبي ﷺ للجنة والنار قال ﷺ : (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء) [5].

واستدل أهل السنة على أبدية الجنة والنار بأدلة منها : قوله تعالى في أبدية الجنة : (وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً)[6]، وقد ذكر الله أبدية النار في القرآن تصريحاً في ثلاثة مواضع ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً) [7] ، وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً) [8] ، وقال تعالى : (وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً) [9] ، وهذا القول في أبدية الجنة والنار وعدم فنائهما هو القول الحق الذي عليه جماهير أهل السنة والجماعة [10] .

---

(1) الشريعة ، 214/2 .
(2) سورة آل عمران ، الآية : 133 .
(3) سورة آل عمران ، الآية : 131 .
(4) تفسير ابن كثير ، 59/1 .
(5) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، 19/11 ، ح3002 عن عمران بن حصين ﷺ ، ومسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء ، 281/13 ، ح 4920 عن ابن عباس ﷺ .
(6) سورة النساء ، الآية : 122 .
(7) سورة النساء ، الآية : 168-169 .
(8) سورة الأحزاب ، الآية : 64-65 .
(9) سورة الجن ، الآية : 23 .
(10) شرح الطحاوية ، 624/2 .

المبحث السادس
الإيمان بالقدر خيره وشره

الإيمان بالقدر : هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره ، وأنه الفعال لما يريد ، لا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ، ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد لأحد عن القدر والمقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور وأنه خالق أفعال العباد والطاعات والمعاصي ، ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم ، وجعلهم مختارين لأفعالهم غير مجبورين عليها ، بل هي واقعة بحسب قدرتهم وإرادتهم، والله خالقهم وخالق قدرتهم ، يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون [1] .

يقول الشيخ حافظ الحكمي : " والسادس من أركان الإيمان المشروحة في حديث جبريل وغيره هو الإيمان بالقدر خيره وشره ، قال الله – تعالى – : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)[2]، وقال تعالى : (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً) [3] ، وغيرها من الآيات . ومن السنة : عن أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان) " [4] .

جهود الخطيب البغدادي في تقرير الإيمان بالقدر خيره وشره :

---

(1) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، عبد العزيز السلمان ، ص22–23.
(2) سورة القمر ، الآية : 49 .
(3) سورة الأحزاب ، الآية : 38 .
(4) معارج القبول ، 2/ 326–328 ، باختصار . والحديث أخرجه مسلم ، كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ، 142/13 ، ح 4816 .

الإيمان بالقدر خيره وشره الركن السادس من أركان الإيمان ، ولا يتم إيمان عبد إلا به ، بل لا يذوق العبد طعم الإيمان إلا بالإيمان به ، فيجب على العبد أن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطئه لم يكن ليصيبه .

ولقد كان للخطيب البغدادي جهود في مسألة الإيمان بالقدر خيره وشره ، من ذلك :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن علي بن رباح اللخمي [1] ، قال : قال عمرو بن العاص[2]: انتهى عجبي عند ثلاث ؛ المرء يفر من القدر وهو لا قيه ، والرجل يرى في عين أخيه القذاة فيعيبها ، ويكون في عينه مثل الجذع فلا يعيبه ، والرجل يكون في دابته الصَّعر[3] فيقوِّمها جهده ، ويكون في نفسه الصَّعر فلا يقوِّم نفسه [4] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك [5] ، عن علي بن أبي طالب قال – وذُكر عنده القدر يوماً – فأدخل أصبعيه السبابة والوسطى في فيه ، فَرَقَم

---

(1) هو علي بن رباح بن قصير بن قشيب أبو موسى اللخمي المصري ، الإمام الثقة من كبار علماء التابعين، وله وفادة على معاوية، سئل عنه أحمد بن حنبل : فقال : ما علمت إلا خيراً، مات سنة 117هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 101/5 ، وشذرات الذهب 149/1 .

(2) هو عمرو بن العاص بن وائل الإمام أبو عبد الله ، ويقال: أبو محمد السهمي ، داهية قريش، ورجل العالم، ومن يضرب به المثل في الفطنة، والدهاء، والحزم ، ولاه النبي ﷺ على جيش ذات السلاسل. نزل المدينة ، ثم سكن مصر، وبها مات، من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية، وكان شاعراً حسن الشعر، وكان من رجال قريش رأياً ودهاء وحزماً وكفاءة وبصراً بالحروب، ومن أشراف ملوك العرب، ومن أعيان المهاجرين، وله سابقة ليست لمعاوية، وقد تأمر على مثل أبي بكر وعمر، لبصره بالأمور ودهائه، وهو أكبر من عمر بخمس سنين، مات سنة 43هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 55/3 ، وشذرات الذهب 53/1 .

(3) الصعر: ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين ، والتصعير إمالة الخد عن النظر إلى الناس تهاوناً من كِبر وعظمة .
انظر : لسان العرب ، 456/4 ، والعين ج1/ص298 .

(4) تاريخ بغداد ، 105/8 .

(5) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه، روى عنه عبد الله بن محمد بن عقيل وعاصم بن عبيدالله، كذا ذكره البخاري ، وابن أبي حاتم عن أبيه ، لم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، أورده ابن حبان في الثقات 3/7 على عادته في المجهولين، وقال الحسيني: فيه نظر، وتعقبه ابن حجر بقوله: أما الذي روى عن جابر ، وروى عنه كثير بن زيد ، فهو كما ذكر، وحديثه عن جابر في الدعاء في مسجد الفتح، وأما الذي روى عن أبيه ، وروى عنه ابن عقيل ، فالذي أظنه أنه انقلب، وأنه عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك شيخ الزهري ، وهو مترجم في التهذيب ، ولكن ذكره ابن حبان في الطبقة الثالثة من الثقات كالذي وقع هنا ، فلعله ابن عمه والله أعلم.اهـ وقال السخاوي: مات مقتولاً يوم الدار مع عثمان.اهـ
انظر: التاريخ الكبير 133/5 ، والأوسط 104/1 ، والجرح والتعديل 95/5 ، والإكمال 240/1 ، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة 52/2 .

بهما باطن يده : فقال أشهد أن هاتين الرقمتين كانتا في أم الكتاب [1] .

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الله بن محمد الشعراني [2] يقول : سمعت أبا عثمان يقول : منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ، ولا نقلني في غيره فسخطته[3] .

4- ما أخرجه الخطيب بسنده عن إسماعيل بن أبي خالد [4] ، عن أبي صالح في قوله تعالى : (وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ) [5] ، قال : فبذنبك ، وأنا قدّرتها عليك [6] .

5- ما أخرجه الخطيب بسنده عن قتيبة بن سعيد [7] يقول :

لولا القضاء الذي لا بد مدركه فالرزق يأكله الإنسان بالقدر
ما كان مثلي في بغلان مسكنه ولا يمر بها إلا على سفر . [8]

التعليق :

القدر لغة : مصدر ، قَدَرَ ، يَقْدِر ، قَدَراً وقَدْراً ، وهو عبارة عما قضاه الله وحكم به من الأمور [9] .

---

(1) المصدر السابق ، 148/8 .

(2) هو أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن، الشعراني الرازي الأصل؛ مولده ومنشأه بنيسابور، صحب الجنيد ، ورويماً ، وسمنون وغيرهم من مشايخ القوم، وهو من جلّة أصحاب أبي عثمان. وكان أبو عثمان يكرمه ويجلُّه، ويعرف له محلّه، وهو من أجلّ مشايخ نيسابور فى وقته. له من الرياضات ما يعجز عنها إلا أهلها ، وكان عالماً بعلوم الطائفة؛ وكتب الحديث الكثير ورواه، وكان ثقة ، مات سنة 353هـ .

انظر : طبقات الصوفية 337/1 ، وطبقات الأولياء 22/1 .

(3) المصدر السابق ، 101/9 .

(4) هو إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي مولاهم ، ثقة ثبت ، رأى أنساً رؤية ولم يسمع منه ، بل أدرك اثني عشر نفساً من الصحابة ، منهم من سمع منه ، ومنهم من رآه رؤية ، صاحب سنة ، وكان لا يروي إلا عن ثقة، مات سنة 146هـ .

انظر : تهذيب التهذيب 254/1 ، وتقريب التهذيب 93/1 .

(5) سورة النساء ، الآية : 79 .

(6) تاريخ بغداد ، 278/1 .

(7) هو شيخ الإسلام ، المحدث الإمام الثقة الجوال، راوية الإسلام، أبو رجاء، قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي، مولاهم البلخي البغلاني، من أهل قرية بغلان، من موالي الحجاج بن يوسف الأمير، مولده سنة 148هـ ، سنة موت الأعمش، ثقة ثبت صاحب سنة وجماعة، مات سنة (240هـ) .

انظر : سير أعلام النبلاء 13/11 ، وشذرات الذهب 94/2 .

(8) المصدر السابق ، 469/12 . والأبيات أخرجها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 470/12 وَ ابن الجوزي في المنتظم 280/11 .

(9) انظر النهاية في غريب الحديث ، 22/4 ، ولسان العرب ، 55/11-56 .

القدر في الاصطلاح : " هو أن الله قَدَّر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى ، وعلى صفات مخصوصة ، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى " [1] .

وقال ابن حجر في تعريف القدر : " هو أن الله – تعالى – علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد ، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته"[2] .

مراتب الإيمان بالقدر :

قال الشيخ حافظ الحكمي – رحمه الله – : " واعلم رحمك الله – تعالى – ووفقنا وإياك لما يحب ويرضاه ، وهدانا وإياك صراطه المستقيم ، أن الإيمان بالقدر على أربع مراتب :

المرتبة الأولى : الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات ، فعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم ، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ،ومن هو منهم من أهل الجنة ، ومن هو منهم من أهل النار ، من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار ، علم دق ذلك وجليله وكثيره وقليله وظاهره وباطنه وسره وعلانيته ، ومبدأه ومنتهاه ، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ، ومقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب ، كما قال تعالى : (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) [3] ، وغيرها من الآيات . ومن السنة : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (سئل النبي عن أولاد المشركين ؟ فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين) [4] .

المرتبة الثانية : الإيمان بكتاب الله – تعالى – الذي لم يفرط فيه من شيء ، قال الله – تعالى : (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) [5] ، وقال تعالى : (وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) [6]،

---

(1) شرح مسلم ، 154/1 .
(2) فتح الباري ، 158/1 .
(3) سورة الحشر ، الآية : 22 .
(4) تقدم تخريجه ص 157 .
(5) سورة الأنعام ، الآية : 38 .
(6) سورة يس ، الآية : 12 .

وغيرها من الآيات . ومن السنة : عن علي رضي الله عنه قال : (كنا جلوساً مع النبي ﷺ ومعه عود ينكت في الأرض ، وقال ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة ، فقال رجل من القوم : ألا نتكل يا رسول الله ؟ قال : لا، اعملوا فكل ميسر ، ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى) [1].

المرتبة الثالثة : من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بمشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة ، وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون ، ويفترقان في ما لم يكن ولا هو كائن ، فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [2] ، وما لم يشأ الله – تعالى – لم يكن لعدم مشيئة الله – تعالى – إياه ليس لعدم قدرته عليه — جل وعلا – .

المرتبة الرابعة : مرتبة الخلق ، وهو الإيمان بأن الله – سبحانه و تعالى – خالق كل شيء ، فهو خالق كل عامل وعمله ، وكل متحرك وحركته ، وكل ساكن وسكونه ، وما من ذرّة في السموات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها، سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه [3] .

الآثار الواردة عن السلف في إثبات القدر كثيرة، منها :

قول ابن مسعود رضي الله عنه : " لا يذوق عبد طعم الإيمان حتى يؤمن بالقدر كله، وبأنه مبعوث بعد الموت " [4] .

وقول الحسن بن علي رضي الله عنه [5] : " قُضي القضاء ، وجفّ القلم ، وأمور تُقضى في كتاب قد خلا " [1] .

---

(1) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب القدر ، باب (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) ، 271/20 ، ح 6115 ، ومسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ، 106/13 ، ح 4787 عن علي رضي الله عنه .

(2) سورة يس ، الآية : 82 .

(3) انظر : معارج القبول ، 2/ 326 – 348 ، وانظر : مراتب القدر وأنواع التقدير في مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية في العقيدة الواسطية ، لعبد العزيز السلمان ، ص120–123 .

(4) الإبانة الكبرى ، لابن بطة ، ك2 م152/2 رقم 1600 .

(5) هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، الإمام السيد، ريحانة رسول الله ﷺ وسبطه، وسيد شباب أهل الجنة، أبو محمد القرشي الهاشمي المدني الشهيد، مولده سنة 3هـ وكان أشبههم بالنبي ﷺ ، قال أبو بكرة : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه وهو يقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين. كان هذا الإمام سيداً وسيماً جميلاً عاقلاً رزيناً جواداً

المبحث السابع
الصحابة رضي الله عنهم

الصحابة رضي الله عنهم هم أفضل هذه الأمة بعد محمد ﷺ ، فلهم الميزة ولهم الفضل على من بعدهم ، وقد وردت أدلة كثيرة تشهد بفضلهم ؛ منها :

قوله تعالى : (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [2] ، وذكرهم الله تعالى بقوله : (لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) [3] ، وكذلك قسمهم إلى ثلاثة أقسام في سورة الحشر في قوله تعالى : (لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ) [4] ، وقوله : (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ) [5] ثم قال تعالى : (وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ) [6] .

فهذه آيات استوفت الصحابة رضي الله عنهم وكلها شاهدة بفضلهم ، ولو لم يكن من فضلهم إلا أنهم الذين سبقوا إلى الإيمان ، وصدقوا الرسول ﷺ ، وأنهم فازوا بصحبته وحملوا شريعته ، وتعلموا منه الأحكام ونقلوا إلى الأمة ما تحملوه ، ولهم فضل على من بعدهم حيث إنهم حفظوا هذه الشريعة . هذا من جهة .

ومن جهة ثانية ، لا يدرك فضلهم فيها ، وما بذلوه من الأموال والأنفس ؛ حيث بذلوا أموالهم في سبيل الله تعالى ، ورخصت عندهم بلادهم وأموالهم وأحفادهم وأقاربهم وكل ما يملكونه أنفقوه كله في سبيل الله تعالى ، ثم قاموا بالجهاد مع النبي ﷺ وكذلك بعده في عهد الخلفاء الراشدين ، فتح

ممدحاً ، خيراً ديناً ورعاً محتشماً كبير الشأن ، كان مبادراً إلى نصرة عثمان ، كثير الذب عنه ، بقي في الخلافة بعد أبيه سبعة أشهر وأحد عشر يوماً، ثم سلم الأمر إلى معاوية، مات سنة 51هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 245/3 ، والإصابة 328/1 .

(1) المصدر السابق ، ك2 م2 /293 رقم 1946 .
(2) سورة التوبة ، الآية : 100 .
(3) سورة التوبة ، الآية : 117 .
(4) سورة الحشر ، الآية : 8 .
(5) سورة الحشر ، الآية : 9 .
(6) سورة الحشر ، الآية : 10 .

الله بهم القلوب ، وفتح بهم البلاد ، وامتدت بهم رقعة الإسلام ، وفتحوا أقاصي البلاد وأدانيها ، ودعوا إلى الله تعالى ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً بسبب دعوتهم وإعانة الله تعالى لهم وتوفيقهم ، لا شك أن هذا لا يدركهم فيه من بعدهم ، وهذا يعمهم جميعاً [1].

جهود الخطيب البغدادي في تقرير مسألة الصحابة :

لقد كان للخطيب البغدادي جهود كبيرة في تقرير مسألة الصحابة وما يتعلق بها ، وذلك في عدة مسائل ، منها :

المسألة الأولى : في تعريف الصحابي :

أفرد الخطيب البغدادي – رحمه الله – في كتابه " الكفاية في علم الرواية " باباً وسماه " باب القول في معنى وصف الصحابي ، والطريق إلى معرفة كونه صحابياً " ، وأورد تحته عدة آثار تدل على ذلك ، منها :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن سعيد بن المسيب يقول : الصحابة لا نعدهم إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين ، وغزا معه غزوة أو غزوتين– قال ابن عمر : ورأيت أهل العلم يقولون : كل من رأى رسول الله ﷺ وقد أدرك الحلم ، وأسلم وعقل أمر الدين ورضيه ، فهو عندنا ممن صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار ، ولكن أصحابه على طبقاتهم وتقدمهم في الإسلام [2] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبدوس بن مالك العطار[3] ، قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، وذكر من أصحاب رسول الله ﷺ أهل بدر ، فقال : ثم أفضل الناس بعد

(1) الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد ، عبد الله الجبرين ، تحقيق محمد حمد المنيع ط1 (الرياض : دار طيبة 1418هـ) ص 309-310 .

(2) الكفاية في علم الرواية ، ص50-51 .

(3) هو عبدوس بن مالك أبو محمد العطار ، ذكره أبو بكر الخلال فقال: كانت له عند أبي عبد الله منزلة في هدايا ، وغير ذلك ، وله به أنس شديد ، وكان يقدمه ويجله ويحترمه لسنه ، وله أخبار يطول شرحها، وقد روى عن أبي عبد الله مسائل لم يروها غيره ، قال الخلال : ولم تقع إلينا كلها ، مات ولم تتخرج عنه، ووقع إلينا منها شيء . أخرجه أبو عبد الله في جماع أبواب السنة ما لو رحل رجل إلى الصين في طلبها لكان قليلاً ، أخرجه أبو عبد الله ودفعه إليه . اهـ ، قال هارون بن يعقوب الهاشمي : سمعت أبي أنه سأل أبا عبد الله عن عبدوس العطار فقال : أَكتُبُ عنه ؟ قال : نعم؛ أكتب عنه .

هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذي بعث فيهم ، كل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة ، أو رآه فهو من أصحابه ، له من الصحبة على قدر ما صحبه وكانت سابقته معه وسمع منه ونظر إليه (1).

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن إسماعيل البخاري قال : ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه (2).

ثم قال – رحمه الله – (3) : " حدثني محمد بن عبيد الله المالكي (4) أنه قرأ على القاضي أبي بكر محمد بن الطيب (5) قال : لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول " صحابي " مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص ، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلا كان أو كثيراً كما أن القول مكلم ومخاطب وضارب مشتق من المكالمة والمخاطبة والضرب ، وجار على كل من وقع منه ذلك قليلاً كان أو كثيراً ، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال ، وكذلك يقال صحبت فلاناً حولاً ودهراً وسنةً وشهراً ويوماً وساعة ، فيقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره ، وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار ، هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم ، ومع ذلك فقد تقرر للأمة عرف في أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن كثرت صحبته ، واتصل لقاؤه ، ولا يجرون ذلك على من لقي

انظر: تاريخ بغداد 115/11 ، والمقصد الأرشد 281/2 ، ومعجم الكتب لابن عبد الهادي 43/1 ، وتاريخ الإسلام 347/18 ، وطبقات الحنابلة 238/1 .

(1) الكفاية في علم الرواية ، ص51 .

(2) المصدر السابق ، ص51 .

(3) أي الخطيب البغدادي .

(4) هو ابن عمروس أبو الفضل، محمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن عمروس البغدادي، الإمام العلامة، شيخ المالكية، مولده سنة 372هـ ، انتهت إليه الفتوى ببغداد، وكان من كبار المقرئين. كان فقيها أصولياً صالحاً، ممن انتهى إليه معرفة مذهب مالك ببغداد، مات سنة 452هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 73/18 ، وشذرات الذهب 290/3 .

(5) هوالإمام العلامة، أوحد المتكلمين، مقدم الأصوليين، القاضي أبو بكر، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم، البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني، صاحب التصانيف، وكان يضرب المثل بفهمه وذكائه، ثقة إمام بارع، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة، والخوارج والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق، فإنه من نظرائه، وقد أخذ علم النظر عن أصحابه، هو الملقب بسيف السنة، ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث، مات سنة 403هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 190/17 ، وشذرات الذهب 168/3 .

المرء ساعة ومشى معه خطى ، وسمع منه حديثاً ، فوجب لذلك أن لا يجرى هذا الاسم في عرف الاستعمال الأعلى مَن هذه حَاله ، ومع هذا فإن خبر الثقة الأمين مقبول ومعمول به ، وإن لم تطل صحبته ، ولا سمع منه إلا حديثاً واحداً ، ومن الطريق إلى معرفة كونه صحابياً تظاهر الأخبار بذلك .

وقد يحكم بأنه صحابي إذا كان ثقة أميناً مقبول القول إذا قال : صحبت النبي ﷺ وكثر لقائي له ، فيحكم بأنه صحابي في الظاهر لموضع عدالته ، وقبول خبره ، وإن لم يقطع بذلك ، كما يعمل بروايته عن الرسول ﷺ وإن لم يقطع بسماعه ، ولورود قوله إنه صحابي لرد خبره عن الرسول ﷺ " (1) .

التعليق :

من هو الصحابي .. ؟

قال البخاري – رحمه الله – : " باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومن صحب النبي أو رآه من المسمين فهو من أصحابه " (2) .

وقال علي بن المديني رحمه الله : " من صحب النبي ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار ، فهو من أصحاب النبي ﷺ " (3) .

وقال ابن الصلاح رحمه الله : " واختلف أهل العلم في أن الصحابي من ؟ فالمعروف من طريقة أهل الحديث أن كل مسلم رأى رسول الله ﷺ فهو من أصحابه " (4) .

وقال ابن كثير رحمه الله : " والصحابي من رأى الرسول ﷺ في حال إسلامه ، وإن لم تطل صحبته ، أو إن لم يرو عنه شيئاً ، وهذا قول جمهور العلماء خلفاً وسلفاً " (5) .

فتعريف الصحابي : من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ، ومات على الإسلام (6) .

---

(1) الكفاية في علم الرواية ، ص51 وما بعدها .
(2) أول باب من كتاب فضائل الصحابة ، 4/ 1964 حديث 2535 .
(3) فتح الباري ، 5/7 .
(4) علوم الحديث ، ص 263 .
(5) الباعث الحثيث ، ص133 .
(6) الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر ، 10/1 .

المسألة الثانية :محاسنهم وفضائلهم ، والكف عما شجر بينهم :

أولاً : في كتابه تاريخ بغداد :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن رباح بن الجراح الموصلي [(1)] قال سمعت رجلاً يسأل المعافى بن عمران [(2)] . فقال : يا أبا مسعود أين عمر بن عبد العزيز من معاوية بن أبي سفيان ؟ فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وقال : لا يقاس بأصحاب رسول الله أحد . معاوية صاحبه ، وصهره ، وكاتبه ، وأمينه على وحي الله عز وجل . وقد قال رسول الله ﷺ : (دعوا لي أصحابي وأصهاري ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) [(3)] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أم عمر بنت حسان بن زيد أبي الغصن [(4)] قالت : سمعت أبي يقول : دخلت المسجد الأكبر – مسجد الكوفة – وعلي بن أبي طالب على المنبر وهو يخطب الناس ، وهو ينادي بأعلى صوته : يا أيها الناس ، يا أيها الناس ، يا أيها الناس إنكم أكثرتم فيّ وفي ابن عفان ، وإن مثلي ومثله كما قال الله – تعالى – : (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) [(5)] .

---

(1) هو أبو الوليد رباح بن الجراح بن عباد العبدي الموصلي، كان من خيار الناس، وكان ثقة كما قال الخطيب وابن سعد، يحفظ الرقائق وكلام الزهاد وكان شيخاً خاشعاً صالحاً، وكان له قدر ومنزلة، توفي سنة نيف وأربعين ومائتين .

انظر: الطبقات الكبرى 362/7 ، وثقات ابن حبان 243/8 ، وتاريخ بغداد 428/8 .

(2) هو المعافى بن عمران بن نفيل بن جابر بن جبلة، أبو مسعود الأزدي الموصلي الحافظ الإمام، شيخ الإسلام، ياقوتة العلماء، من أئمة العلم والعمل، قلَّ أن ترى العيون مثله صنف في الزهد والسنن والفتن والأدب وغير ذلك، ثقة خير فاضل صاحب سنة، أوصى أولاده بوصية نافعة نحواً من كراس، وله مسند صغير، مات سنة 185هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 80/9 ، وشذرات الذهب 308/1 .

(3) تاريخ بغداد ، 209/1 .

(4) هي أم عمر بنت حسان بن زيد أبي الغصن الثقفي قال أحمد: وكانت عجوز صدق، وقال في موضع آخر: قد حدثتكم عنها ما أرى بها بأساً، أما يحيى بن معين فكان يقول: ليست بشيء ، قد سمعت أنا منها كانت تنزل عند دار معاذ – يعني ابن مسلم ببغداد – وحدث عن أم عمر هذه غير واحد من أصحابنا .

انظر: فضائل الصحابة 453/1 ، والعلل ومعرفة الرجال 162/3 – 298 ، وبحر الدم 190/1 ، وتاريخ بغداد 432/14 ، ولسان الميزان 87/7 .

(5) تاريخ بغداد ، 432/14 . والآية في سورة الحجر ، الآية 47 .

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن قتادة ، عن مطرف [1] قال : لقيت علياً فقال لي يا عبد الله ما بطأ بك أحب عثمان ؟ ثم قال : لئن قلت ذلك لقد كان أوصلنا للرحم ، وأتقانا للرب عز وجل [2] .

4- ما أخرجه الخطيب بسنده عن سفيان يقول : " لا يجتمع حب علي وعثمان إلا في قلوب نبلاء الرجال " [3] .

5- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي سهلة مولى عثمان بن عفان [4] عن عثمان أنه قال يوم الدار : إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً فأنا صابر عليه . وقال أبو أسامة : أخبرني أبو سهلة قال : لما كان يوم الدار قيل لعثمان ألا تقاتل ؟ قال : إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً فأنا صائر إلى عهده [5] .

6- ما أخرجه الخطيب بسنده عن المهلب بن أبي صفرة [6] قال : سألنا أصحاب رسول الله ﷺ لم قلتم في عثمان أعلاها فوقاً ؟ لأنه لم يتزوج رجل من الأولين ولا الآخرين ابنتي نبي غيره [7] .

ثانياً : في كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع :

1) _ أفرد الخطيب البغدادي – رحمه الله – في كتابه هذا باباً أسماه : فضائل الصحابة ومناقبهم والنشر لمحاسن أعمالهم وسوابقهم [1] ، وقال فيه :

---

(1) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير، أبو عبد الله الحرشي العامري البصري، الإمام القدوة الحجة، وكان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب، لم ينج بالبصرة من فتنة ابن الأشعث إلا هو وابن سيرين، مات سنة 95هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 187/4 ، وشذرات الذهب 110/1 .

(2) تاريخ بغداد ، 100/11 .

(3) المصدر السابق ، 15/5 .

(4) هو أبو سهلة مولى عثمان بن عفان ثقة، يقال إن له صحبة، سئل أبو زرعة فقال: لا أعرف اسمه .
انظر: الجرح والتعديل 388/9 ، والإصابة 201/7 ، وتقريب التهذيب 412/2 .

(5) تاريخ بغداد ، 334/6 .

(6) هوالأمير البطل قائد الكتائب أبو سعيد، المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو الأزدي العتكي البصري. ولد عام الفتح، غزا المهلب الهند، وولي الجزيرة لابن الزبير، وحارب الخوارج، ثم ولي خراسان. وبالغ الحجاج في احترامه لما دوّخ الأزارقة، ولقد قتل منهم في ملحمة أربعة آلاف وثمان مئة ، مات المهلب غازياً سنة 82هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 383/4 ، وشذرات الذهب 90/1 .

(7) تاريخ بغداد ، 231/2 .

" إن الله – تعالى – اختار لنبيه أعواناً جعلهم أفضل الخلق ، وأقواهم إيماناً ، وشدّ بهم أزر الدين ، وأظهر بهم كلمة المؤمنين ، وأوجب لهم الثواب الجزيل ، وألزم أهل الملة ذكرهم بالجميل .

فخالفت الرافضة أمر الله فيهم ، وعمدت لمحو مآثرهم ومساعيهم ، وأظهرت البراءة منهم ، وَتَدَيَّنَتْ بالسب لهم ، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، كما رام ذلك المتقدمون من أشباههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

فلزم الناقلين للأخبار ، والمشخصين بحمل الآثار نشر مناقب الصحابة الكرام ، وإظهار منزلتهم، ومحلهم من الإسلام ، عند ظهور هذا الأمر العظيم ، والخطب الجسيم ، واستعلاء الحائدين عن سلوك الطريق المستقيم ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة ، وإن الله لسميع عليم ".

ثم أورد آثاراً أخرجها بسنده ، منها :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الرحمن بن سالم [2] ، عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله اختارني واختار لي أصحاباً ، فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً) [3] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبان ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله اختارني واختار أصحابي ، وإنه سيجيء قوم ينتقصونهم، ويعيبونهم ويسبونهم ، فلا تجالسوهم ، ولا تؤاكلوهم ، ولا تشاربوهم ، ولا تصلوا معهم ، ولا تصلوا عليهم) [4] .

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن خالد بن معدان [1] ، عن معاذ بن جبل [2] ، قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا ظهرت الفتن – أو قال البدع – وسُبَّ أصحابي ، فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله له صرفاً ولا عدلاً)[3].

---

(1) 117/2 - 120 .

(2) هو عبد الرحمن بن سالم بن عتبة بن عويم بن ساعدة ، ويقال اسم جد أبيه عبد الله أو عبدالرحمن ، مجهول لا يعرف حاله .

انظر : الإصابة 438/4 ، وتقريب التهذيب 570/1 .

(3) أخرجه الحاكم ، كتاب معرفة الصحابة ﷺ ، 15/ 362 ، 6732 ، وأبو نعيم في الحلية 11/2 عن عويم بن ساعدة ﷺ . وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ، 38/7 ،ح (3037).

(4) أخرجه الديلمي (223) ، والخلال في السنة (769) عن أنس ﷺ . وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (3037) .

4- ما أخرجه الخطيب بسنده عن يوسف بن أسباط [4] قال : سمعت سفيان يقول : " إذا كنت في الشام فحدث بفضائل علي ، وإذا كنت بالكوفة فحدّث بفضائل عثمان " [5] .

2) _ وقال أيضاً في نفس الكتاب : " وإذا كان كل حديث يتضمن واحداً من الصحابة بانفراده ، فأَسْتَحِبُّ أن يقدم إملاء فضائل أبي بكر ، ثم عمر ' ثم كذلك يرتب الأحاديث على قدر منازل أصحابها ، وما يقتضيه العلم من موجب درجاتهم واستحقاقها " [6] .

ثم أورد آثاراً أخرجها بسنده ، منها :

- ما أخرجه الخطيب بسنده عن السدي عن سعيد بن جبير قال : " سأله رجل عن منقبة علي ، إني لأجد ضَعَةً أن أبدأ بمنقبته قبل منقبة عمر " [7] .

3) _ وتابع الخطيب حديثه ، حيث قال – رحمه الله – : " وليتجنب المحدّث رواية ما شجر بين الصحابة ، ويمسك عن ذكر الحوادث التي كانت منهم ، ويعمّ جميعهم بالصلاة عليهم والاستغفار لهم " [8] .

ثم ذكر عدة آثار رواها بسنده ، منها :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الرحيم بن زيد العمِّي [1] ، قال : أخبرني أبي ، قال : أدركنا أربعين شيخاً من التابعين كلهم يحدثونا عن أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال

---

(1) هو خالد بن معدان بن أبي كرب، الإمام، شيخ أهل الشام، أبو عبد الله الكلاعي، الحمصي إمام في تطويع النفس ، مجاهد صاحب هدي حسن، مات وهو صائم سنة 103هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 537/4 ، وشذرات الذهب 126/1.

(2) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب الأنصاري الخزرجي المدني البدري، أبو عبد الرحمن. شهد العقبة شاباً أمرد، جمع القرآن في عهد النبي ﷺ، من فقهاء الصحابة وكان يشبه بإبراهيم، مات سنة 18هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 443/1 ، والإصابة 219/9.

(3) أخرجه الديلمي (66) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه. وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (1506) .

(4) هو يوسف بن أسباط الزاهد ، من سادات المشايخ، له مواعظ وحكم ، دفن كتبه، فكان حديثه لا يجيء كما ينبغي، نزل الثغور مرابطاً .
انظر: سير أعلام النبلاء 170/9 ، ومشاهير علماء الأمصار (1490) .

(5) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، 2/ 119 .

(6) المصدر السابق ، 118/2 .

(7) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، 2/ 119 .

(8) مصدر السابق ، 119/2 .

: (من أحب جميع أصحابي ، وتولاهم ، واستغفر لهم ، جعله الله يوم القيامة معهم في الجنة) [2] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن جويبر [3] ، عن الضحاك [4] قال : " أمرهم بالاستغفار

لهم، وهو يعلم أنهم سيُحْدِثون ما أحدثوا " [5] .

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن العوام بن حوشب [6] ، قال : " أدركت من خيار هذه الأمة ، وبعضهم يقول لبعض : اذكروا محاسن أصحاب محمد ﷺ لتأتلف عليه القلوب " [7].

4- ما أخرجه الخطيب بسنده ، عن أبي محمد عبد الله بن أيوب المخَرمي [8] ، قال : " إذا كان حديث لأهل البدع فيه قدح ، فلا يَسَّرَ الله لمن يحدِّث ، ولا أجرَ أراه قال – من سمع"[1].

---

(1) هو عبد الرحيم بن زيد بن الحواري العمي –بفتح المهملة وتشديد الميم– أبو زيد البصري، متروك كذبه ابن معين، قال أبو حاتم ترك حديثه ، منكر الحديث ، كان يفسد أباه يحدث عنه بالطامات ، مات سنة 184هـ .

انظر: تهذيب الكمال 35/18 وتقريب التهذيب 59/1 .

(2) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (489) ، اللالكائي في الاعتقاد (1900) ، وابن عرفة العبدي كما في كنز العمال (45313) عن جمع من الصحابة غير مسمّين ﷺ. وسنده ضعيف .

(3) هو جويبر تصغير جابر ، ويقال اسمه جابر، وجويبر لقب ، ابن سعيد الأزدي ، أبو القاسم البلخي نزيل الكوفة، راوي التفسير، ضعيف جداً، قال أحمد: ما كان عن الضحاك فهو على ذاك أيسر ، وما كان بسند عن النبي ﷺ فهو منكر، أما علي بن المديني فضعفه جداً ، وقال : أكثر على الضحاك ، روى عنه أشياء مناكير، وقال ابن عدي والضعف على حديثه ورواياته بيّن، وقال أكثر الأئمة: متروك، مات بعد الأربعين .

انظر: تهذيب الكمال 67/5 ، وتقريب التهذيب 168/1 .

(4) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل أبو القاسم، صاحب التفسير. كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه، له باع كبير في التفسير والقصص، وكان يعلم ولا يأخذ أجراً، لم يلق ابن عباس، إنما لقي سعيد بن جبير بالري ، فأخذ عنه التفسير، مات سنة 102هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 598/4 ، وشذرات الذهب 124/1 .

(5) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، 2/ 119 .

(6) هو العوام بن حوشب بن يزيد الشيباني الإمام المحدث، أبو عيسى الربعي الواسطي ، ثقة ثبت فاضل، صاحب أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، مات سنة 148هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 354/6 ، وشذرات الذهب 244/1 ، وتقريب التهذيب 759/1 .

(7) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، 2/ 120 .

(8) هو أبو محمد، عبد الله بن محمد بن أيوب بن صبيح، البغدادي المخرمي ، الإمام المحدث الفقيه الورع، صدوق، قلد القضاء فلم يقبله، واختفى، وإليه ينسب جزء المخرمي والمروزي الذي عند ابن قميرة بعلو، مات سنة 265هـ .

انظر: تاريخ بغداد 81/10 ، وسير أعلام النبلاء 359/12 .

التعليق :

من عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة ، ذكر محاسنهم وفضائلهم ، و الترضي عنهم، والكف عما شجر بينهم ، لأنهم هم خيار المؤمنين ، وخيار أهل الأرض ، قال رسول الله ﷺ: (إن خيركم قرني ..الحديث) [2] ، " فكل من صحب النبي ﷺ أفضل ممن لم يصحبه مطلقاً ، كما قاله غير واحد من الأئمة " [3] .

ومن أقوال أئمة السلف التي تبين عقيدتهم في وجوب ذكر الصحابة بمحاسنهم ، والكف عما شجر بينهم ، ما قاله الإمام الطحاوي – رحمه الله – : " ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان" [4] .

وقال شيخ الإسلام : " ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، ويقبلون ما جاء في الكتاب والسنة والإجماع : من فضائلهم ، ومراتبهم ، ويمسكون عما شجر بينهم ، ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ، ومنها ما قد زيد فيه ونقص ، وغيّر عن وجهه ، والصحيح منه ، هم معذورون ، إما مجتهدون مصيبون ، وإما مجتهدون مخطئون " [5] .

والآيات التي أثنى الله فيها على الصحابة وبيّن فضلهم كثيرة ، فمن ذلك : قوله تعالى : (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ) [6] ، " فرضي الله عن السابقين من غير اشتراط إحسان ولم يرضَ عن التابعين إلا أن

---

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، 2/ 120 .
(2) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ، 132/9، ح 2457 ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ، 360/12 ، ح 4603 عن عمران بن حصين رضي الله عنه .
(3) انظر مجموع الفتاوى 4/ 527 .
(4) شرح الطحاوية ، 689/2 .
(5) انظر : مجموع الفتاوى ، 3/152-155 .
(6) سورة التوبة ، الآية : 100 .

يتبعوهم بإحسان ، و الرضى من الله صفة قديمة ، فلا يرضى إلا عن عبدٍ علم أنه يوافيه على موجبات الرضى ، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً " (1)، وغيرها من الآيات .

والأحاديث الواردة في فضائل الصحابة والثناء عليهم ..وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون مستفيضة بل متواترة (2) ، ومن هذه الأحاديث : عن عمران بن حصين (3) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، قال عمران : فلا أدري ، قال رسول الله ﷺ بعد قرونه قرنين أو ثلاثة) (4) .

ومما يبين أن شأن الصحبة لا يعدله شيء ..ما أخرجه علي بن الجعد (5) في مسنده وفيه:
" أن عمر بن الخطاب أُتي برجل هجا الأنصار ، فقال عمر : لولا أن له صحبة من رسول الله ﷺ ما أدري ما نال فيها لكفيتكموه ، ولكن له صحبة من رسول الله ﷺ " (6) . قال ابن حجر : " رجال هذا الحديث ثقات، وقد توقف عمر رضي الله عنه عن معاتبته فضلاً عن معاقبته لكونه علِم أنه لقي النبي ﷺ ، وذلك أبيَن شاهد على أنهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدله شيء " (7) .

ومما جاء عن السلف في الثناء على الصحابة : ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه :

---

(1) انظر : الصارم المسلول ، 572 .
(2) مجموع الفتاوى ، 430/4 .
(3) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف، القدوة الإمام، صاحب رسول الله ﷺ أبو نجيد الخزاعي. أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في وقت، سنة سبع. وله عدة أحاديث. وولي قضاء البصرة، وكان عمر بعثه إلى أهل البصرة ليفقههم، فكان الحسن يحلف: ما قدم عليهم البصرة خير لهم من عمران بن الحصين، ممن اعتزل الفتنة، ولم يحارب مع علي، مات سنة 52هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 508/2 ، والإصابة 155/7 ، وشذرات الذهب 1/ 62 .
(4) تقدم تخريجه ص 224 .
(5) هو علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن البغدادي الجوهري مولى بني هاشم ، الإمام الحافظ الحجة، مسند بغداد، ولد سنة 134هـ ، كان يتناول الصحابة في بعض الأحيان ، وهو ثقة في نفسه، وقد رمي بالتشيع ، من صغار التاسعة ، مات سنة 230هـ وقد استكمل ستاً وتسعين سنة .
انظر : ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق 139/1 ، تذكرة الحفاظ 399/1 .
(6) مسند علي بن الجعد ، ص 389 رقم 2657 .
(7) الإصابة في تمييز الصحابة ، 12/1 .

" من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ، كانوا والله أفضل هذه الأمة ، وأبرّها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم " (1) .

ومما جاء عن السلف في الإمساك عما شجر بين الصحابة ..ما رواه اللالكائي أنه " ذُكرَ علي وطلحة عند أبي سعيد الخدري فقال : قوم سبقت لهم سوابق ، وأصابتهم فتن ، فرُدوا أمرهم إلى الله عز وجل " (2) . قال العوام بن حوشب : " أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة بعضهم يقول لبعض : اذكروا محاسن أصحاب رسول الله ﷺ لتأتلف عليهم القلوب ، ولا تذكروا ما شجر بينهم ، فتُحرِّشوا الناس عليهم" (3).

كما أوجب الله علينا محبتهم ..قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : (وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (4) ، " هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة ؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا محبتهم وموالاتهم ، والاستغفار لهم ، وأن من سبهم أو واحداً منهم ، أو اعتقد فيه شرّاً ، أنه لا حق له في الفيء ، روي ذلك عن مالك وغيره " (5) . وعن البراء أن النبي ﷺ قال في الأنصار : (لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله) (6) .

(1) مجموع الفتاوى ، 158/4 .
(2) اللالكائي ، 1324/7 رقم 2352 .
(3) الإبانة الصغرى ، ص181 رقم 215 ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، 119/2 .
(4) سورة الحشر ، الآية :10 .
(5) تفسير القرطبي ، 32/18 .
(6) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حب الأنصار من الإيمان ، 136/12 ، ح 3499 ، ومسلم، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان ، 220/1 ، ح 110 عن البراء ﷺ .

ومما ورد عن السلف في محبة الصحابة .. قال بشر بن الحارث [1] : " ما أنا بشيء من عملي أوثق مني بحبِّ أصحاب محمد ﷺ " [2] ، ولذلك كان السلف يعلِّمون أولادهم حبّ الصحابة قال مالك بن أنس : "كان السلف يعلمون أولادهم حبّ أبي بكر وعمر ، كما يعلِّمون السورة من القرآن " [3] .

المسألة الثالثة : الرد على من يقع فيهم أو يكذبهم :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن يحي بن معين يقول : تليد [4] كذاب ، كان يشتم عثمان، وكل من شتم عثمان أو طلحة أو أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ رجال لا يكتب عنهم ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين [5] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي الحسن أحمد بن يوسف الأزرق [6] ، قال : سمعت أبا بكر بن أبي داوود [7] – غير مرة – وهو يقول : كل من بيني وبينه شيء ، أو ذكرني بشيء – شك أبو الحسن – فهو في حل إلا من رماني ببغض علي بن أبي طالب [1] .

---

(1) هو بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء، الامام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الاسلام، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي، المشهور بالحافي، ابن عم المحدث علي بن خشرم.
ولد سنة 152هـ ، كان رأساً في الورع والإخلاص، ثم إنه دفن كتبه، وكان يلحن، ولا يدري العربية، وهو زاهد جبل ثقة ، ليس يروي إلا حديثاً صحيحاً، مات سنة 227هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 469/10 ، وشذرات الذهب 60/2 .

(2) تهذيب ابن عساكر ، 236/3 .

(3) اللالكائي ، 1313/7 رقم 2325 .

(4) هو تليد بن سليمان المحاربي أبو سليمان ، ويقال أبو إدريس الأعرج الكوفي، رافضي خبيث يشتم الصحابة ويدلس، كان أهل الحديث يسمونه بليداً، يعني بالباء الموحدة، وكان سيئ الخلق ، كذبه جماعة من العلماء .
انظر: ميزان الاعتدال 358/1 ، وتهذيب التهذيب 448/1 .

(5) تاريخ بغداد ، 137/7 .

(6) هو أبو بكر، يوسف بن يعقوب بن الحافظ إسحاق بن بهلول، التنوخي الأنباري، ثم البغدادي الكاتب. المعروف بالأزرق ، الشيخ العالم الثقة، ولد سنة 238هـ ، كاتب جليل متصرف ، متخشن في دينه، أمّار بالمعروف ، مات سنة 329هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 289/15 ، والأنساب 200/1 .

(7) هو عبد الله بن سليمان بن الأشعث أبو بكر السجستاني، الإمام العلامة الحافظ، شيخ بغداد، صاحب التصانيف. ولد بسجستان في سنة 230هـ ، زاهد ناسك من بحور العلم، إمام أهل العراق، ومن نصب له السلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق مشايخ أسند منه، ولم يبلغوا في الآلة والاتقان ما بلغ هو ، فهو

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي عمر بن حيويه [2] يقول : كان أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة في جامع براثى يملي مثالب أصحاب رسول الله ﷺ ، أو قال الشيخين أبا بكر وعمر ، فتركت حديثه لا أحدث عنه بشيء ، وما سمعت عنه ذلك شيئاً [3] .

4- قال الخطيب في ترجمة أبي بكر البزاز الشافعي [4] : ولما منعت الديلم ببغداد الناس أن يذكروا فضائل الصحابة ، وكتبت سب السلف على المساجد ، كان الشافعي يتعمد ذلك الوقت إملاء الفضائل في جامع المدينة ، وفي مسجده بباب الشام ، ويفعل ذلك حسبة ، ويعده قربة [5] .

5- ما أخرجه الخطيب بسنده عن جرير بن عبد الحميد [6] ، عن المغيرة قال : خرج عدي بن أبي حاتم ، وجرير بن عبد الله البجلي ، وحنظلة الكاتب [7] ، من الكوفة فنزلوا قرقيسيا[1]، وقالوا : لا نقيم ببلد يشتم فيه عثمان [2] .

من كبار علماء الإسلام، ومن أوثق الحفاظ بحيث إن بعضهم فضله على أبيه ، صنف السنن والمصاحف وشريعة المقارئ، والناسخ والمنسوخ، والبعث وأشياء، مات سنة 316هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 221/13 ، وشذرات الذهب 273/2 .

(1) تاريخ بغداد ، 467/9 .

(2) هو أبو عمر بن حيَّويه محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن يحيى بن معاذ البغدادي الخزَّاز، المحدّث الحجة ، وكيل دعلج ، مولده 295هـ من كبار محدثي بغداد، كتب طول عمره، وروى المصنّفات الكبار، وكان ثقة ثبتاً مأموناً، انتقى عليه الدارقطني ، مات سنة 382هـ .
انظر: تاريخ بغداد 121/3 ، وإكمال الكمال 362/2 ، وتاريخ الإسلام 54/27 ، وشذرات الذهب 104/3.

(3) تاريخ بغداد ، 22/5 .

(4) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدويه بن موسى بن بيان الجبلي البزاز الشافعي، من أهل بغداد ، شيخ ثقة صدوق ثبت ، كثير الحديث ، حسن التصنيف في عصره، أملى وحدث عن عامة شيوخ بغداد وكان الدارقطني يقول: أبو بكر الشافعي ثقة مأمون، ما كان في ذلك الزمان أوثق منه، ما= رأيت له إلا أصولاً صحيحة متقنة، وقد ضبط سماعه فيها أحسن الضبط. ولد سنة 260هـ بجبل ، ومات سنة 354هـ ببغداد .
انظر: تاريخ بغداد 457/5 ، والأنساب للسمعاني 381/3 .

(5) تاريخ بغداد ، 456/4 .

(6) هو جرير بن عبد الحميد بن يزيد، الإمام الحافظ القاضي، أبو عبد الله الضبي الكوفي، نزل الري، ونشر بها العلم، ويقال: مولده بأعمال أصبهان، ونشأ بالكوفة. قال محمد بن حميد عن جرير: ولدت سنة مات الحسن: سنة عشر ، ثقة كثير العلم من مشايخ الإسلام ، مات سنة 188هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء 9/9 ، وتهذيب التهذيب 75/2 .

(7) هو حنظلة بن الربيع بن صيفي بفتح المهملة بعدها تحتانية ساكنة التميمي ، يعرف بحنظلة الكاتب ، أبو ربعي ، وهو ابن أخي أكثم بن صيفي ، صحابي نزل الكوفة ، روى عن النبي ﷺ وكتب له ، وأرسله إلى

6- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عائشة أنها قالت : لا ينتقصني أحد في الدنيا إلاّ تبرأت منه في الآخرة [3] .

7- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عثمان بن صالح [4] قال : كان أهل مصر ينتقصون عثمان، حتى نشأ فيهم الليث بن سعد [5] ، فحدثهم بفضائل عثمان ، فكفوا عن ذلك ، وكان أهل حمص ينتقصون علياً حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش [6] ، فحدثهم بفضائله فكفوا عن ذلك[7] .

أهل الطائف ، وشهد القادسية ، ونزل الكوفة ، وتخلف عن علي يوم الجمل ونزل قرقيسياء حتى مات في خلافة معاوية مات بعد علي .
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة 134/2 ، وتقريب التهذيب 249/1 .

(1) قرقيسيا : معرب كركيسيا ، وهو مأخوذ من كركيس ، وهو اسم لأرسال الخيل المسمى بالعربية الحلبة، وهي كورة من كور ديار ربيعة، بين الحيرة والشام، وفي الجانب الشرقي من الفرات، فتحها عنوة عمرو بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف، أمر عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص أن يوجهه في جند ، فخرج يعارض الطريق حتى جاء قرقيسيا في غرة فأخذها عنوة، فأجاب أهلها إلى الجزية .
انظر: معجم البلدان 328/4 ، والروض المعطار في خبر الأقطار 455/1 .

(2) تاريخ بغداد ، 190/1 .

(3) المصدر السابق ، 432/14 .

(4) هو عثمان بن صالح بن صفوان السهمي مولاهم ، أبو يحيى المصري، صدوق، ثبت عنه أنه قال رأيت صحابياً من الجن، مات سنة 219هـ ، وله خمس وسبعون سنة .
انظر: تهذيب الكمال 391/19 ، وتقريب التهذيب 660/1 .

(5) هو الليث بن سعد بن عبدالرحمن، أبو الحارث الفهمي، ولد سنة 94هـ ، الإمام الحافظ شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية، ثقة ثبت كثير الحديث، فقيه البدن، عربي اللسان، يحسن القرآن والنحو، ويحفظ الحديث والشعر، حسن المذاكرة، من الأبدال، استقل الليث بالفتوى، وكان سرياً من الرجال، سخياً، له ضيافة. أثنى عليه غير واحد بأنه أفقه من مالك ، وأتبع للأثر منه، مات سنة 175هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 137/8 ، وشذرات الذهب 285/1 .

(6) هو إسماعيل بن عياش بن سليم، أبو عتبة الحمصي العنسي، مولاهم. الحافظ الإمام، محدث الشام، بقية الأعلام، ولد سنة 108هـ من بحور العلم، صادق اللهجة، متين الديانة، صاحب سنة واتباع، وجلالة ووقار، ثقة عدل، أعلم الناس بحديث الشاميين، ولا يدفعه دافع، ولكنه يغرب عن ثقات المدنيين والمكيين فإن كتابه ضاع، فخلط في حفظه عنهم، مات سنة 181هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 313/8 ، وشذرات الذهب 294/1 .

(7) تاريخ بغداد ، 7/13 .

8- ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن العقيلي [1] قال قلت لعبد الله بن أحمد بن حنبل[2] : لِمَ لم تكتب عن علي بن الجعد ؟ فقال : نهاني أبي أن أذهب إليه ، وكان يبلغه عنه أنه يتناول أصحاب رسول الله ﷺ [3].

9- ما أخرجه الخطيب بسنده عن جعفر بن محمد [4] قال : قال لي أبي : يا بني إن سبّ أبي بكر و عمر من الكبائر ، فلا تصل خلف من يقع فيهما [5].

التعليق :

(1) هو أبو جعفر، محمد بن عمرو بن موسى بن حماد، العقيلي الحجازي، الامام الحافظ الناقد، مصنف كتاب الضعفاء، قال مسلمة بن القاسم: كان العقيلي جليل القدر، عظيم الخطر، ما رأيت مثله، وكان كثير التصانيف، فكان من أتاه من المحدثين، قال: اقرأ من كتابك، ولا يخرج أصله. قال: فتكلمنا في ذلك. وقلنا: إما أن يكون من أحفظ الناس، وإما أن يكون من أكذب الناس.
فاجتمعنا فاتفقنا على أن نكتب له أحاديث من روايته، ونزيد فيها وننقص، فأتيناه لنمتحنه، فقال لي: اقرأ، فقرأتها عليه، فلما أتيت بالزيادة والنقص، فطن لذلك، فأخذ مني الكتاب، وأخذ القلم وأصلحها من حفظه، فانصرفنا من عنده، وقد طابت نفوسنا، وعلمنا أنه من أحفظ الناس ، مات سنة 322هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 236/15 ، والوافي بالوفيات 291/4.
(2) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الإمام الحافظ الناقد، محدث بغداد، أبو عبد الرحمن ابن شيخ العصر أبي عبد الله الذهلي الشيباني المروزي، ثم البغدادي ، ولد سنة 213هـ حدث بمسائل أبيه ، وبعلل الحديث ، وسمع من أبيه الكثير من كتبه ورواها عنه، وهو ثقة ثبت فهم صين دين صادق، صاحب حديث واتباع، وبصر بالرجال، لم يدخل في غير الحديث، ولعبد الله كتاب الرد على الجهمية وغيره، مات سنة 290هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 516/13 ، وشذرات الذهب 203/2 .
(3) تاريخ بغداد ، 364/11 .
(4) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمامُ الصادق، شيخ بني هاشم ، أبو عبد الله القرشي الهاشمي العلوي النبوي المدني، أحد الأعلام. وأمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأمها هي أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر ، ولهذا كان يقول: ولدني أبو بكر الصديق مرتين. وكان يغضب من الرافضة، ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر ظاهراً وباطناً، ولد سنة 80هـ ، ورأى بعض الصحابة، وليس هو بالمكثر إلا عن أبيه. وكانا من جلة علماء المدينة، مات سنة 148هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 255/6 ، وشذرات الذهب 20/1 .
(5) تاريخ بغداد ، 437/9 .

اتفق أهل السنة والجماعة على عدالة الصحابة رضي الله عنهم قال الخطيب البغدادي: " عدالة الصحابة ثابتة ومعلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم ، فمن ذلك قوله تعالى : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) (1) ، وقوله : (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ) (2) ، .. في آيات كثيرة يطول ذكرها ، وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها ، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة ، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم ، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له ؛ المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له ، على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام وبذل المهَج والأموال وقتل الآباء والأبناء والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين والقطع على عدالتهم ، والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدّلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين ، هذا مذهب كافة العلماء ، ومن يُعتد بقوله من الفقهاء " (3) . وقال ابن تيمية : " وأما أهل السنة فمتفقون على عدالة القوم " (4) . وقال ابن حجر : " اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة " (5) .

والقدح في الصحابة والطعن فيهم طعن في القرآن والسنة والشريعة كلها ..فهم نقلة الشريعة ، ورواة أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، قال شيخ الإسلام : " القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول قدح في الرسول – عليه السلام – كما قال مالك وغيره من أئمة العلم . هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل : رجل سوء كان له أصحاب سوء ، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين " (6) . وكما قال عمر بن حبيب (7) لهارون الرشيد

(1) سورة آل عمران ، آية : 110 .
(2) سورة الفتح ، آية : 18 .
(3) انظر : الكفاية في علم م الرواية ، ص46-49 .
(4) مجموع الفتاوى ، 51/35 .
(5) الإصابة ، 9/1 .
(6) مجموع الفتاوى ، 429/4 .
(7) هو عمر بن حبيب العدوي البصري القاضي، ضعيف الحديث، يكتب حديثه مع ضعفه، ولي قضاء البصرة، ثم ولي قضاء الجانب الشرقي من بغداد للمأمون، مات بالبصرة سنة 207هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 490/9 ، وشذرات الذهب 17/2 .

: " إذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة ، والفرائض والأحكام في الصيام ، والصلاة ، والطلاق ، والنكاح ، والحدود كله مردود غير مقبول " (1) .

قال النووي : " واعلم أن سبّ الصحابة ﷺ حرام من فواحش المحرّمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره ، لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون"(2).

وقد دلّ الكتاب والسنة على تحريم سبّ الصحابة ﷺ : قال تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً) (3)، " وهم صدور المؤمنين ، فإنهم المواجهون بالخطاب في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) (4)، حيث ذكرت ، ولم يكتسبوا ما يوجب أذاهم ، فإن الله رضي عنها رضاً مطلقاً بقوله : (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) (5) ، والرضى من الله صفة قديمة ، فلا يرضى إلا من عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضى ، ومن رضي عنه لم يسخط عليه أبداً " (6) .

ومن أدلة السنة : عن أبي سعيد الخدري قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن ابن عوف شيء ، فسبّه خالد ، فقال رسول الله – صلى الله عله وسلم – : (لا تسبوا أحداً من أصحابي ؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه) (7) . قال شيخ الإسلام : " فإذا كان هذا حال الذين أسلموا من بعد الفتح وقاتلوا وهم من أصحابه التابعين للسابقين ، مع من أسلم من قبل الفتح وقاتل ، وهم أصحابه السابقون ، فكيف حال مَنْ ليس مِنْ أصحابه بحال مع أصحابه ؟! " (8) .

ومما ورد عن السلف في تحريم سبّ الصحابة ﷺ :

---

(1) أورده القرطبي في تفسيره ، 298/16 ، والمزي في تهذيب الكمال ، 294/21 .
(2) شرح مسلم 93/16 .
(3) سورة الأحزاب ، الآية : 58 .
(4) سورة البقرة ، الآية : 104 .
(5) سورة الفتح ، الآية : 18 .
(6) انظر : الصارم المسول ، ص572 .
(7) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب المناقب ، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ، 5/12 ، ح 3397 ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة ، 369/12 ، ح 4610 عن أبي سعيد ﷺ .
(8) منهاج السنة ، 433/8 .

قال ابن عمر : " لا تسبوا أصحاب محمد ، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره " [1] . وقال ابن عباس : " لا تسبوا أصحاب محمد ، فإن الله عز وجل قد أمر بالاستغفار لهم ، وهو يعلم أنهم سيقتتلون " [2] . وقال ميمون بن مهران [3] : " ثلاث ارفضوهن سبّ أصحاب محمد ، والنظر في النجوم ، والنظر في القدر " [4] .

وتفصيل القول في حكم سبّ الصحابة رضي الله عنهم :

أن من اقترن بسبّه دعوى أن علياً إله ، أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبريل في الرسالة ، فهذا لا شك في كفره ، وكذا من زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً ، أو أنهم فسقوا عامتهم ، فهذا لا ريب أيضاً في كفره ، لأنه مكذّب لما نصّ القرآن في غير موضع : من الرضى عنهم والثناء عليهم . وأما من سبّهم سبّاً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم ، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن ، أو قلة العلم ، أو عدم الزهد ، ونحو ذلك ، فهذا الذي يستحق التأديب والتعزير ، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك ، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم ، وأمّا من لعن وقبّح مطلقاً فهذا محل خلاف فيهم ؛ لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد [5] .

المسألة الرابعة : تفضيل الشيخين على غيرهما من الصحابة :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي جعفر قال : قال علي — وهو عند رأس عمر ، وهو طعين – : هذا أحب الأمة إليّ أن ألقى الله بمثل صحيفته [6] .

---

(1) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب فضل أهل بدر ، 190/1 ، ح 158 عن ابن عمر رضي الله عنه. وحسنه الألباني ، انظر : صحيح وضعيف ابن ماجه 1/ 234 ح (162) .
(2) رواه أحمد في فضائل الصحابة 59/1 ح (18) ، ورواه اللالكائي 1318/7 رقم 2339 .
(3) هو أبو أيوب، ميمون بن مهران الجزري الرقي، الإمام الحجة، عالم الجزيرة ومفتيها، ولي خراج الجزيرة وقضاءها، وكان من العابدين، وهو ثقة كثير الحديث، مات سنة 117هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 71/5 ، وشذرات الذهب 154/1 .
(4) رواه أحمد في فضائل الصحابة 60/1 ح (19) ، وابن أبي زمنين في أصول السنة ص267 .
(5) الصارم المسلول ، ص 586-587 باختصار .
(6) تاريخ بغداد ، 490/13 .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الله بن سلمة [1] قال : سمعت علياً يقول : خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، أبو بكر ، وخير الناس بعد أبي بكر عمر[2] .

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي جحيفة [3] قال : خرج علينا عليّ فقال : ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها ؟ قالوا : بلى ، قال : أبو بكر ، فقال : ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها وبعد أبي بكر ؟ عمر [4] .

4- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الرحمن بن صالح الأزدي [5] يقول : أفضل – أو خير – هذه الأمة بعد نبيها ، أبو بكر وعمر [6] .

التعليق :

تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على غيرهما من الصحابة أمر متفق عليه بين أهل السنة والجماعة. قال النووي – رحمه الله – : " واتفق أهل السنة على أن أفضلهم أبو بكر ثم عمر " [7] . وقال شيخ الإسلام : " وأما تفضيل أبي بكر ، ثم عمر على عثمان وعلي : فهذا متفق عليه بين أئمة الإسلام المشهورين بالإمامة في العلم والدين ، من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وهو مذهب مالك وأهل المدينة ، والليث بن سعد وأهل مصر ، و الأوزاعي وأهل الشام ، وسفيان الثوري،

---

(1) هو عبد الله بن سلمة – بكسر اللام – المرادي الكوفي، وكنيته أبو العالية، صدوق تغير حفظه، روى له أصحاب السنن الأربعة، في الطبقة الأولى من فقهاء الكوفة بعد الصحابة .
انظر: تهذيب الكمال 52/15 ، وتقريب التهذيب 498/1 .
(2) تاريخ بغداد ، 213/5 .
(3) هو أبو جحيفة السوائي الكوفي صاحب النبي ﷺ، واسمه وهب بن عبد الله، ويقال له: وهب الخير، من صغار الصحابة. ولما توفي النبي ﷺ كان وهب مراهقاً –فهو من أسنان ابن عباس– وكان صاحب شرطة علي رضي الله عنه، حديثه في الكتب الستة، مات سنة 74هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 202/3 ، والإصابة 642/3 .
(4) تاريخ بغداد ، 177/8 .
(5) هو عبد الرحمن بن صالح الأزدي العتكي –بفتح المهملة والمثناة– الكوفي ، نزيل بغداد ، صدوق يتشيع ، وثقه بن معين ، وضعفه غيره للتشيع ، مات سنة 235هـ .
انظر: لسان الميزان 281/7 ، وتقريب التهذيب 574/1 .
(6) تاريخ بغداد ، 262/10 .
(7) شرح مسلم ، 148/15 .

وأبي حنيفة وحماد بن زيد ، وحماد ابن سلمة وأمثالهم من أهل العراق ، وهو مذهب الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ، وغير هؤلاء من أئمة الإسلام الذين لهم لسان صدق في الأمة " (1) .

وقال : " اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : " خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، ثم عمر رضي الله عنهما " (2) . ويدل على ذلك حديث عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت : أي الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة ، فقلت من الرجال قال : أبوها ، قلت ثم من ؟ قال : ثم عمر ، فعد رجالاً " (3).

وقد خالفت الرافضة أهل السنة و الجماعة ، وادعوا أن علياً أفضل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين . وهذا يكذبه " ما تواتر عن علي رضي الله عنه وروي عنه من نحو ثمانين وجهاً أنه قال على منبر الكوفة : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر " (4) . بل الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد علي رضي الله عنه كانوا يفضلون أبا بكر وعمر (5) .

وقال عبد الغني المقدسي (6) : " ونعتقد أن أفضل هذه الأمة وأفضلها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه الأخص وأخوه في الإسلام ، ورفيقه في الهجرة والغار ، أبو بكر الصديق وزيره في حياته

---

(1) مجموع الفتاوى ، 421/4 .
(2) المصدر السابق ، 405/3-406 .
(3) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً، 397/11 ، ح 3389 ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، 102/12 ، ح 4396 عن عمرو بن العاص رضي الله عنه .
(4) مجموع الفتاوى ، 405/3 ، ومنهاج السنة ، 511/7،385 .
(5) المصدر السابق ، 4/4-6 ، المصدر السابق ، 84/2 .
(6) هو عالم الحفاظ تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر المقدسي الجماعيلي ، ثم الدمشقي المنشأ الصالحي الحنبلي، صاحب (الأحكام الكبرى) و(الصغرى) ، الإمام العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة العابد الأثري المتبع، ولد سنة 541هـ ، سيرته في جزأين جمع الحافظ ضياء الدين المقدسي، له مصنفات كثيرة جداً، مات سنة 600هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 443/21 ، وشذرات الذهب 345/4 .

وخليفته بعد وفاته عبد الله بن عثمان عتيق بن أبي قحافة. ثم بعده الفاروق أبو حفص عمر بن الخطاب الذي أعز الله به وأظهر الدين " [1] .

المسألة الخامسة : تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن نافع عن ابن عمر ، قال : اجتمع المهاجرون والأنصار على أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر وعثمان ، هيه الآن ؟! [2] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن سفيان الثوري يقول : " دخلت البصرة فرأيت أربعة أئمة ؛ سليمان التيمي ، وأيوب السختياني ، وابن عون ، ويونس ، كل يقول : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، فرجعت عن قولي فقلت كما قالوا : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي . قال أبو سعيد : وكان قوله : أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، وعثمان [3] .

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الله بن أيوب قال : قال رجل عند محمد بن عبيد : أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، وعثمان . فقال له : ويلك ، من لم يقل أبو بكر ، وعثمان ، وعلي ، فقد أزرى على أصحاب رسول الله ﷺ [4] .

4- ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن يعقوب [5] قال : حدثني جدي ، قال محمد بن عبيد يكنى أبا عبدالله .. وكان من الكوفيين ممن يقدم عثمان على علي ، وقل من يذهب إلى هذا من الكوفيين ، عامتهم تقدم علياً على عثمان ، أو يقف على عثمان وعلي[6] .

---

(1) الاقتصاد في الاعتقاد ، ص 198-199 .
(2) تاريخ بغداد ، 257/8 .
(3) المصدر السابق ، 260/4 .
(4) المصدر السابق ، 367/2 .
(5) هو محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان، الإمام المحدث مسند العصر، رحلة الوقت، أبو العباس الأموي مولاهم، السناني المعقلي النيسابوري الأصم، ولد المحدث الحافظ أبي الفضل الوراق ولد سنة 247هـ الثقة المأمون كان محدث عصره، ولم يختلف أحد في صدقه وصحة سماعاته، وكان يرجع إلى حسن مذهب وتدين، وكان حسن الخلق، سخي النفس، مات سنة 346هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 453/15 ، وشذرات الذهب 2/ 373 .
(6) تاريخ بغداد ، 2/ 369 .

5- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي جحيفة يقول خطبنا علي بن أبي طالب على منبر الكوفة فقال : ألا إن خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، أبو بكر ، ثم عمر ، ولو شئت أن أخبركم بثالث لأخبرتكم . قال فنزل عن المنبر وهو يقول : عثمان ، عثمان [1] .

التعليق :

اختلف أهل السنة والجماعة في تفضيل عثمان على علي رضي الله عنهما على ثلاثة أقوال [2] :

(الأول) : ذهب قوم إلى تفضيل علي على عثمان ، وممن ذهب لذلك سفيان الثوري ، وكثير من أهل الكوفة ، وقال به ابن خزيمة ، ورجع سفيان عن ذلك ، وقال بتقديم عثمان على علي رضي الله عنهما [3].

(الثاني) : وذهب قوم إلى التوقف وعدم تفضيل أحدهما على الآخر ، وهو قول بعض أهل المدينة ، ورواية عن مالك ، وتبعه جماعة منهم يحيى القطان ، ومن المتأخرين ابن حزم .

(الثالث) : تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما وهو مذهب أهل الحديث ومشايخ الزهد والتصوف، وأئمة الفقهاء كالشافعي وأصحابه وأحمد وأصحابه وأبي حنيفة وأصحابه ، وإحدى الروايتين عن مالك ، وعليها أصحابه .. وهو الذي استقر عليه رأي أهل السنة والجماعة ، وهو الصحيح المشهور ، قال الإمام المزني – رحمه الله – [4] : " ونثلث بذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثم بذي الفضل والتقى علي بن أبي طالب – رضي الله – عنهم أجمعين " [5] .

والآثار الواردة عن السلف في تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما كثيرة .. منها :

قال أبو زرعة الرازي : " خير هذه الأمة بعد نبيها عليه الصلاة و السلام أبو بكر الصديق،

---

(1) المصدر السابق ، 68/7 .
(2) انظر هذه الأقوال في شرح مسلم 148/15 ، ومجموع الفتاوى 406/3،153 ، وفتح الباري 19/7.
(3) اللالكائي ، 171/1وَ 1452/7 رقم 2623 .
(4) هو أبو إبراهيم، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري، الإمام العلامة، فقيه الملة، علم الزهاد، تلميذ الشافعي. مولده سنة موت الليث 175هـ ، قليل الرواية ، لكنه رأس في الفقه، امتلات البلاد بمختصره في الفقه، وشرَحه عدة من الكبار، بحيث يقال: كانت البكر يكون في جهازها نسخة منه ، صنف كتباً كثيرة كالجامع الكبير ، والصغير ، والمسائل المعتبرة ، والترغيب في العلم ، كان مجاب الدعوة ، ذا زهد وتأله ، وبه انتشر مذهب الشافعي في الآفاق، وكان ثقة، يلزم الرباط، مات سنة 264هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 492/12 ، وشذرات الذهب 148/2 .
(5) رسالة شرح السنة ، ص85 -86 .

ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي طالب " (1) .

وقد استدل جمهور أهل السنة ، بحديث ابن عمر : (كنا نخيَّر بين الناس في زمان النبي ﷺ فنخيِّر أبا بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم) (2) .

واستدلوا بإجماع الصحابة من أهل الشورى وغيرهم : بتقديم عثمان على علي رضي الله عنهما ، قال ابن تيمية : " وأما الإجماع فالنقل الصحيح قد أثبت أن عمر قد جعل الأمر شورى في ستة ، وأن ثلاثة تركوه لثلاثة : عثمان وعلي وعبد الرحمن ، وأن الثلاثة اتفقوا على عبد الرحمن يختار واحداً منهما ، وبقي عبد الرحمن ثلاثة أيام : حلف أنه لم ينم فيها كبير نوم يشاور المسلمين ، وقد اجتمع بالمدينة أهل الحل والعقد حتى أمراء الأنصار ، وبعد ذلك اتفقوا على مبايعة عثمان بغير رغبة ولا رهبة ، فيلزم أن يكون عثمان هو الأحق ، ومن كان هو الأحق كان هو الأفضل ، فإن أفضل الخلق من كان أحق أن يقوم مقام رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر " (3) .

المسألة السادسة : ما جاء في قول الواحد من الصحابة ..

أفرد الخطيب البغدادي – رحمه الله – في كتابه " الفقيه والمتفقه " باباً بعنوان : " باب ما جاء في قول الواحد من الصحابة " (4) ، وقال فيه : " إذا قال بعض الصحابة قولاً ، ولم ينتشر في علماء الصحابة ، ولم يعرف له مخالف ، لم يكن ذلك إجماعاً ، وهل هو حجة أم لا ؟

فيه قولان :

أحدهما : أنه حجة .

والقول الثاني : أنه ليس حجة .

فمن ذهب إلى القول الأول : احتج بأن الصحابي لا يخلو من أن يكون قوله توقيفاً من النبي ﷺ ، أو يكون اجتهاداً منه ، فإن كان توقيفاً ، وجب أن يكون مقدماً على القياس ؛ فإن خبر الواحد أقوى من القياس والاستدلال ، وإن كان اجتهاداً منه وجب أن يكون اجتهاده أقوى من

---

(1) اللالكائي ، 198/1 .

(2) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ ، 489/11 ، ح 3382 عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(3) منهاج السنة ، 226/8 .

(4) انظر : 437/1 – 446 .

اجتهاد غيره ، لأنه شاهد الرسول ﷺ ، وسمع كلامه ، والسامع أعرف بمقاصد المتكلم ، ومعاني كلامه ممن لم يسمعه ، فوجب أن يكون اجتهاده مقدماً على اجتهاد من لم يسمع منه ، ولهذا قال أيوب السختياني [1] وخالد الحذاء [2] : وأورده بسنده عن أيوب : " إذا بلغك اختلاف عن النبي ﷺ فوجدت في ذلك الاختلاف أبا بكر وعمر ، فشدّ يدك به ، فإنه الحق ، وهو السنة " [3] .

وأخرج بسنده عن خالد قال : " إنا لنرى الناسخ من قول رسول الله ﷺ ما كان عليه أبو بكر وعمر " [4] .

ثم قال ــ أي الخطيب ــ : " ومن قال إنه ليس بحجة : استدل بأن الله تعالى إنما أمر باتباع جميع المؤمنين ، فدل على أن اتباع بعضهم لا يجب ، ولأنه قول عالم يجوز إقراره على الخطأ ، فلم يكن حجة كقول التابعين ، والدليل على أنه ليس بتوقيف ؛ أنه لو كان كذلك لنقل في وقت من الأوقات عن رسول الله ﷺ فلما لم ينقل دلّ على أنه ليس بتوقيف .

قالوا : واعتلال من قال إنه حجة بأن الصحابي أعلم بكلام الرسول ﷺ ومقاصده إنما يَصح إذا عُلم بأنه قاس على ما سمعه واضطر إلى قصده ، فأما إذا احتمل أن يكون قاس على ما في القرآن ، أو على ما سمع غيره ، يرويه عن النبي ﷺ ، أو قاس على ما سمعه ولم يضطر إلى قصده ، فإنه ليس كل سامع للكلام يجب أن يضطر إلى قصد المتكلم ، وإنما هو على حسب قيام دلالة الحال ، وإذا كان كذلك لم يصح ما قاله .

---

(1) هو أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني، العنزي،الإمام الحافظ، سيد العلماء، عداده في صغار التابعين ، مولده عام توفي ابن عباس، سنة 68هـ سيد الفقهاء، ثقة ثبت في الحديث، جامع، كثير العلم، حجة عدل، لا يسأل عن مثله، إليه المنتهى في الإتقان، مات بالبصرة سنة 131هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 15/6 ، وشذرات الذهب 181/1 .

(2) هو خالد بن مهران ، أبو المنازل البصري المشهور بالحذاء، الإمام الحافظ الثقة، أحد الاعلام، ولم يكن خالدٌ حذاءً، بل كان يجلس في سوق الحذائين أحياناً، فعرف بذلك، وكان حافظاً مهيباً ليس له كتاب، مات سنة 141هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 190/6 ، وشذرات الذهب 210/1 .

(3) الفقيه والمتفقه ، 438/1 .

(4) المصدر السابق ، 438/1 .

فإذا قلنا بالقول الأول ، وأنه حجة قُدّم على القياس ، ويلزم التابعي العمل به ، ولا يجوز له مخالفته ، وإذا قلنا : إنه ليس بحجة فالقياس مقدّم عليه ، ولا يسوغ للتابعي مخالفته .

– فأما إذا اختلفت الصحابة على قولين لم يكن قول بعضهم حجة على بعض ، ولم يجُز تقليد واحد من الفريقين ، بل يجب الرجوع إلى الدليل .

واستدل بما أخرجه بسنده عن يونس بن عبد الأعلى [1] ، قال : سمعت الشافعي ، يقول : " إذا جاء عن أصحاب النبي ﷺ أقاويل مختلفة يُنظر إلى ما هو أشبه بالكتاب والسنة فيؤخذ به"[2] .

قلتُ — أي الخطيب – : فإن تعذر ذلك من الكتاب والسنة أو أحدهما اعتبرت أقاويلهم من جهة القياس ، فمن شابه قوله أصلاً من الأصول أُلحق به .

واستدل أيضاً — أي الخطيب – بما أخرجه بسنده عن يونس بن عبد الأعلى ، قال : قال الشافعي : " وإذا اختلفوا — يعني أصحاب النبي ﷺ نُظر أتبعهم للقياس ، إذا لم يوجد أصل يخالفهم اتُّبع أتبعهم للقياس ، قد اختلف عمر وعلي في ثلاث مسائل ، القياس فيها مع علي ، وبقوله أُخذ .

– ثم قال : " فإن استوى دليل القولين المختلفين من أقاويل الصحابة رُجّح أحد القولين عن الآخر بكثرة العدد ، فإن كان على أحد القولين أكثر الصحابة ، وعلى القول الآخر أقلهم قُدّم الأكثر ، لقول النبي ﷺ : (عليكم بالسواد الأعظم)[3].

فإن استويا في العدد ، وكان على أحدهما إمام ، وليس على الآخر إمام ، قُدِّم الذي عليه الإمام .

فإن كان على أحدهما أكثر الصحابة ، وعلى الآخر أقلهم إلا أن مع الأقل إماماً ، فهما سواء، لأن مع أحدهما زيادة عدد ، ومع الآخر إمام .

---

(1) هو يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الصدفي أبو موسى المصري، ثقة، مات سنة 264هـ وله ست وتسعون سنة .
انظر: تهذيب الكمال 513/32 ، وتقريب التهذيب 349/2 .

(2) الفقيه والمتفقه ، 440/1 .

(3) الحديث ورد من رواية أنس وأبي ذر وأبي مالك الأشعري وابن عمر وأبي بصرة وقدامة بن عبد الله الكلابي ﷺ، وفي كلها نظر كما قاله العراقي، ولذلك ضعفه الألباني أول الأمر ثم تراجع عنه فصححه بمجموع طرقه كما في مقدمة السلسلة الصحيحة (4/ك–ل) والصحيحة (1331) وهداية الرواة (171) ، والأثر أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه ، 441/1–442 .

وإن استويا في العدد والأئمة إلا أن في أحدهما أبا بكر وعمر ، أو أحدهما ، ففي ذلك وجهان: أحدهما : أنهما سواء لما : أخرجه بسنده عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب ‘ قال : قال رسول الله ﷺ : (سألت ربي – تعالى – فيما اختلف فيه أصحابي بعدي ، فأوحى الله إلي : يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء بعضها أضوأُ من بعض ، فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى) [1] .

والوجه الثاني : أن الفريق الذي فيه أبو بكر وعمر ، أو أحدهما أولى لما : أخرجه بسنده عن ربعي [2] ، عن حذيفة ، قال : قال النبي ﷺ : (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر)[3].

المبحث الثامن
الإمامة

تعريفها :

الإمامة في اللغة : مصدر من الفعل (أمَّ) تقول : " أمَّهم وأمَّ بهم : تقدمهم ، وهي الإمامة ، والإمام : كل ما ائتم به من رئيس أو غيره" [4] .

قال الجوهري : " الأمُّ بالفتح القصد ، يقال : أَمّه وأممه وتأممه إذا قصده " [1].

---

(1) رواه البيهقي في المدخل (112) ، والخطيب في الفقيه والمتفقه (460) عن عمر ﷺ . قال الألباني: موضوع ، انظر : الضعيفة (60) .

(2) هو ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو، الإمام القدوة الولي الحافظ الحجة، أبو مريم الغطفاني ثم العبسي الكوفي المعمر، أخو العبد الصالح مسعود، الذي تكلم بعد الموت، ثقة عابد مخضرم لم يكذب قط، اختلف في وفاته ما بين سنة 81هـ إلى سنة 104هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء 359/4 وشذرات الذهب 121/1 .

(3) الفقيه والمتفقه ، 1/ 445 – 446 . والحديث أخرجه الترمذي (3662) ، وابن ماجه (97) عن حذيفة ﷺ. وصححه الألباني .

(4) القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، 78/4 .

ويقول ابن منظور : " الإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أوكانوا ضالين .. والجمع : أئمة ، وإمام كل شيء قيّمه والمصلح له ، والقرآن إمام المسلمين ، وسيدنا محمد رسول الله ﷺ إمام الأئمة ، والخليفة إمام الرعية ، وأممت القوم في الصلاة إمامة ، وائتم به : اقتدي به .

والإمام : المثال ، وإمام الغلام في المكتب ما يتعلمه كل يوم ، وإمام المثال ما امتثل عليه ، والإمام : الخيط الذي يُمَدُّ على البناء فيبنى عليه ويسوى عليه ساف البناء .." [2].

وقال صاحب تاج العروس : " والإمام : الطريق الواسع ، وبه فُسِّر قوله تعالى : (وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ) [3] أي : بطريق يُؤم ، أي : يقصد فيتميز قال : والخليفة إمام الرعية ، قال أبو بكر : يقال فلان إمام القوم معناه : هو المتقدم عليهم ، ويكون الإمام رئيسًا كقولك : إمام المسلمين ، قال : والدليل : إمام السفر ، والحادي : إمام الإبل ، وإن كان وراءها لأنه الهادي لها .. " [4]

.

ومن جميع ما سبق نلاحظ تقارب مدلول هذا اللفظ عند أصحاب اللغة ، فيكون بمعنى : المثال والطريق الواسع والقصد والتقدم .. إلى غير ذلك من المعاني المقاربة .

أما في الاصطلاح : فقد عرفها العلماء بعدة تعريفات ، وهي وإن – اختلفت في الألفاظ فهي متقاربة في المعاني ، ومن هذه التعريفات ما يلي :

1- ما ذكره الماوردي حيث قال : " الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به " [5] .

2- أما العلامة ابن خلدون فيعرفها بقوله : " هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها

---

(1) تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد الجوهري ، 1865/5 ت/ أحمد عبد الغفور عطار.

(2) لسان العرب ، لابن منظور ، 24/12 مادة (أمم) .

(3) سورة الحجر ، آية :79 .

(4) تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضي الزبيدي ، 193/8 .

(5) الأحكام السلطانية ، لعلي بن محمد الماوردي ، ص 5 .

بمصالح الآخرة ، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به " [1] ... إلى غير ذلك من التعريفات التي تدور حول هذه المعاني .

3- وقال المناوي في فيض القدير : " الإمام هو مقتدى القوم ورئيسهم ، ومن يدعوهم إلى قول أو فعل أو اعتقاد " [2] .

4- ويقول الأستاذ محمد نجيب المطيعي : " المراد بها - أي الإمامة الرئاسة العامة في شؤون الدنيا والدين " [3] .

5- وقال الإمام السيوطي : " الرئاسة العامة في الدين والدنيا " [4] .

6- ويقول العدوي في حاشيته : " هي صفة حكمية توجب لموصوفها كونه متبوعاً لا تابعاً " [5] .

والإمامة على نوعين ..كما ذكر ذلك شيخ الإسلام بن تيمية - رحمه الله — فقال :

" والإمامة أن يقال هو الإمام الذي يؤتم به ، وذلك على وجهين : **أحدهما** : أن يرجع إليه في العلم والدين بحيث يطاع باختيار المطيع لكونه عالماً بأمر الله عز وجل ، آمراً به ، فيطيعه المطيع لذلك ، وإن كان عاجزاً عن إلزامه الطاعة . **والثاني** : أن يكون صاحب يد وسيف ، بحيث يطاع طوعاً وكرهاً لكونه قادراً على إلزام المطيع بالطاعة " [6] .

جهود الخطيب البغدادي في تقرير مسألة الإمامة :

تتضح جهود الخطيب البغدادي في هذه المسألة من خلال حديثة عن وجوب لزوم جماعة المسلمين ؛ وأئمتهم ، ومن تلك الجهود :

([1]) المقدمة للعلامة ابن خلدون ، ص 190 .

([2]) فيض القدير ، للمناوي ، 419/2 ، 563 .

([3]) المجموع شرح المهذب للنووي . التكملة لمحمد نجيب المطيعي ، ص 5، من التكملة ،والسابع عشر من المجموع ، ص 517 .

([4]) معجم مقاليد العلوم ، 75/1 ، ت / محمد أبوعباة .

([5]) حاشية العدوي ، 376/1 ، ت/ يوسف البقاعي .

([6]) منهاج السنة ، لابن تيمية ، 4/ 107 .

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي ذر [1] قال : قال رسول الله ﷺ : (يكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تأمرنا يا رسول الله قال صلوها واجعلوها معهم نافلة) [2] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : (إن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء كلما ذهب نبي خلفه نبي وإنه ليس كائن بعدي نبي ، قالوا يا رسول الله فما يكون ؟ قال يكون خلفاء ويكثرون ، قالوا يا رسول الله فما نصنع ؟ قال : أوفوا بيعة الأول فالأول أدّوا الذي عليكم ويسألهم الله الذي عليهم) [3] .

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تسبوا الأئمة وادعوا لهم بالصلاح فان صلاحهم لكم صلاح) [4] .

4- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) [5] .

5- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : (من فارق الجماعة فاقتلوه) [6] .

6- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبو الربيع الأعرج [7] قال : دخلت على داود الطائي ببيته بعد المغرب ؛ فقرب إلى كسيرات يابسة فعطشت فقمت إلى دن فيه ماء حار فقلت رحمك الله :

---

(1) هو جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري ، حجازي ، هاجر إلى النبي ﷺ ومن المكثرين من رواية الحديث ، روى عنه ابن عباس وابن عمر وأنس وكان رأسا في العلم والزهد والجهاد وصدق اللهجة والإخلاص ، قال أبو داود لم يشهد بدرا ولكن عمر ألحقه مع القراء ، وكان يوازي بن مسعود في العلم ، ومات في زمن عثمان بالربذة سنة 32هـ .
انظر : التاريخ الكبير ، 221/2 ، وتذكرة الحفاظ ، 1 / 17 ، و تاريخ مدينة دمشق ، 66 / 174 .

(2) تاريخ بغداد ، 184/13 . والحديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار وما يفعله المأموم إذا أخره الإمام ، 448/1 ، ح 648 .

(3) المصدر السابق ، 472/5 . والحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، 1272/3 ، ح 3268 بلفظه .

(4) المصدر السابق ، 12 / 151 . والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، 134/8 ،ح 7609 ، والأوسط ، 169/2 ، ح 1606 . وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ، 280/10 ح4778 .

(5) تاريخ بغداد ، 239/1 . والحديث أخرجه مسلم في باب إذا بويع لخليفتين ، 1480/3 ، ح 1853 ، عن أبي سعيد الخدري .

(6) تاريخ بغداد ، 131/7 .والحديث ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ، باب 2 في الاعتصام بالكتاب والسنة ، 1/ 117 .

(7) لم أقف على ترجمة له .

لو اتخذت إناء غير هذا يكون فيه الماء ، فقال :لي إذا كنت لا أشرب إلا بارداً ولا آكل إلا طيباً ولا ألبس إلا ليناً فما أبقيت لآخرتي ! قال قلت : أوصني ، قال : صم الدنيا واجعل إفطارك فيها الموت ، وفر من الناس فرارك من السبع ، وصاحب أهل التقوى إن صحبت فإنهم أقل مؤنه وأحسن معونة ، ولا تدع الجماعة حسبك هذا إن عملت به [1] .

7- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي عبيدة قال : قال علي اقضوا ما كنتم تقضون فإني أكره الاختلاف حتى يكون للناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي [2] .

8- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار [3] قال : لما حبس بن سيرين في السجن ، قال له السجان : إذا كان الليل فاذهب إلى أهلك فإذا أصبحت فتعال فقال بن سيرين لا والله لا أعينك على خيانة السلطان [4] .

9- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبو زرعة [5] قال : بلغني عن أبي مسهر [6] أنه قيل له كيف لم تكتب عن محمد بن راشد ، قال : كان يرى الخروج على الأئمة [7] .

10- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عثمان بن كثير الواسطي قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ما من نفس تموت أشد على موتاً من هارون أمير المؤمنين ، قال : وددت أنه أو قال : ولو وددت أن الله زاد في عمره من عمرى فكبر ذلك علينا ، فلما مات هارون وظهرت تلك الفتن وكان من المأمون ما حمل الناس على أن القرآن مخلوق قلنا الشيخ كان أعلم بما تكلم به .. [8] .

---

(1) تاريخ بغداد ، 350/8 .
(2) تاريخ بغداد ، 42/8 .
(3) هو عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار ، مولى بني أمية البصري ، قال أبو حاتم روى عن أبيه وروى عنه أبو داوود ، وأبو سلمة موسى بن إسماعيل .
انظر : التاريخ الكبير ، 51/6 ، والجرح والتعديل ، 6 /15 .
(4) تاريخ بغداد ، 334/5 .
(5) هو عبد الرحمن بن عمرو بن عبدالله بن صفوان النصري أبوزرعة الدمشقي ، ثقة حافظ مصنف ، مات سنة 281هـ .
انظر : التقريب ، ص 347 رقم 3965 .
(6) هو عبد الأعلى بن مسهر الغساني ، أبو مسهر الدمشقي ، ثقة فاضل ،مات سنة 218 هـ .
انظر : التقريب ، ص 332 رقم 3738 .
(7) تاريخ بغداد ، 273/5 .
(8) تاريخ بغداد ، 14/ 12 .

11- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الله بن معبد [1] قال : سمعت بن عباس على منبر البصرة يقول : اللهم أصلح عبدك وخليفتك على أهل الحق أمير المؤمنين [2] .

12- ما أخرجه الخطيب بسنده عن سفيان [3] عن أبيه [4] قال : كان الأحنف بن قيس [5] وأناس يذكرون السلطان فقال : الأحنف إنكم قد أكثرتم في سلطانكم فلو كان معتبكم كان قد أعتبكم فاختاروا بينه وبين أمر الجاهلية [6] .

13- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل [7] قال : سمعت محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب [8] يقول : استأذنت المتوكل أن أرجع إلى البصرة ، ولوددت أني لم أكن استأذنته كنت أكون في جواره ، قلت :وكيف قال أشهد على أني جعلت دعائي في

---

(1) عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي المدني ، والد إبراهيم ، ذكره مسلم في ثالثة تابعي المدنيين ، وأمه أم جميل بنت السائب بن الحارث ، روى عن عمه عبد الله ، وروى عنه ابنه إبراهيم وابن أبي مليكة ، وقال أبو زرعة : ثقة .

انظر : الكاشف ، 600/1 ، وطبقات بن سعد ، 5 / 316 ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، 2 / 95.

(2) تاريخ بغداد ، 437/5 .

(3) هو سفيان بن عيينة سبقت ترجمته ، ص 169 .

(4) هو عيينة بن أبي عمران مولى بني هلال الكوفي : قال ابن أبي حاتم : روى عن الحسن ، روى عنه ابنه سفيان ، وقال يحيى بن معين : ما سمعت أحداً حدث عنه غير ابنه سفيان ، وذكره ابن حبان في الثقات .

انظر: التاريخ الكبير ، 7/ 73 ، و الجرح والتعديل ، 7/ 31 ، و ثقات ابن حبان ، 7 / 301 .

(5) هو الأحنف بن قيس أبو بحر التميمي ، واسمه الضحاك ، روى عن عمر وعثمان وعلي ، وروى عنه الحسن وحميد بن هلال وجماعة ، وكان سيدا نبيلا ، توفي سنة 67 وقيل 72 هـ .

انظر: الكاشف ، 229/1 ، التاريخ الكبير ، 50/2 .

(6) تاريخ بغداد ، 75/10 .

(7) هو محمد بن إسماعيل بن يوسف السلمي ، أبو إسماعيل الترمذي ، نزيل بغداد ، ثقة حافظ ، مات سنة 280هـ .

انظر: التقريب ، ص 468 رقم 5738 .

(8) هو محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي ، البصري ، واسم أبي الشوارب : محمد بن عبد الرحمن بن أبي عثمان صدوق ، مات سنة 244هـ .

انظر: التقريب ، ص 494 رقم 6098 .

المشاهد كلها للمتوكل وذلك أن صاحبنا عمر بن عبد العزيز جاء الله به يرد المظالم وجاء الله بالمتوكل يرد الدين [1] .

التعليق :

أولاً : لفظ (الإمام) في الكتاب والسنة :

هذا وقد ورد لفظ (الإمام) في القرآن الكريم بصيغة الإفراد في عدة مواضع منها قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام : (قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) [2] . والمعنى : " أني مُصَيِّرُك للناس إمامًا يؤتم به ، ويقتدى به " [3] .

كما ورد في قوله تعالى حكاية عن دعاء المؤمنين : (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً) [4] أي : " أئمة يقتدي بنا من بعدنا " [5] وقال البخاري : " أئمة نقتدي بمن قبلنا ، ويقتدي بنا من بعدنا " [6] .

وورد اللفظ بصيغة الجمع في قوله تعالى : (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) [7] . أي : " أئمة يؤتم بهم في الخير في طاعة الله في إتباع أمره ونهيه ، ويقتدى بهم ، ويتبعون عليه " [8] .

وفي قوله تعالى : (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) [9] أي : ولاة وملوكًا [10] .

كما ورد اللفظ بمعنى : من يؤتم بهم في الشر . فقال تعالى : (فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ) [11] أي : " رؤساء الكفر بالله " [1] وقوله : (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ

([1]) تاريخ بغداد ، 2/ 344 .
([2]) سورة البقرة ، آية : 124 .
([3]) تفسير الطبري ، 529/1 .
([4]) سورة الفرقان ، آية : 74 .
([5]) تفسير الطبري ، 52/19 .
([6]) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام ، باب الإقتداء بسنن الرسول ﷺ ، فتح الباري ، 248/13.
([7]) سورة الأنبياء ، آية : 73 .
([8]) تفسير الطبري ، 49/17 .
([9]) سورة القصص ، آية : 5 .
([10]) تفسير الطبري ، 28/20 .
([11]) سورة التوبة ، آية : 12 .

الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ) [2] أي : " جعلنا فرعون وقومه أئمة يأتم بهم أهل العتو على الله والكفر به " [3] . لكن إذا أطلق لفظ (الإمام) فإنه لا ينصرف إلى أئمة الباطل ، لأنه ورد ذكرهم في القرآن بهذه الكلمة مقيدة كما في هذه الآيات .

وورد اللفظ أيضًا في مواطن كثيرة من الحديث النبوي الشريف منها قوله ﷺ : (الإمام الأعظم الذي على الناس راع ، وهو مسئول عن رعيته ..) الحديث [4] . وقوله ﷺ : (الأئمة من قريش) [5] . والمراد : الحاكم أو الخليفة ... إلى غير ذلك من الأحاديث

الكثيرة التي ذكر طرف منها .

وهكذا أخذت الإمامة معنى اصطلاحيًا إسلاميًا ، فقصد بالإمام : خليفة المسلمين وحاكمهم ، وتوصف الإمامة أحيانًا بالإمامة العظمى أو الكبرى تمييزًا لها عن الإمامة في الصلاة ، على أن الإمامة إذا أطلقت فإنها توجه إلى الإمامة الكبرى أو العامة ، كما أوضح ذلك ابن حزم رحمه الله [6] .

وجوب الإمامة

اتفق السواد الأعظم من المسلمين على وجوب نصب الإمام [7] ، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا النجدات من الخوارج [8] ، والأصم [9] ، والفوطي [1] من المعتزلة [2] . وفي هذا يقول الإمام ابن

([1]) تفسير الطبري ، 87/10 .

([2]) سورة القصص ، آية : 41 .

([3]) تفسير الطبري ، 79/20 .

([4]) رواه البخاري في كتاب الأحكام ، باب : 1 ، فتح الباري 111/13 واللفظ له ، ورواه مسلم أيضًا في كتاب الإمارة ، 1459/3 ، ح 1829 .

([5]) رواه أحمد في مسنده ، 183/3 .

([6]) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، للشهرستاني ، 90/4 .

([7]) انظر على سبيل المثال : الجامع لأحكام القرآن ، 264/1 ، وكشاف القناع ، 158/6 ، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، 87/4 ، والسياسة الشرعية لابن تيمية ، ص 161 ، ومقدمة ابن خلدون ، ص 191 ، وغيرها من كتب الفقه .

([8]) انظر : مقالات الإسلاميين ، 205/1 ، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد . وممن يذكر عنه عدم وجوب الإمامة من الخوارج أيضًا المحكمة ، لكنهم تراجعوا عن ذلك .

([9]) أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم من كبار المعتزلة من الطبقة السادسة .

حزم : " اتفق جميع أهل السنة ، وجميع المرجئة ، وجميع الشيعة ، وجميع الخوارج على وجوب الإمامة ، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل ، يقيم فيهم أحكام الله ، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا : لا يلزم الناس فرض الإمامة ، وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم " (3) .

وقال القرطبي : " ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة ، إلا ما روي عن الأصم ، حيث كان عن الشريعة أصم . وكذلك كل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه " (4) .

والموجبون لها منهم من يرى وجوبها عن طريق الشرع ، وهم أهل السنة والجماعة وأكثر المعتزلة (5) ، ومنهم من يوجبها عقلاً ، والموجبون لها عقلاً منهم من يوجبها على الله تعالى – تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا – وهم الشيعة ، ومنهم من يوجبها على الناس . وهم المعتزلة البغداديون (6) ، والجاحظ من معتزلة البصرة (7) .

الأدلة :

أهل السنة والجماعة يرون أن الإمامة واجبة ، وأنه لا بد للمسلمين من إمام يقيم شعائر الدين وينصف المظلومين من الظالمين ، ويستدلون على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة والإجماع ، وتفصيل ذلك :

أولاً : الأدلة من القرآن الكريم :

1/ قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ)

انظر : فرق وطبقات المعتزلة ، ص 65 .

(1) هو هشام بن عمرو الفوطي ، شيباني من أهل البصرة من الطبقة السادسة ، وإليه تنسب فرق الهاشمية من المعتزلة .

انظر : طبقات المعتزلة ، ص 69 ، و الفرق بين الفرق ، ص 159 .

(2) أصول الدين للبغدادي ، ص 272 .

(3) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، 87/4 .

(4) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، 264/1 .

(5) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، 20 / 141 .

(6) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ، 308/2 ، ت / محمد أبو الفضل إبراهيم .

(7) العثمانية للجاحظ ، ص 261 ، ت/ عبد السلام هارون .

الآية [1] ، أورد الطبري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : (أن أولي الأمر هم الأمراء) [2] ثم قال الطبري : " أولي الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : هم الأمراء والولاة فيما كان لله طاعة وللمسلمين مصلحة " [3] وقال ابن كثير : " الظاهر – والله أعلم أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء " [4] وهذا هو الراجح .

ووجه الاستدلال من هذه الآية : أن الله سبحانه أوجب على المسلمين طاعة أولي الأمر منهم وهم الأئمة ، والأمر بالطاعة دليل على وجوب نصب ولي الأمر ، لأن الله تعالى لا يأمر بطاعة من لا وجود له ، ولا يفرض طاعة من وجوده مندوب ، فالأمر بطاعته يقتضي الأمر بإيجاده ، فدل على أن إيجاد إمام للمسلمين واجب عليهم .

2/ ومن الأدلة أيضًا قول الله تبارك وتعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [5] .

فمهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام ومن أتى بعدهم من أتباعهم أن يقيموا العدل بين الناس على وفق ما في الكتاب المنزل ، وأن ينصروا ذلك بالقوة ، وهذا لا يأتي لأتباع الرسل إلا بتنصيب إمام يقيم فيهم العدل ، وينظم جيوشهم المناصرة ، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" فالدين الحق لا بد فيه من الكتاب الهادي والسيف الناصر

.. فالكتاب يبين ما أمر الله به وما نهى عنه ، والسيف ينصر ذلك ويؤيده " [6] .

ثانيًا : الأدلة من السنة :

---

(1) سورة النساء ،آية :59 .

(2) تفسير الطبري ، 497/7 ، ت/ أحمد شاكر وقال عنه : إسناده صحيح .

(3) المرجع السابق ، 502/7 .

(4) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، 303/2 ، ت/ د . محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور وعبد العزيز غنيم .

(5) سورة الحديد ، آية : 25 .

(6) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، 142/1 ، وبهامشه كتاب بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول . للمؤلف نفسه .

روي عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة فيها دلالة على وجوب نصب الإمام ، ومن هذه الأدلة إضافة إلى ما تقدم ما يلي :

1- ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) [1] أي : بيعة الإمام ، وهذا واضح الدلالة على وجوب نصب الإمام لأنه إذا كانت البيعة واجبة في عنق المسلم ، والبيعة لا تكون إلا لإمام ، فنصب الإمام واجب.

2- ومنها ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم) . ومثله عن أبي هريرة ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال : (لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمّروا أحدهم) [2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" فإذا كان قد أوجب في أقلِّ الجماعات وأقصر الاجتماعات ، أن يولي أحدهم ، كان هذا تشبيهًا على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك " [3] .

3- ومنها أيضًا الحديث المشهور في السنن عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ أنه قال – من حديث طويل – : (إنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة

([1]) رواه مسلم في كتاب الإمارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء ، 1478/3 ، ح1851 .

([2]) رواه أبو داود في كتاب الجهاد باب / 87 ، عون ، 267/7 ، وأحمد ، 177/2 ، وأخرجه البزار من حديث عمر بن الخطاب بسند صحيح ، وأخرجه أيضًا بسند صحيح من حديث ابن عمرو مرفوعًا بلفظ : (إذا كانوا ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم) . وأخرجه بهذا اللفظ الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح ، وهذه الأحاديث يشهد بعضها لبعض وقد سكت أبو داود والمنذري عن حديث أبي سعيد وأبي هريرة ، وكلاهما رجالهما رجال الصحيح إلا علي بن بحر وهو ثقة . قال في الخلاصة : (وثقه ابن معين . ولم يذكر فيه قادحًا) .

انظر : نيل الأوطار ، 255/8 ، والروض النضير للسياغي (التتمة) ، 23/5 ، وقد صححه ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل ، 106/8 ، ح2454 ، والأستاذ أحمد شاكر في تخريجه للمسند ، 133/10 ، ح 6647 .

([3]) الحسبة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص 11 ، ت/ صلاح عزام .

الخلفاءالراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) [1] .

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على وجوب طاعة الإمام فيما لا معصية فيه ، وأحاديث البيعة ، وحرمة الخروج على أئمة المسلمين ، كل هذه الأحاديث تقتضي وجود الإمام المسلم، فدلّ ذلك على وجوب تنصيبه . والله أعلم.

وقد تواتر عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم بايعوا أبا بكر رضي الله عنه بالخلافة بعد لحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى ، ثم استخلف أبو بكر عمر رضي الله تعالى عنهما ، ثم استخلف عمر أحد الستة الذين اختاروا عثمان رضي الله عنه ، ثم بعد استشهاده بايعوا عليًا بالخلافة ، فهذه سنتهم رضي الله عنهم في الخلافة ، وعدم التهاون في منصبها ، فوجب الإقتداء بهم في ذلك بأمر النبي ﷺ .

ثالثًا : الإجماع :

من أهم الأدلة الدالة على وجوب الإمامة الإجماع على ذلك من قبل الأمة ، وأول ذلك إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على تعيين خليفة للنبي ﷺ بعد وفاته ، بل حتى قبل دفنه وتجهيزه [2] . يقول الهيتمي : " اعلم أيضًا أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب ، بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله ﷺ " [3] .

([1]) رواه الترمذي في كتاب العلم باب / 16 ، 44/5 ، ح2676 ، وقال : حسن صحيح . وأبو داود في كتاب السنة ، باب : 5 ، عون ، 359/12 ، وابن ماجة في المقدمة باب / 6 ، 15/1 ، ح42 ، وأحمد ، 126/4 ، والدارمي في المقدمة ، باب / 6 . قال أبو نعيم : هو حديث جيد من صحيح الشاميين .
انظر : جامع العلوم والحكم ، ص 243 .

([2]) كانت وفاته عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين بعد أن زاغت الشمس لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول وكان دفنه – كما يقول ابن هشام – من وسط الليل ليلة الأربعاء .
انظر : سيرة ابن هشام ، 664/4 ، وسبل السلام ، 111/2 .

([3]) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ، لأحمد بن حجر الهيتمي ، ص 7 .

ويقول الشهرستاني : " ولما قربت وفاة أبي بكر فقال : تشاوروا في هذا الأمر . ثم وصف عمر بصفاته وعهد إليه واستقر الأمر عليه ، وما دار في قلبه ولا في قلب أحد أنه يجوز خلو الأرض من إمام ، ولما قربت وفاة عمر جعل الأمر شورى بين ستة ، وكان الاتفاق على عثمان رضي الله عنه ، وبعد ذلك الاتفاق على علي رضي الله عنه ، فدل ذلك كله على أن الصحابة رضوان الله عليهم ، وهم الصدر الأول كانوا على بكرة أبيهم متفقين على أنه لا بد من إمام ... " ثم يقول : " فلذلك الإجماع على هذا الوجه دليل قاطع على وجوب الإمامة " [1] .

وقد نقل هذا الإجماع طائفة من العلماء ، منهم الماوردي حيث قال : " وعقدها – أي الإمامة – لمن يقوم بها واجب بالإجماع ، وإن شّذ عنهم الأصم " [2] .

ويقول النووي : " وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة .. " [3] ويقول ابن خلدون : " نصب الإمام واجب ، وقد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين ، لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه ، وتسليم النظر إليه في أمورهم ، وكذا في كل عصر من الأعصار ، واستقر ذلك إجماعًا دالاً على وجوب نصب الإمام " [4] .

وقد سبق كلام ابن حزم في اتفاق الأمة على ذلك ، ولم يخالف إلا من لا يعتدّ بمخالفتهم [5] .

عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الإمامة :

ومن عقيدة أهل السنة في لزوم الجماعة ، السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، وعدم الخروج عليهم ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم ، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة ، فلا يدفع أعظم الفسادَيْن بالتزام أدناهما ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته "

---

(1) نهاية الأقدام في علم الكلام ، للشهرستاني ، ص 480 .

(2) الأحكام السلطانية ، للماوردي ، ص 5 .

(3) شرح النووي على صحيح مسلم ، 205/12 .

(4) المقدمة لابن خلدون ، ص 191 .

(5) انظر : الفصل ، ص 40 .

[1] . ثم بيّن – رحمه الله –خطورة الخروج على السلطان ، فقال : " وقلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير ، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق وكابن المهلب الذي خرج على ابنه بخراسان ،وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان أيضا وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة وأمثال هؤلاء ..

قال الإمام الطحاوي – رحمه الله – : " ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة " [2] .

وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة ؛ كما كان عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد ، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث ، ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين ..

وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي ﷺ من الصبر على جور الأئمة وترك قتلاهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد وأن من خالف ذلك متعمدا أو مخطئا لم يحصل بفعله صلاح بل فساد ولهذا أثنى النبي ﷺ على الحسن بقوله إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، ولم يثن على أحد لا بقتال في فتنة ولا بخروج على الأئمة ولا نزع يد من طاعة ولا مفارقة للجماعة ..." [3] .

كما يجب الدعاء للسلطان بالصلاح .. قال أبومحمد البربهاري : "وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله " ، يقول فضيل بن عياض : " لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في

([1]) منهاج السنة النبوية ، 391/3 .

([2]) متن العقيدة الطحاوية ، 47/1 –48 .

([3]) منهاج السنة النبوية ،528/4 – 531 باختصار .

السلطان ، قيل له يا أبا علي فسر لنا هذا ..؟ قال : إذا جعلتها في نفسي لم تعدني وإذا جعلتها في السلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد " ، فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين " (1) .

---

(1) شرح السنة ، 51/1 .

المبحث التاسع
مسائل الإيمان

الإيمان :

معنى الإيمان عند العرب : التصديق ، فيدعى المصدِّق بالشيء قولاً ، مؤمناً به ، ويُدعى المصدِّق قوله بفعله ، مؤمناً ، ومن ذلك قول الله جل ثناؤه : (وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) [1] ، يعني وما أنت بمصدق لنا في قولنا ، وقد تدخل الخشية لله في معنى الإيمان ، الذي هو تصديق القول بالعمل [2] .

وكما يقول ابن تيمية [3] : " لقد بين النبي ﷺ المراد بلفظ الإيمان وما يضاده بياناً لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك ، فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله ﷺ ، فإنه شاف كاف ، بل معان هذه الأسماء معلومة من حيث الجملة للخاصة والعامة ، بل كل من تأمل ما يقوله الخوارج[4] والمرجئة [5] في معنى الإيمان، علم بالاضطرار أنه مخالف للرسول ﷺ ...." [6] .

---

(1) سورة يوسف ، الآية 17 .

(2) تفسير الطبري ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، ط 2 (مصر : دار المعارف د.ت) 235/1.

(3) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، بن تيمية الحراني ، الإمام الفقيه المجتهد ، المحدث ، الحافظ ، المفسر ، الأصولي ، الزاهد ، شيخ الإسلام ، وعلم الأعلام ، أفتى ودرّس وهو دون العشرين ، وله مئات التصانيف ، توفي سنة 728 هـ .

انظر : ذيل طبقات الحنابلة 387/2 .

(4) الخوارج : أول الفرق خروجاً في هذه الأمة ، يكفرون أصحاب الكبائر ، ويتبرؤون من بعض الصحابة ، ويجوزون الخروج على الأئمة ، وهم فرق متعددة ، منهم : المحكمة ، والأزارقة ، والإباضية.

انظر : الملل والنحل 114/1 .

(5) المرجئة : فرقة تأخذ بنصوص الوعد والرجاء ، وتؤخر العمل عن مسمى الإيمان ، وهم أصناف متعددة .

انظر : الملل والنحل 1/ 139 .

(6) مجموع الفتاوى ، 7/ 287 .

فالإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله ﷺ ، وليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم .

وقد عرّف أهل السنة الإيمان بأنه قول وعمل : قول القلب ، وقول اللسان ، وعمل القلب، وعمل الجوارح ، وقد حكى غير واحد منهم الإجماع على ذلك ، كابن عبد البر في التمهيد ، ولقد تلقى أهل السنة هذا التعريف بالقبول والتسليم ، اتباعاً للنصوص ، القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على أن الإيمان تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح .

وقد ذكر الحافظ ابن منده - رحمه الله - (1) قول النبي ﷺ : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان) (2) ، وذلك في مقام الاستدلال به على أن الإيمان قول باللسان ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالأركان ، وأنه يزيد وينقص (3) .

وأقوال السلف في مسألة تعريف الإيمان متفقة على أن الإيمان قول وعمل ، ومن تلك الأقوال:

قول الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله – (ت241): " الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص"(4).

وقال الإمام ابن جرير الطبري – رحمه الله – (ت310) : "كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله ، وتصديق الإقرار بالفعل " (5) .

---

(1) هو الإمام الحافظ الجوال محدث الإسلام محمد بن المحدث أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن منده، واسم منده إبراهيم بن الوليد بن سندة بن بطة، أبو عبد الله العبدي الأصبهاني الحافظ، صاحب التصانيف. مولده في سنة 310هـ ، قال الذهبي: ولم أعلم أحداً كان أوسع رحلة منه ، ولا أكثر حديثاً منه مع الحفظ والثقة ، فبلغنا أن عدة شيوخه ألف وسبع مئة شيخ ، ومن تصانيفه : الإيمان، والتوحيد ، ومعرفة الصحابة ، قيل : اختلط في آخر عمره ، مات سنة 395هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 28/17 ، وشذرات الذهب 146/3 .

(2) أخرجه مسلم ،كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، 167/1 ، ح 70 .

(3) انظر : الإيمان ، الحافظ ابن منده ، تحقيق : علي محمد الفقيهي ، د.ط (المدينة : مطابع الجامعة الإسلامية د.ت) 8/2 .

(4) السنة ، الإمام عبد الله أحمد بن حنبل ، تحقيق : محمد سعيد القحطاني ،ط 1 (المملكة العربية السعودية : دار ابن القيم 1406هـ) 1/ 307 .

(5) تفسير الطبري ، 235/1 .

وعقد الإمام الآجري [1] –رحمه الله – (ت360) باباً في كتابه " الشريعة " قائلاً : " باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح ، ولا يكون مؤمناً إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال الثلاث " [2] .

وقال الإمام ابن بطة [3] – رحمه الله – (ت387) في تعريف الإيمان : " معناه التصديق بما قاله، وأمر به وافترضه ، ونهى عنه من كل ما جاءت به الرسل من عنده ، ونزلت فيه الكتب، وبذلك أرسل المرسلين ، فقال عز وجل : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [4] ، والتصديق بذلك قول باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالأركان " [5] .

وعرّف القاضي أبو يعلى [6] – رحمه الله – (ت458) الإيمان فقال : " وأما حدّ الإيمان في الشرع فهو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة ، والباطنة أعمال القلب ، وهو تصديق القلب ، والظاهرة هي أفعال البدن الواجبات والمندوبات " [7] .

وقال الإمام إسماعيل الأصبهاني [8] – رحمه الله – (ت534) : " الإيمان في الشرع عبارة عن جميع الطاعات الظاهرة والباطنة " [9] .

---

(1) هو أبو بكر محمد بن الحسين البغدادي ، الإمام ، المحدث ، القدوة ، كان صدوقاً عابداً ، صاحب سنة ، له مؤلفات ، توفي بمكة سنة 360 هـ .
انظر : تاريخ بغداد 243/2 ، سير أعلام النبلاء 16/ 133 .

(2) الشريعة ، الآجري ، ص 114 .

(3) عبيد الله بن محمد العكبري ، من فقهاء الحنابلة ، كان أمّارا بالمعروف ، صالحاً ، مستجاب الدعوة ، له مؤلفات ، توفي بعكبرا سنة 387 هـ .
انظر : طبقات الحنابلة : 2/ 144 ، والمنهج الأحمد 81/2 .

(4) سورة الأنبياء ، الآية 25 .

(5) الشرح والإبانه عن أصول السنة والديانة (الإبانة الصغرى) ، ص 176 .

(6) محمد بن الحسين بن محمد البغدادي ، الحنبلي ابن الفراء ، أفتى ودرّس ، وبرع في فنون كثيرة ، ولي القضاء ، و له عدة مصنفات ، توفي سنة 458 هـ .
انظر : طبقات الحنابلة : 2/ 139 ، وشذرات الذهب 306/3 .

(7) مسائل الإيمان ، ص 151 .

(8) أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل ، إمام حافظ ، حسن الاعتقاد ، له عدة مؤلفات ، توفي سنة 534 هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء 20/ 80 ، وشذرات الذهب 105/4 .

(9) الحجة في بيان المحجة ، 403/1 .

قول الإمام ابن تيمية – رحمه الله – (ت 728) : " والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين ، وجمهور السلف ، وهو مذهب أهل الحديث ، وهو المنسوب إلى أهل السنة ، أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية " (1) .

وعرّف العلامة السعدي – رحمه الله – (ت1376) الإيمان بقوله : " حقيقة الإيمان : التصديق التام بما أخبرت به الرسل ، المتضمن لانقياد الجوارح .." (2) .

نلاحظ من تعريفات الأئمة السابقة ، تنوع عباراتهم في تعريف الإيمان ، وجميعها صحيح ، فليس بين هذه العبارات اختلاف معنوي ، كما بيّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – حيث قال : " فتارة يقولون : هو قول وعمل ، وتارة يقولون : هو قول وعمل ونية ، وتارة يقولون قول وعمل ونية ، اتباع السنة ، وتارة يقولون : هو قول باللسان ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح ، وكل هذا صحيح . فإذا قالوا قول وعمل ، فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعاً ، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ، ونحو ذلك إذا أطلق"(3) .

وقال – رحمه الله – في موضع آخر : " وربما قال بعضهم وكثير من المتأخرين : قول وعمل ونية ، وربما قال آخر ، قول وعمل ونية واتباع السنة ، وربما قال : قول باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان أي الجوارح ...وليس بين هذه العبارات اختلاف معنوي ، ولكن القول المطلق ، والعمل المطلق في كلام السلف يتناول قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح ، فقول اللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين ، وهذا لا يسمى قولاً إلا بالتقييد ، كقوله تعالى : (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ)(4) ، وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب ، هي من أعمال المنافقين ، التي لا يتقبلها الله ، فقول السلف يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر ؛ لكن لما كان بعض الناس قد لا يفهم دخول النية في ذلك ؛ قال بعضهم : ونية . ثم بيّن آخرون أن مطلق القول والعمل والنية لا يكون مقبولاً إلا بموافقة السنة . وهذا حق أيضاً فإن أولئك قالوا قول وعمل ليبينوا اشتماله على الجنس ، ولم يكن مقصودهم ذكر صفات الأقوال والأعمال ؛

(1) مجموع الفتاوى ، 505/7 .

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، العلامة عبد الرحمن ناصر السعدي ، تقديم : محمد النجار ، د.ط (جدة : دار المدني 1408) 32/1 .

(3) مجموع الفتاوى ، 170/7 .

(4) سورة الفتح ، الآية 11 .

وكذلك قول من قال : اعتقاد بالقلب ؛ وقول باللسان ، وعمل بالجوارح . جعل القول والعمل اسماً لما يظهر ؛ فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب ، ولابد أن يدخل في قوله : اعتقاد القلب أعمال القلب المقارنة لتصديقه ، مثل حب الله ، وخشية الله ،والتوكل على الله ونحو ذلك . فإن دخول أعمال القلب في الإيمان ، أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها " (1) .

وقا أيضاً في موضع آخر : " والمقصود هنا أن من قال من السلف : الإيمان قول وعمل ، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم من إلا القول الظاهر ، أو خاف ذلك ، فزاد الاعتقاد بالقلب ، ومن قال قول وعمل ونية ، قال : القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان ، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك ، ومن زاد اتباع السنة ، فلإن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا بإتباع السنة ، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل ، إنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال ، ولكن كان مقصودهم الرد على "المرجئة" الذين جعلوه قولاً فقط ، فقالوا : بل هو قول وعمل ، والذين جعلوه "أربعة أقسام" فسروا مرادهم ، كما سُئل سهل بن عبد الله التستري (2) عن الإيمان ما هو ؟ فقال : قول وعمل ونية وسنة ، لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر ، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق ، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة " (3) .

نلاحظ من تعريفات الأئمة السابقة ، تنوع عباراتهم في تعريف الإيمان ، وجميعها صحيح ، فليس بين هذه العبارات اختلاف معنوي ، كما بيّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله– حيث قال : (فتارة يقولون : هو قول وعمل ، وتارة يقولون : هو قول وعمل ونية ، وتارة يقولون قول وعمل ونية ، اتباع السنة ، وتارة يقولون : هو قول باللسان ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح

---

(1) مجموع الفتاوى ، 505/7 – 506 .

(2) هو سهل بن عبد الله بن يونس، شيخ العارفين، أبو محمد التستري، الصوفي الزاهد. له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة، وقدم راسخ في الطريق ، وكان يقول: أصولنا ستة: التمسك بالقرآن، والاقتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق ، مات سنة 283هـ . انظر: سير أعلام النبلاء 330/13 ، وشذرات الذهب 182/2 .

(3) مجموع الفتاوى ، 171/7 .

، وكل هذا صحيح . فإذا قالوا قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعاً ، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ، ونحو ذلك إذا أطلق " (1) .

يقول الشيخ عبد العزيز السلمان (2) : من أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل ؛ قول القلب واللسان ؛ وعمل القلب واللسان والجوارح ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .. وأما قول القلب فمعناه يكون بتصديقه وإيقانه ، قال تعالى : (وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (3) ... وأما قول اللسان فهو النطق بالشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بلوازمهما ، قال الله – تعالى – : (إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (4) .. وقال ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله) (5) .. وأما عمل القلب فهو النية و الإخلاص والمحبة والانقياد ، والإقبال على الله عز وجل ، والتوكل عليه والإنابة ، ولوازم ذلك وتوابعه ، قال تعالى : (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) (6) ... وقال النبي ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ..الحديث) (7) .. وأما عمل اللسان فهو ما لا يؤدى إلا به ، كتلاوة القرآن ، وسائر الأذكار من التهليل والتسبيح والتكبير والدعاء والاستغفار، وغير ذلك ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) (8) ... وقال ﷺ : (لا صلاة لمن لم يقرأ

(1) مجموع الفتاوى ، 170/7 .

(2) هوالعلامة الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن السلمان (أبو محمد) من قبيلة عتيبة ، ولد في عنيزة عام 1337هـ وقيل : 1339هـ ، نشأ في بيت علم ودين وورع وزهد ، مات والده وهو صغير فكفلته والدته ، حفظ القرآن وعمره 17 عاماً ، عمل في مجال التأليف سنيناً طويلة وقد بلغت مؤلفاته (20) مؤلفاً وقد أوقفها لله عز وجل ، منها (الأسئلة والجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية) و(إتحاف المسلمين بما تيسر من أحكام الدين) وغيرها ..

انظر : فتح المنان بترجمة العلامة الشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان ص1–11 .

(3) سورة الزمر ، الآية : 33 .

(4) سورة الزخرف ، الآية :86 .

(5) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) ، 42/1 ، ح 24 ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، 118/1 ، ح 33 عن ابن عمر رضي الله عنه .

(6) سورة الأنعام ، الآية : 52 .

(7) تقدم تخريجه ص 42 .

(8) سورة فاطر ، الآية : 29 .

بأم القرآن) (1) .. وأما عمل الجوارح فهو ما لا يؤدى إلا بها ، كالقيام والركوع والسجود ، والمشي في مرضاة الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والحج والجهاد في سبيل الله ، وأما الدليل فقوله تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (2)...وقال ﷺ :

(الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاه شهادة أن لا إله إلا الله وأدناه إماطة الأذى عن الطريق)(3) ... إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على مذهب السلف " . (4)

وقد خالف أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان عدة طوائف (5) :

فالإيمان عند الجهمية : هو المعرفة بالقلب , وهذا القول ظاهر الفساد ، لأن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين ، فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون ولم يؤمنوا بهما . ولازمه أيضا أن إبليس يكون مؤمناً فإنه لم يجهل ربه بل هو عارف به (6).

والإيمان عند الأشاعرة (7) : هو التصديق (8) ، وشيخ الإسلام يرى أنه لا فرق بين معرفه القلب وبين مجرد التصديق ، قال – رحمه الله – : " فإن الفرق بين معرفه القلب وبين مجرد التصديق الخالي عن الانقياد الذي يجعل قول القلب أمراً دقيقاً وأكثر العقلاء ينكرونه " (9) .

---

(1) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب صفة الصلاة ، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها ، 204/3 ، ح 714 ، ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، 351/2 ، ح 597 عن عبادة ﷺ .

(2) سورة البينة ، الآية : 5 .

(3) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان ، 13/1 ، ح 8 ، ومسلم ، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها 140/1 ، ح 51 عن أبي هريرة ﷺ .

(4) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، عبد العزيز السلمان ، ص 126–128 باختصار .

(5) انظر هذه الأقوال مفصلة في الفصل ، لابن حزم : 3/ 227 .

(6) شرح الطحاوية ، 460/2–461 ، والإيمان لابن تيمية ، ص 150 –151 .

(7) هم المنتسبون إلى أبي الحسن على بن إسماعيل الأشعري ، الذي كان معتزلياً ، ثم رجع عن ذلك وأخذ بقول ابن كلاب فترة من الزمن ، ثم رجع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة ، والمنتسبون إليه هم الذين أخذوا عنه عقيدة ابن كلاب ، فيثبتون سبع صفات ، ويحرفون الباقي ، ويقولون إن الإيمان هو التصديق .
انظر الملل والنحل 81/1 ، والفَرق بين الفِرق ص334 .

(8) مسائل الإيمان لابن أبي يعلى ص198 ، مجموع الفتاوى 145/7–637 .

(9) الإيمان ، ص311 .

والإيمان عند الكرامية [1] : هو قول اللسان فقط ، وقولهم هذا بيّن البطلان أيضاً لأن لازمه أن المنافقين مؤمنون ، والله تعالى قد نفى عنهم الإيمان , قال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) [2] ، لكن الكرامية يقولون بأن المنافقين يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به , فحكموا على المنافقين بأنهم في النار يوم القيامة , فخالفوا أهل السنة في الاسم , ووافقوهم في الحكم ، بخلاف الجهمية الذين خالفوا في الاسم والحكم [3] .

الإيمان عند المعتزلة [4] **والخوارج**: هو جميع الطاعات الظاهرة و الباطنة والواجبة والمندوبة [5] , والفرق بين قولهم وقول أهل السنة أنهم يجعلون الإيمان شيئاً واحداً إذا زال بعضه زال جميعه , فالطاعات كلها من الإيمان ، فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيمان ، فذهب سائره , ولذلك يخرجون صاحب الكبيرة من الإيمان , وأما أهل السنة و الجماعة , فيرون أن الإيمان شعبه متعددة ، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها ، كشعب الشهادة, ومنها ما لا يزول بزوالها ، كترك إماطة الأذى عن الطريق [6] .

والإيمان عند مرجئه الفقهاء : هو الإقرار باللسان , والتصديق بالجنان [7] , فيخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان , وقولهم هذا باطل , فإن الله تعالى سمى كثيراً من الطاعات والأعمال إيماناً [1] .

---

(1) هم أتباع محمد بن كُرّام السجستاني ت255هـ ، و الكرامية مجسمة ممثلة ، ومذهبهم في الإيمان أنه قول باللسان فقط دون الاعتقاد والعمل ، واتفقوا على أن العقل يقبّح ويحسن قبل الشرع ، وقد افترقوا إلى فرق عدة .
انظر : الفَرق بين الفِرق ص215 ، والملل والنحل 1 /99 .
(2) سورة البقرة ، الآية 8 .
(3) مجموع الفتاوى ، 7/475-476 ، وشرح الطحاوية ، 460/2 .
(4) فرقة ظهرت في أوائل القرن الثاني وسموا معتزلة لاعتزال واصل بن عطاء ت131هـ مجلس الحسن البصري في قصته معه في شأن صاحب الكبيرة ، والمعتزلة فرق متعددة ، تجمعهم الأصول الخمسة ، والتي مضمونها تعطيل الصفات ، ونفي القدر ، وتخليد أهل الكبائر في النار والقول بالمنزلة بين المنزلتين ، وتجويز الخروج عل أئمة المسلمين .
انظر : الفَرق بين الفِرق ص117 ، والملل والنحل 1/ 38 .
(5) الإيمان ، لابن منده ، 331/1 ، ومسائل الإيمان ، ص156 .
(6) انظر : مجموع الفتاوى 510/7 ، وشرح الطحاوية ، 476/2 .
(7) الإيمان لابن تيمية ، ص18 ، شرح الطحاوية ، 459/2 .

الفرق بين الإسلام والإيمان :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " قد فرّق النبي ﷺ في حديث جبريل – عليه السلام – بين مسمى "الإسلام" ، ومسمى "الإيمان" ، ومسمى "الإحسان" . فقال : الإسلام (أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) . وقال : (الإيمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) ..... جعل الله الدين ثلاث درجات : أعلاها "الإحسان" ، وأوسطها "الإيمان" ، ويليه "الإسلام" ، فكل محسن مؤمن ، وكل مؤمن مسلم ، وليس كل مؤمن محسناً ، ولا كل مسلم مؤمناً .." (2) .

وقال – رحمه الله – في موضع آخر : " إذا اقترن الإيمان بالإسلام كان الإيمان على القول الصحيح هو الأقوال والأعمال الباطنة ، والإسلام هو الأقوال ، والأعمال الظاهرة ، وإذا انفرد أحدهما عن الآخر كانا بمعنى واحد ، فكان الإيمان هو الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة وكذلك الإسلام " (3) .

وقال أيضاً : " فهذا حكم اسم الإيمان إذا أطلق في كلام الله ورسوله ، فإنه يتناول فعل الواجبات ، وترك المحرمات ومن نفى الله ورسوله عنه الإيمان ؛ فلابد أن يكون قد ترك واجباً أو فعل محرماً ، فلا يدخل في الاسم الذي يستحق أهله الوعد دون الوعيد ، بل يكون من أهل الوعيد " (4) .

قال ابن منده – رحمه الله : " ذكر ما يدل على أن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد ، وأن الإسلام الإقرار باللسان ، والعمل بالأركان ، وأن الإيمان اعتقاد بالقلب " (5) .

وقال الإسماعيلي – رحمه الله – (6) : " وقال كثير منهم إن الإيمان قول وعمل ، والإسلام

---

(1) انظر أدلة مرجئة الفقهاء والرد عليها في التمهيد ، لابن عبد البر ، 238/9 ، الإيمان ، لابن تيمية ، 138،155،158 ، مسائل الإيمان ، ص236 ، شرح الطحاوية ، 470/2 .

(2) مجموع الفتاوى ، 6/7 – 7 .

(3) المصدر السابق ، 162/7 .

(4) المصدر السابق ، 42/7 .

(5) الإيمان ، 133/1 .

(6) هو الإمام الحافظ الحجة الفقيه، شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي الشافعي، شيخ الشافعية، مولده سنة 277هـ صنف تصانيف تشهد له بالإمامة في الفقه والحديث، عمل مسند عمر والمستخرج على الصحيح، كان واحد عصره، وشيخ المحدثين والفقهاء، وأجلهم في الرئاسة والمروءة والسخاء، ولا خلاف بين العلماء من الفريقين وعقلائهم فيه، مات سنة 371هـ .

فعل ما فُرض على الإنسان أن يفعله ، إذا ذكر كل اسم على حدته مضموماً إلى الآخر ، فقيل المؤمنون والمسلمون جميعاً أو مفردين ، أريد بأحدهما معنى لم يرد بالآخر ،وإن ذُكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم .

وكثير منهم قالوا الإسلام والإيمان واحد ، فقال الله عز وجل : (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ) [1]، فلو أن الإيمان غيره لم يُقبل ، وقال : (فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ) [2] ، ومنهم من ذهب إلى أن الإسلام مختص بالاستسلام لله ، والخضوع له ، والانقياد لحكمه فيما هو مؤمن به " [3] .

جهود الخطيب البغدادي في تقرير مسائل الإيمان :

لقد كان للخطيب البغدادي جهوداً كبيرة في تقرير مسائل الإيمان ، ومن تلك المسائل :

المسألة الأولى : تعريف الإيمان ، وأنه قول وعمل ، يزيد وينقص :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي طالب محمد بن الحسين بن أحمد بن بكير [4] ، قال: كان والد ابن مالك جعفر بن حمدان يكنى أبا الفضل ، وحمدان لقب ، واسمه أحمد . قال وسئل ابن مالك وأنا أسمع عن الإيمان ، فقال : قول وعمل ، ثم قال : وهل يشك فيه؟![5].

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن سفيان الثوري أنه قال: لا يجد العبد طعم الإيمان إلا بالورع الشافي ، وقيل لوهيب بن الورد : يجد حلاوة الإيمان من يعمل بالمعاصي ؟ قال : لا ، ولا من هم بمعصية [6] .

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن سري السقطي [1] يقول : جاء بشر بن الحارث يوم الجمعة يدخل المسجد ، فطرده البوابون – ظنوه سائلاً – ، فقعد في قبة الشعراء يبكي ، فأتاه المعافى بن

انظر: سير أعلام النبلاء 292/16 ، وشذرات الذهب 72/3 .

(1) سورة آل عمران ، الآية 85 .

(2) سورة الذاريات ، الآية 36 .

(3) التعريفات الاعتقادية ، ص80 .

(4) هو محمد بن الحسين بن أحمد بن بكير أبو طالب التاجر. بغدادي. كان أبوه حافظاً فسمّعه من العلماء، قال الخطيب: كتبنا عنه وكان صدوقاً وسماعاته كلها بخط أبيه، مات سنة 436هـ .

انظر: تاريخ بغداد 254/2 ، وتاريخ الإسلام 437/29 .

(5) تاريخ بغداد ، 73/4 .

(6) المصدر السابق ، 189/7 .

عمران قال : مالك تبكي ؟ قال طردني البوابون , لم يدعوني أدخل المسجد ، قال قد اغتممت ؟ قال : نعم ، قال : قم حتى أدخلك المسجد أنا , قال : ليس أريد . قال المعافى سمعت سفيان الثوري يقول : لا يستكمل المؤمن حقيقة الإيمان حتى يأتيه البلاء من كل مكان(2) .

التعليق :

الإيمان عند أهل السنة و الجماعة : اعتقاد بالجنان , وقول باللسان , وعمل بالجوارح والأركان ، قال الآجري : " الإيمان واجب على جميع الخلق , وهو تصديق بالقلب , وإقرار باللسان , وعمل بالجوارح" . قال ابن بطة في تعريف الإيمان : " معناه التصديق بما قاله – أي الله – وأمر به وافترضه ، ونهى عنه من كل ما جاءت به الرسل من عنده ، ونزلت فيه الكتب، وبذلك أرسل المرسلين ، فقال عز وجل : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (3) ، والتصديق بذلك قول باللسان , وتصديق بالجنان ، وعمل بالأركان " (4) .

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص , يزيد بالطاعة ينقص بالمعصية: ولهم على ذلك أدلة كثيرة جداً . **فمن أدلة الكتاب** : قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً) (5) ، وقوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً) (6)، **ومن السنة** : قول النبي ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) (7) . وقوله ﷺ في النساء : (وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لبُ منكن – قالوا : يا رسول الله وما نقصان العقل والدين ؟ قال:أما نقصان العقل

(1) هو السري بن المغلس السقطي الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو الحسن البغدادي، ولد سنة 160هـ اشتغل بالعبادة ، وصحب معروفاً الكرخي، وهو أجل أصحابه، وهو إمام البغداديين في الإشارات، وأول من أظهر ببغداد لسان التوحيد ، وتكلم في علوم الحقائق، مات سنة 253هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 185/12 ، وشذرات الذهب 127/2 .

(2) تاريخ بغداد ، 227/13 .

(3) سورة الأنبياء ، الآية : 25 .

(4) الإبانة الصغرى ، ص 176 .

(5) سورة الأنفال ، الآية : 2 .

(6) سورة آل عمران ، الآية : 173 .

(7) حديث متواتر. ورد من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة وعائشة والحسن مرسلاً ، وعمير بن قتادة وأبي سعيد الخدري وأنس وجابر بن عبد الله وابن عمر وأبي ذر وعلي وجابر بن سمرة وغيرهم ﷺ، وله ألفاظ متقاربة كثيرة. انظر: نظم المتناثر للكتاني 43/1 .

فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل ، فهذا نقصان العقل ، وتمكث الليالي ما تصلي ، وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين) [1] . **ومما ورد عن الصحابة في ذلك** : قال أبو هريرة : " الإيمان يزيد وينقص" [2] . وكان عمر بن الخطاب يقول لأصحابه : " هلموا نزدد إيماناً فيذكرون الله عز وجل " [3] , وكان عبد الله بن مسعود يقول في دعائه :"اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً" [4] , وقال أبو الدرداء : " إن من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه ، وما نقص منه ، ومن فقه العبد أن يعلم أمزداد هو أم منتقص.. " [5] .

وقال ابن عبد البر [6] : " أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ، ولا عمل إلا بنيّه , والإيمان عندهم يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية " [7] .

وقد خالف أهل السنة والجماعة في قولهم (يزيد وينقص) : " أهل البدع من الخوارج والمرجئة ممن يقول : إن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل ولا ينقص ، قالوا : لأنه إذا ذهب منه جزء ذهب كله ، لأن الشيء المركب من أجزاء متى ذهب منه جزء ذهب كله ، كالصلاة إذا ترك منها واجباً بطلت " [8] . وقد ردّ عليهم شيخ الإسلام وغيره [9] .

المسألة الثانية : مسألة الاستثناء في الإيمان :

---

(1) متفق عليه ، أخرجه البخاري ، كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم ، 3/2 ، ح 293 ، ومسلم، كتاب الإيمان ، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات ، 225/1 ، ح 114 عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

(2) اللالكائي ، 1016/5 .

(3) المصدر السابق ، 1012/5 .

(4) اللالكائي ، 1013/5 .

(5) المصدر السابق ، 1016/5 .

(6) هو الإمام العلامة حافظ المغرب ، شيخ الإسلام، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ابن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي، صاحب التصانيف الفائقة ، مولده سنة 368هـ ، أدرك الكبار، وطال عمره وعلا سنده وتكاثر عليه الطلبة ، وجمع وصنف، ووثق وضعف، على مذهب السلف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان، ومنها: التمهيد والاستذكار وغيره، مات سنة 463هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 153/18 ، والديباج المذهب 367/2 .

(7) التمهيد ، 238/9 .

(8) منهاج السنة ، 204/5 –205 ، مجموع الفتاوى 510/7 .

(9) مجموع الفتاوى ، 228/7 ، 514 وما بعدها ، وشرح الطحاوية ، 479/2 .

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن وكيع [1] ، عن الثوري يقول : نحن المؤمنون ، وأهل القبلة عندنا مؤمنون ، في المناكحة ، والمواريث ، والصلاة ، والإقرار ، ولنا ذنوب ، ولا ندري ما حالنا عند الله ؟ قال وكيع : وقال أبو حنيفة : من قال بقول سفيان هذا فهو عندنا شاك نحن المؤمنون هنا وعند الله حقّاً . قال وكيع : ونحن نقول بقول سفيان ، وقول أبي حنيفة عندنا جرأة [2] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن الحسين بن منصور [3] ، عن الحسين بن وليد [4] قال: لقيت مالك بن أنس فسألته عن حديث ، فقال : لقد طال عهدي بهذا الحديث ، فمن أين جئت به ؟ قلت حدثني به عنك إبراهيم بن طهمان . قال : أبو سعيد ؟ كيف تركته ؟ قلت : تركته بخير ، قال هو بعد يقول : أنا عند الله مؤمن ؟ قلت له : وما أنكرت من قوله يا أبا عبد الله ؟ فسكت عني وأطرق ساعة ثم قال :لم أسمع السلف يقولونه [5] .

التعليق :

وهو قول : أنا مؤمن إن شاء الله ، هذه المسألة اختلف فيها الناس على ثلاثة أقوال :

القول الأول : من يمنع الاستثناء ويحرمه ، وهم المرجئة والجهمية ومن وافقهم ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً يعلمه الإنسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه ، فيقول أحدهم : أنا أعلم أني مؤمن ، كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين ، فقولي أنا مؤمن كقولي أنا مسلم ، فمن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه ، وسمُّوا الذين يستثنون في إيمانهم الشكَّاكة [6] .

---

(1) هو وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي، الإمام الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرؤاسي، الكوفي، أحد الأعلام ، ولد سنة 129هـ من بحور العلم وأئمة الحفظ وله هيبة وجلالة، وكان ملازماً لشرب نبيذ الكوفة متأولاً، صنف كتاب فضائل الصحابة ، مات سنة 197هـ) .
انظر: سير أعلام النبلاء 140/9 ، وشذرات الذهب 349/1 .

(2) تاريخ بغداد ، 371/13 .

(3) هو الحسين بن منصور بن جعفر بن عبد الله السلمي ، أبو علي النيسابوري ، ثقة فقيه، شيخ العدالة والتزكية في عصره، مات سنة 238هـ .
انظر: تهذيب الكمال 481/6 ، وتقريب التهذيب 219/1 .

(4) هو الحسين بن الوليد القرشي الإمام الحجة ، شيخ خراسان ، القرشي مولاهم، النيسابوري أبو علي ويقال أبو عبد الله، لقبه كميل مصغر، ثقة، مات سنة 232هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 520/9 ، وتقريب التهذيب 220/1.

(5) تاريخ بغداد ، 107/6 .

(6) مجموع الفتاوى ، 429/7 ، شرح الطحاوية 496/2 .

القول الثاني : من يوجب الاستثناء ، وهم الذين يقولون الإيمان هو : باعتبار الموافاة ، وهو ما يموت العبد عليه ، وما يوافي العبد به ربه ، والإنسان لا يدري بما يختم له ، وظنوا أن الإيمان عند السلف هو هذا ، ثم صار إلى هذا القول طائفة غلوا فيه حتى صار الرجل منهم يستثني في الأعمال الصالحة ، يقول : صليت إن شاء الله ! ونحو ذلك ، يعني القبول ، ثم صار كثير منهم يستثنون في كل شيء ، فيقول أحدهم : هذا ثوب إن شاء الله ! هذا حبل إن شاء الله ! فإذ قيل لهم : هذا لا شك فيه ، يقولون : نعم ، لكن إذا شاء الله أن يغيّره غيّره !! [1] . وهذا الاستثناء في الأشياء الماضية المعلومة ، التي لا يجوز فيها الاستثناء بإجماع المسلمين ، بدعة تخالف العقل والدين ، وهؤلاء الذين يستثنون في الأشياء الماضية المعلومة المقطوع بها ، مبتدعة ضلال ، جهال ، ولم يجئ في الكتاب والسنة استثناء في الماضي [2] .

القول الثالث : قول السلف ﭫ فيمنعون الاستثناء باعتبار ، ويجيزونه باعتبار آخر . **فيمنعونه** : إذا كان الاستثناء راجعاً إلى أصل الإيمان ، فإن هذا لا شك فيه، فيمنع الاستثناء حينئذ ، وهذا مما لا خلاف فيه [3] . **ويجيزونه** : إذا كان الاستثناء راجعاً لكمال الإيمان ؛ وهو الإيمان المطلق المتضمن فعل الواجبات ، وترك المحرمات ، فإن هذا يشك في تكميله ، وإذا قال الرجل : أنا مؤمن بهذا الاعتبار ، فقد شهد لنفسه ، بأنه من الأبرار المتقين ، القائمين بفعل جميع ما أمروا به ، وترك كل ما نهوا عنه ، فيكون من أولياء الأولياء ، وهذا من تزكية الإنسان لنفسه ، وشهادته لنفسه بما لا يعلم ، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لكان ينبغي له أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال ، ولا أحد يشهد لنفسه بالجنة ، فشهادته لنفسه بالإيمان كشهادته لنفسه بالجنة إذا مات على هذا الحال [4] .

ويجيزونه أيضاً : باعتبار أن الاستثناء لا يفيد الشك بل يفيد اليقين [5] ، كما قال تعالى : (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ) [6] ، وقد علم الله دخولهم لا محالة ، فكان قول "

---

(1) مجموع الفتاوى ، 436/7 ، شرح الطحاوية 495/2 .
(2) مجموع الفتاوى ، 434/7 وَ 425/8–427 .
(3) مجموع الفتاوى ، 429/7 ، شرح الطحاوية 496/2 .
(4) مجموع الفتاوى ، 446/7 .
(5) الإبانة ، ك 1 م866/2 .
(6) سورة الفتح ، الآية : 27 .

إن شاء الله " تحقيقاً للدخول ، وقال النبي ﷺ حين وقف على المقابر : (وإنا إن شاء الله بكم لا حقون) [1] . قال الإمام أحمد : وقد نُعيت إليه نفسه ، وعلم أنه صائر إلى الموت [2]. قال شيخ الإسلام : " أوسطها وأعدلها أنه يجوز الاستثناء باعتبار ، وتركه باعتبار ، فإذا كان مقصوده أني لا أعلم أني قائم بكل ما أوجب الله عليّ ، وأنه يقبل أعمالي ، ليس مقصوده الشك فيما في قلبه ، فهذا استثناؤه حسن ، وقصده أنه لا يزكي نفسه ، وأن لا يقطع بأنه عمل عملاً كما أمر فيقبل منه ، والذنوب كثيرة والنفاق مَخُوف على عامة الناس [3] . قال الآجري : من صفة أهل الحق : الاستثناء في الإيمان لا على جهة الشك ، نعوذ بالله من الشك في الإيمان ، ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان ، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا ؟ – إلى أن قال – هذا وطريق الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان ، عندهم أن الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان [4] . وقال قوام السنة الأصبهاني : ويكره لمن حصل منه الإيمان أن يقول : أنا مؤمن حقّاً ، ومؤمن عند الله ، ولكن يقول : أنا مؤمن أرجو ، أو مؤمن إن شاء الله ، وليس هذا على طريق الشك في إيمانه ، لكنه على معنى أنه قد أتى بجميع ما أمر به ، وترك جميع ما نُهي عنه [5] .

وقال شيخ الإسلام : مذهب سلف أصحاب الحديث كابن مسعود ، وأصحابه ، والثوري وابن عيينة وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة فكانوا يستثنون في الإيمان ، وهذا متواتر عنهم ، لكن ليس من هؤلاء من قال أنا أستثني لأجل الموافاة ، بل صرح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء إنما هو لأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات ، فلا يشهدون لأنفسهم بذلك ، كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى ، فإن ذلك مما لا يعلمونه ، وهو تزكية لأنفسهم بلا علم [6] . وقال أيضاً : " والاستثناء في الإيمان مأثور عن ابن مسعود وغيره من السلف والأئمة لا شكاً فيما يجب عليهم

---

(1) أخرجه مسلم ، كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل فى الوضوء ، 78/1 ، ح 53 عن أبي هريرة ﷺ .
(2) مجموع الفتاوى ، 451/7 .
(3) المصدر السابق ، 41/13 .
(4) انظر : الشريعة 297/1 ، والإبانة ، ك1 م2 /864-865 .
(5) انظر : الحجة 408/1 .
(6) انظر : مجموع الفتاوى ، 438/7 – 439 .

به ، فإن الشك في ذلك كفر ، ولكنهم استثنوا في الإيمان خوفاً ألاّ يكونوا قاموا بواجباته وحقائقه . واستثنوا أيضاً لعدم علمهم بالعاقبة ، والإيمان النافع هو الذي يموت المرء عليه . واستثنوا خوفاً من تزكية النفس ونحو ذلك من المعاني الصحيحة " (1) .

المسألة الثالثة : مسألة الأسماء والأحكام ، وفيها مطلبان :

المطلب الأول : النهي عن تكفير أهل القبلة بالذنوب ما لم يستحلوها ..

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن سعيد بن سالم البصري ، قال : سمعت أبا حنيفة يقول : لقيت عطاء بمكة ، فسألته عن شيء فقال : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ، قال: أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ؟ قلت : نعم . قال : فمن أي الأصناف أنت ؟ قلت : ممن لا يسب السلف ، ويؤمن بالقدر ، ولا يكفر أحداً بذنب ، قال : فقال لي عطاء : عرفت فالزم (2) .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن شعبة عن علقمة (3) ، قال : خطبنا علي بن أبي طالب فقال : قال رسول الله ﷺ : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين فهو كافر ؟ قال : لا ولم يأمرنا رسول الله ﷺ أن نحدثكم بالرخص ، إنما قال رسول الله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن . إذا قال هو لي حلال ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن . إذا قال هو لي حلال ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، إذ قال هو لي حلال) (4) .

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن الحسن بن خضر (5) قال : سمعت ابن أبي داوود يقول : أدخل رجل من الخوارج على المأمون ، فقال : ما حملك على خلافنا ؟ قال : آية في كتاب الله

---

(1) مجموع الفتاوى ، 427/8 .

(2) تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، 331/13 .

(3) هو أبو شبل علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان النخعي، فقيه الكوفة ، وعالمها ومقرئها، الإمام الحافظ المجود المجتهد الكبير، خال فقيه العراق إبراهيم النخعي. ولد في أيام الرسالة المحمدية ، وعداده في المخضرمين، وهاجر في طلب العلم والجهاد، ونزل الكوفة، ولازم ابن مسعود حتى رأس في العلم والعمل، وتفقه به العلماء، وبعد صيته، مات سنة 62هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 53/4 ، وتهذيب التهذيب 276/7 .

(4) تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، 188/5 .

(5) هو الحسن بن الخضر بن عبد الله الأسيوطي حدث عن أبي عبد الرحمن النسائي وغيره، وكان صاحب حديث ، مات سنة 361هـ .

تعالى : قال وما هي ؟ قال قوله : (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)[1] ، فقال له المأمون : ألك علم بأنها منزلة ، قال نعم ، قال وما دليلك ؟ قال إجماع الأمة ، قال فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل ، فارض بإجماعهم بالتأويل قال صدقت، السلام عليك يا أمير المؤمنين [2] .

التعليق :

يعتقد أهل السنة والجماعة ، أن مرتكب الكبيرة من أهل القبلة مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته ، أو هو ناقص الإيمان أو مؤمن عاص ، أو ليس بمؤمن حقاً ، أو ليس بصادق الإيمان ، فلا يسلبونه اسم الإيمان على الإطلاق ، ولا يعطونه على الإطلاق [3] ، وهذا حكمه في الدنيا .

أما في الآخرة فهو تحت المشيئة إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عذبه ثم أدخله الجنة ، وهذا بخلاف الخوارج والمعتزلة والمرجئة . " **فالخوارج** يحكمون بكفره في الدنيا ، وبخلوده في النار يوم القيامة . **والمعتزلة** يقولون : هو في الدنيا في منزلة بين المنزلتين ، لا مؤمن ولا كافر ، وفي النار مخلد في النار . وكلاهما يجعلون الكبائر محبطة لجميع الحسنات حتى الإيمان " [4] .

" **والمرجئة** هو مؤمن كامل الإيمان ، ولا يضر مع الإيمان ذنب ، وغلاتهم يقولون : لا نعلم أحداً من أهل الكبائر يدخل النار " [5] .

وقد استدل أهل السنة على قولهم هذا بأدلة منها : قال تعالى : (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ) [6] ، " فبين الله – تعالى – أنه لا يغفر الشرك ، ويغفر ما دونه من الذنوب وهي الكبائر ، فإن صاحبها تحت المشيئة . وقال تعالى : (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

انظر : تاريخ الإسلام 280/26 ، وحسن المحاضرة للسيوطي 126/1 ، وشذرات الذهب 39/3 .

(1) سورة المائدة ، الآية : 44 .

(2) تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، 186/10 .

(3) انظر : مجموع الفتاوى ، 673/7 .

(4) مجموع الفتاوى ، 182/3 –183 وَ 493/7 .

(5) شرح الطحاوية 498/2 .

(6) سورة النساء ، الآية : 48 .

اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا .....* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [1] ، فقد وصفهم الله بالإيمان والأخوة ، وأمرنا بالإصلاح بينهم " [2] ، مع أن القتل من كبائر الذنوب .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه [3] أن رسول الله ﷺ قال :(بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ، ولاتزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله ، فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه) [4] ، قال الطحاوي : " وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين ، بعد أن لقوا الله عارفين ، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم ، وعفا عنهم بفضله ، كما ذكر عز وجل في كتابه (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ) [5] ، وإن شاء عذبهم في النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ثم يبعثهم إلى جنته " [6] .

وقال النووي : " وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة ، فهو في مشيئة الله تعالى ، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه ثم يدخله الجنة ، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد – ثم قال – هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في المسألة ، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة ، وتواترت بذلك نصوص تحصّل العلم القطعي " [7] .

---

(1) سورة الحجرات ، الآية : 9–10 .
(2) مجموع الفتاوى 483/7 .
(3) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة، الإمام القدوة أبو الوليد الخزرجي، أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدريين، سكن بيت المقدس ، وشهد العقبة الأولى والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، مات سنة 45هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء 5/2 ، والإصابة 322/5 .
(4) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب علامة الإيمان حب الأنصار ، 29/1 ، ح 17 ، ومسلم ، كتاب الحدود ، باب الحدود كفارات لأهلها ، 89/9 ، ح 3223 عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .
(5) سورة النساء ، الآية : 48 .
(6) شرح الطحاوية ، 524/2 .
(7) شرح مسلم ، 217/1 .

وقال شيخ الإسلام : " ومذهب أهل السنة والجماعة : أن فساق أهل الملة ليسوا مخلدين في النار كما قالت الخوارج والمعتزلة ، وليسوا كاملين في الدين والإيمان والطاعة ، بل لهم حسنات وسيئات يستحقون بهذا العقاب وبهذا الثواب " (1) .

وبناء على اعتقاد أهل السنة في مرتكب الكبيرة ، فإنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب إلا إذا استحله ، لأن استحلال الحرام تكذيب بالكتاب والسنة ، وذلك كفر بالكتاب والسنة والإجماع (2). قال الطحاوي : " ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ، ما لم يستحله " (3) . قال ابن بطة : " وقد أجمعت العلماء لا خلاف بينهم أنه لا يكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ، ولا نخرجه من الإسلام بمعصية ، نرجو للمحسن ، ونخاف على المسيء " (4) . وقال النووي : " مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المسلم بالمعاصي كالقتل والزنا " (5) . وقال شيخ الإسلام : " يقول علماء السلف في المقدمات الاعتقادية : لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل ، وقد ثبت الزنا والسرقة وشرب الخمر على ناس في عهد النبي ﷺ ولم يحكم فيهم حكم كفر ، ولا قطع الموالاة بينهم وبين المسلمين ، بل جلد هذا ، وقطع هذا ، وهو في ذلك يستغفر لهم " (6) . وسئل شيخ الإسلام عن العبد المؤمن هل يكفر بالمعصية أم لا ؟ فأجاب : " لا يكفر بمجرد الذنب ، فإنه ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف أن الزاني غير المحصن يجلد ولا يقتل ، والشارب يجلد ، والقاذف يجلد ، والسارق يقطع ، ولو كانوا كفاراً لكانوا مرتدين ووجب قتلهم ، وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف " (7) .

المطلب الثاني : تكفير السلف لبعض الطوائف ، والفرق..وتكفيرهم أشخاص بأعيانهم بعد قيام الحجة عليهم ..

جهوده في تكفير السلف لبعض الطوائف ، والفرق..

---

(1) مجموع الفتاوى ، 7/ 679 .
(2) انظر : معارج القبول ، 1040/3 .
(3) شرح الطحاوية ، 432/2 .
(4) الإبانة الصغرى ، ص 292 .
(5) شرح مسلم ، 49/2 .
(6) مجموع الفتاوى ، 671/7 .
(7) المصدر السابق ، 307/4 .

1- قال الخطيب : سمعت محمد بن الحسين بن الفضل القطان [1] يقول : حدثني من سمع أبا سهل بن زياد [2] ، يقول : سمى الله المعتزلة كفاراً قبل أن ذكر فعلهم ، فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ) [3] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الله بن أحمد ، قال : سمعت أبا معمر الهذلي يقول : من زعم أن الله لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر ولا يغضب ولا يرضى – وذكر أشياء من هذه الصفات – فهو كافر بالله ، إن رأيتموه على بئر واقفاً فألقوه فيها ، بهذا أدين الله لأنهم كفار[4] .

3- قال الخطيب : ذكر الخطيب في ترجمة القادر بالله أنه – صنف كتاباً في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث ، وأورد في كتابه فضائل عمر ابن عبد العزيز ، وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن ، وكان الكتاب يقرأ كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي ، ويحضر الناس سماعه [5] .

وجهوده في تكفير السلف أشخاصاً بأعيانهم بعد قيام الحجة عليهم ..

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن يحي بن يوسف الزمي [6] قال : سمعت شبابة بن سوار[7] يقول : اجتمع رأيي ورأي أبي النضر هاشم بن القاسم ، وجماعة من الفقهاء ،

---

(1) هو أبو الحسين، محمد بن الحسين بن محمد بن الفضل البغدادي القطان الأزرق ، الشيخ العالم الثقة المسند، ولد سنة 335هـ ، وهو مجمع على ثقته، مات سنة 415هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 331/17 ، وشذرات الذهب 203/3 .

(2) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد أبو سهل القطان. كان ثقة حافظاً كثير التلاوة للقرآن، حسن الانتزاع للمعاني من القرآن، ثقة حافظ فاضل نبيل أديب لبيب عاقل صدوق عارف بأيام الناس، وله تاريخ مرتب على السنين، مات سنة 350هـ .
انظر: البداية والنهاية 271/11 ، سير أعلام النبلاء 520/15 .

(3) تاريخ بغداد ، 45/5 .

(4) المصدر السابق ، 271/6 .

(5) المصدر السابق ، 37/4 .

(6) هو أبو زكريا يحيى بن يوسف بن أبي كريمة الزمي، الإمام الحافظ الحجة ، ثقة من كبار المحدثين ، الرحالة ، مات سنة 229هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 38/11 ، وتهذيب التهذيب 307/11 .

(7) هو شبابة بن سوار، أبو عمرو الفزاري، مولاهم المدائني الإمام الحافظ الحجة، ولد في حدود 130هـ ، من كبار الأئمة إلا أنه مرجئ، ثم رجع عنه، لكن تركه الأئمة بسببه، مات سنة 206هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 513/9 ، وشذرات الذهب 15/2 .

على أن المريسي كافر جاحد ، أرى أن يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه [1] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن الحسن بن ثواب [2] قال : سألت أحمد بن حنبل عمّن يقول القرآن مخلوق ؟ قال : كافر ، قلت : فابن أبي داؤد ؟ قال : كافر بالله العظيم . قلت بماذا كفر ؟ قال بكتاب الله – تعالى – : (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ)[3].

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سمعت القواريري [4] يقول قبل أن يموت بعشرة أيام – وذكر ابن الثلجي [5] – فقال : هو كافر ، فذكرت ذلك لإسماعيل القاضي فسكت . فقلت له : ما أكفره إلا بشيء سمعه منه ؟ قال : نعم[6].

التعليق :

أهل السنة والجماعة يرون أن التكفير حكم شرعي ، وهو حق لله تعالى ، ولا يجوز لأحد أن يكفر إلا من قام الدليل الشرعي على تكفيره . قال ابن تيمية : "كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم ، وإن كان ذلك المخالف يُكفرهم ، لأن الكفر حكم شرعي ، وكذلك

(1) تاريخ بغداد ، 63/7 .

(2) هو الحسن بن ثواب المخرمي، أبو علي التغلبي، شيخ كبير جليل القدر، وثقه الدارقطني، وكان عنده عن الإمام أحمد جزء كبير فيه مسائل كبار لم يجئ بها غيره ، مشبعة يحتج عليه بقول المدنيين والكوفيين، مات سنة 268هـ .

انظر: تاريخ بغداد 291/7 ، وطبقات الحنابلة 130/1 .

(3) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، 153/4 . والآية في سورة البقرة ، الآية : 120 .

(4) هو عبيد الله بن عمر بن ميسرة، الإمام الحافظ، محدث الإسلام، أبو سعيد الجشمي مولاهم البصري القواريري الزجاج ، نزيل بغداد ، ولد سنة 152هـ ، ثقة كثير الحديث ، مات سنة 235هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 442/11 ، وتهذيب التهذيب 40/7 .

(5) هو محمد بن شجاع الفقيه ، أبو عبد الله، البغدادي الحنفي، ويعرف بابن الثلجي، أحد الأعلام، برع وكان من بحور العلم ، وكان صاحب تعبد وتهجد وتلاوة، مات ساجداً، له كتاب المناسك، إلا أنه كان يقف في مسألة القرآن ، وينال من الكبار، مات سنة 266هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 379/12 ، وشذرات الذهب 151/2 .

(6) تاريخ بغداد ، 351/5 .

التكفير حق لله ، فلا يُكفر إلا من كفره الله ورسوله " [1] . وقال القرطبي: " وباب التكفير باب خطأ ، ولا نعدل بالسلامة شيئاً " [2] .

كما أن أهل السنة والجماعة يفرقون بين التكفير المطلق والتكفير المعين ، فقد يكون القول والفعل كفراً ، فيقال من قال كذا أو فعل كذا فهو كافر ، لكن لا يكفر الشخص بعينه إلا بعد قيام الحجة عليه ، فلابد من توافر الشروط وانتفاء الموانع في حق الشخص المعين . فأهل السنة والجماعة ، يفرقون بين القول والقائل ، والفعل والفاعل ..لا بد من معرفة

أمرين : أحدهما : أن القول والفعل قد دلّ الكتاب والسنة على أنه كفر . والثاني : أن القائل أو الفاعل لا يحكم بكفره حتى تتم فيه شروط التكفير وتنتفي موانعه [3] . قال شيخ الإسلام إن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال هي كفر قولاً يطلق كما دلّ على ذلك الدلائل الشرعية ، ولا يجب أن يحكم في كل شخص ، قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير ، وتنتفي موانعه مثل من قال إن الخمر والربا حلال لقرب عهده بالإسلام ، أو لنشوئه في بادية بعيدة ، أو سمع كلاماً أنكره ، ولم يعتقد أنه من القرآن ، ولا أنه من أحاديث رسول الله ﷺ كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتى يثبت عنده أن النبي ﷺ ، فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة كما قال تعالى : (لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) [4] .

ومما استدل به أهل السنة والجماعة على عدم جواز تكفير المعين إلا بعد قيام الحجة عليه ، قول النبي ﷺ : (كان رجل يسرف على نفسه ، فلما حضره الموت قال لبنيه : إذا أنا متُّ فاحرقوني ثم اطعنوني ثم ذروني في الريح ، فو الله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً، فلما مات فعل به ذلك . فأمر الله الأرض فقال : اجمعي ما فيك منه ففعلت فإذا هو قائم فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : يارب خشيتك فغفر له) [5] . قال ابن تيمية : " فهذا الرجل ظن أن

---

(1) تلخيص الاستغاثة ، ص258 – 259 .
(2) المصدر السابق ، 372/12 .
(3) الآثار العقدية الواردة عن أئمة السلف في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، علي أبو حسبو ، 476/2.
(4) انظر : مجموع الفتاوى ، 165/35 . والآية في سورة النساء ، الآية : 165 .
(5) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب حديث الغار ، 200/11 ، ح 3222 ، ومسلم ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، 317/13 ، ح 4950 عن أبي هريرة ﷺ .

الله لن يقدر عليه إذا تفرق هذا التفرق ، فظن أنه لا يعيده إذا صار كذلك ، وكل واحد من إنكار قدرة الله تعالى ، وإنكار معاد الأبدان وإن تفرقت كفر . لكنه كان مع إيمانه بالله ، وإيمانه بما أمره وخشيته منه جاهلاً بذلك ، ضالاً في هذا الظن مخطئاً فغفر الله له ذلك . والحديث صريح في أن الرجل طمع أن لا يعيده إذا فعل ذلك ، وأدنى هذا أن يكون شاكّاً في المعاد ، وذلك كفر إذا قامت حجة النبوة على منكره حكم بكفره " (1) . وقال ابن القيم حينما كان يتكلم عمّن جحد فرضاً من فروض الإسلام ، أو صفة من صفات الله : " وأما من جحد ذلك جهلاً أو تأويلاً يُعذر فيه صاحبه ، فلا يكفر به ، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه ، وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح ومع هذا فقد غفر الله له ، ورحمه لجهله. إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه ، ولم يجحد قدرة الله على إعادته عناداً أو تكذيباً " (2) .

---

(1) مجموع الفتاوى ، 408/11 .
(2) مدارج السالكين ،367/1 .

الباب الثالث
موقف الخطيب البغدادي من المخالفين في العقيدة ومنهجه في الرد عليهم
وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : منهج الخطيب البغدادي في الرد على المخالفين .
الفصل الثاني : موقف الخطيب البغدادي من مرجئة الفقهاء.
الفصل الثالث : موقف الخطيب البغدادي من أهل البدع والكلام .
الفصل الرابع : موقف الخطيب البغدادي من مدعي الغيب.
الفصل الخامس : موقف الخطيب البغدادي من مقالات الملل .
الفصل السادس : موقف الخطيب البغدادي مما اتُّهم به في معتقده .

الفصل الأول :

منهج الخطيب البغدادي في الرد على المخالفين

منهج الخطيب البغدادي
في الرد على المخالفين

الخطيب البغدادي – رحمه الله – ؛ يسير وفق منهج سليم يوافق منهج أهل السنة والجماعة؛ في الرد على المخالفين ، وقمع باطلهم ، وقد سبق التعريف بالمنهج في اللغة والاصطلاح [1] .

ولقد حاولتُ أثناء تتبعي لمواقف الخطيب البغدادي الكثيرة مع أهل الأهواء والبدع وأصحاب الضلالات والفرق المنحرفة ، التعرف على منهجه – رحمه الله – في الرد عليهم وإبطال حججهم ، وقد توصلت بعد التتبع والتأمل ومقارنة المواقف والردود إلى استخلاص مبادئ عامة يتبعها الخطيب البغدادي في الرد عليهم ، وذلك على النحو التالي :

1/ الحث على التمسك بالسنة والاحتجاج بها ..

ومن ذلك :

* حثه – رحمه الله – في كتابه (الفقيه والمتفقه) [2] على لزوم التمسك بالسنة ووجوب العمل بها ، وعقد لذلك باباً فقال : (باب تعظيم السنن والحث على التمسك بها ، والتسليم لها ، والانقياد إليها ، وترك الإعراض عليها) ، وسرد تحته عدة أحاديث عن النبي ﷺ تحث وترغِّب على التمسك بالسنة ، منها :

– ما أخرجه بسنده عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : (من رغب عن سنتي فليس مني) [3] .

* أيضاً بدأ كتابه (الكفاية في علم الرواية) [4] بمقدمة عن وجوب الأخذ بالسنة وطاعة الرسول ﷺ ، كما تحدث عن وجوب العمل بالسنة ولزوم التكليف ، وعقد باباً أسماه (ما جاء في

---

(1) في الفصل الثالث من الباب الأول .

(2) ص 374 .

(3) تقدم تخريجه ، ص 57 .

(4) ص 8 .

التسوية بين حكم كتاب الله تعالى وحكم سنة رسول الله ﷺ في وجوب العمل ولزوم التكليف) ، وأورد تحته عدة أحاديث على وجوب التمسك بالسنة والاحتجاج بها ، منها :

– ما أخرجه بسنده عن المقداد بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ألا إني أُتيت الكتاب ومثله معه – ألا إني قد أُوتيت القرآن ومثله ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه..) [1] .

2 / عرض الآثار الدالة على ذمّ المخالفين ، وشدة ضررهم على أمة الإسلام ، والتقليل من شأنهم .. دون التعليق عليها فهو يكتفي بذكر الآثار فقط ..

ومن ذلك :

1)– عندما أراد ذمّ الإرجاء وعظم القول به ، اكتفى فقط بعرض الآثار دون التعليق عليها ، ومنها :

1– ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن أحمد بن سيار يقول سمعت محمد بن عفان الجوزجاني الثقة ، يقول : قال النضر بن شميل [2] : قال أبو مطيع البلخي [3] : نزل الإيمان والإسلام في القرآن على وجهين ، وهو عندي على وجه واحد . فقلت له : فممن ترى الغلط ؟ منك ، أو من النبي ، أو من جبريل ، أو من الله ؟ فبقي. قال أحمد بن سيار : أبو مطيع من رؤساء المرجئة [4] .

([1]) أخرجه أبو داود ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، 208/12 ، ح 3988 ، والترمذي ، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ ، باب مانهي أن يقال عند حديث النبي ﷺ ، 269/9 ، ح 2588 ، وابن ماجه في المقدمة ، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ ، 15/1 ، ح 12 عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 71/7 ، ح (2870) .

([2]) هو النضر بن شميل بن خرشة بن زيد، الإمام الحافظ أبو الحسن المازني البصري النحوي، نزيل مرو وعالمها، ثقة صاحب سنة، إمام في العربية والحديث، وهو أول من أظهر السنة بمرو وجميع خراسان، وخرج كتباً كثيرة لم يسبقه إليها أحد، وولي قضاء مرو، مات آخر يوم من سنة 203هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 328/9 ، و شذرات الذهب 7/2 .

([3]) هو الحكم بن عبد الله بن مسلم أبو مطيع البلخي الخراساني الفقيه ، صاحب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، تفقه به أهل تلك الديار ، وكان بصيراً بالرأي ، علامة كبير الشأن ، ولكنه واهٍ في ضبط الأثر ، وعيب عليه الإرجاء ، وسموه المرجئ، وكان على قضاء بلخ، وكان ابن المبارك يعظمه ويجلّه لدينه وعلمه، مات سنة 208هـ .

انظر: الإرشاد 925/3 ، ولسان الميزان 334/2 .

([4]) تاريخ بغداد ، 224/8 .

2- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن محمد بن الفضيل العامري قال : سمعت سلم بن سالم البلخي [1] يقول : ما يسرني أن ألقى الله بعمل من مضى وعمل من بقي ، وأنا أقول الإيمان قول وعمل [2] .

2)- وعندما أراد -رحمه الله- التحذير من بدعة الرافضة ، أورد الآثار الدالة على ذلك ، دون التعليق عليها ، منها :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن سوقة ، عن حبيب ، عن أبي ثابت ، عن علي قال : تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة ، شرهم قوم ينتحلون حبنا أهل البيت ، ويخالفون أعمالنا [3] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أحمد بن يونس [4] قال : قلت لأبي بكر بن عياش : جار لي رافضي قد مرض أعوده ؟ قال : عده كما تعود النصراني ، أو اليهودي . لا تنو فيه الأجر[5] .

3/كشف ضلالات المخالفين وأقوالهم وبيان بطلانها ، فعندما يترجم لأحد أئمتهم يبين منهجه ، ويذكر أبرز ضلالاته ويتبعها بأقوال له بأسانيدها دون التعليق عليها ..

ويظهر ذلك من خلال كتابه (تاريخ بغداد) ، فعندما يُترجم لأصحاب البدع ، فمنهجه أنه يذكر أبرز ضلالاتهم ، ثم يتبع ذلك بأقوال علماء السلف بأسانيدها ودون التعليق عليها ... فمثلاً : عندما ترجم لعمرو بن عبيد [6] ، قال : "كان عمرو يسكن البصرة وجالس الحسن

---

(1) هو أبو محمد سلم بن سالم البلخي الزاهد القدوة، مذكور بالعبادة والزهد، كان مطاعاً أماراً بالمعروف، كان مرجئاً، وكان ضعيفاً لا يحفظ، فأقدمه الرشيد، فحبسه، فلما توفي الرشيد أطلق، مات سنة 194هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 321/9 ، ولسان الميزان 62/3 .

(2) تاريخ بغداد ، 143/9 .

(3) المصدر السابق ، 104/13 .

(4) هو أبو عبد الله ، أحمد بن عبد الله بن يونس التميمي اليربوعي الكوفي ، ينسب إلى جده تخفيفاً ، مولده في سنة 132هـ ، الإمام الحجة الحافظ ، ثقة متقن ، مات سنة 227هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 457/10 ، وشذرات الذهب 59/2 .

(5) تاريخ بغداد ، 377/14 .

(6) هو عمرو بن عبيد بن باب -بموحدتين- التميمي مولاهم أبو عثمان البصري المعتزلي المشهور، كان داعية إلى بدعته، قدري، كبير المعتزلة وأولهم، اتهمه جماعة مع أنه كان عابداً، وله كتاب العدل، والتوحيد، مات سنة 143هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 104/6 ، وتقريب التهذيب 740/1 .

البصري ، وحفظ عنه ، واشتهر بصحبته ، ثم أزله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة ، فقال بالقدر ودعا إليه " [1] .

ثم أورد بعض ضلالاته وأقواله بأسانيدها ، ومنها ما رواه الخطيب بسنده إلى عمرو ابن عبيد يقول – وذكر حديث الصادق المصدوق – فقال : " لو سمعت الأعمش [2] يقول هذا لكذبته، ولو سمعت زيد بن وهب يقول : هذا ما أجبته ، ولو سمعت عبد الله ابن مسعود يقول هذا ما قبلته ، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرودته ، ولو سمعت الله تعالى يقول: هذا لقلت له ليس على هذا أخذت ميثاقنا " ، ونحو ذلك من الضلالات التي ساقها بأسانيدها[3] .

4/ التحذير من السماع منهم ..

ويظهر ذلك عندما تحدث – رحمه الله – في كتابه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) ، عن ترك السماع من أهل الأهواء والبدع [4] ، وذكر فيه أحاديث و آثاراً تدل على ذلك ، من دون التعليق عليها ، منها :

1/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمود بن محمد الحلبي يقول : " سمعت أبا صالح محبوب ابن موسى – وذكر الحديث عن ابن المبارك [5] في أشراط الساعة (أن يلتمس العلم من الأصاغر) – قال أبو صالح : فسألت ابن المبارك : من الأصاغر ؟ قال : أهل البدع " .

2/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن شعيب بن حرب يقول : سمعت الثوري [1] يقول : من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ، ومن صافحه فقد نقص الإسلام عروة عروة " .

---

(1) تاريخ بغداد ، ج12 / ص 162 .

(2) هو سليمان بن مهران، أبو محمد الأسدي، الكاهلي، مولاهم الكوفي الأعمش، الإمام شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين، ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع، لكنه يدلس، مات سنة 148هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 226/6 ، وتقريب التهذيب 392/1 .

(3) تاريخ بغداد ، 12 / 170-188 .

(4) 1/ 137-138 .

(5) هو عبد الله بن المبارك بن واضح ، أبو عبد الرحمن الحنظلي، مولاهم التركي ثم المروزي، الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، الحافظ الغازي، أحد الأعلام، وكانت أمة خوارزمية،= مولده في سنة 118هـ ، صنف التصانيف النافعة الكثيرة، كالزهد وغيره، وحديثه حجة بالإجماع، جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء والتجارة والمحبة ، مات سنة 181هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 378/8 ، وشذرات الذهب 95/1 .

3/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن الحسن قال : " لا يمكن أحدكم أذنه من صاحب بدعة " [2] .

*كما أفرد فيه مبحثاً بعنوان : من كان لا يحدث أهل البدع [3] ، وذكر فيه آثاراً تدل على ذلك ، من غير أن يعلّق عليها ، منها :

- ما أخرجه الخطيب بسنده عن النضر بن شُميل يقول : "كان سليمان التيمي إذا جاءه من لا يعرفه من أهل البصرة قال : أتشهد أن الشقي من شقي في بطن أمه ، وأن السعيد من وُعظ بغيره ؟ فإن أقرّ ، وإلا لم يحدثه " .

5/ ذمّه – رحمه الله – لأهل الرأي ، بل ربما افتتح بعض مؤلفاته بذلك ..

ففي مقدمة كتابه (شرف أصحاب الحديث) ذم الخطيب البغدادي – رحمه الله – أهل الكلام والرأي ، وذكر أقوال الأئمة في أهل الرأي والجدل ، وفي الرأي والجدل ، ثم قال : " ولو أن صاحب الرأي المذموم شغل نفسه بما ينفعه من العلوم ، وطلب سنن رسول رب العالمين ، واقتفى آثار الفقهاء والمحدثين لوجد في ذلك ما يغنيه عما سواه ، واكتفى بالأثر عن رأيه الذي رآه ؛ لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد ، وبيان ما جاء من وجوه الوعد والوعيد ، وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين ، والإخبار عن صفات الجنة والنار ، وما أعده الله – تعالى – فيهما للمتقين والفجار ، وما خلق الله في الأرضين والسموات من صنوف العجائب وعظيم الآيات ، وذكر الملائكة المقربين ، ونعت الصّافات المسبِّحين " [4] .

6/ ينقل – رحمه الله – أقوالاً لبعض الأئمة يحذرون فيها من ضلالات المخالفين ، دون أن يعلق عليها ..

فقد أورد – رحمه الله – (تحذير الأئمة من علم الكلام) ، وذلك في كتابه الشهير تاريخ بغداد ، ومن ذلك :

([1]) هو سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد، شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أمير المؤمنين في الحديث، مصنف كتاب الجامع، ولد سنة 97هـ ، ومات سنة 126هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 229/7 وشذرات الذهب 250/1 .

([2]) تاريخ بغداد ، 227/5 .

([3]) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، 1/ 331-334 .

([4]) ص 3-4 .

1/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي أيوب سليمان بن إسحاق الجلاب ، قال : قال لي إبراهيم الحربي [1] : قال أبو يوسف – وكان من عقلاء الناس – : لا تطلب الحديث بكثرة الرواية فترمى بالكذب ، ولا تطلب الدنيا بالكيمياء فتفلس ، ولا تحصل بيدك شيء، ولا تطلب العلم بالكلام ، فإنك تحتاج تعتذر كل ساعة إلى واحد [2] .

2/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن بشار بن موسى [3] قال : سمعت أبا يوسف القاضي [4] يقول لبشر المريسي : طلب العلم بالكلام هو الجهل ، والجهل بالكلام هو العلم ، وإذا صار رأساً في الكلام قيل زنديق ، أو رمي بالزندقة ، يا بشر! بلغني أنك تتكلم في القرآن، إن أقررت لله علماً خُصمت ، وإن جحدت العلم كفرت [5] .

7/ التشديد على المخالفين ، والتحذير منهم من خلال ثنائه على بعض العلماء ..

فمن ذلك قوله – رحمه الله – في ترجمة عبد الملك بن محمد الأجل [6] : وكان أَوْحَد وقته في فعل الخير ، وافتقاد المستورين بالبر ، ودوام الصدقة ، والإفضال على أهل العلم ، والقيام بأمورهم

---

(1) هوأبو إسحاق، إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادي الحربي، الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام، صاحب التصانيف، مولده في سنة 198هـ ، إمام في العلم، رأس في الزهد ، عارف بالفقه بصير بالأحكام ، حافظ للحديث مميز لعلله ، قيّم بالأدب جمّاعة للغة ، صنف غريب الحديث ، وكتباً كثيرة ، مات سنة 285هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 356/13 ، وشذرات الذهب 190/2 .

(2) تاريخ بغداد ، 253/14 .

(3) هو المحدث الكبير بشار بن موسى أبو عثمان العجلي، وقيل: الشيباني البصري الخفاف نزيل بغداد ، صلْب في السنة، واختلف في توثيقه، ورجح البخاري وابن حجر والألباني ضعفه ، مات سنة 228هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 581/10 ، وتهذيب التهذيب 441/1 ، والضعيفة 184/7 .

(4) هوقاضي القضاة، أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بجير الأنصاري الكوفي، الإمام المجتهد، العلامة المحدث، ولد سنة 113هـ ، كان أميل إلى المحدثين من أبي حنيفة ومحمد، ثقة صاحب حديث، صاحب سنة، يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب، كان أحد علومه الفقه، مات سنة 182هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 535/8 ، وشذرات الذهب 298/1 .

(5) تاريخ بغداد ، 61/7 .

(6) هو عبد الملك بن محمد بن يوسف أبو منصور المعروف بالشيخ الأجل، روى شيئاً يسيراً سمعه منه ابناه، وكان أوحد وقته في فعل الخير وافتقاد المستورين بالبر ودوام الصدقة والأفضال على أهل العلم ، والقيام بأمورهم ، والتحمل لمؤنهم ، والاهتمام بما عاد من مصالحهم، والنصرة لأهل السنة والقمع لأهل البدع، مولده في سنة 395هـ ، ومات سنة 460هـ .

انظر: تاريخ بغداد 434/10

والتحمل لمؤنهم ، و الاهتمام بما عاد من مصالحهم ، والنصرة لأهل السنة، والقمع لأهل البدع [1].

وقال أيضاً في ترجمة محمد بن أحمد بن رزقويه [2] : وكان ثقة صدوقاً كثير السماع والكتابة ، حسن الاعتقاد جميل المذهب ، مديماً لتلاوة القرآن ، شديداً على أهل البدع[3].

8/ التذكير بتوبة أئمتهم من ضلالاتهم وبدعهم ، للاعتبار بهم ..

من ذلك :

1/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن بن لَهيعة ، قال : " سمعت شيخاً من الخوارج تاب ورجع ، وهو يقول : إن هذه الأحاديث دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ، فإنا كنا إذا هَوِينا أمراً صَيّرناه حديثاً " [4].

2/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الله بن أبي أمية ، قال حدثني حماد بن أبي سلمة ، حدثني شيخ لهم - يعني الرافضة – تاب ، قال : "كنا إذا اجتمعنا و استحسنّا شيئاً جعلناه حديثاً [5].

9/ كما أن من منهجه – رحمه الله – الاحتجاج برواياتهم فيما يخالف آراءهم :

فقد تحدث الخطيب البغدادي - رحمه الله – في كتابه (الكفاية في علم الرواية) [6] ، عن رواية أهل البدع والأهواء ، وحكم الاحتجاج برواياتهم ، وعقد لذلك باباً فقال : " باب ما جاء في الأخذ عن أهل البدع و الأهواء ، والاحتجاج برواياتهم "، وذكر بعض النقول عن أئمة أصحاب الحديث في جواز الرواية عن أهل البدع والأهواء .

---

(1) تاريخ بغداد ، 434/10 .

(2) هوشيخ بغداد، أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رزق، البغدادي البزاز ، الإمام المحدث المتقن المعمر، المعروف بابن رزقويه ، ولد سنة 325هـ ، ثقة صدوق كثير السماع والكتابة، حسن الاعتقاد، مديم للتلاوة، أول شيوخ الخطيب، مات سنة 412هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 258/17 ، وشذرات الذهب 116/3 .

(3) تاريخ بغداد ، 351/1 .

(4) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، 137/1 .

(5) المصدر السابق ، 138/1 .

(6) ص 120 – 132 .

ثم ذكر اختلاف أهل العلم في السماع من أهل البدع والأهواء كالقدرية والخوارج والرافضة، وفي الاحتجاج بما يرونه .

فمنعت طائفة من السلف صحة ذلك ..

وذهبت طائفة من أهل العلم إلى قبول أخبار أهل الأهواء الذين لا يعرف منهم استحلال الكذب والشهادة لمن وافقهم بما ليس عندهم فيه شهادة ..

وقال كثير من العلماء يقبل أخبار غير الدعاة من أهل الأهواء ، فأمّا الدعاة فلا يُحتج بأخبارهم ..

وقال جماعة من أهل النقل والمتكلمين أخبار أهل الأهواء كلها مقبولة ..ثم أورد أدلة كل فريق..

ورجح قبول أخبار من لا يعرف منهم باستحلال الكذب أو فعل المحظورات ، ورواياتهم الأحاديث التي تخالف آرائهم وبدعهم ، فقال : " والذي يُعتمد عليه في تجويز الاحتجاج بأخبارهم ما اشتهر من قبول الصحابة أخبار الخوارج ، وشهاداتهم ، ومن جرى مجراهم من الفسّاق المتأولين ، ثم استمرار عمل التابعين والخالفين بعدهم على ذلك لما رأوا من تحريهم الصدق ، وتعظيمهم الكذب ، وحفظ أنفسهم من المحظورات من الأفعال ، وإنكارهم على أهل الريب والطرائق المذمومة ، ورواياتهم الأحاديث التي تخالفهم آراءهم ، ويتعلق بها مخالفوهم في الاحتجاج عليهم " .

ثم أورد أسماء طائفة من أهل البدع ممن أخذت روايته وعقب عليها .

10 / ومن منهجه في الرد على المخالفين الاستدلال بالكتاب والسنة واعتبارهما منهجاً وطريقاً :

* قال رحمه الله في كتابه (شرف أصحاب الحديث) : " وفقكم الله لعمل الخيرات ، وعصمنا وإياكم من اقتحام البدع والشبهات ، فقد وقفنا على ما ذكرتم من عيب المبتدعة أهل السنن والآثار ، وطعنهم على من شغل نفسه بسماع الأحاديث ، وحفظ الأخبار ، وتكذيبهم بصحيح ما نقله إلى الأمة الأئمة الصادقون ، واستهزائهم بأهل الحق فيما وضعه عليهم الملحدون (اللهُ

يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) [1] . وليس ذلك عجيباً من متبعي الهوى ، ومن أضلهم الله عن سلوك سبيل الهدى .

ومن أوضح شأنهم الدال على خذلانهم : صدوفهم عن النظر في أحكام القرآن ، وتركهم الحجاج بآياته الواضحة البرهان ، واطراحهم السنن من ورائهم ، وتحكمهم في الدين بآرائهم، فالحدث منهم منهوم بالغزل ، وذو السن مفتون بالكلام والجدل ، قد جعل دينه غرضاً للخصومات ، وأرسل نفسه في مراتع الهلكات ، ومنّاه الشيطان دفع الحق بالشبهات ، إن عُرض عليه بعض كتب الأحكام المتعلقة بآثار نبينا – عليه أفضل السلام – نبذها جانباً ، وولى ذاهباً عن النظر فيها ، يسخر من حاملها وراويها ، معاندةً منه للدين ، وطعناً على أئمة المسلمين ، ثم هو يفتخر على العوام بذهاب عمره في درْس الكلام ، ويرى جميعهم ضالين سواه ، ويعتقد أن ليس ينجو إلا إياه ، لخروجه – زعم – عن حد التقليد ، وانتسابه إلى العدل والتوحيد ، وتوحيده إذا اعتبر كان شركاً وإلحاداً ؛ لأنه يجعل لله من خلقه شركاء وأنداداً ، وعدلُه عدولٌ عن نهج الصواب إلى خلاف محكم السنة والكتاب " [2] .

* إبطاله – رحمه الله – لدعوى الكهنة والمنجمين في أن هذه الكواكب تنبئ عن علم الغيب، وأنهم يعلمون الغيب بالنظر في أحوالها وتفرقها واجتماعها ، وأنهم يعلمون الحوادث الأرضية بالاستدلال من الكتاب والسنة والإجماع ، وأقوال المنجمين أنفسهم ، وأبطل ذلك كله من خلال تأليفه لكتاب (القول في النجوم) .. ففيه ردّ على من يدعي معرفة علم الغيب من منجم ، و كاهن ، و عراف .. وغيرهم .

11/ ومن منهجه في الرد : إلزام المخالف باتباع الكتاب والسنة ورد متشابههما إلى محكمهما :

ومن ذلك :

* ردُّه – رحمه الله – على أهل البدع الذين عابوا على المحدثين رواياتهم في باب العقيدة ، ورموهم بالتشبيه ، قال : " ولما تعلق أهل البدع على عيب أهل النقل برواياتهم هذه الأحاديث ، ولبَّسوا على من ضعُف علمه بأنهم يروون ما لا يليق بالتوحيد ، ولا يصح في الدين ، ورموهم بكفر أهل

---

(1) سورة البقرة ، الآية : 15 .
(2) ص 3–4 .

التشبيه ، وغفلة أهل التعطيل ، أجيبُ : بأن في كتاب الله تعالى آيات محكمات ، يفهم منها المراد بظاهره ، وآيات متشابهات ، لا يوقف على معناها إلاّ بردها إلى المحكم ، ويجب تصديق الكل ، والإيمان بالجميع ، فكذلك أخبار الرسول ﷺ جارية هذا المجرى ، ومنزلة على هذا التنزيل ، برد المتشابه منها إلى المحكم ، ويقبل الجميع"[1].

* وحثه – رحمه الله – في كتابه (الفقيه والمتفقه) [2] على لزوم التمسك بالسنة ، ووجوب العمل بها ، وعقد لذلك باباً فقال : (باب تعظيم السنن ، والحث على التمسك بها ، والتسليم لها ، والانقياد إليها ، وترك الإعراض عليها) ، وسرد تحته عدة أحاديث عن النبي ﷺ تحث وترغِّب على التمسك بالسنة ، منها :

– ما أخرجه بسنده عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : (من رغب عن سنتي فليس مني) [3] .

* أيضاً بدأ كتابه (الكفاية في علم الرواية) [4] بمقدمة عن وجوب الأخذ بالسنة وطاعة الرسول ﷺ ، كما تحدث عن وجوب العمل بالسنة ، ولزوم التكليف ، وعقد باباً أسماه : (ما جاء في التسوية بين حكم كتاب الله تعالى وحكم سنة رسول الله ﷺ في وجوب العمل ولزوم التكليف) ، وأورد تحته عدة أحاديث على وجوب التمسك بالسنة والاحتجاج بها ، منها :

– ما أخرجه بسنده عن المقداد بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال : (ألا إني أُتيت الكتاب ومثله معه — ألا إني قد أُوتيت القرآن ومثله ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه....) [5]

.

* وفسّر الطائفة المنصورة في الأحاديث بأنهم أهل الحديث ، وأثنى عليهم ، وعظّمهم ، ونقل عن الأئمة من أهل السنة والجماعة ما يدل على ذلك ، قال — رحمه الله – : فإن الكتاب عدتهم ،

(1) جواب أبي بكر الخطيب البغدادي عن سؤال أهل دمشق في الصفات ، الخطيب البغدادي ، ص66.
(2) ص 374 .
(3) تقدم تخريجه ص 261 .
(4) ص 8 .
(5) تقدم تخريجه ص 262 .

والسنة حجتهم ، والرسول فئتهم ، وإليه نسبتهم ، لا يعرِّجون على الأهواء ، ولا يلتفتون إلى الآراء ، يقبل منهم ما رووا عن الرسول ، وهم المأمونون عليه والعدول [1] .

([1]) انظر : شرف أصحاب الحديث ، ص 8-9 .

الفصل الثاني :

موقف الخطيب البغدادي
من مرجئة الفقهاء

موقف الخطيب البغدادي من مرجئة الفقهاء

تعريف الإرجاء :

الإرجاء في اللغة : هو التأخير ، يقال أرجى الأمر : أي أخره [1] .

والمرجئة : هم الذين يؤخرون العمل عن النية ، والاعتقاد في الإيمان . قال عبد القاهر البغدادي [1] : " إنما سموا مرجئة لأنهم أخروا العمل عن الإيمان ، والإرجاء بمعنى التأخير"[2] ، وقال

([1]) انظر : النهاية في غريب الحديث ، 206/2 و لسان العرب ، 164/5 .

الشهرستاني [3] : " الإرجاء على معنيين أحدهما : التأخير ، ﴿قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [4] ، أي أمهله وأخره . والثاني : إعطاء الرجاء ، أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح ؛ لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد ، وأما بالمعنى الثاني فظاهر ، لأنهم كانوا يقولون لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة " [5] ، وقال ابن حجر : " الإرجاء بمعنى التأخير ، وهو عندهم على قسمين، منهم من أراد به تأخير القول في الحكم في تصويب إحدى الطائفتين اللتين تقاتلت بعد عثمان ، ومنهم من أراد به تأخير القول في الحكم على من أتى الكبائر وترك الفرائض بالنار لأن الإيمان عندهم الإقرار ، والاعتقاد ولا يضر العمل مع ذلك " [6] .

نشأة الإرجاء وأنواعه :

قال أيوب السختياني : " إن أول من تكلم في الإرجاء رجل من أهل المدينة من بني هاشم يقال له الحسن " [7] .

ولما سئل سفيان بن عيينة عن الإرجاء ، قال : " الإرجاء على وجهين : قوم أرجوا أمر علي وعثمان ، فقد مضى أولئك . فأما المرجئة اليوم فهم يقولون : الإيمان قول ولا عمل. فلا تجالسوهم ولا تؤاكلوهم ، ولا تشاربوهم ، ولا تصلوا معهم ولا تصلوا عليهم " [1] .

(1) هو عبدالقاهر بن طاهر، العلامة البارع، المتفنن الاستاذ، أبو منصور البغدادي، نزيل خراسان، وصاحب التصانيف البديعة، وأحد أعلام الشافعية، من أئمة الأصول، وصدور الإسلام بإجماع أهل الفضل، بديع الترتيب، غريب التأليف، إمام مقدم مفخم، وله تصانيف في النظر والعقليات، وكتاب الفَرْق بين الفِرَق، وأصول الدين، مات سنة 429هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 572/17 ، وطبقات السبكي 136/5.

(2) الفرق بين الفرق ، ص 190 .

(3) هو الأفضل محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، أبو الفتح، شيخ أهل الكلام والحكمة، وصاحب التصانيف، برع في فقه الشافعي، وقرأ الأصول وصنف كتاب نهاية الإقدام، والملل والنحل، وغيرها، وكان كثير المحفوظ، قوي الفهم، مليح الوعظ، لكنه اتهم بميله إلى الإسماعيلية الضالة والدعوة إليهم، مات سنة 548هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 286/20 ، وشذرات الذهب 149/4 .

(4) سورة الأعراف ، الآية : 111 .

(5) الملل والنحل ، 137/1 .

(6) مقدمة فتح الباري ، ص 640 ، وفتح الباري ، 147/1 .

(7) الإيمان لابن تيمية ، ص 309 .

وهؤلاء هم الذين لا يشهدون على عثمان وعلي بإيمان ولا كفر ، هم الذين يسمون المرجئة الأولى . قال ابن أبي العز الحنفي : " وكانت المرجئة الأولى يرجون عثمان وعلياً، ولا يشهدون بإيمان ولا كفر " [2] .

وممن نسب لهذا الإرجاء محارب بن دثار السدوسي المتوفى سنة 116 هـ ، قال ابن سعد [3] : "كان من المرجئة الأولى الذين يرجون علياً وعثمان ، ولا يشهدون بإيمان ولا كفر " [4] . وزاد الذهبي : " يرجون علياً وعثمان إلى أمر الله ، ولا يشهدون عليهما بإيمان ولا بكفر " [5].

أما الإرجاء بمعنى تأخير العمل عن الإيمان ، فالأقرب في بدايته أنه كان بعد فتنة ابن الأشعث ، قال قتادة : " إنما حدث هذا الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث " [6] . وفتنة ابن الأشعث كانت في سنة اثنتين وثمانين من الهجرة [7] . وذكر شيخ الإسلام أن بدعة الإرجاء حدثت في أواخر عهد الصحابة في خلافة عبد الملك بن مروان [8] .

وقد اختلف في أول من تكلم بالإرجاء على هذا المعنى : فقيل : قيس الماصر ، قال الأوزاعي : " أول من تكلم في الإرجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس الماصر " [9] . وقيل أول من قال بالإرجاء غيلان الدمشقي [10] . وقيل : إن أول من قال به حماد بن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة المتوفى سنة مائة وعشرين [11] .

أصناف المرجئة :

[1] تهذيب الآثار ، 659/2 رقم 976 .

[2] شرح الطحاوية ، 2 / 977 .

[3] هومحمد بن سعد بن منيع، الحافظ العلامة الحجة، أبو عبد الله البغدادي، كاتب الواقدي ، ومصنف الطبقات الكبير ، والطبقات الصغير ، وغير ذلك ، وكان من أوعية العلم، ومن نظر في الطبقات، خضع لعلمه، كثير العلم، كثير الحديث والرواية، كثير الكتب، كتب الحديث والفقه والغريب، مات سنة 203هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 664/10 ، وشذرات الذهب 69/2 .

[4] طبقات ابن سعد ، 6/ 307 ، وانظر تهذيب التهذيب ، 378/5 .

[5] سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 218/5 .

[6] اللالكائي ، 1074/5 رقم 1841 .

[7] انظر : البداية والنهاية ، 37/9 .

[8] انظر : درء التعارض ، 244/5 .

[9] تهذيب التهذيب ، 4/ 308 .

[10] انظر : الملل والنحل ، 1/ 137 .

[11] انظر : مجموع الفتاوى ، 7/ 297 ، 311 .

قال ابن تيمية – رحمه الله – : **والمرجئة ثلاثة أصناف** : الذين يقولون الإيمان مجرد ما في القلب ، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب ، وهم أكثر فرق المرجئة ، ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كالجهم . **والقول الثاني** : من يقول : هم مجرد قول اللسان ، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية [1] ، **والثالث** : تصديق القلب وقول اللسان ، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم [2] . والصنف الثالث هم مرجئة الفقهاء [3] .

ومن مرجئة الفقهاء الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – فإنه قال في الفقه الأكبر : " والإيمان هو الإقرار والتصديق ، وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص " [4] . لكن ينبغي أن يُعلم أن الإمام أبا حنيفة – رحمه الله – لم يقل بجميع أقوال المرجئة التي يترتب عليها فساد في الاعتقاد ، وقد برَّأ نفسه من ذلك حيث يقول : " ولا نقول إن المؤمن لا تضره الذنوب ، وإنه لا يدخل في النار ، ولا نقول إنه يخلد فيها ، وإن كان فاسقاً ، بعد أن يخرج من الدنيا مؤمناً"[5] . فهذا فيه مخالفة واضحة لأقوال المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان معصية . وقال أيضاً : " ولا نقول حسناتنا مقبولة ، وسيئاتنا مغفورة كقول المرجئة " [6] .

([1]) فرقة من فرق المرجئة الضالة بل من أضلها، نسبة إلى مؤسسها محمد بن كرام المتوفى سنة 255هـ، خذل حتى التقط من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أوهاها، ثم جالس الجويباري، وابن تميم، ولعلهما قد وضعا مئة ألف حديث، وقد نسب إليه القول بالتجسيم، وتسويغ قيام الحوادث بذاته تعالى، وأبدية العالم، وهم يقولون الإيمان نطق اللسان بالتوحيد، مجرد عن عقد قلب، وعمل جوارح!! وكانوا كثيرين بخراسان. ولهم تصانيف، ثم قلوا وتلاشوا.

انظر : الفرق بين الفرق " صـ202، 214 والملل والنحل 108/1 .

([2]) انظر : مجموع الفتاوى ، 195/7 .

([3]) فرقة من فرق المسلمين تقول الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب دون عمل الجوارح، وهذا قول حماد بن أبي سليمان ، وعنه أخذه أبو حنيفة وعليه أصحابه، فلكون قولهم يوافق قول المرجئة في إخراج العمل عن مسمى الإيمان قيل لهم مرجئة، ولكونهم من فقهاء الملة نسبوا إلى الفقه ، وقيل لهم مرجئة الفقهاء،= وهم أهل علم ودين، ولم يكفر أحد من السلف أحداً منهم ، بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال؛ لا من بدع العقائد .

انظر : مجموع الفتاوى 394/7 ، والإيمان الأوسط صـ124 .

([4]) الفقه الأكبر ، ص 6 ، وانظر شرح الملا علي القارئ ، ص 75 .

([5]) الفقه الأكبر ، ص 5 ، وانظر شرح الملا علي القارئ ، ص 61 .

([6]) المصدر السابق .

أما عن موقف الخطيب البغدادي – رحمه الله – في الإمام أبي حنيفة – رحمه الله – ؛ فإنه لما ترجم له في تاريخ بغداد [1] قال : " ما حكي عن أبي حنيفة في الإيمان " [2] ، ثم أورد تحته (27) أثراً أخرجها بسنده ، منها اتهام له بالإرجاء ، ومنها ذمّ العلماء لأبي حنيفة لأنه كان مرجئاً ، وعدم قبولهم لشهادته ،ومنها نفي الجهمية عنه ، ومنها مخالفته للمعتزلة ..وغير ذلك، فمن هذه الآثار :

1- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن وكيع قال سمعت الثوري يقول : نحن المؤمنون ، وأهل القبلة عندنا مؤمنون ؛ في المناكحة ، والمواريث والصلاة ، والإقرار ؛ ولنا ذنوب لا ندري ما حالنا عند الله ؟ قال وكيع ، وقال أبو حنيفة : من قال بقول سفيان هذا فهو عندنا شاك ، نحن المؤمنون هنا وعند الله حقا ، قال وكيع : ونحن نقول بقول سفيان ، وقول أبي حنيفة عندنا جرأة [3] .

2- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن محمد بن محمد الباغندي [4] حدثنا أبي . قال: " كنت عند عبد الله بن الزبير ، فأتاه كتاب أحمد بن حنبل : اكتب إلي بأشنع مسألة عن أبي حنيفة . فكتب إليه حدثني الحارث بن عمير قال سمعت أبا حنيفة يقول : لو أن رجلاً : قال أعرف لله بيتاً ولا أدري أهو الذي بمكة أو غيره ، أمؤمن هو ؟ قال : نعم ! ولو أن رجلاً قال: أعلم أن النبي ﷺ قد مات ولا أدري أدفن بالمدينة أو غيرها ، أمؤمن هو ؟ قال : نعم"[5] .

3- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي مسهر قال حدثنا يحي بن حمزة- وسعيد يسمع – أن أبا حنيفة . قال : لو أن رجلاً عبد هذه النعل يتقرب بها إلى الله ، لم أر بذلك بأساً ، فقال سعيد : هذا كفر صراح [6].

---

(1) 13/ 323 – 454 رقم 7297 .
(2) تاريخ بغداد ، 13 / 371 وما بعدها .
(3) تاريخ بغداد ، 372/13 .
(4) هو محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث، الامام الحافظ الكبير، محدث العراق أبو بكر، ابن المحدث أبي بكر، الازدي الواسطي الباغندي، أحد أئمة هذا الشأن ببغداد جمع وصنف وعمّر وتفرد، ولكنه كثير التدليس، يحدث بما لم يسمع، وربما سرق، مات سنة 312هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 383/14 ، ولسان الميزان 360/5 .
(5) تاريخ بغداد ، 373/13 .
(6) تاريخ بغداد ، 375/13 .

4- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن إسماعيل بن عيسى بن علي . قال : قال لي شريك [1] : كفر أبو حنيفة بآيتين من كتاب الله تعالى ، قال الله تعالى : (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) ، وقال الله تعالى : (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) ، وزعم أبو حنيفة أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وزعم أن الصلاة ليست من دين الله [2].

5- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن القاسم بن عثمان [3] يقول : مر أبو حنيفة بسكران يبول قائماً ، فقال أبو حنيفة : لو بلت جالساً ؟ قال فنظر في وجهي وقال : ألا تمر يا مرجئ ؟ قال له أبو حنيفة : هذا جزائي منك ؟ صيرت إيمانك كإيمان جبريل ! [4].

6- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن ابن الفضيل عن القاسم بن حبيب [5] . قال: وضعت نعلي في الحصى ثم قلت لأبي حنيفة : أريت رجلاً صلى لهذه النعل حتى مات ، إلا أنه يعرف الله بقلبه ؟ فقال : مؤمن ، فقلت : لا أكلمك أبداً [6].

7- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن وكيع قال : اجتمع سفيان الثوري ، وشريك، والحسن بن صالح ، وابن أبي ليلى ، فبعثوا إلى أبي حنيفة . قال فأتاهم . فقالوا له : ما تقول في رجل قتل أباه ، ونكح أمه ، وشرب الخمر في رأس أبيه ، فقال : مؤمن ، فقال له ابن أبي ليلى :

---

(1) هوشريك بن عبد الله ، العلامة، الحافظ، القاضي، أبو عبد الله النخعي، أحد الأعلام، على لين ما في حديثه ، فيه تشيع خفيف على قاعدة أهل بلده، وكان من كبار الفقهاء، وبينه وبين أبي حنيفة وقائع، ولي قضاء الكوفة ، شديد على أهل الريب والبدع مات سنة 178هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 200/8 ، وتهذيب التهذيب 333/4 .

(2) تاريخ بغداد ، 376/13 .

(3) هو أبو عبد الملك ، القاسم بن عثمان ، العبدي الدمشقي ، الإمام القدوة الولي المحدث ، شيخ الصوفية، عرف بالجوعي نسبة إلى الجوع ، عابد أهل الشام ، صدوق ما لم يتفرد ، مات سنة 248هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 77/12 والجرح والتعديل 114/7 .

(4) انظر: المصدر السابق ، 377/13 .

(5) هو القاسم بن حبيب التمار الكوفي. قال ابن معين: لا شيء، وذكره ابن حبان في الثقات، وقد قواه المعلمي، واعتمد توثيق ابن حبان الكناني في تنزيه الشريعة 362/1 فقال: وثقه ابن حبان وغيره! فلعله يشير إلى الترمذي ، فإنه حسن الحديث الذي رواه من طريقه، أقول: فلعله أراد بطرقه كعادته، وابن حبان إنما ذكره فقط كعادته في توثيق المجاهيل، فالبخاري وأبو حاتم لم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقد تأيد قول ابن معين بقول ابن الجوزي مثله كذلك، ولذلك قال الذهبي: ضعف، وقال الحافظ : لين، وقال الألباني : ضعيف .
انظر: التاريخ الكبير 170/7 ، والجرح والتعديل 108/7 ، وتاريخ الإسلام 573/9 ، وتهذيب التهذيب 279/8 ، والتنكيل 72/2 ، والتقريب 18/2

(6) انظر : تاريخ بغداد ، 377/13 .

لا قبلت لك شهادة أبداً ، وقال له سفيان الثوري : لا كلمتك أبداً . وقال له شريك : لو كان لي من الأمر شيء لضربت عنقك ، وقال له الحسن بن صالح : وجهي من وجهك حرام ، أن أنظر إلى وجهك أبداً [1] .

8- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن عبد الله بن محمد بن عمرو قال سمعت أبا مسهر[2] يقول : كان أبو حنيفة رأس المرجئة [3].

9- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ [4] قال سمعت أبي يقول : دعاني أبو حنيفة إلى الإرجاء ، فأبيت [5] .

10- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن الحميدي ، قال : حدثنا حمزة بن الحارث بن عمير [6] عن أبيه قال : سمعت رجلاً يسأل أبا حنيفة في المسجد الحرام عن رجل . قال: أشهد أن الكعبة حق ، ولكن لا أدري : هي هذه التي بمكة أم لا ؟ فقال مؤمن حقاً. وسأله عن رجل . قال : أشهد أن محمداً بن عبد الله نبي ولكن لا أدري : هو الذي قبره في المدينة أم لا ؟ فقال : مؤمن حقاً . قال الحميدي [7] : ومن قال هذا فقد كفر [8] .

---

(1) انظر : المصدر السابق ، 378/13 .

(2) هو عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى بن مسهر، الإمام، شيخ الشام، أبو مسهر بن أبي ذرامة الغساني الدمشقي الفقيه، من أوعية العلم، ولي قضاء دمشق، مات سنة 218هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 228/10 ، وشذرات الذهب 44/2 .

(3) انظر : المصدر السابق ، 380/13 .

(4) هو محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ القرشي العدوي بن أبي عبد الرحمن ، أبو يحيى المكي، ثقة متفق عليه، مات سنة 256هـ .
انظر: تهذيب الكمال 572/25 ، وتقريب التهذيب 100/2 .

(5) انظر : المصدر السابق ، 380/13 .

(6) هو حمزة بن الحارث بن عمير العدوي مولاهم أبو عمارة البصري ، نزيل مكة ، مولى آل عمر ﷺ، ثقة قليل الحديث .
انظر: تاريخ الإسلام 132/14 ، وتقريب التهذيب 240/1 .

(7) هو عبد الله بن الزبير، الإمام الحافظ الفقيه، شيخ الحرم، أبو بكر القرشي الأسدي الحميدي المكي، صاحب المسند، ثقة كثير الحديث، ليس هو بالمكثر، ولكن له جلالة في الإسلام، مات سنة 120هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 616/10 ، وتهذيب التهذيب 214/5 .

(8) انظر : المصدر السابق ، 372/13 .

11- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي إسحاق الفزاري [1] يقول : سمعت أبا حنيفة يقول : إيمان أبي بكر الصديق ، وإيمان إبليس واحد ، قال إبليس : يا رب ، وقال أبو بكر الصديق : يا رب . قال أبو إسحاق : ومن كان من المرجئة ثم لم يقل هذا . انكر عليه قوله [2]
.

12- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن عبدة ، قال : سمعت ابن المبارك – وذكر أبا حنيفة – فقال رجل : هل كان فيه من الهوى شيء ؟ قال : نعم ! الإرجاء [3] .

13- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي جزي عمرو بن سعيد بن سالم [4] ، قال : سمعت جدي . قال : قلت لأبي يوسف : أكان أبو حنيفة مرجئاً ؟ قال : نعم ! قلت : أكان جهمياً ؟ قال : نعم ! قلت : فأين أنت منه ؟ إنما كان أبو حنيفة مدرساً . فما كان من قوله حسناً قبلناه ، وما كان قبيحاً تركناه عليه [5] .

جاء في هامش الأثر (8 – 9 -10 – 11) : " نسبة أبي حنيفة إلى الإرجاء ...إن كان المراد من الإرجاء الذي نسبوه إليه أن الإيمان لا يدخل في حقيقة العمل ، وأنه لا يزيد ولا ينقص بالمعنى الذي سبقت الإشارة إليه ، فقد عرفت أن هذا حق ، ولا يقدح في أبي حنيفة ، وأنه رأي كثير من أهل السنة [6] . و إن كان المراد ما يقوله مرجئة المتكلمين : من أنه لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، فهذا القول افتراء عليه ، إذ أصحابه الذين يعرفون قوله

([1]) هو الإمام الكبير الحافظ المجاهد، إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن، ثقة مأمون، قال ابن المبارك: ما رأيت رجلاً أفقه منه. وهو صاحب كتاب السير، قال الشافعي: لم يصنف أحد في السير مثله، مات سنة 186هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 539/8 ، وتهذيب التهذيب 151/1 ، والتنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل 202/1 .

([2]) انظر : تاريخ بغداد ، 376/13 .

([3]) انظر : المصدر السابق ، 380/13 .

([4]) هو أبو جزي عمرو بن سعيد بن سالم الباهلي ، كان في حرس المأمون. هذا ما استطعت الوقوف عليه من ترجمته من خلال تاريخ بغداد 380/13 ، وتاريخ دمشق 326/33 ، ولم أقف فيه على جرح ولا تعديل، وله قصص وليس له رواية . والأثر رواه وكيع في أخبار القضاة 258/3 من طريق آخر ، وقد يكون هو الأول مع خطأ في أحدهما في أسماء الرواة والله أعلم .

([5]) انظر : تاريخ بغداد ، 381/13 .

([6]) هذا رأي المعلق ؛ وإلا فجمهور السلف على خلافه ، وأن الإيمان قول وعمل ، فالعمل أحد أركان الإيمان .

ذكروا عنه أنه يقول : إن مرتكب الكبيرة مفوض أمره إلى الله تعالى ، كما يقول بذلك سائر أهل السنة والجماعة . بل لقد جاء في الفقه الأكبر ما نصه : " ولا نقول إن المؤمن لا تضره الذنوب ، ولا نقول إنه لا يدخل في النار ، ولا نقول إنه يخلد فيها ، وإن كان فاسقاً، بعد أن يخرج من الدنيا مؤمناً ، ولا نقول : إن حسناتنا مقبولة ، وسيئاتنا مغفورة كقول المرجئة ، ولكنا نقول : من عمل حسنة بجميع شرائطها خالية عن العيوب المفسدة ، والمعاني المبطلة . ولم يبطلها بالكفر والردة حتى خرج من الدنيا مؤمناً ، فإن الله لا يضيعها ، بل يقبلها منه ، ويثيبه عليها ، وما كان من السيئات دون الشرك والكفر ، ولم يتب عنها صاحبها حتى مات مؤمناً ، فإنه في مشيئة الله – تعالى – : إن شاء الله عذبه بالنار ، وإن شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار أصلاً .. اهـ . قال الآمدي [1] : ومع هذا فأصحاب المقالات قد عدوا أبا حنيفة وأصحابه من مرجئة أهل السنة ، ولعل ذلك لأن المعتزلة في الصدر الأول كانوا يلقبون من خالفهم في القدر مرجئاً . أو لأنه لما قال : الإيمان هو التصديق ولا يزيد ولا ينقص ظن به الإرجاء بتأخير العمل عن الإيمان ، وليس كذلك إذ عرف عنه المبالغة في العمل والاجتهاد فيه اهـ . وقد ذكر الشهرستاني في الملل والنحل نحو هذا " [2] .

أما أن أبا حنيفة يخرج الأعمال من مسمى الإيمان ، وأنه بهذا الرأي من مرجئة الفقهاء ؛ فهذا ثابت عنه كما مر ، لكن وصفه بأنه جهمي ، فهذا ما لا نوافق عليه – إطلاقاً – يؤيد هذا ما قاله الخطيب البغدادي – رحمه الله – : " وقد حكى عن بشر بن الوليد عن أبي يوسف أن أبا حنيفة كان يذم جهماً ويعيب قوله " [3] ، وذكر تحته عدة آثار أخرجها بسنده تدل على ذلك ، منها :

([1]) هو العلامة فارس الكلام سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الآمدي الحنبلي ثم الشافعي المصنف، تفنن في حكمة الأوائل فرق دينه وأظلم، وكان يتوقد ذكاء، ثم أقرأ الفلسفة والمنطق، وصنف التصانيف، ثم قاموا عليه ورموه بالانحلال، ألف في الأصلين والحكمة المشؤومة، له كتاب أبكار الأفكار، ومنتهى السول في الأصول، وله نحو من عشرين تصنيفاً، مات سنة 631هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 364/22 ، وشذرات الذهب 142/5 .

([2]) انظر : تاريخ بغداد ، 13 / 378 –379 .

([3]) المصدر السابق ، 382/13 .

1- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن بشر بن الوليد قال سمعت أبا يوسف يقول . قال أبو حنيفة : صنفان من شر الناس بخراسان [1] ، الجهمية والمشبهة [2] ، وربما قال والمقاتلية[3].

2- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن يحي بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني[4] عن أبيه ، سمعت أبا حنيفة يقول : جهم بن صفوان كافر [5] .

* وقال الخطيب البغدادي – رحمه الله – : " وليس عندنا شك في أن أبا حنيفة يخالف المعتزلة في الوعيد ، لأنه مرجئ ، وفي خلق العباد ، لأنه كان يثبت القدر " [6] ، وذكر تحته عدة آثار أخرجها بسنده تدل على ذلك ، منها :

([1]) خراسان: قطر معروف، قال الجرجاني: معنى خر: كل، وسان معناه سهل، أي كلْ بلا تعب، وقال غيره: معنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس. وهو عمل كبير وإقليم جليل معتبر، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو وغيرها، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق ، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان ، وليس ذلك منها، إنما هو أطراف حدودها. وفي شعر الحكيم الذي ذكر أقطار الأرض وحكم لها قوله: " والدنيا خراسان ". والعرب إذا ذكرت المشرق كله قالوا: فارس، فخراسان من فارس، قال القتيبي: يتلو العرب في الشرف أهل خراسان ، فإنهم لم يزالوا لقاحاً لا يؤدون إلى أحد إتاوة، وهم قتلوا فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك فارس، ثم قتلوا كسرى بن قباذ بن هرمز، وهذا شيء يخبر به أهل فارس من سيرهم .

انظر: معجم البلدان 350/2 ، والروض المعطار 214/1 .

([2]) فرقة من فرق الضلال، يشبهون الخالق بالمخلوق، ويغلو بعضهم حتى يصفه بأنه كأجسام البشر، وأنه جثة وأعضاء وغير ذلك، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وبعضهم يقول: وكل كلام في الوجود كلامه... سواء علينا نثره ونظامه. فقولهم عكس قول النصارى، شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوه إلهاً! والمشبهة ثلاث عشرة فرقة .

انظر: الإبانة لابن بطة 327/3 ، وشرح الطحاوية 170/1 و19/2 ، والفرق بين الفرق ص2 ، والفصل 157/4 ، والملل والنحل 100/1 ، وتلبيس إبليس ص107 ، ومفاتيح العلوم 20/1 .

([3]) تاريخ بغداد ، 382/13 . والمقاتلية هم فرقة من فرق المشبهة الغالية، تنسب إلى مقاتل بن سليمان الخراساني الكذاب، وكان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وزعم أن الله جسم من الأجسام لحم و دم وله صورة كصورة الإنسان؛ قالوا: لأنا لم نشاهد شيئاً موسوماً بالسمع والبصر والعقل والعلم والحياة والقدرة، إلا ما كان لحماً ودماً. وأنه سبعة أشبارٍ بشبر نفسه .

انظر : الأنساب 337/2 ، ومفاتيح العلوم 20/1 ، والبدء والتاريخ 141/5 ، والحور العين 41/1 .

([4]) هو يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن، الحافظ ، الإمام الكبير ، أبو زكريا ابن المحدث الثقة أبي يحيى الحماني الكوفي صاحب المسند الكبير، أول من صنف المسند بالكوفة ، حافظ ، إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث، قال الذهبي: تواتر توثيقه عن يحيى بن معين، كما قد تواتر تجريحه عن الإمام أحمد، مع ما صح عنه من تكفير صاحب! وأعرض عن التخريج له أصحاب الكتب الستة عمداً، مات سنة 228هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء 526/10 ، وتقريب التهذيب 308/2 ، وشذرات الذهب 67/2 .

([5]) تاريخ بغداد ، 382/13 .

([6]) المصدر السابق ، 382/13 .

1- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي يحيى بن المقرئ قال : سمعت أبي يقول : رأيت رجلاً – أحمر كأنه من رجال الشام – سأل أبا حنيفة فقال : رجل لزم غريماً له ، فحلف له بالطلاق أن يعطيه حقه غداً ، إلا أن يحول بينه وبينه قضاء الله – عز وجل – ، فلما كان من الغد جلس على الزنا وشرب الخمر ؟ قال : لم يحنث ، ولم تطلق منه امرأته[1] .

2- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن يحيى بن نصر [2] . قال : كان أبو حنيفة يفضل أبا بكر وعمر ، ويحب علياً وعثمان ، وكان يؤمن بالأقدار ، ولا يتكلم في القدر ، وكان يمسح على الخفين ، وكان من أعلم الناس في زمانه وأتقاهم [3] .

ومع هذا كله ، يبقى للإمام أبي حنيفة قدره ومكانته العلمية ، وموقفه هذا لا يقلل من مكانته ، وهو عالم فقيه ، صاحب أحد المذاهب الأربعة .. قال عنه الذهبي : " الإمام ، فقيه الملة ، عالم العراق ، ..كان ورعاً تقياً ، قال القاضي أبو يوسف : كان أبو حنيفة يختم القرآن كل ليلة في ركعة . وقال علي بن عاصم [4] : لو وزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه ، لرجح عليهم . وقال ابن المبارك : أبو حنيفة أفقه الناس . وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة " [5] . وغير ذلك مما قيل فيه – رحمه الله – من الثناء عليه وورعه وعلمه تقواه وفقهه مما لا يخفى .

ولذلك قال المحققون من أهل العلم ، إن النزاع مع مرجئة الفقهاء نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد في الاعتقاد . قال شيخ الإسلام –رحمه الله – : " ومما ينبغي أن يعرف أن أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظي ، وإلا فالقائلون بأن الإيمان قول من الفقهاء كحماد بن أبي سليمان ، وهو أول من قال بذلك ، ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم ، متفقون من جميع

([1]) المصدر السابق ، 382/13 .

([2]) هو يحيى بن نصر بن حاجب القرشي، عداده في أهل مرو، قال أبو زرعة: ليس بشيء، وقال ابن عدي: له أحاديث حسنة ، وأرجو أنه لا بأس به، وقال مهنأ : سألت أحمد بن حنبل عنه فقال: كان جهمياً يقول قول جهم، وقال: أبو حاتم يلينه، مات سنة (215هـ) .
انظر: تاريخ بغداد 159/14 ولسان الميزان 278/6 .

([3]) تاريخ بغداد ، 383/13 .

([4]) هو أبو الحسن علي بن عاصم بن صهيب الواسطي التيمي مولاهم، الإمام العالم، شيخ المحدثين، مسند العراق، صدوق يخطئ ويصر، ورمي بالتشيع، مات سنة (201هـ) وقد جاوز التسعين .
انظر: سير أعلام النبلاء 249/9 وتقريب التهذيب 697/1 .

([5]) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 390/6 وما بعدها .

علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد ، وإن قالوا : إن إيمانهم كامل كإيمان جبريل فهم يقولون : إن الإيمان بدون العمل المفروض ومع فعل المحرمات يكون صاحبه مستحقاً للذم والعقاب ، كما تقوله الجماعة ، ويقولون أيضاً بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقوله الجماعة " [1] . وقال شارح الطحاوية : " والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة اختلاف صوري ، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أو جزءاً من الإيمان ، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان ، بل هو في مشيئة الله ، إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له ، نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد اعتقاد " [2] . ومع هذا فالالتزام باللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب، وليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله . كما قال ابن تيمية – رحمه الله [3].

ولقد ذمّ السلف الإرجاء بما في ذلك إرجاء الفقهاء ، لكونه ذريعة إلى الأقوال المبتدعة في الإيمان .

قال ابن تيمية – رحمه الله – : " لا سيما وقد صار ذلك – أي قول مرجئة الفقهاء – ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم ، وإلى ظهور الفسق ، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سبباً لخطأ عظيم في العقائد والأعمال ، فلهذا عظم القول في ذمّ الإرجاء " [4] .

---

(1) مجموع الفتاوى ، 297/7 ، وانظر 7 /194 ، 38/13 .
(2) شرح الطحاوية ، 2 /462 .
(3) انظر : مجموع الفتاوى ، 7/ 394 .
(4) انظر : المصدر السابق ، 394/7 .

الفصل الثالث :

موقف الخطيب البغدادي
من أهل البدع والكلام

موقف الخطيب البغدادي
من أهل البدع والكلام

تعريف البدعة في اللغة :

" الباء والدال والعين أصلان : أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال ، والآخر الانقطاع والكلال . فالأول قولهم : أبدعت الشيء قولاً أو فعلاً ، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال ، والله بديع السماوات والأرض ، والأصل الآخر قولهم : أبدعت الراحلة إذا كلّت وعطبت " [1] .

والبدعة : " الحدث ، وما ابتدع من الدين بعد الكمال " [2] . وقال الطرطوشي [3] : " هي الشيء الذي يحدث من غير أصل سبق ، ولا مثال أحتُذي ولا أُلِف مثله " [4] .

تعريف البدعة في الشرع :

عرّفها العلماء بعدة تعريفات : قال شيخ الإسلام : " البدعة هي الدين الذي لم يأمر الله به ورسوله ، فمن دان ديناً لم يأمر الله ورسوله به فهو مبتدع بذلك " [5] ، وقال أيضاً :

" البدعة ما لم يشرعه الله من الدين ، فكل من دان بشيء لم يشرعه الله فذاك بدعة وإن كان متأولاً فيه " [6] . وقال الشاطبي [7] : " هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه " [8] ، وقال ابن حجر : " والمحدثات بفتح الدال جمع محدثة ، والمراد بها ما أحدث وليس له أصل في الشرع ، ويسمى في عرف الشرع بدعة ، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة ، فالبدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة ، فإن كل شيء أُحدث على غير مثل يسمى بدعة سواء كان محموداً أو مذموماً ، – وقال أيضاً–

---

(1) معجم مقاييس اللغة ، 1/ 209– 210 .

(2) لسان العرب ، 342/1 .

(3) هو الإمام العلامة القدوة الزاهد شيخ المالكية، أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الاندلسي الطرطوشي الفقيه، صنف أبو بكر كتاب سراج الملوك، وله مؤلف في طريقة الخلاف، ومؤلف في البدع والحوادث، وغيرها، مات سنة 520هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 490/19 ، وشذرات الذهب 62/4 .

(4) الحوادث والبدع ، ص 40 .

(5) الاستقامة ، 5/1 .

(6) المصدر السابق ، 42/1 .

(7)هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أبو إسحاق، من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. محدث حافظ ، فقيه أصولي، لغوي مفسر، من كتبه الموافقات في أصول الفقه، والاعتصام، مات سنة 790هـ .
انظر: فهرس الفهارس 134/1 ، والأعلام 75/1 ، ومعجم المؤلفين 118/1 .

(8) الاعتصام ، 50/1 .

هي كل شيء ليس له مثال تقدم ، فيشمل لغة ما يحمد ويذم ، ويختص في عرف الشرع بما يذم ، وإن وردت في المحمود فعلى معناها اللغوي " (1) .

من هذه التعاريف نلحظ أن البدعة مذمومة شرعاً ، كما قال ﷺ :

"كل بدعة ضلالة " (2) ، وليس هناك بدعة حسنة ، وقد استدل من قال بأن البدعة منها ما هو حسن ومنها ما هو سيئ ، بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جمع الناس على إمام واحد في صلاة التروايح " نعم البدعة هذه " (3) ، وقد رد شيخ الإسلام بن تيمية – رحمه الله – على هذا الاستدلال بعدة ردود ، من أهمها ، قوله : " أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة ، مع حسنها ، وهذه تسمية لغوية ، لا تسمية شرعية . وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فُعِل ابتداء من غير مثال سابق ، و أما البدعة الشرعية : فما لم يدل عليه دليل شرعي ، فإذا كان نصُّ رسول الله ﷺ قد دلَّ على استحباب فعل ، أو إيجابه بعد موته ، ، أو دلَّ عليه مطلقاً ، ولم يعمل به إلا بعد موته ككتاب الصدقة الذي أخرجه أبو بكر رضي الله عنه ، فإذا عُمِل ذلك العمل بعد موته ، صح أن يسمى بدعة في اللغة ، لأنه عمل مبتدأ " (4) .

وقد ذمَّ الله – عز وجل – في كتابه البدع وأهلها ؛ والآيات في هذا المعنى كثيرة ، منها : قوله تعالى : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (5) ، وقد فسّر ابن عباس هذه الآية فقال : " فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأولو العلم ، وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة " (6) . وقال تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ) (7) ، قال قتادة : " لا تبتدعوا ولا تجالسوا مبتدعاً " (1) .

---

(1) فتح الباري ، 13/ 314 - 344 .

(2) أخرجه مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، 359/4 ، ح 1435 عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(3) أخرجه البخاري ، كتاب صلاة التراويح ، باب فضل من قام رمضان ، 135/7 ، ح 1871 عن عبد الرحمن بن عبدٍ القاري رضي الله عنه .

(4) اقتضاء الصراط المستقيم ، 2/ 593 ، مجموع الفتاوى ،371/10 و 152/27 ، 319-320 .

(5) سورة آل عمران ، الآية : 106 - 107 .

(6) رواه اللالكائي ، 72/1 .

(7) سورة النساء ، الآية : 171 .

وأما ما جاء في السنة من ذمّ البدع وأهلها ؛ فكثير أيضاً ، ومن ذلك : قوله ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) [2] .

ففي هذا الحديث يحذر النبي ﷺ من البدع .

وأما ما ورد عن السلف في ذلك فقد مُلئت به كتب السنة ، فممّا جاء في التحذير من البدع: قول ابن مسعود : " إياكم وما يحدث الناس من البدع فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرة ، ولكن الشيطان يحدث له بدعاً حتى يخرج الإيمان من قلبه ..إلخ " [3] .

وقال الفضيل بن عياض [4] : " لا تجلس مع صاحب بدعة ، فإني أخاف أن ينزل عليك اللعنة" [5] .

تعريف علم الكلام :

قال ابن خلدون [6] : " علم الكلام هو علم يتضمن الحِجَاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة

([1]) رواه ابن بطة في الإبانة ، ك 1 م440/2 رقم 380 .

([2]) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، 201/9 ، ح 2499 ، ومسلم ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ، 118/9 ، ح 3242 عن عائشة رضي الله عنها .

([3]) رواه اللالكائي ، 136/1 رقم 196 .

([4]) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، الإمام القدوة الثبت، شيخ الإسلام، أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني، المجاور بحرم الله، ثقة نبيل فاضل عابد ورع، كثير الحديث، صحيح الحديث، صدوق اللسان، شديد الهيبة للحديث إذا حدث، مات سنة 187هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 421/8 ، وشذرات الذهب 361/1 .

([5]) رواه اللالكائي ، 155/1 رقم 262 .

([6]) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد، بن خلدون أبو زيد ، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. ولد بتونس سنة 732هـ ، ولي قضاء المالكية بمصر، ولم يتزي بزي القضاة محتفظاً بزي بلاده، وعزل، وأعيد، وتوفي فجأة في القاهرة ، وكان فصيحاً جميل الصورة، عاقلاً صادق اللهجة، عزوفاً عن الضيم، طامحاً للمراتب العالية. اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر و(المقدمة) ، وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها. وختم (العبر) بفصل عنوانه (التعريف = بابن خلدون) ، ثم أفرد هذا الفصل وجعله ذيلا للعبر، وسماه التعريف بابن خلدون، مؤلف الكتاب، ورحلته غرباً وشرقاً، وله شعر. مات سنة 808هـ .
انظر: ابن خلدون؛ حياته وتراثه الفكري لمحمد عبد الله عنان ، والأعلام 330/3 ، ومعجم المؤلفين 188/5 .

العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة "[1]. وقال التهانوي [2] : " هو علم يُقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه " [3] .

والصحيح ما قاله شيخ الإسلام : " إن الجدال بالعقل في علم العقائد يسمى كلاماً " [4] ، فعلم الكلام هو الجدال بالعقل فقط دون النظر إلى أدلة النقل في علم العقائد .

وسبب تسميته بعلم الكلام ، قال ابن أبي العز : " وإنما سُمِّي هؤلاء أهل الكلام لأنهم لم يفيدوا علماً لم يكن معروفاً ، وإنما أتو بزيادة كلام لا يفيد " [5] .

وقد ذمَّ الله – عز وجل – في كتابه أهل الكلام والجدل ؛ في آيات كثيرة ، منها : قوله تعالى: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) [6] ، وقد جاء تفسيرها عن النبي ﷺ كما في حديث أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) : ثم قرأ هذه الآية.[7] ، وأما ما جاء في السنة من ذمِّ أهل الكلام والجدل ؛ فكثير أيضاً ، ومن ذلك : عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) [8] . ففي هذا الحديث يحذر النبي ﷺ من الجدال.

([1]) مقدمة ابن خلدون ، ص 821 .

([2]) هو محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، باحث هندي، لغوي، مشارك في بعض العلوم، له كشاف اصطلاحات الفنون، فرغ من تأليفه سنة 1158هـ، وسبق الغايات في نسق الآيات، مات بعد سنة 1158هـ .

انظر: الأعلام للزركلي 295/6 ، ومعجم المؤلفين 47/11 .

([3]) كشاف اصطلاحات الفنون ، 22/1 .

([4]) مجموع الفتاوى ، 336/11 ، وانظر درء التعارض ، 1/ 156 .

([5]) شرح الطحاوية ، 1/ 242 .

([6]) سورة الزخرف ، الآية : 58 .

([7]) رواه اللالكائي 1/ 128 – رقم 177 .

([8]) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب المظالم , باب قول الله تعالى : (وهو ألد الخصام) ، 336/8 ، ح 2277، ومسلم ، كتاب العلم ،باب في الألد الخصم ، 150/13 ، ح 4821 عن عائشة رضي الله عنها .

و أما ما جاء في ذم علم الكلام عن السلف : قول الشافعي : " لأن يبتلي الله المرء بكل ذنب نهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من الكلام " (1) ، وقال الإمام أحمد : " من تعاطى الكلام لم يفلح ، ومن تعاطى الكلام لم يَخل من أن يتجهم " (2) .

وقد أجمع العلماء على ذمِّ علم الكلام وتبديع فاعله ، قال ابن عبد البر : " أجمع أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ، ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء ، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه ، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم " (3) . وقال شيخ الإسلام : "كان سلف الأمة وأئمتها متفقين على ذم علم الكلام " (4) .

وقد بين العلماء سبب ذم السلف لعلم الكلام : قال الخطابي (5) : واعلم أن الأئمة الماضين والسلف المتقدمين ، لم يتركوا هذا النمط من الكلام عجزاً عنه ، ولا انقطاعاً دونه ، وإنما تركوا هذه الطريقة وأعرضوا عنها لما تخوفوه من فتنتها ، وحذروه من سوء مغبتها (6) ، وقال ابن الجوزي : " ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزاً ، ولكنهم رأوا أنه لا يشفي غليلاً ، ثم يرد ، الصحيح عليلاً ، فأمسكوا عنه ، ونهوا عن الخوض فيه " (7) ، وقال شيخ الإسلام : " فالسلف والأئمة لم يكرهوا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة ؛ بل لأنّ المعنى التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه لاشتمال هذه الألفاظ على معانٍ مجملة في النفي والإثبات . كما قال الإمام أحمد في وصفه لأهل البدع : هم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب

---

(1) رواه اللالكائي ،1/ 165 – رقم 300 .
(2) الإبانة ، ك1 م2/ 538 – رقم 674 .
(3) الاعتصام ، 2/ 847 .
(4) منهاج السنة ، 276/5 .
(5) هو أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، الإمام العلامة المتفنن ، الحافظ اللغوي، صاحب التصانيف، له أعلام السنن وغريب الحديث، والغنية عن الكلام وأهله، وغير ذلك، مات سنة 388هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 23/17 ، وشذرات الذهب 127/3 .
(6) انظر : درء التعارض ، 186/7 .
(7) تلبيس إبليس ، ص 95 .

، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويلبسون على جهال الناس بما يتكلمون به من المتشابه [1] . وقال أيضاً : " وإن غالب ما يتكلمون به من الأصول ، ليس بعلم ولا ظن صحيح ، بل ظن فاسد ، وجهل مركب " [2] . وقال ابن حجر مبيناً السبب قي ذلك : واشتد إنكار السلف لذلك كأبي حنيفة وأبي يوسف والشافعي ، وكلامهم في ذم علم أهل الكلام مشهور ، وسببه أنهم تكلموا فيما سكت عنه النبي ﷺ وأصحابه " [3] .

موقف الخطيب البغدادي من أهل البدع والكلام :

موقف الخطيب البغدادي – رحمه الله – من أهل البدع والكلام هو موقف أهل السنة منهم ، ويتمثل في ذم أصحاب البدع والرأي والكلام ، وكشف ضلالاتهم ، وأقوالهم وبيان بطلانها ، ويظهر ذلك من خلال كتابه (تاريخ بغداد) ، فعندما يُترجم لأهل البدع والكلام يذكر أبرز ضلالاتهم ، ثم يتبع ذلك بأقوال علماء السلف بأسانيدها ودون التعليق عليها .

أيضاً ذمّه – رحمه الله – لأهل البدع والكلام والرأي ، وذكر أقوال الأئمة فيهم ، وإيراده لتحذير الأئمة من البدع وعلم الكلام ، وذلك في كتابه الشهير تاريخ بغداد ، وتشديده

– رحمه الله – على ترك السماع منهم ، بل وجعل علامة فارقة بين السني والبدعي ؛ وهي محبة أهل السنة وتجلى موقفه بذكر آثار مسندة إليه تحذر منهم ومن أفعالهم ومعتقداتهم ، ومن ذلك :

1/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن يونس بن عبيد عن الحسن ، قال : " لا يُمَكِّن أحدكم أُذنه من صاحب بدعة " [4] .

2/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن الحسن [5] صاحب سهل بن عبد الله قال : قال سهل : من كان مقيماً على أدنى شبهة في أدنى وقت فقلبه محجوب عن الله – عز وجل –[6].

---

(1) انظر : مجموع الفتاوى ، 3 / 307 ، وانظر : درء التعارض 1/ 44– 232 و 7 /176 –177 .

(2) الاستقامة ، 54/1 .

(3) فتح الباري ، 13/ 315 .

(4) تاريخ بغداد ، 227/5 .

(5) هو محمد بن الحسن بن الصباح أبو الحسن الداودي البغدادي الكاتب، لم أقف من ترجمته على أكثر من ذلك .
انظر : تاريخ بغداد 209/2 .

(6) تاريخ بغداد ، 252/5 .

3/ قال الخطيب في ترجمة عبد الملك بن محمد الأجل : وكان أَوْحَد وقته في فعل الخير ، وافتقاد المستورين بالبر ، ودوام الصدقة ، والإفضال على أهل العلم ، والقيام بأمورهم والتحمل لمؤنهم ، و الاهتمام بما عاد من مصالحهم ، والنصرة لأهل السنة ، والقمع لأهل البدع [1] .

4/ قال الخطيب في ترجمة محمد بن أحمد بن رزقويه : وكان ثقة صدوقاً كثير السماع والكتابة، حسن الاعتقاد جميل المذهب ، مديماً لتلاوة القرآن ، شديداً على أهل البدع[2].

5/ قال الخطيب : حدثني محمد بن علي الصوري – حفظاً – قال : قال لي أبو القاسم علي بن عبيد الله بن محمد العنابي البزار [3] : كنا يوماً عند أبي أحمد المقرئ البغدادي ، فحدثنا عن أبي العلاء محمد بن أحمد بن جعفر الوكيعي [4] – ثم اجتمعت بعد ذلك مع أبي محمد عبد الغني بن سعيد ، فذكرت له ذلك ، فاستعظمه وكبر عليه ، وقال لي سله متى سمع منه ؟ وأين سمع منه ؟ فرجعنا إلى أبي أحمد فسألته فقال : سمعت منه بمكة في موسم سنة ثلاثمائة ، فعدت إلى عبد الغني فأخبرته ، فقال : أبو العلاء مات بمصر في أول هذه السنة ، يسمع منه في الموسم في آخرها ؟! ثم عبرت معه بعد مدة في الجامع وأبو أحمد قاعد يقرئ . فقلت له : ألا تسلم عليه ؟ فقال لي : لا أسلم على من يكذب في حديث رسول الله ﷺ ، ولا أحب أن أنظر إليه[5] .

6/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن يزيد قال سمعت حفص بن غياث [6] ، قال : كنا حيث خرجنا إلى بغداد يجيئنا أصحاب الحديث فيقول لهم ابن إدريس : عليكم بالشعر والعربية .

([1]) المصدر السابق ، 434/10 .

([2]) المصدر السابق ، 351/1 .

([3]) هو علي بن عبيد الله بن محمد البزاز. أبو القاسم العُنَّابي، نسبة إلى العناب وهو شيء أحمر من الفواكه، مصري كتب عنه الصوري بها، قال الحبال: انتقى عليه جعفر الأندلسي، وأخذت عنه، وحضرتُ جنازته، قال الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي ومن خطه نقلت رأيت بخط علي بن عبيد الله بن محمد العنابي وكان ضابطاً، مات في صفر سنة 400هـ .

انظر: الإكمال 386/6 ، وتاريخ الإسلام 208/28 ، وتاريخ بغداد 442/9 ، والأنساب 245/4 .

([4]) هو أحمد بن عمر بن حفص بن جهم بن واقد، الإمام الحافظ الكبير الثبت، أبوجعفر الكندي الكوفي الجلاب الضرير، المشهور بالوكيعي، نزيل بغداد، وهو والد المحدث إبراهيم بن أحمد، ثقة تولى المظالم بمرو فما قضى إلا بحديث لسعة حفظه، مات سنة 235هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 36/11 ، وتهذيب التهذيب 63/1 .

([5]) تاريخ بغداد ، 442/9 .

([6]) هو أبو عمر حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك بن الحارث النخعي، الإمام الحافظ العلامة، قاضي الكوفة ومحدثها، وولي القضاء ببغداد أيضاً. مولده سنة 117هـ ، ثقة مأمون فقيه، مات سنة 194هـ .

فقلت ألا تتقي الله ؟ قوم يطلبون آثار رسول الله ﷺ تأمرهم يطلبون الشعر والعربية ؟ لئن عدت لأسوءنك [1] .

7/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن عثمان بن إسماعيل بن بكر السكري قال سمعت حبش ابن الورد [2] يقول : رُؤي أسود بن سالم يغسل وجهه من غدوة إلى نصف النهار ، فقيل له : إيش خبرك ؟ قال : رأيت اليوم مبتدعاً ، فأنا أغسل وجهي منذ رأيته إلى الساعة ، وأنا أظنه لا ينقي!! [3] .

8/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن الحارث بن سريج النقال قال : دخلت على الشافعي يوماً – وعنده أحمد بن حنبل والحسين القلاس – وكان الحسين أحد تلاميذ الشافعي المقدَّمين في حفظ الحديث – وعنده جماعة من أهل الحديث ، والبيت غاص بالناس ، وبين يديه إبراهيم بن إسماعيل بن علية وهو يكلم في خبر الواحد ، فقلت : يا أبا عبد الله ، عندك وجوه الناس وقد أقبلت على هذا المبتدع تكلمه ؟ فقال لي : - وهو يبتسم – كلامي لهذا بحضرتهم أنفع لهم من كلامي لهم ، قال فقالوا : صدق ، قال : فأقبل الشافعي فقال له : ألست تزعم أن الحجة هي الإجماع ؟ قال فقال نعم ! قال فقال الشافعي : خبرني عن خبر الواحد العدل أبإجماع دفعته أم بغير إجماع ؟ قال : فانقطع إبراهيم ولم يجب ، وسر القوم بذلك [4] .

انظر : سير أعلام النبلاء 22/9 ، وشذرات الذهب 340/1 .

(1) تاريخ بغداد ، 189/8 .

(2) هو محمد بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن بن عبد الصمد بن أبي الورد، مولى سعيد بن العاص عتاقة، فيما رجحه العلامة المعلمي، وجده عيسى هو المعروف بأبي الورد ، وكان من صحابة المنصور ، يلقب محمد هذا حبش وحبشي، ويكنى أيضاً بأبي بكر ، وهو من جلة المشايخ وكبارهم صحب بشراً الحافي والحارث بن أسد المحاسبي ، وسرياً السقطي محله في الورع محل شيوخه وأئمته، يعد في الزهاد له حكايات، وكان حسن الطريقة مشهوراً بالفضل معروفاً بالعبادة وأسند أحاديث قليلة، وقال الألباني: لم أجد من وثقه، قلت: في التمهيد ما يدل على أنه ثقة يغرب، مات سنة 263هـ .
انظر : التمهيد 434/17 ، وحلية الأولياء 315/10 ، وتاريخ بغداد 201/3 ، وصفة الصفوة 394/2، وطبقات الحنابلة 317/1 .

(3) تاريخ بغداد ، 36/7 .

(4) تاريخ بغداد ، 20/6 .

9/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن يعقوب بن سفيان قال سمعت علي بن المديني يقول : قال محمد بن خازم [1] : كنت أقرأ حديث الأعمش عن أبي صالح على أمير المؤمنين هارون ، فكلما قلت : قال رسول الله قال : صلى الله على سيدي ومولاي ، حتى ذكرت حديث التقى آدم وموسى ، فقال عمُّه – وسمّاه علي – فذهب علي فقال : يا محمد أين التقيا ؟ قال فغضب هارون وقال : من طرح إليك هذا ؟ وأمر به قال فحُبس ، ووكل بي من حشمه من أدخلني إليه في محبسه فقال : يا محمد والله إلا شيء خطر ببالي ، وحلف لي بالعتق وصدقة المال وغير ذلك من مغلظات الأيمان ما سمعت من أحد ، ولا جرى بيني وبين أحد في هذا كلام ، وما هو إلا شيء خطر ببالي لم يجر بيني وبين أحد فيه كلام ، قال فلما رجعت إلى أمير المؤمنين كلمته ليدلني على من طرح إليه هذا الكلام . فقلت : يا أمير المؤمنين قد حلف بالعتق ومغلظات الأيمان أنه إنما هو شيء خطر ببالي لم يجر بيني وبين أحد فيه كلام ، قال : فأمر به فأطلق من الحبس وقال لي : يا محمد ويحك إنما توهمت أنه طرح إليه بعض الملحدين هذا الكلام الذي خرج منه فيدلني عليهم فأستبيحهم، وإلا فأنا على يقين أن القرشي لا يتزندق ، قال هذا ونحوه من الكلام [2] .

10/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن بشير بن كعب عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : (الحياء خير كله) قال بشير فقلت : إن منه ضعفاً ، وإن منه عجزاً . فقال : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتجيبني بالمعاريض ؟! لا أحدّثك ما عرفتك . فقالوا : يا أبا نجيد إنه طيب الهوى ، وإنه وإنه ، فلم يزالوا به حتى سكن وحدّث [3] .

11/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن زكريا بن يحيى الساجي ، قال : قدم علي بن المديني البصرة فصار إليه بندار ، فجعل علي يقول : قال أبو عبد الله ، قال أبو عبد الله ، فقال له بندار – على رؤوس الملأ – : من أبو عبد الله ؟ أحمد بن حنبل ؟ قال : لا ، أحمد بن أبي داؤد . قال بندار : عند الله أحتسب خطاي شبه عليّ هذا وغضب ، وقام [4] .

([1]) هو أبو معاوية محمد بن خازم الكوفي الضرير، الحافظ الثبت محدث الكوفة، كان يرى الإرجاء، ثقة أحفظ الناس لحديث الأعمش ، وقد يهم في حديث غيره، مات سنة 195هـ .
انظر: تذكرة الحفاظ 294/1 ، وتقريب التهذيب 475/1 .

([2]) تاريخ بغداد ، 243/5 .

([3]) المصدر السابق ، 399/6 .

([4]) المصدر السابق ، 470/11 .

12/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي [1] قال : كان عند إبراهيم الحربي قمطر من حديث علي بن المديني ، وما كان يحدث به ، فقيل له لم لا تحدث عنه ؟ قال لقيته يوماً وبيده نعله وثيابه في فمه ، فقلت إلى أين ؟ فقال : ألحق الصلاة خلف أبي عبد الله ، فظننت أنه يعني أحمد بن حنبل . فقلت : من أبو عبد الله ؟ قال : أبو عبد الله ابن أبي داؤد ، فقلت والله لا حدثت عنك بحرف [2] .

13/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي علي عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان أنه سأل أحمد ابن حنبل عن ابن الثلجي فقال : مبتدع صاحب هوى [3] .

14/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن سعيد بن جبير [4] عن ابن عباس : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ) فأهل البدع والأهواء (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ) [5] ، فأهل السنة والجماعة [6] .

15/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن أحمد بن سنان [7] يقول : كان الوليد الكرابيسي خالي ، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه : تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني ؟ قالوا : لا ، قال فتتهموني ؟ قالوا : لا ، قال : فإني أوصيكم تقبلون ؟ قالوا : نعم ! قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث

(1) هو محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدويه، أبو بكر البغدادي الشافعي، البزاز السفار، الإمام المحدث المتقن الحجة الفقيه، مسند العراق، صاحب الأجزاء الغيلانيات العالية، مولده سنة 260هـ عام مولد الطبراني، ثقة ثبت كثير الحديث لم يغمز بحال، حسن التصنيف، مات سنة 354هـ . انظر: سير أعلام النبلاء 40/16 ، وشذرات الذهب 16/3 .

(2) تاريخ بغداد ، 470/11 .

(3) تاريخ بغداد ، 351/5 .

(4) هو سعيد بن جبير بن هشام ، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي الوالبي، مولاهم الكوفي الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أحد الاعلام، من كبار العلماء، قرأ القرآن على ابن عباس، قتله الحجاج سنة 95هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 322/4 ، وتهذيب التهذيب 11/4 .

(5) سورة آل عمران ، الآية 106 – 107 .

(6) تاريخ بغداد ، 379/7 .

(7) هو أحمد بن سنان بن أسد بن حبان، أبو جعفر الواسطي القطان الإمام الحافظ المجود، ثقة صدوق، إمام أهل زمانه، مات سنة 259هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 244/12 ، وشذرات الذهب 137/2 .

، فإني رأيت الحق معهم ، لست أعني الرؤساء ، ولكن هؤلاء الممزقين ، ألم تر أحدهم يجيء إلى الرئيس منهم فيخطئه ويهجيه ، قال أبو بكر بن سليمان بن الأشعث ، كان أعرف الناس بالكلام بعد حفص الفرد الكرابيسي ، وكان حسين الكرابيسي قد تعلّم منه الكلام [1] .

16/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن علي بن الحسين بن حبان [2] قال : وجدت في كتاب أبي بخط يده قيل لأبي زكريا – وهو يحيى بن معين – عبد العزيز بن الماجشون هو مثل ليث وإبراهيم بن سعد ؟ فقال : لا ! هو دونهما . إنما كان رجلاً يقول بالقدر والكلام ثم تركه ، وأقبل إلى السنة ، ولم يكن من شأنه الحديث ، فلما قدم بغداد كتبوا عنه فكان بعد يقول : جعلني أهل بغداد محدثاً . وكان صدوقاً ثقة [3] .

17/ قال الخطيب في ترجمة محمد بن موسى الخوارزمي [4] : حدثنا عنه أبو بكر البرقاني ، وسمعته يذكره بالجميل ، ويثني عليه ، فسألته عن مذهبه في الأصول ، فقال : سمعته يقول : ديننا دين العجائز ؛ ولسنا من الكلام في شيء [5] .

18/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن صالح بن مسمار يقول : سمعت نعيم بن حماد يقول : أنا كنت جهمياً ، فلذلك عرفت كلامهم ، فلما طلبت الحديث عرفت أن أمرهم يرجع إلى التعطيل [6] .

19/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن ابن لَهيعة ، قال : " سمعت شيخاً من الخوارج تاب ورجع، وهو يقول : إن هذه الأحاديث دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم . فإنا كنا إذا هَوِينا أمراً صَيّرناه حديثاً " [7] .

---

(1) تاريخ بغداد ، 471/13 .
(2) هو علي بن الحسين بن حبان بن عمار، أبو الحسن المروزي، ثم البغدادي، وكان ثقة، مات سنة 305هـ .
انظر: تاريخ الإسلام 163/23 .
(3) تاريخ بغداد ، 438/10 .
(4) هو أبو بكر، محمد بن موسى الخوارزمي ثم البغدادي، المفتي العلامة، شيخ الحنفية، وهو قليل الرواية ، ما شاهد الناس مثله في حسن الفتوى وحسن التدريس، وقد دعي إلى القضاء مراراً، فامتنع، تخرج به فقهاء بغداد مات بعد سنة 403هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 235/17 ، وشذرات الذهب 170/3 .
(5) تاريخ بغداد ، 3 /247 .
(6) المصدر السابق ، 307/13 .
(7) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، 137/1 .

20/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الله بن أبي أمية ، قال : حدثني حماد بن أبي سلمة ، حدثني شيخ لهم - يعني الرافضة – تاب ، قال : "كنا إذا اجتمعنا و استحسنّا شيئاً جعلناه حديثاً [1] .

ومن موقفه أيضاً تحذيره – رحمه الله – من بعض البدع والفرق الضالة على وجه الخصوص ومنها :

الآثار التي أوردها الخطيب البغدادي –رحمه الله– في التحذير من بدعة الرافضة :

1- قال الخطيب في ترجمة عبيد الله بن عبد الله بن النقيب [2] : كتبت عنه ، وكان سماعه صحيحاً ، وكان شديداً في السنة ، وبلغني أنه جلس للتهنئة لما مات ابن المعلم شيخ الرافضة وقال : ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم [3] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن يونس العصفري ، قال : قال أبو الأشعث [4] : كنت قد كتبت عن جعفر بن سليمان الضبعي وعبد الوارث بن سعيد ، فكنا يوماً في مجلس يزيد بن زريع ، فأقبل علينا ، فقال : بلغني أن جماعة منكم يأتون جعفر بن سليمان الضبعي وعبد الوارث ، فمن كتب عنهما فلا يقربن مجلسي ، فإن جعفر بن سليمان رافضي ، وعبد الوارث التنوري معتزلي ، وما رأيت التنوري أتى الجمعة قط [5] .

3- وما أخرجه الخطيب بسنده عن أحمد بن يونس قال قلت لأبي بكر ابن عياش : جار لي رافضي قد مرض أعوده ؟ قال : عده كما تعود النصراني ، أو اليهودي . لا تنو فيه الأجر [6].

---

(1) المصدر السابق ، 138/1 .

(2) هو عبيد الله بن عبد الله بن الحسين أبو القاسم الحفاف المعروف بابن النقيب، صحيح السماع، شديد في السنة، مات سنة 415هـ .

انظر: تاريخ الإسلام 379/28 ، البداية والنهاية 22/12 .

(3) تاريخ بغداد ، 382/10 .

(4) هو أحمد بن المقدام بن سليمان بن الأشعث بن أسلم أبو الأشعث العجلي ، بصري ثقة صاحب حديث، طعن أبو داود في مروءته، روى له البخاري وبقية أصحاب السنن، مات سنة 253هـ وله بضع وتسعون سنة .

انظر: الكاشف 204/1 ، وتقريب التهذيب 46/1 .

(5) تاريخ بغداد ، 163/5 .

(6) المصدر السابق ، 377/14 .

وقد تمثل منهج السلف في الرد على الرافضة والتحذير منهم حسب الآثار الواردة السابقة بالتالي :

1- الفرح بموت شيوخهم .

2- عدم الكتابة عنهم .

3- اعتبار عيادة مريضهم كعيادة اليهود و النصارى .

ومن الآثار التي أوردها الخطيب البغدادي –رحمه الله– في التحذير من بدعة الخوارج :

1/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي حصين ، عن أبي بردة [1] ، قال : كنت عند عبيد الله بن زياد ، وأُتي برؤوس من رؤوس الخوارج ، فجعلت كلما أُتي برأس أقول : إلى النار ، إلى النار ، فعيّرني عبد الله بن يزيد الأنصاري ، وقال : يا ابن أخي ، وما تدري ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : (جعل عذاب هذه الأمة في دنياها)[2] .

2/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي موسى الهمداني [3] قال : كنت مع ابن أبي طالب يوم النهر حين قال : التمسوا ذا الثدية ، فالتمسوه فجعلوا لا يجدونه ، فجعل يعرق جبين علي ويقول ما كذبت ، فالتمسوه فوجدوه في دالية وجدول تحت القتلى ، فأُتي به فخرَّ علي ساجداً [4] .

([1]) هو أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، الإمام الفقيه الثبت، حارث، ويقال عامر، ويقال: اسمه كنيته، ابن صاحب رسول الله ﷺ، عبد الله بن قيس بن حضار الكوفي الفقيه. وكان قاضي الكوفة للحجاج، ثم عزله بأخيه أبي بكر، ثقة كثير الحديث، وكان من أوعية العلم، حجة باتفاق، مات سنة 104هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 343/4 و5/5 ، والبداية والنهاية 9 / 231 .

([2]) تاريخ بغداد ، 205/4 .

([3]) هو مالك بن الحارث الهمداني أبو موسى الكوفي، وسماه البخاري ومسلم: الحارث بن قيس، قال أبو حاتم: مجهول، وقال ابن حجر: مقبول إذا توبع ، وإلا فلين الحديث، وعدّه البخاري وابن حبان نفس السلمي الذي وثقه ابن معين، مات آخر ولاية الحجاج سنة 95هـ .
انظر: الجرح والتعديل 439/9 ، وتاريخ بغداد 206/8 و157/13 ، وتهذيب التهذيب 11/10 ، وتقريب التهذيب 152/2 .

([4]) تاريخ بغداد ، 206/8 .

3/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن عليم ، عن سلمان قال : قال علي : لقد علم ذو العلم من آل محمد ﷺ أن أصحاب الأسود ذي الثدية ملعونون على لسان النبي الأمي ﷺ وقد خاب من افترى [1] .

4/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن حبَّة العرني [2] قال : لما فرغنا من النهروان قال رجل : والله لا يخرج بعد اليوم حروري أبداً ، فقال علي : مه ، لا تقل هذا . فو الذي فلق الحبة، وبرأ النسمة إنهم لفي أصلاب الرجال ، وأرحام النساء ، ولا يزالون يخرجون حتى تخرج طائفة منهم بين نهرين ، حتى يخرج إليهم رجل من ولدي فيقتلهم فلا يعودون أبداً [3] .

5/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي المؤمن الواثلي [4] قال سمعت علي بن أبي طالب حين قتل الحرورية [5] . قال : انظروا فيهم رجلاً كأن ثديه مثل ثدي المرأة ، أ خبرني النبي ﷺ أني صاحبه ، فقلبوا القتلى فلم يجدوه ، قالوا ما وجدناه ، قال لئن كنتم صدقتم لقد قتلتم خيار الناس ، قالوا يا أمير المؤمنين سبعة تحت نخلة لم نقلبهم ، قال فأتوهم فقلبوهم فوجدوه ، قال أبو المؤمن فرأيته

---

(1) المصدر السابق ، 282/13 .

(2) هو حبة بفتح أوله ثم موحدة ثقيلة بن جوين بجيم مصغراً العرني بضم المهملة وفتح الراء بعدها نون، أبو قدامة الكوفي البجلي، صدوق له أغلاط، وكان غالياً في التشيع ، وأخطأ من زعم أن له صحبة، مات سنة 76هـ .

انظر: تاريخ بغداد 274/8 ، وتقريب التهذيب 182/1 .

(3) تاريخ بغداد ، 275/8 .

(4) هو أبو المؤمن الواثلي سمع علياً ، روى عنه سويد بن عبيد، كذا ذكره عبد الغني بن سعيد وتبعه ابن ماكولا والذهبي، وصوابه سويد بن عَبْد، وكذا ذكره البخاري في التاريخ، قال ابن ناصر الدين: وعلى الصواب ذكره الذهبي في الميزان – قلت: وفي المطبوع خلافه!–، ووهم أبو العلاء الفرضي في قوله: روى عنه سويد بن سعيد كذا وجد بخطه وهو خطأ، وقيل فيه أيضاً أبو المؤمر بالراء بدل النون، وهو مجهول لا يعرف، خرج له النسائي في مسند علي ﷺ عن علي قصة ذي الثدية والقصة معروفة من غير وجه من رواية جماعة عن علي ﷺ، وقال ابن منده في الكنى: أبو المؤمن الوالبي .

انظر: تاريخ بغداد 362/14 ، وميزان الاعتدال 579/4 ، وتوضيح المشتبه 96/9 .

(5) الحرورية من ألقاب الخوارج، ومن ألقابهم الشراة والحرارية والمحكمة ، ومنها المارقة ، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية، سموا حرورية لنزولهم بحروراء في أول أمرهم، ولم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أنهم قوم سوء عصاة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين! ويخرجون على الأئمة والأمراء ، ويستحلون قتل المسلمين، وانقسمت الحرورية اثنتي عشرة فرقة .

انظر: مقالات الإسلاميين 127/1 ، والشريعة 41/1 ، وتلبيس إبليس 28/1 .

حين جاؤوا به يجرونه في رجله حبل، قال فرأيت علياً حين جاؤوا به خرَّ ساجداً ، وقال : قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار [1].

ومن الآثار التي أوردها الخطيب البغدادي –رحمه الله– في التحذير من بدعة الجهمية :

1/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن ابن خزيمة قال سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول أخبرني الشافعي قال : كلمتني أم المريسي أن أكلم المريسي أن يكف عن الكلام ، فلما كلمته دعاني إليه فقال : إن هذا دين ، قال : فقلت : إن أمك كلمتني أن أكلمك [2] .

2/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن إسماعيل السلمي قال سمعت البويطي يقول سمعت الشافعي يقول : ناظرت المريسي في القرعة فذكرت له حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ في القرعة . فقال : يا أبو عبد الله هذا قمار .فأتيت أبا البختري فقلت له : سمعت المريسي يقول : القرعة قمار . قال أبا عبد الله شاهد آخر وأقتله [3] .

3/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي العباس السراج قال سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : حدثني زياد بن أيوب قال السراج : وأظن أني سمعت من زياد قال : سمعت عباد بن العوام [4] يقول : كلمت بشراً المريسي وأصحاب بشر ، فرأيت آخر كلامهم أنه ينتهي إلى أن يقولوا ليس في السماء شيء [5] .

4/ قال الخطيب : أنبأنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ، قال : سمعت أ با العباس محمد بن يعقوب الأصم يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : سألت أبي عن الحكم بن عبد الله أبي مطيع البلخي فقال : لا ينبغي أن يروى عنه ، حكوا عنه أنه كان يقول : الجنة والنار خلقتا وسيفنيان ، وهذا كلام جهم لا يروى عنه شيء [6] .

---

(1) تاريخ بغداد ، 362/14 .
(2) المصدر السابق ، 7/ 59 .
(3) المصدر السابق ، 7/ 65 .
(4) هو عباد بن العوام بن عمر بن عبد الله بن المنذر ، أبو سهل الكلابي الواسطي ، الإمام المحدث الصدوق، من نبلاء الرجال في كل أمره ، وكان يتشيع، مات سنة بضع وثمانين ومئة .
انظر: سير أعلام النبلاء 511/8 ، وتهذيب التهذيب 99/5 .
(5) تاريخ بغداد ، 7/ 58 .
(6) تاريخ بغداد ، 8/ 225 .

5/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي سعيد علي بن الحسين القصري [1] ، قال : قال المأمون لحاجبه يوماً : انظر من بالباب من أصحاب الكلام ؟ فخرج وعاد إليه فقال : بالباب أبو الهذيل العلاّف ؛ وهو معتزلي ، وعبد الله بن أبّاض الأبّاضي ، وهشام بن الكلبي الرافضي . فقال المأمون : ما بقي من أعلام أهل جهنم إلاّ وقد حضر [2] .

6/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول : دخل حميد الطوسي على أمير المؤمنين – وعنده بشر المريسي – فقال أمير المؤمنين لحميد : أتدري من هذا يا أبا غانم ؟ قال : لا . قال : هذا بشر المريسي ! فقال – حميد : يا أمير المؤمنين هذا سيد الفقهاء ، هذا قد رفع عذاب القبر ، ومسألة منكر ونكير ، والميزان والصراط ، انظر هل يقدر أن يرفع الموت ؟ ثم نظر إلى بشر فقال : لو رفعت الموت كنت سيد الفقهاء حقّاً [3] .

ومن الآثار التي أوردها الخطيب البغدادي –رحمه الله– في التحذير من بدعة المشبهة :

1/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن سماعة عن أبي يوسف أنّ أبا حنيفة ذكر عنده جهم ومقاتل فقال : كلاهما مفرط ، أفرط جهم في نفي التشبيه ، حتى قال إنه ليس بشيء ، وأفرط مقاتل بن سليمان حتى جعل الله مثل خلقه [4] .

2/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن سفيان بن عيينة يقول قال مقاتل بن سليمان يوماً : سلوني عما دون العرش ، فقال له إنسان : يا أبا الحسن أريت الذرة أو النملة ، أمعاؤها في مقدمها أو مؤخرها . فبقي الشيخ لا يدري ما يقول له ، قال سفيان : فظننت أنها عقوبة عوقب بها[5].

3/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن أشكاب قال سمعت أبي يقول سمعت أبا يوسف يقول : بخراسان صنفان ما على الأرض أبغض إلي منهما ، المقاتلية والجهمية [6] .

---

(1) لم أقف له على ترجمة .
(2) تاريخ بغداد ، 3/ 369 .
(3) المصدر السابق ، 7/ 60 .
(4) المصدر السابق ، 13/ 166 .
(5) تاريخ بغداد ، 13/ 166 .
(6) تاريخ بغداد ، 13/ 164 .

4/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن خارجة بن مصعب [1] يقول : كان الجهم ومقاتل بن سليمان عندنا فاسقين فاجرين ، قال : وسمعت خارجة يقول : لم أستحل دم يهودي ولا ذمّي، ولو قدرت على مقاتل بن سليمان في موضع لا يراني أحد لقتلته [2] .

5/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن إسحاق بن إبراهيم يقول : قال أبو حنيفة : أتانا من المشرق رأيان خبيثان ؛ جهم معطل ، ومقاتل مشبه [3] .

6/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الله بن أبي العاص الخوارزمي قال : سمعت إسحاق ابن إبراهيم الحنظلي يقول : أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم في الدنيا نظير – يعني في البدعة والكذب – جهم بن صفوان ، وعمر ابن صبيح ، ومقاتل بن سليمان [4] .

ومن الآثار التي أوردها الخطيب البغدادي –رحمه الله– في التحذير من بدعة الصوفية والقُصَّاص :

1/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن إسماعيل بن إسحاق السراج [5] يقول : قال لي أحمد بن حنبل يوماً : يبلغني أن الحارث هذا – يعني المحاسبي – يكثر الكون عندك ، فلو أحضرته منزلك وأجلستني من حيث لا يراني فأسمع كلامه ؟ فقلت : السمع والطاعة لك يا أبا عبد الله، وسرّني هذا الابتداء من أبي عبد الله ، فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة، فقلت : وتسل أصحابك أن يحضروا معك ، فقال يا إسماعيل فيهم كثرة فلا تزدهم على الكسب والتمر ، وأكثر منهما ما استطعت : ففعلت ما أمرني به ، وانصرفت إلى أبي عبد الله فأخبرته ، فحضر بعد المغرب وصعد غرفة في الدار ، فاجتهد في ورده إلى أن فرغ، وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا ، ثم قاموا لصلاة العتمة ولم يصلوا بعدها ، وقعدوا بين يدي الحارث، وهم سكوت لا ينطق واحد

---

(1) هو خارجة بن مصعب بن خارجة، أبو الحجاج الضبعي السرخسي الإمام العامل المحدث، شيخ خراسان، هو في نفسه غير متهم ، ولكن تركوه لأنه كان يدلس عن الكذابين، مات سنة 168هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 326/7 ، وتقريب التهذيب 254/1 .

(2) تاريخ بغداد ، 13/ 164.

(3) المصدر السابق ، 13/ 164 .

(4) المصدر السابق ، 13/ 164 .

(5) هو إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران أبو بكر السراج الثقفي، كان له اختصاص بالإمام أحمد، ووثقه الدارقطني، مات سنة 286هـ.
انظر : تاريخ بغداد 292/6 ، وسير أعلام النبلاء 490/13 .

منهم إلى قريب من نصف الليل ، فابتدأ واحد منهم وسأل الحارث عن مسألة ، فأخذ بالكلام وأصحابه يستمعون ، وكأن على رؤوسهم الطير فمنهم من يبكي ومنهم من يزعق ، وهو في كلامه ، فصعدت الغرفة لأتعرف حال أبي عبد الله ، فوجدته قد بكى حتى غشي عليه ، فانصرفت إليهم ولم تزل تلك حالهم حتى أصبحوا فقاموا وتفرقوا ، فصعدت إلى أبي عبد الله وهو متغير الحال ، فقلت : كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله ؟ فقال : ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء القوم ، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل ، وعلى ما وصفت من أحوالهم فإني لا أرى لك صحبتهم ، ثم قام وخرج [1] .

2/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن سعيد بن عمرو البرذعي [2] ، قال : شهدت أبا زرعة – وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه – فقال للسائل : إياك وهذه الكتب ، هذه كتب بدع وضلالات ، عليك بالأثر ، فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب ، قيل له في هذه الكتب عبرة ، قال : من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة ، بلغكم أن مالك بن أنس [3] ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، والأئمة المتقدمين ، صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء ؟ هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم ، يأتونا مرة بالحارث المحاسبي ، ومرة بعبد الرحيم الديبلي ، ومرة بحاتم الأصم ، ومرة بشقيق ، ثم قال : ما أسرع الناس إلى البدع [4] .

([1]) تاريخ بغداد ، 214/8 .

([2]) هو أبو عثمان سعيد بن عمرو بن عمار الأزدي البرذعي، الإمام الحافظ، رحال جوال مصنف، له كتاب الضعفاء والكذابون والمتروكون من أصحاب الحديث، وسؤالات لأبي زرعة الدمشقي، مات سنة 292هـ .
انظر : وتاريخ دمشق 259/21 ، وسير أعلام النبلاء 77/14 ، والوافي بالوفيات 147/13 ، والأعلام 99/3 .

([3]) هو إمام دار الهجرة ، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الحميري ثم الأصبحي المدني، شيخ الإسلام حجة ، الأمة ، مولده على الأصح في سنة 93هـ ، عام موت أنس بن مالك ، فضائله مشهورة ، ومذاهبه منشورة ، وله الموطأ الذي ألف حوله عشرات الكتب شرحاً وغريباً رواية ودراية ، وهو أصح كتاب مصنف بعد الصحيحين ، مات سنة 179هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء 48/8 ، والديباج المذهب 55/1 .

([4]) تاريخ بغداد ، 8/ 215 .

3/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي جعفر الكبريتي [1] – صاحب صالح بن عبد الكريم – قال : قيل لصالح بن عبد الكريم : إن قوماً يجدون قلوبهم في القصائد ، ولا يجدونها في القرآن ؟ قال فقال صالح : إنّ القرآن عزيز ، وهؤلاء عقولهم فيها ضعف فاحتملوهم [2] .

4/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ، قال : لم يقص على عهد النبي ﷺ ولا أبي بكر ولا عمر ؛ ولكنه شيء أحدثوه بعد مقتل عثمان [3] .

5/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن يونس قال : سمعت أبا عامر العقدي [4] ، يقول : أنا كنت سبب عبد الرحمن المهدي في الحديث ، كان يتّبع القصّاص ، فقلت له لا يحصل في يدك من هؤلاء شيء [5] .

ومن الآثار التي أوردها الخطيب البغدادي –رحمه الله– في التحذير من مذهب القدرية، وموقف علماء السلف منه ، ما يلي :

1/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن إبراهيم الحربي يقول : حدثنا أحمد يوماً عن أبي قطن فقال له رجل : إن هذا بعد ما رجع من عندكم إلى البصرة تكلم بالقدر وناظر عليه ، فقال أحمد : نحن نحدث عن القدرية لو فتّشْت أهل البصرة وجدت ثلثهم قدرية [6] .

2/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي الضحى قال : قال الحسن بن محمد بن علي [7] :

---

(1) هو أبو جعفر الكبريتي كان أحد عباد الله الأخيار، كذا قال الخطيب في تاريخ بغداد 411/14، ولم أقف له على ترجمة في غيره .

(2) تاريخ بغداد ، 14 /411 .

(3) المصدر السابق ، 2/ 101 .

(4) هو أبو عامر، عبدالملك بن عمرو القيسي العقدي البصري، الإمام الحافظ، محدث البصرة، من مشايخ الإسلام، وثقات النقلة، مات سنة 204هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 470/9 ، وتهذيب التهذيب 409/6 .

(5) تاريخ بغداد ، 240/10 .

(6) المصدر السابق ، 200/12 .

(7) هو الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو محمد المدني. وأبوه يعرف بابن الحنفية، ثقة فقيه من ظرفاء بني هاشم وأهل الفضل منهم ، وكان يقدم على أخيه أبي هاشم في الفضل والهيئة، وهو أول من تكلم في الإرجاء ، وهو غير الإرجاء الذي يعيبه أهل السنة المتعلق بالإيمان وإنما معناه أنه كان يرى عدم القطع على إحدى الطائفتين المقتتلتين في الفتنة بكونه مخطئاً أو مصيباً ، وكان يرجئ الأمر فيهما ، وأما الإرجاء الذي يتعلق بالإيمان فلم يعرج عليه، مات سنة 100هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 130/4 ، وتهذيب التهذيب 277/2 ، وتقريب التهذيب 210/1 .

لا تجالسوا أهل القدر [1] .

3/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن سفيان عن عمرو [2] ، قال : ذكروا القدرية عند ابن عباس بعد ما ذهب بصره . قال هل في البيت أحد منهم ؟ فأروني آخذ برأسه . وقال ابن عباس : إنه منظوم بالتوحيد أنه حين جاءه جبريل في الصورة التي لم يره فيها وهو لا يعرفه، فسأله عن الإيمان ، فقال له رسول الله ﷺ : (هو كذا وكذا ، والإيمان بالقدر خيره وشره " . قال وقال غيره : آخذ رأسه فأتصببه ، قال أبو عمران موسى : لا نعلم في الأرض أحداً روى حديث ابن عباس عن النبي ﷺ غير محمد بن عباد [3] .

4/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي جعفر محمد بن أحمد بن أبي المثنى الموصلي [4] يقول: رأيت أبا سليمان الداراني ببغداد سنة ثلاث ومائتين – أو أربع ومائتين – مخضوب اللحية – له شعيرة – في مسجد عبد الوهاب الخفاف ، فقيل له إن عبد الوهاب الخفاف يقول بشيء من القدر ، فترك الصلاة في مسجده وذهب إلى مسجد آخر [5] .

5/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن أحمد بن زهير [6] قال سمعت أبي يقول : لا يكتب عن محمد بن سلام الحديث ، رجل يرمى بالقدر إنما يكتب عنه الشعر ، فأما الحديث فلا [7] .

---

(1) تاريخ بغداد ، 347/14 .

(2) هو عمرو بن دينار أبو محمد الجمحي مولاهم المكي الأثرم، الإمام الكبير الحافظ أحد الاعلام وشيخ الحرم في زمانه، من الحفاظ المقدمين، وأوعية العلم وأئمة الاجتهاد، مات سنة 126هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 300/5 ، وتهذيب التهذيب 28/8 .

(3) تاريخ بغداد ، 374/2 .

(4) هو محمد بن أحمد بن أبي المثنى يحيى بن عيسى بن هلال ، أبو جعفر التميمي الموصلي ، الحافظ المفيد شيخ الموصل ، نسيب أبي يعلى الموصلي وخاله، ثقة ، مات سنة 277هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 139/13 ، وطبقات الحنابلة 263/1 .

(5) تاريخ بغداد ، 248/10 .

(6) هو أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة زهير البغدادي ، صاحب التاريخ الكبير، الكثير الفائدة ، ثقة عالم متقن حافظ بصير بأيام الناس ، راوية للأدب ، ثقة مأمون، مات سنة 279هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 492/11 ، ولسان الميزان 174/1 .

(7) تاريخ بغداد ، 328/5 .

6/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن عبد الله أبي جعفر الأنباري الحذّاء [1] قال : قلت لسفيان بن عيينة : إن هذا يتكلم في القدر – أعني إبراهيم بن أبي يحيى – قال : عرِّفوا الناس بدعته وسلوا ربكم العافية [2] .

7/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي [3] . قال : كنا في مجلس محمد بن إسحاق نتعلم ، فأغفى إغفاءة ثم انتبه فقال : إني رأيت في المنام الساعة كأن إنساناً دخل المسجد ومعه حبل فوضعه في عنق حمار فأخرجه ، فما لبثنا أن دخل المسجد رجل معه حبل حتى وضعه في عنق ابن إسحاق فأخرجه فذهب به إلى السلطان ، فحله . قال ابن أبي زنبر : من أجل القدر [4] .

8/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن أحمد بن علي الأبار قال : سألت مصعباً الزبيري عن ابن أبي ذئب وقلت : حدَّثُونا عن ابن أبي عاصم أنه قال : كان ابن أبي ذئب قدرياً ، فقال : معاذ الله، إنما كان في زمن المهدي قد أخذوا أهل القدر بالمدينة وضربوهم ونفوهم ، فجاء قوم من أهل القدر فجلسوا إليه واعتصموا به من الضرب ، فقال قوم : إنما جلسوا إليه لأنه يرى القدر، لقد حدثني من أثق به أنه ما تكلم فيه قط [5] .

9/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن ابن المبارك عن معمر قال : ما عددت عمراً عاقلاً قط[6] .

10/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن حماد بن سلمة قال : كان حميد من أكفهم عنه ، قال فجاء ذات يوم إلى حميد ، قال فحدثنا حميد بحديث ، قال فقال عمرو كان الحسن يقوله . قال فقال

([1]) هو محمد بن عبد الله الحذاء ويكنى أبا جعفر وكان من المحدثين بالأنبار، وكانت عنده أحاديث، وكان ثقة صدوقاً، قال أبو العباس بن أصرم: إذا رأيت الأنباري يحب أبا جعفر الحذاء ومثنى بن جامع الأنباري فاعلم أنه صاحب سنة .

انظر: الطبقات الكبرى 383/7 ، وتاريخ بغداد 414/5 ، وتاريخ الإسلام 367/16 ، والأنساب 161/2.

([2]) تاريخ بغداد ، 414/5 .

([3]) هو عبد العزيز بن محمد بن عبيد، أبو محمد الجهني، مولاهم المدني الدراوردي، الإمام العالم المحدث، إذا حدث من حفظه يهم، ليس هو بشيء، وإذا حدث من كتابه فنعم، وقال الذهبي: حديثه في دواوين الإسلام الستة، لكن البخاري روى له مقروناً بشيخ آخر، وبكل حال فحديثه لا ينحط عن مرتبة الحسن، قال النسائي: حديثه عن عبيد الله العمري منكر، مات بالمدينة سنة 187هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 366/8 ، وتهذيب التهذيب 353/6 ، وتقريب التهذيب 607/1 .

([4]) تاريخ بغداد ، 225/1 .

([5]) المصدر السابق ، 301/2 .

([6]) المصدر السابق ، 179/12 .

لي حُميد : لا تأخذ عن هذا شيئاً ، فإن هذا يكذب على الحسن ، كان يأتي الحسن بعد ما أسنّ فيقول يا أبا سعيد أليس تقول كذا وكذا للشيء الذي ليس من قوله قال فيقول الشيخ برأسه هكذا [1] .

11/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن ثور عن معمر ، قال : كان أيوب إذا ذكر عمرو بن عبيد قال ما فعل المقيت ، ما فعل المقيت [2] .

12/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن حماد بن زيد قال : كنت مع أيوب ويونس وابن عون وغيرهم ، فمر بهم عمرو بن عبيد ، فسلّم عليهم ووقف ، وقفة فما ردوا عليه ، ثم جاز فما ذكروه [3] .

13/ ما أخرجه الخطيب بسنده عن عمرو بن علي [4] يقول : سمعت معاذ بن معاذ – وذكر قصة عمرو بن عبيد إن كانت (تبت يدا أبي لهب) في اللوح المحفوظ فما على أبي لهب من لوم، قال أبو حفص – يعني عمرو بن علي – فذكرته لوكيع بن الجراح فقال : من قال هذا القول استتيب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه [5] .

وأيضاً من موقفه – رحمه الله – في هذا المبحث ؛ تقريره لمسألة (محبة أئمة السنة علامة فارقة بين السني والبدعي) :

فتمثل جهوده في جعل علامة فارقة بين السني والبدعي وهي محبة أئمة أهل السنة ، فمن تلك الجهود :

1– ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الرحمن بن حمدان المرزبان [6] قال : قال أبو حاتم

---

(1) المصدر السابق ،180/12 .
(2) المصدر السابق ، 174/12 .
(3) تاريخ بغداد ، 174/12 .
(4) هو عمرو بن علي بن بحر بن كنيز، أبو حفص الفلاس الصيرفي الباهلي البصري الحافظ الناقد الثقة، صنف وجمع، مات سنة 249هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 470/11 ، والتقريب 741/1 .
(5) تاريخ بغداد ، 172/12 .
(6) هو عبد الرحمن بن حمدان بن المرزبان أبو محمد الجلاب الهمذاني، الجزار، ويقال الدهقان، كان أحد أركان السنة بهمذان، كان صدوقاً قدوة ، له أتباع وله معرفة ، وذهب بصره في المحنة ، وضاعت كتبه ، وتغيرت أحواله وكان سديداً بالأثر والسنة، مات بوليداباذ سنة 342هـ .
انظر: الإرشاد في معرفة علماء الحديث 658/2 ، ومعجم البلدان 384/5 ، وتاريخ الإسلام 264/25 .

الرازي : إذا رأيت الرازي وغيره يبغض أبا زرعة فاعلم أنه مبتدع [1] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن نعيم بن حماد يقول : إذا رأيت العراقي يتكلم في أحمد ابن حنبل فاتهمه في دينه ، وإذا رأيت الخرساني يتكلم في إسحاق بن راهويه فاتهمه في دينه، وإذا رأيت البصري يتكلم في وهب بن جرير فاتهمه في دينه [2] .

3- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الرحمن بن حمدان بن المرزبان قال قال لي أبو حاتم الرازي : إذا رأيت البغدادي يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة ، وإذا رأيته يبغض يحيى بن معين فاعلم أنه كذاب [3] .

4- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي يعلى التميمي [4] يقول : سمعت أحمد بن إبراهيم – يعني الدورقي [5] – يقول : من سمعتموه يذكر أحمد بن حنبل بسوء فاتهموه على الإسلام[6] .

5- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أحمد بن علي الآبار [7] قال سفيان بن وكيع [1] يقول: أحمد عندنا محنة ، من عاب عندنا أحمد فهو عندنا فاسق [2] .

([1]) تاريخ بغداد ، 329/10 .

([2]) المصدر السابق ، 348/6 .

([3]) المصدر السابق ، 184/14 .

([4]) هو أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي، محدث الموصل، وصاحب المسند والمعجم. الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، ولد سنة 210هـ ، فهو أكبر من النسائي بخمس سنين، وأعلى إسناداً منه، أحد الثقات الأثبات، كان على رأي أبي حنيفة، وهو كثير الحديث، صنف في الزهد والرقائق، وخرج الفوائد، وكان عاقلاً حليماً صبوراً، حسن الأدب، قال أبو عبد الله بن منده : أجمع أهل العصر على ثقته وإتقانه. وقيل: إن المسانيد كالأنهار، ومسنده كالبحر، مات سنة 307هـ .

انظر: وسير أعلام النبلاء 174/14 ، الوافي بالوفيات 241/7 .

([5]) هو أحمد بن إبراهيم بن كثير الدورقي، الحافظ الإمام المجود المصنف، أبو عبد الله العبدي، كان حافظاً يقظاً، حسن التصنيف، ثقة متفق عليه، مات سنة 246هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 130/12 ، وشذرات الذهب 110/2 .

([6]) تاريخ بغداد ، 420/4 .

([7]) هو أبو العباس، أحمد بن علي بن مسلم الأبار، الحافظ المتقن الإمام الرباني، من علماء الأثر ببغداد، ثقة حافظ متقن، حسن المذهب ، وله تاريخ مفيد ، مات سنة 290هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء 443/13 وطبقات الحنابلة 52/1 .

6- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي الحسن علي بن محمد المطيري [3] قال : سمعت أبا الحسن الطرخاباذي الهمداني [4] يقول : أحمد بن حنبل محنة ، به يعرف المسلم من الزنديق[5] .

7- ما أخرجه الخطيب : أخبرنا الزهري قال : قال لنا أبو عبد الله بن بطة [6] : إذا رأيت العكبري يحب أبا حفص بن رجاء فاعلم أنه صاحب سنة [7] .

8- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي طالب محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضي[8] قال : قال أبو العباس بن أصرم [9] : وإذا رأيت الأنباري يحب أبا جعفر الحذاء، ومثنى بن جامع الأنباري فاعلم أنه صاحب سنة [10] .

التعليق :

---

(1) هو سفيان بن وكيع بن الجراح بن مليح ، الحافظ ابن الحافظ ، محدث الكوفة ، أبو محمد الرؤاسي الكوفي، كان من أوعية العلم على لين لحقه، ابتلي بوراق سوء، كان يدخل عليه الحديث، وكان يثق به، وقيل له بعد ذلك في أشياء منها، فلم يرجع، فمن أجل إصراره استحق الترك، مات سنة (247هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء 152/12 ، وتهذيب التهذيب 123/4 .

(2) تاريخ بغداد ، 420/4 .

(3) هو أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد المطيري، ولم أقف له على ترجمة .
وانظر: الأسماء المبهمة للخطيب 460/7 .

(4) هو أبو الحسين علي بن أحمد الطرخاباذي، روى بجرجان عن أبي يعلي الموصلي، روى عنه أبو نصر محمد بن أحمد الإسماعيلي .
انظر: تاريخ جرجان 305/1 ، والأنساب 59/4 ، واللباب للجزري 278/2 .

(5) تاريخ بغداد ، 420/4 .

(6) هو أبو عبد الله عبيدالله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري ، الإمام القدوة العابد الفقيه المحدث، شيخ العراق، ابن بطة الحنبلي، مصنف الإبانة الكبرى، ولد سنة 304هـ وكان مستجاب الدعوة وله مع فضله أوهام وغلط ، فيضعف في الحديث، مات سنة 387هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 529/16 ، وشذرات الذهب 122/3 .

(7) تاريخ بغداد ، 239/11 .

(8) هو أبو طالب محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول بن حسان بن سنان التنوخي القاضي أصله من الأنبار، وكان ثقة ، جميل الأمر ، حسن المذهب ، شديد التصون ، وممن كتب العلم وحدث بعد أبيه بسنين، مات سنة 348هـ .
انظر: الجرح والتعديل 42/2 ، وتاريخ بغداد 278/1 ، وتاريخ دمشق 54/61 .

(9) هو أحمد بن أصرم بن خزيمة بن عباد بن عبد الله بن حسان بن عبد الله بن مغفل صاحب رسول الله ﷺ، أبو العباس المزني ثم المغفلي بضم الميم وبالغين المعجمة وبالفاء المشددة، قدم أصبهان، كان يروي الكتب عن إبراهيم بن الجنيد، وموسى بن إسحاق القاضي يعظم شأنه ويرفع منزلته، قال الخلال: رجل ثقة كتبنا عنه ، وأبو بكر المروزي يرضاه ، ومن رضيه المروزي فحسبك به.اهـ وكان ثبتاً سنياً شديداً على أصحاب البدع، مات بدمشق سنة 285هـ .
انظر: الجرح والتعديل 42/2 ، وتاريخ بغداد 44/4 ، وإكمال الكمال 319/7 .

(10) تاريخ بغداد ، 414/5 .

قال السجزي – رحمه الله – [1] : " فلما علم أن الأئمة على ضربين أئمة حق ممدوحون، وأئمة ضلال مذمومون احتجنا إلى أن نبين أحوال الضربين ليتبع المحق ويهجر المبطل " .

فأئمة الحق هم المتبعون لكتاب ربهم سبحانه ، والمقتفون سنة نبيهم ﷺ المتمسكون بآثار سلفهم الذين أمروا بالاقتداء بهم ..

وأما أئمة الضلالة فالمشركون ، والمدعون الربوبية ، والمنافقون ، ثم كل من أحدث في الإسلام حدثاً وأسس بخلاف الحديث طريقاً ورد أمر المعتقدات إلى العقليات ولم يُعرف شيوخه بإتباع الآثار ولم يأخذ السنة عن أهلها أو أخذ عنهم ثم خالفهم " [2]

وقيل : " نيابة عن صاحب الشريعة، في حفظ الدين وسياسة الدنيا به وتسمى خلافة وإمامة"[3].

وإن مما يميز أهل السنة محبتهم لأئمة السنة ، والثناء عليهم ومدحهم ، والتقرب إلى الله – عز وجل – بحبهم ؛ لأن محبتهم من الأعمال الصالحة التي يثاب عليها ، المرء ومحبتهم لهم ناتجة عن محبتهم للسنة ، ولمن جاء بها ، وقد قال النبي ﷺ في الأنصار : (الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق . فمن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله) [4] ، وقال: (آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار) [5] ، وقال في علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق)[6] .

([1]) هو أبو نصر السجزي الإمام العالم الحافظ المجود شيخ السنة، عبيدالله بن سعيد بن حاتم بن أحمد، الوائلي البكري السجستاني، شيخ الحرم، ومصنف الإبانة الكبرى، الذي يدل على توسعه في علوم الأثر، وراوي الحديث المسلسل بالأولية ، إمام ثقة ، مات بمكة سنة 444هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 654/17 ، و شذرات الذهب 271/3.

([2]) الرد على من أنكر الحرف والصوت ، 206 – 216 باختصار .

([3]) مقدمة ابن خلدون ، ص 178 .

([4]) تقدم تخريجه ص279 .

([5]) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب علامة الإيمان حب الأنصار ، 28/1 ، ح 16 ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان ، 219/1 ، ح 109 عن أنس رضي الله عنه .

([6]) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان ، 220/1، ح 110 عن علي رضي الله عنه .

فمحبة أئمة السنة دليل على الإيمان ، وبغضهم دليل على النفاق ، بل وعلى الكفر ، لأن بغضهم بغض للسنة ، ولذا جاء في ترجمة الإمام أحمد عن الربيع بن سليمان ، قال الشافعي : " من أبغض أحمد بن حنبل فهو كافر ، فقلت تطلق عليه اسم الكفر ؟! فقال : نعم ، من أبغض أحمد بن حنبل عاند السنة ، ومن عاند السنة قصد الصحابة ، ومن قصد الصحابة أبغض النبي ﷺ ومن أبغض النبي ﷺ كفر بالله العظيم) (1) ، والمرء لا يعرف أنه من أهل السنة ولا يستحق أن يوصف بها إلا إذا أحب السنة وأهلها ، ولذا بوَّب ابن أبي حاتم في كتابه " الجرح والتعديل " فقال : باب استحقاق الرجل السنة بمحبته أحمد بن حنبل ، ثم ساق بسنده عن قتيبة بن سعيد : " إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة وجماعة " (2) .

ومن الآثار الواردة عن السلف في هذا المعنى ، ماوراه اللالكائي عن علي بن المديني ، قال: " وإذا رأيت الرجل يحب أبا هريرة ، ويدعو له ويترحم عليه ، فارج خيره ، واعلم أنه بريء من البدع " (3) ، وقال عبد الرحمن بن مهدي (4) : " إذا رأيت بصرياً يحب حماد بن زيد فهو صاحب سنة " (5) ، وقال قتيبة بن سعيد : " إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث مثل يحي بن سعيد ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وأحمد بن محمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه – وذكر أقواماً آخرين – فإنه على السنة ، ومن خالف هؤلاء فاعلم أنه مبتدع" (6) .

فمحبة أئمة السنة علامة يعرف بها السني من البدعي ، وأهل الحق من أهل الضلال (7)

وخلاصة القول إن منهج الخطيب البغدادي الذي هو منهج أهل السنة والجماعة يتمثل في التحذير والتشديد على أهل البدع و الكلام ؛ حسب الآثار السابقة ، بالتالي :

---

(1) طبقات الحنابلة ، 13/1 .
(2) 308/1 .
(3) اللالكائي ، 1 / 191 .
(4) هو عبدالرحمن بن مهدي بن حسان بن عبدالرحمن، الإمام الناقد المجود، سيد الحفاظ، أبو سعيد العنبري، وقيل: الأزدي، مولاهم البصري اللؤلؤي، ولد سنة 135هـ وكان إماماً حجة ، قدوة في العلم والعمل، يذهب مذهب تابعي أهل المدينة، ويقتدي بطريقتهم، ثقة خيار من معادن الصدق، وإذا حدث عن رجل فهو ثقة، مات بالبصرة سنة 198هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 193/9 ، وشذرات الذهب 355/1 .
(5) اللالكائي ، 1/ 69 رقم 38 .
(6) المصدر السابق ، 74/1 رقم 59 .
(7) الآثار العقدية الواردة عن أئمة السنة في تاريخ بغداد ، علي أبو حسبو ، 1/ 58-59 .

1- عدم الجلوس مع أهل الكلام والبدع .

2- عدم الإصغاء لكلامهم .

3- الكراهية لرؤيتهم .

4- ترك الرواية والتحديث عنهم .

5- عدم مناظرتهم ومجادلتهم .

6- عقوبتهم بالحبس .

7- إيراد ما ورد عن النبي ﷺ في ذمهم .

8- ترك السلام عليهم .

9- الحطّ من قدر رؤسائهم ؛ ببيان كذبهم ، وأنهم ليسوا من العقلاء .

10- ترك الصلاة في مساجدهم .

11- تعريف الناس ببدعتهم لكي تحذر .

12- ذكر مقولاتهم الفاسدة ومخازيهم .

13- بيان عاقبة الكلام والبدع ؛ ويتمثل في الآتي :

أ- الهلاك .

ب- أنه لا ينتج خيراً .

ت- سواد وجوه أصحابه يوم القيامة .

ث- حجب القلب عن الله .

14- جعل علامة فارقة بين السني والبدعي وهي محبة أئمة أهل السنة .

الفصل الرابع :

موقف الخطيب البغدادي
من مدعي الغيب

موقفه من مدعي الغيب

تعريف الغيب في اللغة :

كل ما غاب ، سواء عن العين أو غيرها من الحواس ، وكل ما جهل فهو غيب [1] .

يقول الراغب الأصفهاني [1] : " والغيب في قوله : (يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)[2] ما لا يقع تحت الحواس ، ولا تقتضيه بدائه العقول ، وإنما يعرف بخبر الأنبياء – عليهم السلام – ، وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد " [3] .

([1]) انظر : لسان العرب ، مادة : غيب ، 654/1 .

أقسام الغيب :

يمكن تقسيم الغيب إلى عدة اعتبارات مختلفة :

القسم الأول : **باعتبار علمه ومعرفته** ، وينقسم إلى نوعين :

أحدهما : غيب مطلق ، وهو الذي غاب عن جميع المخلوقين .

ثانيهما : غيب مقيد ، وهو ما علمه بعض المخلوقات من الملائكة أو الجن أو الإنس وشهدوه. فهذا إنما هو غيب لمن غاب عنه ، وأما من شهده فلا يعد عنده غيباً [4].

القسم الثاني : **باعتبار الزمان** ، وينقسم إلى ثلاثة أنواع :

الأول : غيب ماض ، وهذا كالأحداث التاريخية الماضية التي لم نشهدها .

الثاني : غيب حاضر ، وذلك كتسجيل الملائكة للأعمال ، وما يجري اليوم من أحداث .

الثالث : غيب مستقبلي ، مثل كسب الغد ، وعلم الساعة ، ونزول الغيث وغير ذلك[5].

القسم الثالث : **باعتبار وروده** ، و ينقسم إلى ثلاثة أنواع :

أحدها : غيب جاء في القرآن .

ثانيها : غيب جاء في السنة الصحيحة متواترها وآحادها .

ثالثها : غيب جاء عن طريق الإسرائيليات والأخبار التي لا يعلم صدقها ولا كذبها [6].

مفاتح الغيب :

اختص الله – سبحانه وتعالى – نفسه بمعرفة مفاتح الغيب ، قال تعالى : (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ) [7] .

---

(1) هو العلامة الماهر، المحقق الباهر، أبو القاسم، الحسين بن محمد بن المفضل الملقب بالراغب الأصبهاني، صاحب التصانيف، كان من أذكياء المتكلمين، من تصانيفه كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، وهو كتاب جليل كان الإمام الغزالي يحمله معه دائماً في رحلاته، وكتاب المفردات في غريب القرآن، مات في القرن الرابع أو الخامس الهجري .

انظر: سير أعلام النبلاء 121/18 ، ومجلة المجمع العلمي العربي 275/24 .

(2) سورة البقرة ، الآية : 3 .

(3) المفردات ، ص 552 .

(4) انظر : مجموع الفتاوى ، 16/ 110 .

(5) انظر : الإيمان بالغيب ، لبسام سلامة ، ص 33 .

(6) انظر : الإيمان بالغيب ، لبسام سلامة ، ص 34 .

(7) سورة الأنعام ، الآية 59 .

قال الشيخ عبد الله الغنيمان : " وعبَّر عن هذه الأمور الخمسة بالمفاتيح ؛ لتقريب الأمر من السَّامع ، لأن كل شيء جعل بينك وبينه حجاب ، فقد غيب عنك ، والتوصل إلى معرفته في العادة من باب الحجاب ، فإذا كان المفتاح الذي لا يمكن الوصول إلى ما في داخل الحجاب إلا بمعرفته لا يعلم ، فكيف بما في داخل الحجاب ؟ " [1] .

وقال – تعالى – : (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[2] .

سبب نزول هذه الآية .. أن الحارث بن عمرو بن حارثه بن محارب بن حفصة أتى النبي ﷺ فسأله عن الساعة ووقتها ، وقال : إن أرضنا أجدبت ، فمتى ينزل لغيث ؟ وتركت امرأتي حبلى فمتى تلد ، وقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت ؟ فأنزل الله – تعالى – هذه الآية[3] .

قال الصاوي [4] : " والحكمة في كونه – تعالى – أضاف العلم إلى نفسه في الثلاثة الأول، ونفى العلم عن العباد في الأخيرتين منها مع أن الخمسة سواء في اختصاص الله – تعالى – بعلمها ونفي علم العباد بها ، أن الثلاثة الأول أمرها عظيم ، لا يتوهم في الخلق علمها ، بخلاف الأخيرتين ، فهما من صفات العباد ، فربما يتوهمون علمها ، فإذا انتفى عنهم علمها ، كان انتفاء علمهم بغيرها أولى " [5] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :(مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله) [6] .

---

(1) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، 111/1 .
(2) سورة لقمان ، الآية 34 .
(3) أسباب النزول ، للواحدي ، ص 199 .
(4) هو أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي: فقيه مالكي، نسبته إلى (صاء الحجر) في إقليم الغربية، بمصر ولد 1175هـ ، من كتبه حاشية على تفسير الجلالين ، وحواشٍ على بعض كتب الشيخ أحمد الدردير في فقه المالكية ، والفرائد السنية ، وشرح همزية البوصيري، مات بالمدينة المنورة سنة 1241هـ .
انظر: الأعلام 246/1 ، ومعجم المؤلفين 111/2 .
(5) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، 3 / 261 .
(6) تقدم تخريجه ص 268 .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : " هذه الخمسة لا يعلمها إلا الله – تعالى – ولا يعلمها ملك مقرب ، ولا نبي مرسل " [1] .

اختصاص الله – تعالى – بعلم الغيب :

اختص الله – سبحانه وتعالى – نفسه بعلم الغيب ، فلم يشاركه فيه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، والآيات والأحاديث الدالة على اختصاصه – جل وعلا – بالعلم كثيرة ، منها :

قال – تعالى – : (أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) [2] .

وقد نفى الله – سبحانه – إطلاع أحد من خلقه على الغيب ، فقال – تعالى – : (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ) [3] .

وقال – جل وعلا – مخبراً عن جواب نبيه عيسى – عليه الصلاة والسلام – حيث قال : (إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ) [4] .

وقال – تعالى – : (فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ) [5] .

وقال – سبحانه – : (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [6].

وقال – جل وعلا – : (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) [7].

قال ابن كثير – رحمه الله – : " وقوله تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ) هذه كقوله – تعالى – : (وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء)[8].

([1]) القرطبي في تفسيره ، 82/14 .
([2]) سورة البقرة ، الآية 33 .
([3]) سورة آل عمران ، الآية 179 .
([4]) سورة المائدة ، الآية 116 .
([5]) سورة يونس ، الآية 20 .
([6]) سورة النمل ، الآية 65 .
([7]) سورة الجن ، الآية 26 – 27 .
([8]) سورة البقرة ، الآية 225 .

وهكذا قال هنا إنه يعلم الغيب والشهادة ، وأنه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا بما أطلعه الله – تعالى – عليه ، ولهذا قال : (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ) (1) ، وهذا يعم الرسول الملكي والبشري " (2).

وعن جابر – رضي الله تعالى عنه – قال : (كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها ،كما يعلم السورة من القرآن ، يقول : إذا هم أحدكم بالأمر ، فليركع ركعتين من غير فريضة ، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علاّم الغيوب .. الحديث (3) .

أهمية الإيمان بالغيب :

إن الإيمان بالغيب من أهم صفات عباد الله المؤمنين ، حيث أثنى الله – تعالى – عليهم بقوله : (الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(4).

ويقول ابن تيمية : " وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب ، كما قال تعالى : (الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)(5) ، والغيب الذي يؤمن به ما أخبرت به الرسل من الأمور العامة ، ويدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته ، وملائكته ، والجنة والنار ، فالإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر يتضمن الإيمان بالغيب.."(6).

ويقول الشيخ السعدي عند تفسيره لقوله تعالى : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) : " حقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل ، المتضمن لانقياد الجوارح ، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس ، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر ، إنما الشأن في الإيمان بالغيب ، الذي لم نره ولم نشاهده ، وإنما نؤمن لخبر الله وخبر رسوله .

---

(1) سورة الجن ، الآية 26 – 27 .
(2) تفسير القرآن العظيم ، 434/4.
(3) تقدم تخريجه ص 257 .
(4) سورة البقرة ، الآية 1–5 .
(5) سورة البقرة ، الآية 1–3 .
(6) مجموع الفتاوى ، 233/13 .

فهذا الإيمان الذي يميز به المؤمن من الكافر ؛ لأنه تصديق مجرد لله ورسله ، فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به ، أو أخبر به رسوله ، سواءً شاهده ، أو لم يشاهده ، وسواءً فهمه وعقله ، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه ، بخلاف الزنادقة والمكذبين بالأمور الغيبية ، لأن عقولهم القاصرة والمقصرة لم تهتد إليها ، فكذبوا بمالم يحيطوا بعلمه ، ففسدت عقولهم ، ومرجت أحلامهم"[1].

وإذا تقرر وجوب الإيمان بالغيب ، فإن لهذا الإيمان ما يناقضه ؛ كمن يدعي علم الغيب من السحرة والكهنة والمنجمين والعرافين والمشعوذين .. وغيرهم .

وسوف أتحدث عن التنجيم وعلم النجوم بشكل مجمل ؛ وذلك لأن الخطيب البغدادي – رحمه الله – له مؤلف كامل تحدث فيه عن علم النجوم ورأيه فيه ، المسمى بـ (القول في النجوم) .

تعريف التنجيم :

التنجيم في اللغة : مصدر "نجم" المشتق من النجم ، وهو الكوكب .

والتنجيم ، صنعة المنجم ، وهو الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها [2] .

والتنجيم في الاصطلاح : اختلف الناس في تعريفه ، والاختلاف اختلاف عباراتٍ فقط والمعنى واحد .. منها :

تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية : عرّ ف شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – التنجيم بأنه : " الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية ، والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية كما يزعمون " [3] .

أنواع التنجيم المحرم ..

للتنجيم أنواع عديدة منها :

النوع الأول : ما يفعله عبدة النجوم ويعتقدونه في السبعة السيارة وغيرها ، فقد بنوا بيوتاً لأجلها ، وصوروا فيها تماثيل سموها بأسماء النجوم ، وجعلوا لها مناسك وشرائع يعبدونها بكيفياتها ، ويلبسون لها لباساً خاصّاً ، وينحرون لها من الأنعام أجناساً خاصة ، لكل نجم منها جنس زعموا أنه يناسبه ، وكل نجم جعلوا لعبادته أوقاتاً مخصوصة كأوقات الصلوات عند المسلمين .

---

(1) تيسير الكريم المنان ، 41/1 .
(2) انظر : الصحاح للجوهري ، مادة : نجم ، 230/5 ، وَ لسان العرب ، مادة : نجم ، 570/12 .
(3) مجموع الفتاوى ، 192/35 .

النوع الثاني : ما يفعله من يكتب حروف أبي جاد ، حيث يجعلون لكل حرف منها قدراً من العدد معلوماً ، ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها ، ويجمع جمعاً معروفاً عندهم ، ثم يطرحون منه طرحاً خاصاً ، ويثبتونه إثباتاً خاصاً ، وينسبونه إلى الأبراج الاثني عشر المعروفة عند أهل الحساب ، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها.

النوع الثالث : النظر في حركات الأفلاك ودورانها وطلوعها وغروبها واقترانها وافتراقها ، معتقدين أن لكل نجم منها تأثيرات في كل حركاته منفرداً ، وله تأثيرات أخر عند اقترانه بغيره في غلاء الأسعار ورخْصِها ، وهبوب الرياح وسكونها ، ووقوع الكوائن والحوادث، ومن هذا القسم : الاستسقاء بالأنواء .

النوع الرابع : النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين ، مع اعتقاد التأثيرات في اقتران القمر بكل منها ومفارقته ، وأن في تلك سعوداً ونحوساً وتأليفاً وتفريقاً وغير ذلك (1) .

تعريف الكهانة :

الكهانة : " ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب " (2) . والكاهن هو : " الذي يخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضها ، ويخطئ أكثرها ، ويزعم أن الجن تخبره بذلك " (3) .

والأصل في الكهانة : استراق الجن السمع من كلام الملائكة ، فتلقيه في أذن الكاهن (4) . كما في صحيح مسلم من حديث عائشة قالت : قلت : يا رسول الله إن الكهان كانوا يحدثوننا بالشيء فنجده حقاً ، قال : (تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه ويزيد فيها مائة كذبة) (5) .

من أدلة تحريم الكهانة :

من القرآن : (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) (6)

---

(1) معارج القبول ، 522/1 – 524 .
(2) تيسير العزيز الحميد ، ص 409 .
(3) الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيثمي ، 2/ 109 ، وغذاء الألباب ،1 /249 .
(4) تيسير العزيز الحميد ، ص 409 .
(5) تقدم تخريجه ، ص 143 .
(6) سورة النمل ، الآية 65 .

من السنة : عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال : (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) (1) .

حكم إتيان الكهان :

إتيان الكهان ينقسم إلى أقسام :

1- أن يأتيه فيسأله ويصدقه بما يقول ، فهذا كفر بالله – عز وجل – لأنه صدقه في دعوى علم الغيب ، وقد قال – تعالى – : (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ)(2)، وقال رسول الله ﷺ : (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول : فقد كفر بما أنزل على محمد) (3) ، قال سليمان بن عبد الله : " وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان لاعتقاده أنه يعلم الغيب ، وسواء كان ذلك من قبل الشياطين ، أو من قبل الإلهام لاسيما وغالب الكهان في وقت النبوة إنما كانوا يأخذون عن الشياطين " (4) .

2- أن يأتيه فيسأله من غير أن يصدقه ، فهذا محرم ، وعقوبة فاعله أن لا تقبل له صلاة أربعين ليلة ، كما في صحيح مسلم : (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل صلاة أربعين ليلة) (5) . " وإنما عوقب بذلك لأنه خالف الشرع في النهي عن إتيان العرّاف والكاهن ونحوهما ، وربما جرّه ذلك إلى التصديق فيكفر ، فاستحق العقوبة لذلك " (6) . قال النووي : " وأما عدم قبول صلاته فمعناه أنه لا ثواب له فيها وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض ، عنه ولا يحتاج معها إلى إعادة – إلى أن قال – فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلوات

(1) تقدم تخريجه ، ص143 .

(2) سورة النمل ، الآية : 65 .

(3) أخرجه أبو داود ، كتاب الطب ، باب في الكاهن ، 10 /410 ، ح 3405 ، وابن ماجه ، كتاب الطهارة ، باب النهي عن إتيان الحائض ، 302/2 ، ح 631 عن أبي هريرة ﷺ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ، 173/9، ح (3387) .

(4) تيسير العزيز الحميد ، ص 413 ، وفتح المجيد ، ص 302 .

(5) تقدم تخريجه ص 308 .

(6) الفتح الرباني ، 16/ 134 .

أربعين ليلة فوجب تأويله " [1] . وقال صاحب التيسير : " والصواب أن عدم الإعادة لا يستلزم الإجزاء " [2] .

3- أن يأتيه ليمتحنه ويختبره ، فهذا جائز ، ودليل ذلك ما فعله النبي ﷺ مع ابن صياد [3] حينما قال له : (إني خبأت لك خِبئاً ، فقال ابن صياد هو الدُّخ . فقال رسول الله ﷺ اخسأ فلن تعدو قدرك) [4] . قال شيخ الإسلام [5] : " وأما إن كان يسأل المسئول ليمتحن حاله ويختبر باطن أمره وعنده ما يميز به صدقه من كذبه فهذا جائز ، ثم استدل بحديث ابن صياد المتقدم " [6] .

موقف الخطيب البغدادي من مدعي الغيب :

* إبطاله – رحمه الله – لدعوى الكهنة والمنجمين في أن هذه الكواكب تنبئ عن علم الغيب ، وأنهم يعلمون الغيب بالنظر في أحوالها وتفرقها واجتماعها ، وأنهم يعلمون الحوادث الأرضية بالاستدلال عليها بذلك ، فهذا كله منافٍ لصفة عظيمة اختص الله – تعالى – بها ، وهي علمه بالغيب ، الذي طواه عن كل أحد ، كما قال تعالى : (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) [7] ، وكما قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي

---

(1) شرح مسلم 14 / 227 .

(2) تيسير العزيز الحميد ، ص 411 .

(3) هو عبد الله بن صائد وكان اسمه صاف، وهو الذي يقال له ابن صياد ذكره ابن شاهين والباوردي وابن السكن وأبو موسى في الذيل قال ابن شاهين: كان أبوه من اليهود ولا يدرى من أي قبيلة هو، وهو الذي يقال إنه الدجال ولد على عهد رسول الله ﷺ أعور مختوناً، ولد بالمدينة وكان له نسل، فكان يحتج بذلك على أنه ليس الدجال ، فقد كان النبي ﷺ يظنه هو ، وكذا كثير من الصحابة، وقد ذكره بعضهم في الصحابة ولا وجه له، لأنه إن كان الدجال فليس بصحابي قطعاً لأنه يموت كافراً وإن كان غيره –وهو= الصحيح الثابت في الأحاديث أخيراً كحديث تميم وغيره– فهو حال لقيّه النبي ﷺ لم يكن مسلماً، والأرجح أنه مات يوم الحرة بالمدينة سنة 63هـ وابنه عمارة من الرواة متفق على توثيقه .
انظر: تهذيب الأسماء واللغات 175/2 ، والإصابة في تمييز الصحابة 192/5 .

(4) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام ، 140/5 ، ح 1267 ، ومسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر ابن صياد ، 153/14 ، ح 5207 ، 5215 عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(5) مجموع الفتاوى ، 19 / 62 .

(6) الآثار العقدية الواردة عن أئمة السلف في تاريخ بغداد ، 1/ 257 – 258 .

(7) سورة النمل ، الآية : 65 .

الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(1) ، وقول النبي ﷺ :

(خمس لا يعلمهن إلا الله ...) (2) إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث .

وهؤلاء يزعمون أنهم بتعلقهم بالنجوم يعلمون ما في هذا الكون ، ويعلمون من يولد له ومن لا يولد له ..؟ ومتى سينزل المطر ..؟ وغير ذلك .. كما أبطل ما يزعمه المنجمون من أن لهذه الكواكب تأثيراً في العالم الأرضي ، إذ هي - بزعمهم – سبب للسعادة

والنحوسة و الحرب والسلم ، والجوع والشبع ، والعطش والريّ ، والكثرة والقلة ، ، وغير ذلك مما يكون باجتماعها وتفرقها ..

فقد بيّن بطلان ذلك من الكتاب والسنة والإجماع ، وأقوال المنجمين أنفسهم ، أبطل ذلك كله من خلال تأليفه لكتاب (القول في النجوم) .. ففيه ردّ على من يدعي معرفة علم الغيب من منجم ، و كاهن ، و عراف .. وغيرهم .

*كما أثبت فيه – رحمه الله - اختصاص علم الغيب لله – تعالى – وحده .. (3) فأخرج عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ مرَّ بنساء من الأنصار في عُرس وهن يُغنّيْن :

وأهدى لها كبشا تَنَحْنَحَ في المربدِ

وزوجك في النادي ويعلم ما في غدِ

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : (لا يعلم ما في غدٍ إلا الله – تعالى -) (4).

وأخرج عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول – صلى الله عليه وسلم - : (مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما في الأرحام إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم ما غدٍ إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة أحد إلا الله – عز وجل -) (5).

قال : وقد نطق القرآن بمثل ما تضمنه هذا الحديث :

---

(1) سورة لقمان ، الآية : 34 .
(2) تقدم تخريجه ص 269 .
(3) القول في النجوم ، 194-197 .
(4) تقدم تخريجه ص 268 .
(5) تقدم تخريجه ص 268 .

قال الله – تعالى – : (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ) [1] الآية ، ولم يذكر الله – تعالى – أن عنده علم هذه الأشياء وفي خلقه من يعلمها كعلمه ، ولو كان في خلقه من يعلمها كعلمه ما كان لوصفه نفسه بالعلم بها موقع يختص بالتسليم إليه ؛ لمشاركة خلقه فيها ، ولا إفادة للمتصفح قراءتها، وإذا اشترك الخالق والمخلوق في شيء ، فكيف يتبين القادر منهما والعاجز فيهما على أوضاع المنجمين ، وهم قد شاركوا ربّ العالمين – تبارك وتعالى – في علم هذه الأمور ؟ لأن منهم من يخبر أن طوفان نار يكون آخر الزمان في وقت بعينه يحدُّه يأتي على الخلق ينتثر له الكواكب ، فالمظهرُ للتمسك بالشرع منهم يقول : إنه القيامة التي ذكرها الله – تعالى – ويتكلمون – أيضاً – في الغيث وفي تحاويل السنين ، ويحكمون على الجنين في بطن أمه من طالع يؤخذ للوقت ، أو كان أُخذ لسقوط النطفة ، فيقولون : ذكر هو أو أنثى ، ومتى تلقيه أمه ، ويتحققون بحكمهم مدة عُمُره ، وما يكون حرفته ، وأي شيء يصير إليه من كسْبِه ، وأين تكون مَنيَّته .

ولو صح أن أقوال المنجمين في القطع على الآجال صحيحة غير سقيمة ، وفي الأرزاق والاكتساب صادقة غير كاذبة ، لاحتراس العباد من مالكهم ، وجازت عليه حِيَلهم ، وأفسد إرادته مكرهم .

* محاربته للتنجيم وما يلحق بها من الكهانة والسحر .. وذلك بتحدثه – رحمه الله – بتفصيل عن التنجيم وما يلحق بها من الكهانة والسحر ، في الكتاب نفسه ، وتضمن حديثه المفصل عنها عدة مسائل ، وهي كما يلي :

1/ أقسام علم النجوم ، والأدلة عليها من القرآن والسنة والآثار وأقوال العرب ..

وذلك أنه عندما سُئل عن النجوم ، وهل الشروع فيه محمود أو مذموم ؟ أجاب بأن علم النجوم يشتمل على ضربين :

أحدهما : مباح ، وتعلمه فضيلة .

والآخر : محظور والنظر فيه مكروه .

([1]) سورة لقمان ، الآية : 34 .

وتحدث عن الضرب الأول : وهو العلم بأسماء الكواكب ومناظرها ومطالعها ومساقطها وسيرها والاهتداء بها ... والتوصل إلى جهة القبلة بالنجوم ، ومعرفة مواقيت الصلاة وساعات الليل بظهورها وأفولها .

بعد ذلك شرع في الاستدلال عليها ، فأورد في ذلك عدداً من الآيات الكريمة من كتاب الله جل شأنه ، منها قول الله سبحانه : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [1] .

وقال تعالى : (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)[2].

وقال عز وجل : (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ)[3].

وقال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [4] .

وجاء في الآثار من ذلك : عن أبي هريرة ؟ﷺ قال : قال النبي ﷺ :

(أحب عباد الله إلى الله رعاء الشمس والقمر ، الذين يحببون عباد الله إلى الله ، ويحببون الله إلى عباده) [5] .

وأخرج عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ : (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، ومن النجوم ما تهتدون به في الظلمات) [1].

([1]) سورة يونس ، الآية : 5 .

([2]) سورة يس ، الآية : 39 .

([3]) سورة الرحمن ، الآية : 5 .

([4]) سورة الأنعام ، الآية : 97 .

([5]) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (1438) من طريق أبان عن العلاء بن زياد عن أبي هريرة ﷺ.
وأبان –وهو ابن أبي عياش– متروك.
وقد رواه البيهقي في السنن الكبرى 379/1 من طريق واصل عن أبي أيوب الأسواري –وفي بعض النسخ: واصل بن أيوب الأسواري– عن أبي هريرة ﷺ موقوفاً بلفظ: ألا إن خيار أمة محمد ﷺ الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم لمواقيت الصلاة. ولم أعرف واصلاً ولا شيخه.
وقد عزاه السيوطي في تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش صـ10 عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: أحب عباد الله إلى الله، الذين يراعون الشمس والقمر – وفي لفظ: والنجوم – والأظلة لذكر الله. عزاه إلى "الحاكم وغيره بإسناد صحيح". قلت: وإنما رواه وصححه في المستدرك (163) عن ابن أبي أوفى! وانظر الصحيحة (3440) .

وأخرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : (ما بين المشرق والمغرب قبلة) (2) .

وأخرج عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ، ثم انتهوا ، وتعلموا من الأنساب ما تصلون به أرحامكم ، وتعرفون ما يحل لكم مما يحرم عليكم من الأنساب ، ثم انتهوا " (3) .

وأخرج عن أبي الدرداء أنه قال : " لئن شئتم لأقسمن أن أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر ، ويراعون النجوم والأظلة لذكر الله – عز وجل – " (4) .

ومن أقوال العرب الدالة على معرفتهم بالنجوم ، ما أخرجه بسنده عن أبي جعفر الراسبي (5) قال : قالوا – يعني العرب – : " إذا طلع الشرطان ، ألقت الإبل أوبارها في الأعطان ، واعتدل الزمان ، واخضرت الأغصان ، وتهادت الجيران " (6) .

وأيضا ذكر الخطيب البغدادي – رحمه الله – معرفتهم بأوقات الرياح والمطر ، فقال : فالعرب تعرف أوقات المطر والرياح والحرِّ والبردِ بمطالع النجوم ، ولهم في ذلك فضيلة بيِّنَة، وإذا رأوا

---

(1) أخرجه الديلمي ، 43/2 ، ح 2248 ، وابن السني – كما في كنز العمال ، 219/10 ، ح 29161 عن ابن عمر رضي الله عنه . والخرائطي في مساوئ الأخلاق (750) عن عبد الله بن أبي سلمة عن أبيه . وفي إسناده أصرم بن غياث النيسابوري ؛ منكر الحديث .
وأخرجه البيهقي فى شعب الإيمان ، 269/2 ، ح 1723 عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ح (2456) .

(2) تقدم تخريجه ، ص67 .

(3) أخرجه عن عمر رضي الله عنه هناد ، 487/2 ، ح997،996 ، ابن أبي شيبة ، 240/5 ، ح25649 ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ، 490/2 ، وابن النجاد في مسند عمر وابن المنذر – كما في الدر المنثور ، 328/3 ، وابن زنجويه – كما في فيض القدير ، 337/3 ، وذكر فيه قول عبد الحق : وليس إسناده مما يحتج به . وقول ابن القطان : فيه من لا أعرف ، وقال في التيسير بشرح الجامع الصغير ، 917/1 : وليس إسناده مما يحتج به اهـ . =
قلت: لكن طعنهم منصب على إسناد واحد كما هو ظاهر، وللأثر أسانيد كثيرة ، فلعله يقوى بمجموعها، والله أعلم .
وقد ورد بأسانيد أخرى بلفظ : تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق ثم أمسكوا. رواه المعافى في الزهد ، (144) ، وابن شبة في تاريخ المدينة ، 798/3 ، والسمعاني في الأنساب 23/1، وحرب الكرماني كما في التلخيص الحبير ، 407/2 .

(4) رواه وكيع في الزهد (339، 342) ، وابن المبارك في الزهد (1303) ، وأحمد في الزهد صـ143، والحاكم (164) ، والبيهقي 379/1 عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

(5) لم أقف له على ترجمة ، غير أن في المجموع 25/3 ما يدل أن له كتاب المواقيت .

(6) الأنواء ، ص22 ، وعجائب المخلوقات ، ص 42 .

السحاب عرفوا : هل هي ذات مطرٍ أم لا ؟ وهل مطرها كثيرٌ أو غيرُ كثيرٍ؟ وهل هي مما قد أهراق ماءَه أو ماؤه فيها ؟ وقد روي عن النبي ﷺ في ذلك [1] .

قال عوف بن الحارث : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا نشأت السماء بحرية ثم تشامت ، فتلك عين ، أو قال : عام غديقة) يعني مطراً كثيراً " [2] .

وأما الضرب الثاني : " وهو المحظور ، فهو ما يدعيه المنجمون من الأحكام ، وليس أشد إتعاباً للفكر ، وإنصاباً للبدن ، وإضلالاً للفهم منه ، فإذا أنفد الناظر فيه عمره بإسهار الليل ، وشغل القلب عن المطعم والمشرب واللذات والعمل للدنيا والآخرة ، وتباعد من الله ورسوله ومن عباده الصالحين ، ورماه الناس عن قوس واحدةٍ بالكفر والزندقة ، كان عرفه الذي انتهى إليه ، وزبدته التي مخض عنها علم كسوف الشمس والقمر متى يكون ؟ وفي أي وقت يحدث من الليل والنهار ؟ ومقدار ما يكسف من كل واحد منهما ووقت الانجلاء ؟ وهذا علم لا ينفع الله به بوجه من الوجوه ، ولا يستدل به على أمر من الأمور، وإنما الكسوف شيء قدره الله — سبحانه — بمسير الشمس والقمر ، فيكون باجتماعهما أو تقابلهما ، وليس على من لم يعلم وقت الكسوف حين يكون من عيب ولا نقص ، وإنما يكون العيب في الجهل بما تعلمه العرب من أمر النجوم الذي تقدم ذكرنا له ، فإن استزله الشيطان ، وأطمعه في القضاء والأحكام ، واعتقد في الكسوف أنه لموت أحد أو حياته ، أو حلول حادثة ووقوع جائحة فقد عقله ، الشيطان بالغرور ، وقطع

---

(1) القول في النجوم ، ص 157 .

(2) ذكره مالك في موطئه (452) بلاغاً، ورواه الشافعي في الأم 561/2 قال : أخبرنا من لا أتهم قال: حدثني إسحاق بن عبد الله أن النبي ﷺ قال..وذكره.

قال ابن عبد البر في الاستذكار 439/2: وابن أبي يحيى –يعني الذي قال الشافعي :من لا أتهم–مطعون عليه متروك، وإسحاق بن عبد الله هو ابن أبي فروة ضعيف أيضاً متروك الحديث، وهذا الحديث لا يحتج به أحد من أهل العلم بالحديث لأنه ليس له إسناد.اهـ

قلت : ووصله أبو الشيخ في العظمة (722، 726) ، والطبراني في الأوسط 371/7/(7757) ، وابن أبي الدنيا في كتاب المطر والرعد والبرق (41) ، ومن طريقه ابن الصلاح في كتاب وصل بلاغات مالك صـ 8 من طريق أخرى عن عائشة رضي الله عنها. ثم قال ابن الصلاح: وليس إسناده بذاك.اهـ فقد قال الطبراني: تفرد به الواقدي.اهـ قلت: وهو متروك . =

ثم لخص ابن الصلاح الكلام فيه في عبارتين فقال: لا يصح أصلاً؛ لا بلفظه المذكور ولا بمعناه.اهـ ثم قال صـ7: وورد ما هو في معناه بتمامه في غير الموطأ لكن من وجه لا يثبت.اهـوانظر فتح الباري لابن رجب 340/6 .

أسبابه من الدين ؛ لأن الله – تعالى – استأثر بالغيب دون أنبيائه وملائكته ، إلا ما أطلعهم عليه ".

بعد ذلك شرع في الاستدلال عليه ، فمن الأحاديث التي استدل بها ، ما أخرجه عن عبد الله بن مسعود قال : (انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فقالوا : إنما انكسفت لموت إبراهيم ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد ، فصلى بالناس ، ثم قال : أيها الناس ، إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة) [1] .

وأخرج عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أخاف على أمتي تكذيباً بالقدر، وصدقاً بالنجوم) [2] .

وأخرج عن جنادة قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاث من فعال الجاهلية لا يَدَعُهُنَّ أهل الإسلام : استناءة بالكواكب ، وطعن في النسب ، والنياحة على الميت) [3] .

2/ منازل القمر .. تحدث الخطيب –رحمه الله – عن منازل القمر ومدة مكثه فيها ، وقال : " ولهم من الأسجاع في هذا الضرب أكثر من هذا ، ولهم – أيضاً _ أسجاع في تقدير مكث الهلال والقمر من أول ليلة من الشهر إلى عشر منه " .

وأخرج عن أبي إسحاق إبراهيم بن السَّري الزجاج [4] ، قال : " وللعرب في تقدير الهلال والقمر من أول ليلة إلى عشر شيء يسجعون فيه ، ويبيِّنون مقدار مكث القمر على عادتهم في التمثيل

([1]) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب الكسوف ، باب الصلاة في كسوف الشمس ، 189/4 ، ح 1001 ، ومسلم ، كتاب الكسوف ، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف الصلاة الجامعة ، 469/4 ، ح 1522 عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

([2]) أخرجه أبو يعلى ، 162/9 ، ح 4024 ، وابن عدي ، 34/4 ، وابن عساكر ، 207/23 عن أنس رضي الله عنه . قال الهيثمي في المجمع 203/7 : فيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف . اهـ ، لكن قال المناوي في فيض القدير 204/1 : حسن لغيره . اهـ ، وانظر السلسلة الصحيحة ، 118/3 ، ح (1127) .

([3]) انظر : القول في علم النجوم ، ص 126–172 . والحديث أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب القسامة في الجاهلية (3637) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

([4]) إمام أهل اللغة في زمانه ، له " معاني القرآن وإعرابه " ، "تفسير أسماء الله الحسنى " وغيرها ، توفي سنة 311 هـ .

انظر : تاريخ بغداد 89/6 ، سير أعلام النبلاء 14 / 360 .

، فيقولون : الهلال ابن ليلةٍ ، رَضَاع سُخَيلة ، حل أهلها برميلة ، أي قدر مكثه ذلك القدر ...إلخ " [1] .

3/ النظر في أحكام النجوم لا يفيد علماً صحيحاً .. والأحاديث المأثورة في النهي عن النظر في أحكام النجوم .. قال – رحمه الله – : ولو كان النظر في أحكام النجوم يفيد علماً صحيحاً ، لم يَجُزْ استعماله ؛ لأن شريعتنا قد حظرته ونهت عنه ، فلا يجوز لمسلم الدخول فيه، وكيف يجوز استعمال ذلك وقد حظر علينا النبي ﷺ ما دونه من تعليق الخرز والحلق للمنفعة بها .

وأخرج الخطيب البغدادي عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ (رأى في عضد رجل حلقة من صفر ، فقال : ما هذا ؟ فقال : من الواهنة [2] ، قل انبذها عنك ، فإنها لا تزيدك إلا وهناً ، لو مت وهي عليك وكلت إليها)[3] ، وأخرج الخطيب البغدادي عن أبي قلابة قال :

(قطع رسول الله ﷺ التميمة من قلادة الصبيّ) قال : والشيء يحرز في عنق الصبي من العين، وقطعها من عنق الفضل بن عباس رضي الله عنهما [4] .

قال الخطيب البغدادي : فقد ورد هذا التغليظ في تعليق حلقة ونحوها ، فكيف في خدمة كوكب وطاعة منجِّم ؟!

ومن الأحاديث المأثورة في النهي عن النظر في أحكام النجوم .. ما أخرجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(لا تسألوا عن النجوم ، ولا تفسروا القرآن برأيكم ، ولا تسبوا أصحابي ، فإن ذلك الإيمان المحض) [5] .

---

(1) القول في النجوم ، ص 150 .

(2) الواهنة : عرق يأخذ في المنكب ، وفي اليد كلها ، وقيل : مرض يأخذ في العضد . انظر : " النهاية في غريب الحديث " لابن الأثير ، 234/5 .

(3) تقدم تخريجه ، ص71 .

(4) تقدم تخريجه ، ص71 .

(5) أخرجه الديلمي ، 64/5 ، ح 7470 ، وجامع الأحاديث للسيوطي ، 139/16 عن عمر رضي الله عنه. وفي سنده البختري بن عبيد وهو متروك .

وأخرج الخطيب البغدادي عن علي رضي الله عنه قال : (نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النظر في النجوم ، وأمرني بإسباغ الطهور) [1] ، وبطريق آخر عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا علي أسبغ الوضوء ، وإن شق عليك ، ولا تأكل الصدقة ، ولاتُنْز الحمير على الخيل ، ولا تجالس أصحاب النجوم)[2] .

وأخرج الخطيب البغدادي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النظر في النجوم) [3] .

وأيضاً أخرج الخطيب البغدادي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا) [4] .

([1]) أخرجه الخطيب فى موضح أوهام الجمع والتفريق (81/2 ، رقم 183) ، والمتفق والمفترق (489) ، وابن عدي في الكامل 135/3 عن علي رضي الله عنه. وفي سنده الربيع بن حبيب عن نوفل بن عبد الملك، وكلاهما ضعيف. قال ابن عدي: ليس بالمحفوظ ولا يروى إلا من هذا الطريق.اهـ

([2]) أخرجه أحمد في مسند العشرة المبشرين في الجنة في مسند علي رضي الله عنه ، 55/2 ، ح 549 ، وعبد الله بن أحمد فى زوائده ، 78/1 ، ح 582 ، وفضائل الصحابة (1242) ، وأبو يعلى ، 376/1 ، ح 484 ، والخطيب ، 434/7 ، والعقيلي في الضعفاء الكبير ، 65/3 ، ح 572، وابن مردويه كما في كنز العمال ، 278/10 ، والخرائطي في مساوئ الأخلاق ، (741) عن علي رضي الله عنه. قال العقيلي : وأما النظر= في النجوم ففيه روايةٌ الغالبُ عليها اللِّين . اهـ ، قال الهيثمي 236/1: فيه القاسم بن عبد الرحمن وفيه ضعف . اهـ ، وقال الذهبي في الميزان 522/1 : هذا حديث منكر جداً . اهـ

([3]) أخرجه ابن حبان في الضعفاء ، 199/2 ، ح 50 ، والبيهقي فى شعب الإيمان ، 306/4، ح 5198، والعقيلي في الضعفاء ، 467/6، ح 1537 ، وابن عدي ، 278/5 ، ح 1415 ، والخطيب ، 133/6 ، وابن النجار كما في كنز العمال (29436) ، والطبراني في المعجم الأوسط، 131/8 ، ح 8182 ، والدقاق في فوائده ، ص133 ، ومسدد كما في إتحاف الخيرة المهرة، 63/1 ، ح 378 ، والذهبي في تذكرة الحفاظ ، 750/2 ، وابن عساكر ، 280/41 عن أبي هريرة رضي الله عنه .
قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن عطاء إلا عقبة الأصم . اهـ
قال العقيلي : ولا يعرف إلا به، ولا يتابعه إلا من هو دونه أو مثله . اهـ قلت : وعقبة ضعيف .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد 200/5 : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه عقبة بن عبد الله الأصم، وهو ضعيف ، وذكر عن أحمد : أنه وثقه ، وأنكر أبو حاتم عليه هذا الحديث . اهـ

([4]) رواه اللالكائي ، (210) ، والطبراني ، 96/2 ، ح1427 و198/10 ، ح 10448 ، والبيهقي في القدر ، (378) ، والخرائطي ، في مساوئ الأخلاق ، (740) ، وأبو نعيم في الحلية ، 108/4 ، وابن عدي في الكامل ، 25/7 عن ابن مسعود رضي الله عنه . بأسانيد لا تخلو من ضعف ، لكن للحديث طرق أخرى وشواهد يتقوى بها . انظر : السلسلة الصحيحة ، (34) .

قال الخطيب البغدادي – رحمه الله – : " أراد ﷺ بالإمساك عن النجوم الكفَّ عما يقول المنجمون فيها ،من أنها فاعلة مدبرة ، وأنها تسعد وتنحس ، وأن ما يكون في العالم من حادث فهو بحركات النجوم ، فأمر ﷺ بالإمساك عن هذا القول ، وأن يقال فيها : إنها –كما جعلها الله تعالى – يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، ويعرف بالشمس والقمر عدد السنين والحساب ، وإن فيها دلالة على قدرة الله وحكمته " [1] .

4/ ذكر الخطيب –ر حمه الله – أن الاقتباس من علم النجوم اقتباس من السحر ، واستدل بما أخرجه بطرق عديدة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله عليه وسلم – : (من اقتبس علماً من النجوم ، فقد اقتبس شعبة من السحر ، ما زاد زاد ، وما زاد زاد) [2] .

ثم ذكر بعده سبب إضافة هذا العلم إلى السحر .. فقال :

إن قيل : كيف أضاف النبي ﷺ علم النجوم إلى السحر ؟

فالجواب : لأنهما وقعا من التمويه والخداع والأباطيل موقعاً واحداً ، إذ النجوم لا فعل لها في خير ولا شر ، وإنما الله – تعالى – الفاعل عند حركتها ، وكذلك السحر .

قال الله – تعالى – : (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ) [3] ، فأعلمنا أن ذلك إذا وقع عن فعل واحد منهما ، فليس بواقع إلا بإذن الله ، أي : بإرادة الله – عز وجل – [4] .

5/ إيراده – رحمه الله – موقف الصحابة والتابعين من أحكام المنجمين ..

موقف الصحابة :

(1) ما أخرجه عن عبد الله بن عوف بن الأحمر أن مسافر بن عوف قال لعليّ رضي الله عنه حينما انصرف من الأنبار [1] إلى أهل النهروان : يا أمير المؤمنين لا تسرْ في هذه الساعة ، وسر في ثلاث ساعات يمضينَ من النهار :

([1]) انظر : القول في النجوم ، ص 172 – 178 .

([2]) تقدم تخريجه ، ص77 .

([3]) سورة البقرة ، الآية : 102 .

([4]) انظر : القول في النجوم ، ص 179 .

قال علي رضي الله عنه : ولم ؟

قال : لأنك إن سرت في هذه الساعة أصابك أنت وأصحابك بلاءٌ وضرٌّ شديدٌ ، وإن سرتَ في الساعةِ التي أمرتك بها ، ظفرت ، وظهرتَ ، وأصبتَ ما طلبتَ .

فقال علي رضي الله عنه : ما كان لمحمد ﷺ مُنَجِّم ،ولا لنا من بعده ، هل تعلم ما في بطن فرسي هذه ؟

قال : إن حَسَبْتُ علمتُ .

قال : من صدَّقك بهذا القول كذَّب القرآن ، قال الله – تعالى – : (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) [2] .

ما كان محمد يدَّعي علم ما ادَّعيت علمه ، تزعم أنك تهدي إلى الساعة التي تُصيبُ السوء من سار فيها ؟

قال : نعم .

قال: من صدَّقك بهذا القول استغنى عن الله في صرف المكروه عنه ، وينبغي للمقيم بأمرك أن يُولِيَكَ الحمدَ دون الله ربه ، لأنك أنت – بزعمك – هديته إلى الساعة التي تنجي من السوء من سافر فيها ، فمن صدَّقك بهذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ دون الله ندًّا أو ضدًّا، الله لا طائر إلا طائرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك .

نكذِّبُك ، ونخالفُك ، ونسير في الساعة التي تنهانا عنها ، ثم أقبل على الناس ، فقال : يا أيها الناس ، إياكم وتعلمَ هذه النجوم إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ، إنما المنجم كالكافر، والكافر في النار ، والمنجم كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار ، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها ، لأخلدنَّكَ في الحبس ما بقيتَ وبقيتُ ،

([1]) الأنبار بفتح الهمزة، في العراق بينها وبين بغداد ثلاثة عشر فرسخاً، وهي مدينة صغيرة متحضرة، وهي أيضاً مدينة قرب بلخ ، وهي قصبة ناحية جوزجان ، وبها كان مقام السلطان ، وهي على الجبل ، وهي أكبر من مرو الروذ وبالقرب منها .
انظر: الروض المعطار 36/1 ، ومعجم البلدان 257/1 .

([2]) سورة لقمان ، الآية : 34 .

ولأحرمنَّك العطاء ما كان لي سلطان ، ثم سار في الساعة التي نهاه عنها ، فلقي أهل النهروان، فقتلهم ، ثم قال : لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها ، فظفرنا وظهرنا ، لقال قائل : سار في الساعة التي أمر بها المنجم .

ما كان لمحمد ﷺ منجِّم ، ولا لنا من بعده ، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان. أيها الناس توكلوا على الله – تعالى – وثقوا به ، فإنه يكفي ممن سواه [1] .

(2) و أخرج عن ابن لَهِيْعَةَ أن الربيع بن سبُرَةَ الجهني حدَّثه قال :

لما غزا عمر – رضي لله عنه – وأراد الخروج إلى الشام خرجتُ معه ، فلما أردنا أن نُدلجَ نظرتُ فإذا القمر في الدَّبرَان ، فأردت أن أذكرَ لعمرَ ذلك ، فعرفتُ أنه يكره ذكرَ النجوم، فقلت له : يا أبا حفص ، انظر إلى القمر ما أحسن استواءه الليلةَ ! فنظر فإذا هو في الدبران ، قال : قد عرفتُ ما تريد يا ابن سَبُرَةَ ، تقول : إن القمر بالدبران ، وإنَّا والله ما نخرج بالشمس ولا بالقمر ،ولكن نخرج بالله الواحد القهار [2] .

6/ إيراده – رحمه الله – موقف التابعين من أحكام المنجمين ..

موقف التابعين :

(1) أخرج عن الأصمعي عن مبارك ، قال : قال رجل للحسن : طلع سهيل ، وبرد الليل، فتكرِّه ذلك ، وقال إنك ممن تراعي سهيلاً ، إن سهيلاً لا يأتي ببرد ولا ينصرف بحرٍّ[3].

(2) ما أخرج عن قتادة قوله تعالى : (وأنهاراً وسبلاً) [4] قال : طرقاً ، (وعلامات) [5] قال: هي النجوم ، قال: إن الله – تعالى – إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال : جعلها زينة للسماء ، وجعلها نهتدي بها ، وجعلها رجوماً للشياطين ، فمن تعاطى فيها غير ذلك، فقد أخطأ حظه ، وقال رأيه ، وأضاع نصيبه ، وتكلَّف ما لا علم له به ، وإن أناساً جهلةً بأمر الله – تعالى – قد أحدثوا في هذه النجوم كَهانة : من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا كذا ، ومن سافر بنجم كذا

---

(1) أخرجه الحارث بن أبي أسامة كما في بغية الباحث ، ص 170 – رقم (539) ، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة ، 1230/4 .

(2) انظر : القول في النجوم ، ص181 وما بعدها ، و انظر رسالة في علم النجوم له ، ص 52 وما بعدها . والأثر :تقدم تخريجه .

(3) علقه ابن عبد البر في التمهيد ، 287/16 عن الحسن .

(4) سورة النحل ، الآية : 15 .

(5) سورة النحل ، الآية : 16 .

وكذا كان كذا وكذا ، ولعمري ما من النجوم إلا نجم إلا يولد به الطويل و القصير ، والأحمر والأبيض ، والحسن والذميم ، قال : وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيءٍ من الغيب ، وقضى الله تعالى أنه (لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (1) .

ولعمري لو أن أحداً علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله – تعالى – بيده ، وأسجد له ملائكته ، وعلَّمه أسماءَ كل شيءٍ ، وأسكنه الجنة ، فأكل منها رغداً حيث شاء ، ونهاه عن شجرةٍ واحدة ، فما زال به البلاء حتى وقع بما نُهي عنه ، ولو كان أحدٌ يعلم الغيب لعلمهُ الجنُّ حين مات نبي الله سليمان – عليه السلام – فلبث الجن يعملون له حولاً في أشدِّ العذاب وأشدِّ الهوان ، لا يشعرون بموته ، وما دلهم على موته إلا دابةُ الأرض تأكل مِنْسَأَتَه ، فلما خرَّ تبينت الجنُّ ، وهي في مصحف عبد الله (تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) قال : قد كانت تقول قبل ذلك : إنا نعلم ، فابتلاهم الله –تعالى– ، وجعل موت سليمان للجن والإنس عبرة (2) .

7/ إيراده لبعض اعتراضات وشبه المنجمين ويرد عليها ، ومن ذلك :

(1) رده على قول من قال : ما معنى قول النبي ﷺ عند هبوب بعض الرياح : " هبت لموت عظيم من عظماء المنافقين " وهو ما أخرجه الشيخ عن رافع بن خَديج (3) ، قال : " رحنا من المريسيع قبل الزوال ، وكان الجهد بنا يومنا وليلتنا "، وساق الحديث إل أن قال : " وسرَّح الناس ظهرَهم ، فأخذتهم ريح شديدة حتى أشفق الناس منها ، وسألوا عنها رسول الله ﷺ فقال : لموت منافق عظيم النفاق بالمدينة ؛ فلذلك عصفت الريح " .

---

(1) سورة النمل ، الآية : 65 .

(2) انظر : القول في النجوم ، ص 185 وما بعدها ، و انظر رسالة في علم النجوم له ، ص 52 وما بعدها . والأثر : أخرجه : ابن جرير في تفسيره ، 91/14 ، 3/28 ، وعلقه البخاري في صحيحه ، ووصله ابن حجر في التغليق ، 3/ 489 من طريق الخطيب البغدادي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ، 113/4 ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(3) هو رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن يزيد الأنصاري الخزرجي المدني ، صاحب النبي ﷺ استصغر يوم بدر ، وشهد أحداً والمشاهد ، وأصابه سهم يوم أحد ، فانتزعه ، فبقي النصل في لحمه إلى أن مات ، وكان ممن يفتي بالمدينة في زمن معاوية وبعده ، مات سنة 74هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 181/3 ، وشذرات الذهب 82/1 .

وكان رده – رحمه الله – : " أنه يجوز أن يكون الله تعالى عرّف نبيه ﷺ أنه إذا هبت ريح في يوم كذا ، فاعلم أني أميتُ فلاناً ، وكفيتكَ أمره ، فيكون قول النبي ﷺ هذا لما تقدَّم من إخبار الله – تعالى – إياه ذلك " .

(2) رده على من قال : ما أنكرت أن يكون الله قد وضع على النجوم علامات ودلالات أنها إذا نزلت بعض البروج ، دلت على كذا ؟

قلنا : لا يُنكر هذا لو أخبرنا الله – تعالى – بذلك ورسوله ﷺ فأما ولم يأت الخبر بذلك ، فإنا لا نُجَوِّزه ، ولا نجِّوز إلا ما جوَّزته الشريعة ، أو اجتمعت الأمة على تجويزه [1] .

8/ ذكر الشيخ – رحمه الله – سبب دخول الشبه على الناس في أمر المنجمين .. ، فقال: إنما يدخل الشبه على الناس في أمر المنجمين من قبيل أنهم يرون المنجّم يُصيب في مسألة تقع بين أمرين ، كالجنين الذي لا يخلو أن يكون ذكراً أو أنثى ، أو المريض الذي لا يخلو من أن يصبح أو يموت ، والغائب الذي لا يخلو من أن يقيم بمكان أو يؤوب .

ومن شأن الناس أن يحفظوا الصواب للعجب به والشغف ، ويتناسون الخطأ ؛ لأنه الأصل الذي يعرفونه ، والأمر الذي لا ينكرونه ، ومن ذا الذي يتحدث بأنه سأل المنجم فأخطأ؟! وإنما التحدُّث بأنه سأله فأصاب [2] .

9/ وذكر – رحمه الله – أن علم النجوم يدعو إلى الكهانة ..

واستدل بما أخرجه عن ميمون بن مهران ، قال لابن عباس : " أوصني ، قال : أوصيك بتقوى الله ، وإياك وعلم النجوم ، فإنه يدعو إلى الكهانة ، وإياك – أن تذكر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ إلا بخير ، فيكبّك الله على وجهك في جهنم ، فإن الله – تعالى – أظهر بهم هذا الدين ، وإياك والكلام في القدر ، فإنه ما تكلم فيه اثنان إلا أثِما أو أثِم أحدهما"[3].

---

(1) القول في النجوم ، ص 173 – 174 .
(2) القول في النجوم ، ص 192 .
(3) ذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى المؤلف .

قال الشيخ : فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : (أن علم النجوم شعبة من السحر)[1]، هو أنه يدعو إلى الكهانة ، وكلا الأمرين أعني السحر والنجوم ، عظيم أمرهما ، فظيع شأنهما .

والكهانة من علوم الجاهلية ، وكانت الشياطين تسترق السمع ، فتلقيه إلى أوليائها من الكهنة، فأبطلها الله – تعالى – بالإسلام ، وحرس السماوات بالنجوم والشهب ، ومنع الشياطين من استراق السّمع [2] .

10/ أورد الخطيب البغدادي – رحمه الله – في تاريخ بغداد أحاديث تُحذّر من الكهانة والسحر والعرافة ، وحكم تصديقهم ، منها :

1- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن هبيرة بن يريم [3] عن عبد الله قال : " من أتى ساحراً أو كاهناً ، أو عرافاً ، فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ " [4] .

2- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : " إن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء فيستمعون الكلمة من الوحي فيهبطون بها إلى الأرض، فيزيدون معها تسعاً ، فيجد أهل الأرض تلك الكلمة حقاً والتسع باطلاً ، فلا يزالون كذلك ، حتى بعث الله محمداً ﷺ ، فمنعوا تلك المقاعد ، فذكروا ذلك لإبليس فقال : لقد حدث في الأرض حدث ، فبعثهم فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ القرآن فقالوا هذا والله الحدث ، وذكر بقية الحديث [5] .

([1])رواه أبو داود (3905) ، وابن ماجه (3726) عن ابن عباس رضي الله عنه ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (3051) جزء من حديث .

([2]) القول في النجوم ، ص 190 – 191 .

([3]) هو هبيرة بن يريم بتحتانية أوله وزن عظيم الشبامي بمعجمة ثم موحدة خفيفة ، ويقال الخارفي بمعجمة وفاء أبو الحارث الكوفي لا بأس به قال أحمد : لا بأس بحديثه ، هو أحسن استقامة من غيره، وثقه ابن حبان، وله غير حديث منكر، وقد شيب بالتشيع .

انظر: لسان الميزان 417/7 ، وتهذيب التهذيب 23/11 ، وتقريب التهذيب 262/2 .

([4]) تاريخ بغداد ، 60/8 .

([5]) المصدر السابق ، 32/14 .

الفصل الخامس :

موقف الخطيب البغدادي من مقالات الملل .. وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : وقفة مع حديث الافتراق .
المبحث الثاني : اليهود .
المبحث الثالث : النصارى .

موقفه من مقالات الملل

التمهيد ..

التعريف بالمقالات :

المقالات مفردها مقالة ، والمقالة من القول . يُقال في اللغة : قال ، يقول ، قولاً ، ومقالة ، وقولة ، ومقالاً [1] . واسم الفاعل منه : قائل ، واسم المفعول : مقوول ، وجمعه : أقوال . وجميع تصاريف لفظ القول الذي منه المقالة يدل على القول الحسن أو السيئ قليلاً كان أو كثيراً ، وقد تطلق على الآراء والاعتقادات ، كما تطلق على الأعمال .

وأصل القول النطق والكلام تامّاً كان أو ناقصاً ، قليلاً أو كثيراً [2] . وكما تطلق المقالة على الجملة من الكلام تطلق كذلك على الكلام والحديث الطويل ، ومنه المقالة الصحفية التي تشتمل على عمود أو أكثر .

ومن إطلاق المقالة على الحديث طويلاً كان أو دونه قول الرسول ﷺ : (نضر الله امرءاً سمع مقالتي فبلغها) [3] أي : حديثي ، ويدل على ذلك ماورد في الرواية الأخرى : (نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فبلغه كما سمع) [4] .

والشاهد أن المقالة تطلق على الكلام قليلاً أو كثيراً .

وتطلق المقالة على القول الحسن الممدوح ، أو السيئ المذموم ، ومنه قولهم انتشرت لفلان قالة حسنة أو سيئة . ويقال : ما أحسن قولك ومقالتك [1] .

([1]) انظر : تهذيب اللغة ، 305/9 ، والصحاح 5/ 1806 .

([2]) انظر : الصحاح ، 1806/5 ، ولسان العرب ، 573/11 – 576 مادة (قَوَل) ، وتهذيب اللغة ، 305/9 .

([3]) جزء من حديث رواه ابن ماجه في المقدمة ، انظر : سنن ابن ماجه 84/1 ، ح 226 من طريق زيد ثابت " ، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني ، انظر : صحيح ابن ماجه 1/ 44–45 ح 187 .

([4]) جزء من حديث رواه الترمذي في كتاب العلم ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح " ، ورواه ابن ماجه في المقدمة ، انظر : سنن ابن ماجه 1/ 85 ح 232 ، وصححه الشيخ الألباني – رحمه الله – ، انظر : صحيح ابن ماجه 1/ 45 ح 189 ، والسلسلة الصحيحة 145/1 ح 404 .

ويعرف ذلك من سياق الكلام ، وتقييده بالوصف كما تقدم ، أو بالإضافة كما إذا أُضيفت المقالة إلى شيء ممدوح كانت حسنة ، وإذا أُضيفت إلى مذموم كانت سيئة .

وكما تُطلق المقالة على القول قليلاً أو كثيراً ، حسناً أو سيئاً ، قد تطلق كذلك على الاعتقادات والأفعال .

ذكر ابن الأثير أن العرب تجعل القول عبارة عن الأفعال ، وتطلقه على غير الكلام واللسان، فتقول : قال بيده . أي : أخذ . وقال برجله . أي : مشى . وقال بثوبه . أي : رفعه (2) .

وتطلق على الإشارة (3) . كما في حديث السهو : (فقال رسول الله ﷺ ما يقول : ذو اليدين (4) ، قالوا : صدق) (5) . وروي أنهم أومأوا برؤوسهم . أي : نعم ! (6) .

ومن إطلاق المقالة على أمور الاعتقاد قول بعض السلف في تعريف الإيمان : " الإيمان قول وعمل ونية " (7) .

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن من قال بذلك من السلف أراد قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان ، فالقلب يتناول الاعتقادات وقول اللسان (8) .

وذكر ابن منظور أن الاعتقاد إنما سُمي قولاً لأنه يخفى فلا يُعرف إلا بالقول ، أو بما يقوم مقامه من شاهد الحال ، كرفع السبابة عند التشهد بكلمة التوحيد ، ولما كان الاعتقاد لا يظهر ، إلا بالقول سميت قولاً ، إذ كانت سبباً له وكان القول دليلاً عليها (9) .

---

(1) انظر : تهذيب اللغة ، 304/9 – 305 مادة (قَوَل) .
(2) انظر : لسان العرب ، 572/11 .
(3) انظر : النهاية في غريب الحديث ، 124/4 مادة (قَوَل) .
(4) هو الخرباق السلمي الملقب بذي اليدين لطولهما ، ولم يذكر الحافظ ابن حجر غير اسمه ونسبته ، وذكر أنه له حديثاً في سجود السهو .
انظر : فتح الباري 3/ 116 – 117 ، والإصابة في تمييز الصحابة 1/ 422 – 423 .
(5) رواه البخاري برواية (قالوا نعم) في كتاب السهم 3/ 116 ح 1227 وص 118 ، ح 1228 ، ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة . برواية : (قالوا صدق) 1/ 403 ح 97 .
(6) رواه أبو داود في كتاب الصلاة 1/ 612 ح 1008 ، وذكره الألباني في صحيح سنن أبي داود، كتاب السهو في السجدتين 188/1 ح 886 .
(7) انظر : مسائل الإيمان لأبي يعلى ، ص 152 – 153 ، وكتاب الإيمان لابن تيمية ضمن المجموع ، 7/ 170 .
(8) انظر : المرجع نفسه ، 7/ 170 – 171 .
(9) انظر : لسان العرب ، 572/11 مادة (قَوَل) .

وقد جمع من صنف في الفرق أقوال الناس في مسائل الاعتقاد وآراءهم الاعتقادية وذكر بعض أعمالهم وسماها (مقالات) جمع مقالة ، كما فعل الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) .

فعلم مما تقدم أن المقالة في الأصل تطلق ويُراد بها القول قليلاً كان أو كثيراً ، حسناً كان أو سيئاً ، وقد تطلق ويُراد بها الاعتقادات والأعمال ، ويُعرف ذلك من سياق الكلام [1] .

تعريف الملل :

في اللغة : المِلّة بالكسر الدين ، والجمع (ملل) ، مثل سدرة وسدر . قال ابن منظور :
" والمِلَّة : الشريعة والدين , وفي الحديث : لا يتوارث أهل ملَّتين ؛ الملَّة : الدين ، كملَّة الإسلام والنصرانية واليهودية ، وقيل : هي معظم الدين ، وجملة ما يجيء به الرسل . وتملَّل و امتلَّ : دخل في الملَّة . وفي التنزيل العزيز : (حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) [2] ؛ قال أبو إسحق [3] :

المِلة في اللغة سنَّتهم وطريقهم " [4] .

في الاصطلاح : الملة اسم لما شرعه الله لعباده في كتبه وعلى ألسنة رسله ، فكانت الملة والشريعة سواء [5] .

قال القرطبي في تفسيره : " الملة اسم لما شرعه الله في كتبه ، وعلى ألسنة رسله " [6] .

([1]) انظر : مقالة التشبية وموقف أهل السنة منها ، جابر أمير ، ط1 (الرياض : مكتبة أضواء السلف 1422هـ) 1/ 153 – 157 .

([2]) سورة البقرة : الآية 120 .

([3]) هو إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ، عالم بالنحو واللغة ، ولد في بغداد 241هـ . كان في فتوته يخرط الزجاج ، ومال إلى النحو فعلمه المبرد. وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدباً لابنه القاسم ، فدله المبرد على الزجاج ، فطلبه الوزير، فأدب له ابنه إلى أن ولي الوزارة مكان أبيه، فجعله القاسم من كتّابه، فأصاب في أيامه ثروة كبيرة. وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره. من كتبه معاني القرآن ، والاشتقاق ، والأمالي ، مات سنة 311هـ .
انظر: وفيات الأعيان 49/1 ، والأنساب 257/6 ، والأعلام 40/1 .

([4]) لسان العرب ، 11/ 631 مادة : ملل .

([5]) التعريفات الاعتقادية ، سعد العبد اللطيف ، ص310 .

([6]) الجامع لأحكام القرآن ، 93/2 .

وقال الراغب الأصفهاني : " الملة اسم لما شرعه الله لعباده وعلى لسان أنبيائه ، ليتوصلوا به إلى جوار الله " [1] .

والحديث يدعونا إلى التفريق بين الملة والدين ؛ حيث ذكر بعض العلماء فروقاً بين الكلمتين .

ومن هؤلاء الجرجاني الذي قال : " الدين والملة متحدان بالذات ، ومختلفان بالاعتبار ، فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى ديناً ، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث إنها يرجع إليها تسمى مذهباً .

وقيل : الفرق بين الدين والملة والمذهب أن الدين منسوب إلى الله تعالى ، والملة منسوبة إلى الرسول ، والمذهب منسوب إلى المجتهد " [2] .

أما الراغب الأصفهاني فقد اعتبر الفرق بين الدين والملة من وجهين :

الأول : من حيث الاشتقاق ؛ فالدين إذا اعتبر بمغزاه ومنتهاه فهو الجزاء كما قيل "كما تدين تدان " ، والدين يضاف تارة إلى الله عزوجل ، وتارة إلى العبد ، كما تضاف الطاعة والجزاء إليهما ، أما الملة فمن أمللت الكتاب أي أمليته ، ولا يضاف إلا إلى الإمام الذي يسند إليه ، نحو ملة إبراهيم ، وملة موسى ، ولا يكاد يوجد مضافاً إلى الله – عز وجل – ولا إلى آحاد أمة النبي ﷺ ، فلا يقال : ملة الله ، ولا ملتي ، ولا ملة زيد ، كما يقال دين الله ، وديني ، ودين زيد .

الثاني : أن الدين يقال : بكل واحد من الاعتقاد والقول والفعل أنه دين الله ولا يقال : ملة إلا باجتماع ذلك كله .. " [3] .

ويقول أبو الهلال العسكري : " الفرق بين الدين والملة : أن الملة اسم لجملة الشريعة ، والدين اسم لما عليه كل واحد من أهلها ، ألا ترى أنه يقال فلان حسن الدين ، ولا يُقال حسن الملة، وإنما يُقال هو من أهل الملة ، ويُقال لخلاف الذمي الملي نسب إلى جملة الشريعة فلا يُقال له ديني وتقول ديني دين الملائكة ، ولا تقول ملتي ملة الملائكة ، لأن الملة اسم للشرائع مع الإقرار

---

(1) المفردات ، 471 .

(2) التعريفات ، للجرجاني ، ص 105 – 106 .

(3) الاعتقادات ، لأبي القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق : شمران بن العجلي ، د.ط (بيروت : دار الأشرف د.ت) ص 107 – 108 ، .

بالله ، والدين ما يذهب إليه الإنسان ويعتقد أنه يقربه إلى الله ، وإن لم يكن فيه شرائع ، مثل دين أهل الشرك وكل ملة دين ، وليس كل دين ملة ؛ واليهودية ملة لأن فيها شرائع ، وليس الشرك ملة ، وإذا أُطلق الدين فهو الطاعة العامة التي يُجازي عليه بالثواب ، مثل قوله تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ) [1] .

ولعله من المناسب أيضاً أن نبين الفرق بين الملة والنحلة ، فالمشهور عند علماء الملل والنحل أن النحلة أخص من الملة والدين ، فالنحلة تطلق على العقائد والآراء الباطلة التي ليس لها حقيقة ، وتنتحلها فرقة من الفرق ، بينما تطلق الملة والدين على معتقدات جماعة لها دين ؛ صحيحاً كان أم باطلاً ، كدين المسلمين ودين اليهود ، وهذا هو ما سار عليه كثير من علماء الملل والنحل كالشهرستاني حيث ذكر في بيانه لتقسيم أهل العالم أنهم منقسمون بالقسمة الصحيحة إلى أهل الديانات والملل ، وأهل الأهواء " [2] .

موقف الخطيب البغدادي – رحمه الله – من مقالات الملل :

وحيث إنني لم أقف على كلام له يتعلق بمقالات الملل ، لا إجمالاً ولا تفصيلاً ، حاولت استخلاص موقفه من إيراده لبعض الأحاديث والآثار ، ومن ذلك :

ما ذكره في كتابه (شرف أصحاب الحديث) [3] ، تحت باب ما روي عن رسول الله ﷺ

في الحث على التبليغ والحفظ عنه ، المبحث السابع : قوله ﷺ : (ستفترق أمتي على نيّف وسبعين فرقة) ، وأورد تحته عدة أحاديث مخرجة بسنده ، وهي :

1- ما أخرجه بسنده عن الزبير بن عدي ، عن أنس ؛ أن رسول الله ﷺ قال : (افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ؛ كلها في النار إلا فرقة واحدة)[4].

---

(1) الفروق ، لأبي هلال العسكري ، ط1 (بيروت : مؤسسة الرسالة 1322هـ) ص 392 – 393 ، والآية في سورة آل عمران : الآية 19 .

(2) الملل والنحل ، للشهرستاني ، ص 36 .

(3) ص63-65 .

(4) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (35) ص 63 ، عن الزبير بن عدي عن أنس رضي الله عنه ، بهذه الصيغة . وإسناده ضعيف جداً لكن الحديث صحيح .

2- ما أخرجه بسنده عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : (إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة ؛ كلها في النار إلا واحدة ؛ وهي الجماعة) [1] .

3- ما أخرجه بسنده عن إبراهيم بن محمد بن الحسن ، قال : حُدِّثتُ عن أحمد بن حنبل — وذكر حديث النبي ﷺ : (تفترق الأمة على نيف وسبعين فرقة ؛ كلها في النار إلا واحدة)-[2].

وتفصيل ذلك في ثلاثة مباحث ..

[1] أخرجه أبو داود ، كتاب السنة ، باب شرح السنة ، 195/12 ، ح 3980 عن أبي هريرة بنحوه، وابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم ، 494/11 ، ح 3993 ، وابن أبي عاصم في " السنة " رقم (64) من طريق : هشام بن عمار ، عن الوليد بن مسلم به . والحديث صحيح لغيره ، صحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة ، 493/8، ح (204 و 1492) .

[2] أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث رقم (37) ص 64 ، عن أحمد بن حنبل ، وذكر الحديث، بهذه الصيغة . وإسناده ضعيف لانقطاعه ، لكن الأثر صحيح ؛ فقد أخرجه الحاكم في "معرفة علوم الحديث" ص 3 بإسناد آخر صحيح .

المبحث الأول : وقفة مع حديث الافتراق ..

لابد لنا من وقفة عند هذا الحديث الذي أضاف إلى التحذير من الافتراق الإخبار بهلاك تلك الفرق الضالة إلا واحدة منها ، ثم حصر الفرق في الحديث المذكور ، ورغم كثرة الروايات المختلفة للحديث إلا أنه لم يخل عن الاختلاف في صحته ، وسنقف هنا عند دراسته على مطالب ثلاثة :

المطلب الأول : من حيث سند الحديث ..

رُوي هذا الحديث بعدة أسانيد ، إلا أن العلماء وقفوا بالنسبة لقبوله المواقف التالية :

1- منهم من لم يصححه ، ولم يجوز الاستدلال به ، كابن حزم وغيره .

2- ومنهم من اكتفى بتعدد طرقه . وتعدد الصحابة الذين رووا هذا المعنى عن رسول الله ﷺ.

3- ومنهم من أخذ به ، وحاول أن يحصر الفرق في العدد المذكور كالبغدادي – رحمه الله – وغيره [1] .

وحينما تعرض شيخ الإسلام – رحمه الله – للكلام عن الفرق ، قال عن الحديث : " مع أن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين ، وقد ضعفه ابن حزم وغيره ، لكن حسنه غيره أو صححه كما صححه الحاكم وغيره ، وقد رواه أهل السنن وروي من طرق " [2] . وفي مجموع الفتاوى ورد قوله : " الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد ، كسنن أبي داوود ، والترمذي ، والنسائي " [3] .

المطلب الثاني : من حيث العدد ..

والواقع أن حصر الفرق في العدد المذكور تفصيلاً ليشمل كل فرقة – فيه إشكال - ، وذلك أن أصول الفرق لا تصل إلى هذا العدد ، وفروعها تختلف وجهات نظر العلماء في عدّها أصلية أو فرعية ، ثم إن فروع الفرق تصل إلى أكثر من هذا العدد ، فهل نعد الأصول مع الفروع ؟ أو الأصول فقط ؟ أو الفروع فقط ؟ .

---

(1) انظر : الفرق بين الفرق ، ص 6 .
(2) منهاج السنة ، 5/ 48 – 49 .
(3) مجموع الفتاوى ، 3/ 345 .

كذلك فإن الفرق ليس لظهورها زمن محدد ، أي لم يرد عن النبي ﷺ تحديد لنهاية تَفَرُّق أمتة، وعلى هذا فإن الصواب أن يقال : إن الحديث فيه إخبار عن افتراق أمة محمد ﷺ دون تحديدهم بزمن بعينه ، وإنما أخبر عن افتراق أمته ، وأمته ﷺ مستمرة إلى يوم القيامة .. إذاً فلا نحددها بزمن .

وينبغي أيضاً أن نعد الفرق في أي عصر ظهرت فيه ، بغض النظر عن وصولها إلى العدد المذكور في الحديث أو عدم وصولها ، فلا بد أن يوجد هذا العدد على الوجه الذي أراده الرسول ﷺ وأخبر به ، في عصرنا أو في غير عصرنا [1] .

المطلب الثالث : من حيث المعنى ..

بيّن الإمام عبد القاهر البغدادي المقصود من افتراق الأمة ، فقال : قد علم كل ذي عقل من أصحاب المقالات المنسوبة إلى الإسلام أن النبي ﷺ لم يرد بالفرق المذمومة التي هي من أهل النار فِرق الفقهاء الذين اختلفوا في فروع الفقه مع اتفاقهم على أصول الدين . وإنما فصّل النبي ﷺ بذكر الفرق المذمومة ، وأنها فرق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية في أبواب الاعتقاد والتوحيد ، أوفي باب صفات الله — عز وجل — وأسمائه .. ونحوها من الأبواب التي اتفق أهل السنة والجماعة فيها على أصل واحد ، وخالفهم فيها أهل الأهواء الضالة من القدرية ، والخوارج ، والروافض ... ومن جرى مجراهم من فرق الضلال ..[2] .

ولقد نهى الله سبحانه في كتابه وكذلك رسوله ﷺ في سنته عن التفرق والاختلاف وحذروا منهما ، وورد في ذلك أدلة كثيرة [3] ، منها :

1/ قوله تعالى : (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ) [4] .

([1]) انظر : الاعتصام ، للشاطبي ، 222/2 ، والفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ص7 .

([2]) انظر : الفَرق بين الفِرق ، ص 14–15 .

([3]) وللاستزادة من الأدلة انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ، لغالب عواجي ، 1/ 40 – 43، وانظر : دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ، لناصر العقل ، 1/ 47 – 49 .

([4]) سورة آل عمران ، الآية 103 .

2/ وقوله : (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) [1] .

3/ وأخبر سبحانه على سبيل التحذير ؛ بخوض طوائف من هذه الأمة بما خاضت به الأمم السابقة من الأهواء فقال الله – تعالى – : (فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ) [2] .

قال شيخ الإسلام : " فقوله – تعالى – : (فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ) إشارة إلى اتباع الشهوات، وهو داء العصاة ، وقوله : (وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ) إشارة إلى اتباع الشبهات ، وهو داء المبتدعة ، وأهل الأهواء والخصومات ، وكثيراً ما يجتمعان " [3] .

4/ وقد أوصى الرسول ﷺ حذيفة عند ظهور الخلاف والتفرق في الدين بقوله : (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) ، قال حذيفة : قلت : فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : (فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) [4] .

أما بالنسبة لمعنى (الفرقة الناجية) من هي ..؟ ، فقد اختلف العلماء في المراد بها على أقوال ، وهي إجمالاً :

1- قيل : إنها السواد الأعظم من أمة الإسلام .

2- وقيل : هم العلماء المجتهدون الذين قال فيهم الرسول ﷺ :(إن أمتي لا تجتمع على ضلالة) [5] ، أي لن يجتمع علماء أمتي على ضلالة .

3- إنهم خصوص أصحاب النبي ﷺ الذين قال فيهم الرسول ﷺ في رواية : (ما أنا عليه اليوم وأصحابي) [1] .

---

(1) سورة الأنعام ، الآية 159 .

(2) سورة التوبة ، الآية 69 .

(3) اقتضاء الصراط المستقيم ، 1/ 107 .

(4) متفق عليه . أخرجه البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، 439/11 ، ح 3338 ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ، 386/9 ، ح 3434 .

(5) أخرجه أبو داوود ، كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها ، 323/11 ، ح 3711 ، والترمذي ، كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في لزوم الجماعة ، 71/8 ، ح 2093 ، وابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب السواد الأعظم، 442/11 ، ح 3940 ، والحاكم في المستدرك ، كتاب العلم ، 383/1 ، ح 363 ، وقال أبو عيسى : غريب من هذا الوجه ، انظر : سنن الترمذي ، 71/8 .

4- إنهم جماعة غير معروف عددهم ، ولا تحديد بلدانهم ، أخبر عنهم النبي ﷺ بإخبار الله له أنهم على الحق حتى يأتي أمر الله . ولعل هذا هو الراجح من تلك الأقوال .

5- وفيه قول خامس ، أن الجماعة هم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير (2) .

وأما معنى قوله ﷺ : (كلها في النار إلا واحدة) ، فقد ذكر الشاطبي ما حاصله :

1/ أن هذه الفرق لابد أن ينفذ فيها الوعيد لا محالة .

2/ أنهم مثل أهل الكبائر تحت المشيئة (3) .

3/ أن الأولى عدم التعرض لتعيين الفرق غير الناجية بالحكم عليها بالنار ، لأن النبي ﷺ نبّه عليها تنبيهاً إجمالاً لا تفصيلاً إلا القليل منهم كالخوارج (4) .

والذي يظهر أن الفرق تختلف في بعدها أو قربها من الحق ، فبعضها يصح أن يطلق على أصحابها أنهم أهل بدعة ومعصية ، وحكمهم حكم أصحاب الكبائر ، وبعضها لا يصح وصفها إلا بالكفر لخروجهم عن الإسلام مثل فرق الباطنية والسبئية والميمونية من الخوارج .. الخ ، ويكون حكمهم حكم الكفار الخارجين عن الملة ، ولو تظاهروا بالإسلام (5) .

وخلاصة القول هو ما تقرر عند جمهور السلف حول هذا الحديث ، وهو على النحو التالي :

- أن وقوع الافتراق في الأمة أمر ثابت قطعاً في القرآن والسنة ، والواقع يشهد له .

- أن الرسول ﷺ صح عنه أن عدد الفرق الهالكة : ثنتان وسبعون ، والناجية واحدة .

- أنه ﷺ يبين أن الفرقة الناجية هم أهل السنة ، حيث كانوا على ما وصف ، أي على ما كان عليه هو ﷺ ، وأصحابه .

- أن الفرق الهالكة من أهل النار ، لكن ليسوا كلهم من المخلدين في النار .

---

(1) أخرجه الترمذي ، كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، 235/9 ، ح 2565 بنحوه . وأخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب العلم ، 430/1 ، ح 408 بلفظه مع زيادة في آخره . قال أبوعيسى : هذا حديث حسن غريب ، سنن الترمذي 141/6 .

(2) انظر : الاعتصام للشاطبي ، 2/ 260 – 264 ، وقد فصل القول فيها ، وانظر مجموع الفتاوى ، 345/3 .

(3) الاعتصام ، للشاطبي ، 2/ 247 – 248 .

(4) انظر أهم الفرق ، ص 12 .

(5) انظر : فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ، لغالب عواجي ، 1/ 42-46 .

- أن من الفرق من يخرج عن مسمى جميع الفرق ، لخروجهم من الملة أصلاً ، وليسوا من عداد المسلمين كغلاة الجهمية ، وغلاة الرافضة ، والباطنية ، والفلاسفة الخالصة ، وأهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، ومشركي أهل البدع الواقعين في الشرك الأعظم ، والله أعلم .

- أن تحديد الفرق الثنتين والسبعين على سبيل التعيين ، وتوزيع الأعداد تحديداً على أصول الفرق الكبرى أمر غيبي لا دليل عليه ، وكذلك تسميتها من باب الأولى ؛ لأن الافتراق يزداد، والأهواء والبدع تتجدد ، وتنبعث في كل عصر ، وإلى قيام الساعة ، والله أعلم .

وحيث ورد في هذا الحديث الذي أخرجه الخطيب البغدادي – رحمه الله – بسنده ، وهو افتراق اليهود والنصارى على فرق ، فإن هذا يدعونا إلى أن نتحدث عنهما في الصفحات التالية ولو بشيء من الإيجاز الذي تقتضيه طبيعة البحث ..

المبحث الثاني : اليهود ..

تعريف اليهود :

اليهود من هاد الرجل أي رجع وتاب ، وهادوا صاروا يهوداً ، ودانوا باليهودية ، وهاد يهود هوداً أي تاب .

واختلف في اشتقاق اسم اليهود ، فقيل : هو من الهود أي التوبة ، ومنه قوله : (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) [1] ، وعن ابن جريج : وسموا بذلك لتوبتهم عن عبادة العجل .

وقيل : إنما سموا يهوداً لأنهم نسبوا إلى يهوذا أكبر ولد يعقوب ، فعربت الدال ذالاً .

وقيل : إنما سموا يهوداً لأنهم هادوا أي مالوا عن الإسلام وعن دين موسى .

وقيل : سموا بذلك لأنهم يتهودون أن يتحركون عند قراءة التوراة ، ويقولون أي السماوات والأرض تحركت حين آتى الله موسى التوراة .

واليهود اسم جمع واحدهم يهودي ، كالزنجي والزنج ، والرومي والروم [2] .

واليهودية : هي الديانة التي يدين بها العبرانيون المنحدرون من إبراهيم عليه السلام ، والمعروفون بالأسباط ، وهم أمة موسى عليه السلام وكتابهم التوراة [3] .

من أهم فرقهم :

1/ العنانية ..

والعنانية نسبوا إلى رجل يقال له عنان بن داود رأس الجالوت ، يخالفون سائر اليهود في السبت والأعياد ويقتصرون على أكل الطير والظباء والسمك ، ويصدقون عيسى – عليه السلام — في مواعظه وإرشاداته ، ويقولون لم يخالف التوراة البتة بل قررها ، ودعا الناس إليها، وهو من بني إسرائيل المتعبدين بالتوراة ، ومن المستجيبين لموسى عليه السلام ، إلا أنهم لا يقولون بنبوته ورسالته .

2/ العيسوية ..

والعيسوية نسبوا إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني ، وقيل اسمه عوفيد الوهيم ، أي عابد الله ، كان في زمان المنصور ، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية ، فاتبعه بشر كثير من اليهود ، وادعوا له آيات ومعجزات ، وزعموا أنه لما حورب خط على أصحابه خطاً بعود آس ، وقال : أقيموا في هذا الخط ، فليس ينالكم عدو بسلاح ، فكان العدو يحملون عليهم حتى إذا

---

(1) سورة الأعراف ، الآية : 156 .

(2) الملل والنحل ، للشهرستاني ، صححه : أحمد فهمي محمد ، ط7 (بيروت : دار الكتب العلمية 1428هـ) ، 2/230 – 231 .

(3) الموسوعة الميسرة ، ص565 .

بلغوا الخط رجعوا عنهم خوفاً من طلسم أو عزيمة ، ربما وضعها ، ثم أبو عيسى خرج من الخط وحده على فرسه ، فقاتل وقتل من المسلمين كثيراً، وزعم أنه نبي ، وأنه رسول المسيح المنتظر ، وأوجب عشر صلوات ، وأمر أصحابه بإقامتها وذكر أوقاتها ، وخالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة الكبيرة المذكورة في التوراة .

3/ المقاربة واليوذعانية ..

والمقاربة واليوذعانية نسبوا إلى يوذعان رجل من همدان ، وقيل كان اسمه يهوذا يحث على الزهد وتكثير الصلاة ، وينهى عن اللحوم والأنبذة ، وكان يزعم أن للتوراة ظاهراً وباطناً، وتنزيلاً وتأويلاً ، خالف بتأويلاته عامة اليهود في التشبيه ، ومال إلى القدر ، وأثبت الفعل حقيقة للعبد ، وقدر الثواب والعقاب عليه وشدد في ذلك .

4/ الموشكانية ..

والموشكانية أصحاب موشكان على مذهب يوذعان ، غير أنه كان يوجب الخروج على مخالفيه ، ونصب القتال معهم ، فخرج في تسعة عشر رجلاً فقتل بناحية قم ، وذكر عن جماعة من الموشكانية ، أنهم أثبتوا نبوة المصطفى ﷺ إلى العرب وسائر الناس سوى اليهود ، لأنهم أهل ملة وكتاب .

فهذه أربع فرق هم من الكبار وانشعبت منهم الفرق إلى إحدى وسبعين فرقة ، وهم بأسرهم أجمعوا على أن في التوراة بشارة بواحد بعد موسى ، وإنما افتراقهم ، إما في تعيين ذلك الواحد، أو في الزيادة على الواحد [1] .

ومن معتقداتهم :

- أن الشريعة لا تكون إلا واحدة ، ابتدأت بموسى وتمت به ، فلم يكن قبله شريعة إلا حدود عقلية .
- القول بالقدر والجبر .

([1]) انظر : الملل والنحل ، للشهرستاني ، 2/238 – 244 .

– تجويز الرجعة وإحالتها ؛ فأما جوازها فإنما وقع لهم من أمرين : أحدهما حديث عزير إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه ، والثاني حديث هارون عليه السلام ، إذ مات في التيه ، وقد نسبوا موسى إلى قتله [1] .

– الهيكل : وهو البناء الذي أمر به داود وأقامه سليمان ، فقد بني بداخله المحراب ، وهيأ كذلك بداخله مكاناً يوضع فيه تابوت عهد الرب .

– يعتقدون بأنهم شعب الله المختار ، وأن أرواح اليهود جزء من الله ، وأن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بمقدار الفرق بين اليهودي وغير اليهودي .

– يعتقدون أن الذبيح من ولد إبراهيم إنما هو إسحاق المولود من سارة . والصحيح أنه إسماعيل .

– يعتقدون أن ديانتهم خاصة بهم ، مقفلة على الشعب اليهودي ...إلى غير ذلك من المعتقدات الفاسدة [2] .

المبحث الثالث : النصارى ..

تعريف النصارى :

---

(1) انظر : المصدر السابق ، 232/2 – 236 .
(2) الموسوعة الميسرة ، ص503 – 507 .

النصارى جمع نصران ، كقولهم سكران وسكارى ، وندمان وندامى . وهو الممتلئ نصراً ، كما أن الغضبان هو الممتلئ غضباً ، وقيل : في مؤنثه نصرانة ، وقيل : إن واحد النصارى نصرى ، مثل مهرى ومهارى .

واختلفوا في اشتقاق هذا الاسم ، فقال ابن عباس : هو من ناصرة قرية كان يسكنها عيسى فنسبوا إليها .

وقيل : سموا بذلك لتناصرهم أي نصرة بعضهم بعضاً .

وقيل : إنما سموا بذلك لقوله – تعالى – : (قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ) [1] .

والنصرانية : تطلق على الديانة التي أُنزلت على عيسى عليه السلام ، وهو المبعوث حقّاً بعد موسى – عليه السلام – المبشّر به في التوراة والمكمِلة لرسالته ، والمتممة لما جاء في التوراة من تعاليم موجهة إلى بني إسرائيل ، وكانت له آيات ظاهرة ، وبينات زاهرة ، مثل إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه [2].

من أهم فرقهم :

1/ الملكائية ..

والملكائية أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم ، واستولى عليها ، ومعظم الروم ملكائية .

قال بعضهم : إن الكلمة مازجت جسم المسيح كما يمازج الخمر اللبن أو الماء اللبن ، وصرحت الملكائية بأن الجوهر غير الأقانيم ، وذلك كالموصوف والصفة .

وفيهم من قال بحشر الأرواح دون الأبدان ، وقال إن عاقبة الأشرار في القيامة غم وحزن الجهل ، وعاقبة الأخيار سرور وفرح العلم ، وأنكروا أن يكون في الجنة نكاح وأكل وشرب .

2/ النسطورية ..

والنسطورية أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في آخر زمان المأمون ، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه ، حيث قال : إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة ، الوجود والعلم والحياة ، وهذه

---

(1) سورة آل عمران ، الآية : 25 .

(2) انظر : الملل والنحل ، للشهرستاني ، 2/ 244 ، و الموسوعة الميسرة ، ص499 .

الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي ولا هو ، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ، ولا على طريق الظهورية ،كما قالت اليعقوبية ، ولكن كإشراق الشمس في كوة أو على بلور ، أو كظهور النقش في الخاتم .

وبعضهم يثبت لله صفات أخر ، بمنزلة القدرة والإرادة ونحوهما ، ولم يجعلوها أقانيم كما جعلوا الحياة والعلم أقنومين .

ومن النسطورية قوم يقال لهم المصلين ، قالوا في المسيح مثل ما قال نسطور إلا أنهم قالوا إذا اجتهد الرجل في العبادة وترك التغذي باللحم والدم ، ورفض الشهوات النفسانية والحيوانية يصفى جوهره ، حتى يبلغ ملكوت السموات ، ويرى الله – تعالى – جهراً ، وينكشف له ما في الغيب فلا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، ومن النسطورية من ينفي التشبيه ، ويثبت القول بالقدر خيره وشره من العبد كما قالت القدرية .

3/ اليعقوبية ..

واليعقوبية ينسبون إلى يعقوب البرذعاني وكان راهباً بالقسطنطينية ، قالوا بالأقانيم الثلاثة كما ذكرنا ، إلا أنهم قالوا انقلبت الكلمة لحماً ودماً ، فصار الإله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو ، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم : (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) (1) .

فمنهم من قال المسيح هو الله ، ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت ، فصار ناسوت المسيح مظهر الحق ، لا على طريق حلول جزء فيه ، ولا على سبيل اتحاد الكلمة ، التي هي في حكم الصفة ؛ بل صار هو هو . وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد ، أقنوم واحد ، إلا أنه جوهرين ، وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين .

فهذه ثلاث فرق هم الكبار وانشعبت منهم الفرق إلى اثنتين وسبعين فرقة ، وكبار فرقهم ثلاثة: الملكائية ، والنسطورية ، واليعقوبية ، وانشعبت منها الأليانية ، والبليارسية، والمقدانوسية ، والسباليوسية ، والبوطينوسية ، والبولسية .. إلى سائر الفرق (2) .

ومن معتقداتهم :

---

(1) سورة المائدة ، الآية : 17 .

(2) انظر : الملل والنحل ، للشهرستاني ، 2/248 – 256 .

– أثبتوا لله – تعالى – أقانيم ثلاثة ، فهو واحد بالجوهرية ، ثلاثة بالأقنومية ، ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود ، والحياة ، والعلم ، والأب ، والابن ، وروح القدس .

– أن القديم لا يجوز أن يتحد بالمحدث ، إلا أن الأقنوم الذي هو الكلمة اتحدت دون سائر الأقانيم .

– قالوا في الصعود ؛ إنه قُتل وصُلب ، قتله اليهود حسداً وبغياً ، وإنكاراً لنبوته ودرجته . ولهم في النزول خلاف ، فمنهم من يقول ينزل قبل يوم القيامة كما قال أهل الإسلام ، ومنهم من يقول لا نزول له إلا يوم الحساب [1] .

– الدينونة والحساب .. يعتقدون بأن الحساب في الآخرة سيكون موكولاً للمسيح .

– الصليب .. حيث يعتبر الصليب شعاراً لهم .

– الدين .. يؤمن النصارى بأن النصرانية دين عالمي غير مختص ببني إسرائيل وحدهم [2] .

ونختم الكلام عن اليهود والنصارى بما يدل على فسادهما ، إضافة إلى الأحاديث التي أوردها الخطيب – رحمه الله – فمن ذلك افتراق اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة والنصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة ، وهذا ما صدّقه القرآن في قوله تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [3] ، وقوله سبحانه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [4] ، وأن عقائدهم منسوخة في الإسلام .

وأيضاً ذمّ النبي ﷺ اليهود والنصارى وعقائدهم الفاسدة ، في كثير من الأحاديث ، منها :

1– ما جاء مفسراً عن النبي ﷺ في حديث عَديّ بن حاتم وقصة إسلامه ، أن المغضوب عليهم : اليهود ، والضالين : النصارى [5] .

---

(1) المرجع السابق ، 2/ 245 .

(2) انظر : الموسوعة الميسرة ، ص502 .

(3) سورة البقرة ، الآية : 113 .

(4) سورة المائدة ، الآية : 51 .

(5) أخرجه الترمذي ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، 211/10 ، ح 2878 ، وأحمد في مسند الكوفيين ، 375/29 ، ح 18572 ، والطبراني في الكبير ، 20/12 ، ح 13691 ، والأوسط ، 8/9 ، ح

2- عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما قَدِم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ ، أتتهم أحبار يهود ، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ ، فقال رافع بن حُرَيملة : ما أنتم على شيء ، وكفر بعيسى ابن مريم وبالإنجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى : ما أنتم على شيء. وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة ، فأنزل الله في ذلك من قولهما : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ) إلى قوله : (فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [(1)] .

ومما يدل على فساد عقائد اليهود ، تحريفهم لكتاب الله – جل وعلا – ، قال الله – تعالى- : (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [(2)] .

ومما يدل على فساد عقائد النصارى [(3)] ، أن عقيدتهم تدعو إلى التثليث – الإله الأب، والإله الابن ، والإله الروح القدس – وأن هؤلاء الثلاثة يستحقون العبادة ، وجعلهم المسيح ابن الله.

والمقام ليس مقام بسط لآراء (اليهود) و (النصارى) ولا تعداداً لفرقهم ومناقشة باطلهم ، وما ذكرته إشارة فقط [(4)] .

3955 عن عدي بن حاتم رضي الله عنه ، وابن حبان ، كتاب التاريخ ، باب البيان بأن أهل الكتاب هم الذين ضلوا وغضب عليهم ، 32/26 ، ح 6352 ، وصححه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة ، 43/9، ح (3263) .

([1]) سيرة ابن هشام ، 1 / 549 ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره 208/1 (1103) من طريق سلمة به . والآية في سورة البقرة ، الآية : 113 .

([2]) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، محمد الأعظمي ، ص 120 ، والآية في سورة البقرة، الآية : 75 .

([3]) انظر : المصدر السابق ، ص 507 – 509 .

([4]) ويمكن للاستزادة والاطلاع ، الرجوع إلى المصادر التالية :
الملل والنحل – للشهرستاني ، الفِصَل في الملل والأهواء والنحل – لابن حزم ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – لابن تيمية ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى – لابن قيم الجوزية ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – لمانع الجهني .

الفصل السادس :

موقف الخطيب البغدادي مما اتُّهم به في معتقده

موقفه مما اتهم به في معتقده

قبل الحديث عن موقف الخطيب البغدادي – رحمه الله – مما اتهم به في معتقده ؛ أتحدث عن عقيدته – رحمه الله تعالى – .

كان رحمه الله حسن المعتقد ، يذهب في معتقده مذهب السلف من أهل السنة والجماعة ، وقد نص على ذلك الحافظ الذهبي في كتاب العلو للعلي الغفار ، والإمام ابن القيم في كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية .

وله رسالة صغيرة في بيان عقيدته في الأسماء والصفات ، وهي على صغر حجمها من أنفس ما كتب في هذا الموضوع (1) ، ولم يُعرف عنه– رحمه الله – مخالفة لهم .

(1) انظر: مختصر العلو للعلي الغفار ، للألباني 373 .

وقد وجهت له بعض الاتهامات منها ما يتعلق في معتقده ، و منها ما يتعلق في مذهبه ، ومنها ما يتعلق بتعصبه ضد أشخاص وفئات معينه ، وقد رَدّ دارسوه معظم هذه الاتهامات وبالأخص المعلمي في التنكيل [1] .

وسوف أفصل الحديث عن المحور الأساسي في بحثي ، وهو الاتهامات التي وجهت له في معتقده وموقفه منها ، وهي :

التهمة الأولى : اتُّهِم بالأشعرية ..

إن بعض العلماء قد نسبه إلى الأشعري ، وللأشعري قولان في الصفات أشهرهما : التأويل. وثانيهما : –وهو المتأخر– عدم التأويل [2] . لكن الخطيب رحمه الله اختار عدم التأويل ، فقد قال عبد العزيز بن أحمد الكتاني : " ... وكان يذهب إلى مذهب أبي الحسن الأشعري — رحمه الله – " [3] .

وقال الذهبي بعد – سياق قول الكتاني هذا – : " قلتُ : صَدَقَ ، فقد صرح الخطيب في أخبار الصفات أنها تُمَرُّ كما جاءت بلا تأويل " [4] .

قال السُّبكي بعد أن ذكر كلام الذهبي السابق : " قلتُ : وهذا مذهب الأشعري ، أُتي الذهبيُّ من عدم معرفته بمذهب الشيخ أبي الحسن ، كما أتي أقوام آخرون ، وللأشعري قول آخر بالتأويل " [5] .

وقد أجاب العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلميُّ اليماني – رحمه الله تعالى – عن هذه الشبهة بقوله : " أقول : الذي شَهَرَهَ المتعمقون عن الأشعري : التأويل ، وإن كان آخر مصنفاته — كتاب الإبانة — أعلن فيه اعتماده مذهب الإمام أحمد وأهل الحديث ، فالقائل: إن الخطيب كان يذهب مذهب الأشعري أوهمَ أنه كان من المتأولين ، ولم يزد الذهبي على دفع هذا الإيهام ،

---

(1) نظر : 192/1 وما بعدها .
(2) طبقات الشافعية 32/4 ، وقال الذهبي : مذهب الخطيب في الصفات أنها تمر كما جاءت صرح بذلك في تصانيفه .
(3) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 277/18 .
(4) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 277/18 .
(5) طبقات الشافعية الكبرى ، 33/4 .

ولكنّ ابن السبكي لغلوِّه شديد العقوق لأستاذه الذهبي ، وقد نقل الذهبي في " تذكرة الحفاظ " فصلاً من كلام الخطيب في الاعتقاد ينفي عنه التأويل والتعطيل " [1] .

وكما هو معلوم فإن دأب المحدثين هو الاحتياط ، والسير على طريق السلف رضي الله عنهم ، والخطيب وهو إمام محدث لم يقل بهذا التأويل ، وإنما كان على مذهب السلف، أي على عدم التأويل ، وهو رأي آخر للإمام الأشعري رحمه الله [2] .

موقفه من هذه التهمة :

إن المتأمل في كلام الخطيب نفسه يجده يبرز المذهبين ، ويشرح مذهب السلف ، ويعلن اختياره إياه فيقول – كما روى عنه الذهبي في التذكرة – [3] :

" أما الكلام في الصفات ، فإن ما روي منها في السنن الصحاح ، مذهب السلف رضوان الله عليهم إثباتها ، وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكيفية [4] والتشبيه عنها ، وقد نفاها قوم ، فأبطلوا ما أثبته الله سبحانه [5] .

وحققها من المثبتين قوم ، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف [6] .

والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين ، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه .

والأصل في هذا : أن الكلام في الصفات فرع في الذات ، و يحتذى في ذلك حذوه ومثاله[7] .

فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين – عز وجل – إنما هو إثبات وجود ، لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته ، إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف .

---

(1) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ، 1/126-127 .
(2) الرحلة في طلب الحديث ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : نور الدين عتر ، ص47 .
(3) ص1142 - 1143 .
(4) يعني نفي الكيفية المعلومة ، كما قال الإمام مالك – رحمه الله – وغيره من السلف : " الكيف مجهول، " وليس يقصد أنه ليس لصفاته كيفية في نفس الأمر .
(5) وهؤلاء هم المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم .
(6) وهؤلاء هم الممثلة .
(7) انظر شرح هذا الأصل في " الرسالة التدمرية " لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص69-78 .

فإذا قلنا : لله – تعالى – يد ، وسمع ، وبصر ، فإنما هي إثبات صفات أثبتها الله لنفسه ، ولا نقول إن معنى اليد : القدرة ، ولا إن معنى السمع والبصر : العلم [1] ، ولا نقول : إنها جوارح وأدوات للفعل ، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل [2] .

ونقول : إنما وجب إثباتها ؛ لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها ؛ لقوله – تبارك وتعالى – : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) [3] ، وقوله عز وجل : (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ) [4] .

التهمة الثانية : أتُّهم بالتفويض ..

وقد ظنّ بعض المتأخرين أن عقيدة السلف هي عقيدة التفويض ، ولما كانت عقيدة التفويض تُحكى عن أبي الحسن ، ورأوا أن أبا الحسن يذكر في كتبه أنه على عقيدة أحمد ابن حنبل [5]، ظنوا أن عقيدة أحمد وغيره من السلف هي هذه العقيدة الفاسدة ، ومن ثم نسب بعضهم الخطيب إلى أبي الحسن باعتبار عقيدة التفويض .

قال الصفدي – بعد كلام الذهبي – : " قلتُ : الشيخ أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – له في آيات الصفات مذهبان :

أحدهما : أنه إذا مرت به آية ظاهرها يفهم منه الجسمية كاليد والجنب ، ردَّها بالتأويل إلى ما ينفي الجسمية .

والثاني : أنه يمرُّ بظاهرها كما جاءت لا يتأولها ، ويكل العلم بها إلى الله – تعالى – من غير اعتقاد الجسمية ، فاختار الخطيب المذهب الثاني ، وهو الأسلم " [6] .

قال الشيخ يوسف السعيد – بعد كلام الصفدي – : " قلتُ : إن مراد الصفدي أنه لا يتأول نصوص الصفات التأويل الباطل ، فنعم ، وذلك أنها هي عقيدة السلف ، وعليه يُحمل قولهم : " أمروها كما جاءت " ، وإن كان مراده بالتأويل : معرفة معانيها ، فقوله باطل ، وليس الخطيب

---

(1) وهذا رد على أهل التأويل الباطل ، كالمعتزلة و الأشعرية .
(2) وهذا رد على الممثلة . .
(3) سورة الشورى ، الآية : 11 .
(4) سورة الإخلاص ، الآية : 4 .
(5) انظر : الإبانة عن أصول الديانة ، لأبي الحسن الأشعري ، ص17 .
(6) الوافي بالوفيات ، 196/7 .

على هذه العقيدة ، فالسلف كانوا يفسرون نصوص الصفات كما يفسرون غيرها ، لكنَّ المتأخرين من أهل الكلام المذموم صار للتأويل عندهم اصطلاح خاص ، وصارت طائفة منهم تقول بنفي كل تأويل حتى التأويل المراد به معرفة المعاني ، وهؤلاء هم المفوضة ، وهم مع المتأولة على طرفي نقيض ، ويظن بعضهم أن هذا – أعني عقيدة التفويض – هي عقيدة السلف أحمد وغيره ، وظنوا أنهم لا يفسرون نصوص الصفات ، بل يتلونها مجرد تلاوة من غير معرفةٍ لمعانيها ، وظنوا أن اعتقاد هذا هو الأسلم، لما قد يقع من الخطأ في التأويل " [1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى - : " وقد فسّر الإمام أحمد النصوص التي تسميها " الجهمية " متشابهات ، فبين معانيها آية آية وحديثاً حديثاً ، ولم يتوقف في شيء منها هو والأئمة قبله مما يدل على أن التوقف عن بيان معاني آيات الصفات ، وصرف الألفاظ عن ظواهرها لم يكن مذهباً لأئمة السنة ، وهم أعرف بمذهب السلف ، وإنما مذهب السلف إجراء معاني آيات الصفات على ظاهرها بإثبات الصفات له حقيقة ، وعندهم قراءة الآية والحديث وتفسيرها ، وتمر كما جاءت دالة على المعاني ، لا تحرفُ ولا يُلحد فيها " [2] .

والتأويل - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – " قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعملاً في ثلاثة معانٍ :

أحدها : – وهو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه وأصوله – أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به ، وهو الذي عناه أكثر من تكلم المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وترك تأويلها ..

والثاني : أن التأويل بمعنى التفسير ، وهذا هو الغالب على اصطلاح مُفَسِّري القرآن ..

الثالث من معاني التأويل : هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام ..." [3] .

وقد فصّل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – في مسألة : هل ظاهر النصوص مراد ؟ أو ظاهرها ليس بمراد ؟ فقال : " يقال : لفظ "الظاهر" فيه إجمال واشتراك ، فإن كان القائل

---

(1) القول في النجوم ، ص38 .
(2) الإكليل ضمن الرسائل الكبرى ، 2/22–23 .
(3) التدمرية ، ص91–92 – وانظر درء التعارض ، 1/14 – الإكليل ضمن الرسائل الكبرى ، 2/17–18 .

يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين ، أو ما هو من خصائصهم فلا ريب أن هذا غير مراد .

ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمّون هذا ظاهراً ، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفراً وباطلاً ، والله – سبحانه وتعالى – أعلم وأحكم أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال .

والذين يجعلون ظاهرها ذلك يغلطون من وجهين :

تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ ، حتى يجعلوه محتاجاً إلى تأويل يخالف الظاهر ، ولا يكون كذلك .

وتارة يردون المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ ؛ لاعتقادهم أنه باطل ..

وإن كان القائل يعتقد أن ظاهر النصوص المتنازع في معناها من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها ، والظاهر هو المراد في الجميع ، فإن الله – تعالى – لما أخبر أنه بكل شيء عليم ، وأنه على كل شيء قدير ، واتفق أهل السنة وأئمة المسلمين على أن هذا على ظاهره ، وأن ظاهر ذلك مراد ، كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا ، وقدرته كقدرتنا ... " [1] .

موقفه من هذه التهمة :

سأذكر هنا – كلاماً للخطيب – رحمه الله – ليتبين موقفه من نصوص الصفات ، وأنه موافق لمذهب السلف .

قال – رحمه الله تعالى – : " أما الكلام في الصفات ، فإن ما روي منها في السنن الصحاح ، مذهب السلف رضوان الله عليهم إثباتها ، وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكيفية ، والتشبيه عنها ، وقد نفاها قوم ، فأبطلوا ما أثبته الله سبحانه .

وحققها من المثبتين قوم ، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف .

والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين ، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه .

والأصل في هذا : أن الكلام في الصفات فرع في الذات ، و يحتذى في ذلك حذوه ومثاله.

---

[1] التدمرية ، ص69-76 .

فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين — عز وجل — إنما هو إثبات وجود ، لا إثبات كيفية ، فكذلك إثبات صفاته ، إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف .

فإذا قلنا : لله — تعالى — يد ، وسمع ، وبصر ، فإنما هي إثبات صفات أثبتها الله لنفسه ، ولا نقول إن معنى اليد : القدرة ، ولا إن معنى السمع والبصر : العلم ، ولا نقول : إنها جوارح وأدوات للفعل ، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل .

ونقول : إنما وجب إثباتها ؛ لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها ؛ لقوله – تبارك وتعالى – : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) [1] ، وقوله عز وجل : (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ) [2] .

ولما تعلق أهل البدع على عيب أهل النقل برواياتهم هذه الأحاديث ، ولبَّسوا على من ضعف علمه بأنهم يروون ما لا يليق بالتوحيد ، ولا يصح في الدين ، ورموهم بكفر أهل التشبيه وغفلة أهل التعطيل ، أجيبوا بأن في كتاب الله — تعالى — آيات محكمات يفهم منها المراد بظاهرها ، وآيات متشابهات لا يوقف على معناها إلا بردها إلى المحكم ، ويجب تصديق الكل، والإيمان بالجميع ، فكذلك أخبار لرسول ﷺ جارية هذا المجرى ، ومنزَّلة هذا التنزيل ، يُردُّ المتشابه منها إلى المحكم ، ويقبل الجميع .

وتنقسم الأحاديث المروية في الصفات إلى ثلاثة أقسام :

منها أخبار ثابتة ،أجمع أئمة النقل على صحتها ؛ لاستفاضتها وعدالة ناقليها ، فيجب قبولها ، والإيمان بها ، مع حفظ القلب أن يسبق إليه اعتقاد ما يقتضي تشبيه الله بخلقه ، ووصفه بما لا يليق من الجوارح والأدوات والتغير والحركات [3] .

([1]) سورة الشورى ، الآية : 11 .

([2]) التذكرة ، للذهبي ، ص1142 – 1143 ، والآية في سورة الإخلاص ، الآية : 4 .

([3]) أهل السنة والجماعة ينأون عن التكلم بمثل هذه الألفاظ ؛ وذلك لأنها ألفاظ محدثة مبتدعة تحتمل حقّاً وباطلاً ، وأهل الباطل يتوصلون بمثل هذه الألفاظ إلى نفي الصفات عن الله تعالى ، لكن الخطيب – رحمه اله تعالى – أراد بهذا الكلام الرد على الممثلة الذين يمثلون الله تعالى بخلقه .
قال ابن أبي العز – رحمه الله تعالى – في شرح "العقيدة الطحاوية " ص261 : " وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها لا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها ، فإن كان معنى صحيحاً ، قُبل ، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة ، مع قرائن تبين المراد والحاجة ، مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها ، ونحو ذلك " .

والقسم الثاني : أخبار ساقطة ، بأسانيد واهية ، وألفاظ شنيعة ، أجمع أهل العلم بالنقل على بطلانها ، فهذه لا يجوز الاشتغال بها ، ولا التعريج عليها .

القسم الثالث : أخبار اختلف أهل العلم في أحوال نقلتها ، فقبلهم البعض دون الكل ، فهذه يجب الاجتهاد والنظر فيها ، لتلحق بأهل القبول ، أو تجعل في حيز الفساد والبطول"(1) .

قال الشيخ يوسف السعيد ، بعد كلام الخطيب : " فهذه عقيدة الإمام في صفات رب العالمين، فكيف يقال إنه على مذهب الأشعري ، اللهم إلا أن يراد بذلك ما كان عليه الأشعري في آخر أمره ، فيمكن أن يوافق على ذلك في الجملة ؛ لأن أبا الحسن الأشعري حتى بعد رجوعه إلى السنة لم يكن رجوعه كاملاً ، بل في بعض كلامه ما لا يوافق عليه ، وحتى لو ووفق على ذلك ، فإنه لا ينبغي أن ينسب كل صاحب سنة بعد الأشعري إليه ؛ لأنه إن كان المراد بذلك السنة ، فليست هذه العقيدة تختص بالأشعري فقط ، بل يشاركه فيها غيره من أئمة المسلمين وعلمائهم وعامتهم .

وكان رحمه الله يعيب على المتكلمين وأهل الرأي الذين عارضوا السنن بآرائهم ، ويعدّهم أهل بدع ، ومعلوم أن الأشاعرة من أهل الكلام والرأي الباطل ، فكيف يكون منهم وعلى منهاجهم ثم يذمُّهم " (2) .

التهمة الثالثة : أتّهم بالنصب ..

وقد رمي الخطيب – رحمه الله – بأنه ناصبي ، يناصب آل بيت الرسول ﷺ العداء ، وقد وشى به بعضهم إلى سلطان عصره ، فقد ذكر ابن عساكر أن حسين بن علي الدِّمنشي (3) سعى

(1) جواب أبي بكر الخطيب عن سؤال بعض أهل دمشق في الصفات ، ص 64-67 .

(2) القول في علم النجوم ، ص44 .

(3) هو الحسين بن علي أبو علي المقري الدمشقي المعروف بابن الدمنّشي نسبة إلى دمنش بتشديد النون من مدن صقلية على البحر، كان لا يقرئ سورة الفاتحة لأحد إلا ويزعم أنه قرأها على جبريل ذكره الحافظ أبو القاسم في تاريخ دمشق وقال: سمع أبا الحسين بن أبي الحديد قال: وبلغني أنه كان رافضياً، مات سنة 491هـ .

انظر: معجم البلدان 471/2 ، وتاريخ دمشق 285/14 .

بالخطيب إلى أمير الجيوش ، فقال : هو ناصبي يروي فضائل الصحابة وفضائل العباس في الجامع [1] .

ومعلوم أن من ناصب آل البيت العداء ، فإنه مبتدع ، فهل كان الخطيب يناصب آل البيت العداء ؟

ولم يكن الخطيب ولا غيره من أهل السنة والجماعة يناصبون آل البيت العداء ، بل يحبونهم، ويرون فضلهم ، ويعرفون منزلتهم ، ويحفظون وصية نبيهم ﷺ فيهم .

وليس التحديث بفضائل الصحابة يعني النصب ، ولم يقل هذا أحد من أهل العلم لا قديماً ولا حديثاً ، وما فعله الخطيب هو عين الصواب ، وهو من كلمة الحق التي لا يجوز على مثل الخطيب كتمانها ، وذلك أن الذي كان يتولى الأمور في ذلك هم الرافضة العبيديون الباطنيون المجوس ، الذين أظهروا الرّفض ، وأبطنوا الكفر المحض ، فكانوا يعادون العباس ؛ للنزاع الشديد بينهم وبين دولة بني العباس على الحكم ، فكان كل من يتحدث بفضائل العباس ، فهو عندهم يعادي أهل البيت ، كذلك معلوم اعتقاد الرافضة كلهم في أصحاب رسول الله ﷺ إذ هم يناصبون العداء ، ويبغضونهم ، ويلعنونهم – على لاعن الصحابة لعنة الله والملائكة والناس أجمعين – فكانوا يمنعون من نشر فضائلهم ، وذكر محاسنهم ؛ لاعتقادهم الخبيث فيهم، فلم يكن بد من تحديث أبي بكر الخطيب – جزاه الله عن الخطيب خيراً _ بفضائلهم وذكر محاسنهم ، فهل يُعد هذا نصباً ؟! [2] .

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن المعلمي : " فإن العبيديين رافضة باطنية يكفرون الصحابة والعباس ، ويسرفون في بغضهم ، ويرون في نشر فضائل الصحابة والعباس على رؤوس الأشهاد بجامع دمشق تحدياً لهم ، وتنفيراً عنهم ، ودعوة إلى الخروج عليهم ، ودعاية لخصومهم بني العباس الذين كانوا ينازعونهم الخلافة ، ويقاتلونهم عليها " [3] .

ثم إن من سعى بالخطيب لم يذكر أنه حدّث بمساوئ لآل البيت ، ولا يمكنه ذلك ، فمجرد التحديث بفضائل الصحابة لا يعني نصب العداء لآل البيت .

---

(1) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 18/ 282 ، تذكرة الحفاظ ، 3/ 1142 .
(2) القول في علم النجوم ، ص48–49 .
(3) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ، 132/1 .

موقفه من هذه التهمة :

كيف يناصبهم العداء وهو يذكر محاسنهم ، ويثني عليهم ، ويترضى عنهم ؟ فها هو يقول في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " فممن حفظ لنا أنه وردها (بغداد) من جلة أصحاب رسول الله – صلى الله على وسلم – : أمير المؤمنين ، وابن عم خاتم الأنبياء علي بن أبي طالب .. وأول من صدّق رسول الله ﷺ من بني هاشم ، وشهد المشاهد معه ، وجاهد بين يديه ، ومناقبه أشهر من أن تذكر ، وفضائله أكثر من أن تحصر " [1] .

ويقول في الحسن والحسين وأمهما فاطمة بنت محمد ﷺ : " وسيدا شباب أهل الجنة : الحسن والحسين – عليهما السلام – أبناء علي بن أبي طالب ، وأمهما فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ " [2] .

وبهذا يتبين أن الخطيب – رحمه الله تعالى – لم يكن ناصبياً ، بل كان قائلاً بالحق ، داعياً إلى إحياء سنة محمد ﷺ مجاهداً بلسانه ، فرحمه الله ، وأجزل له الأجر والمثوبة [3] .

التهمة الرابعة : **اتهمه بعض الحنابلة بالبدعة** ، كانوا يريدونه أن يقتصر على الأقوال ، ولا يؤولها إلى العقل ، ولا يظهر غامضها بالنظر ، ولا يتخذ فيها طريق أهل الكلام ، وعمدوا على أذيته حين سنحت لهم الفرصة سنة 451 هـ .

موقفه من هذه التهمة :

اعتزل الخطيب البغدادي –رحمه الله– الفتنة ، ونجا من الشر ، وفر هارباً إلى دمشق .

ولم يسلم الخطيب من اتهامات الخصوم التي حاولت تشويه شخصيته فرمي مرة بالمكر، وأخرى بالتغزل بالغلمان ، وأخرى بشرب الخمر ، ونسب إليه أشعار في ذلك ، ولكن لا حاجة لنا بذكر ذلك لأسباب :

الأول : عدم توثيق رواتها [4] .

الثاني : لا تنسجم الاتهامات ولا الأشعار بما عرف عنه من واقع آثاره وشخصيته .

---

(1) تاريخ بغداد ، 1/ 133 .
(2) تاريخ بغداد ، 1/ 138 ، وانظر في روايته أخبارهم ومحاسنهم : تاريخ بغداد ، 1/ 133–144.
(3) القول في النجوم ، يوسف السعيد ، ص50 .
(4) انظر: معجم الأدباء 250/1 ، والتنكيل للمعلمي اليماني 137/1 .

الثالث : قد فندت كل الاتهامات التي وجهت له –رحمه الله– من قبل دارسي حياته [1] .

الباب الرابع
مقارنة بين منهج الخطيب البغدادي

(1) انظر : الخطيب البغدادي ليوسف العش ، 64–73 ، والتنكيل للمعلمي اليماني ص 130–138 . وانظر : موارد الخطيب ، ص 49 .

في العقيدة ومنهج السجزي وأبي يعلى الحنبلي - رحمهم الله - .. وفيه فصلان :

الفصل الأول : المقارنة بين منهجه وبين منهج السجزي - رحمهما الله - .

الفصل الثاني : المقارنة بين منهجه وبين منهج أبي يعلى الحنبلي - رحمهما الله - .

الفصل الأول :

المقارنة بين منهجه وبين منهج السجزي - رحمهما الله -

المقارنة بين منهجه وبين منهج السجزي - رحمهما الله -

إن مما لا يخفى على طلاب العلم مكانة وقدر الإمام أبي نصر عبيد الله بن سعيد الوايلي السجزي ، وعلو شأنه ؛ فهو علم من أعلام الإسلام ، و إمام من أئمة السنة ، أبلى في الذود عن حياض السنة وعقيدة السلف ؛ والرد على المخالفين بلاءً حسناً ، وهو شيخ السنة في عصره ، ومن هذا المنطلق كان من الضروري أن ألقي الضوء على نبذة يسيرة من حياته الشخصية ، ومنهجه في تقرير العقيدة ، ثم أقارن بين منهجه ومنهج الخطيب – رحمهما الله .

فهو عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد بن محمد بن حاتم بن علوية ، بن سهل بن عيسى ابن طلحة الوايلي البكري السجزي . وأما نسبته : فيقال له الوايلي – البكري – السجزي أو السجستاني ، فأما الوايلي فنسبة إلى (وايل) [1] قرية من قرى سجستان ، وأما البكري فنسبة إلى بكر بن وايل ، وأما السجزي بكسر السين وسكون الجيم في آخرها زاي ؛ فنسبة إلى (سجستان) [2] على غير قياس ؛ والقياس (السجستاني) ، وسجستان : بكسر أوله وثانيه ، ناحية كبيرة وولاية واسعة . وكنيته : أبو نصر . ولم تذكر المصادر تاريخ ولادته ، لكن الأمر الذي نستطيع القطع به ، أن مولده كان قبل الأربعمائة بزمن يؤهله للارتحال ، ذلك أن السمعاني ذكر أنه رحل إلى غزنة [3] قبل الأربعمائة ، والإمام الذهبي يذكر أنه طلب الحديث في حدود الأربعمائة ، وهذا يعني أنه كان في سنة الأربعمائة قد بلغ سناً يتمكن معه من الطلب والفهم ، وأنه يكون مولده قبل ذلك بزمن .

([1]) وايل باللام، قرية على ثلاثة فراسخ من سجستان، منها الحافظ أبو نصر عبد الله بن سعيد الوايلي السجزي المقيم بالحرم صاحب التصانيف والتخاريج .
انظر: معجم البلدان 356/5 .

([2]) سجستان بكسر أوله وثانيه وسين أخرى مهملة وتاء مثناة من فوق وآخره نون ، وهي ناحية كبيرة ، وولاية واسعة ، وينسب إليها السجزي، وأصل سجستان سكان وسكستان ، لأنهما كانتا بلدتي الجند ، وكانت مدينة سجستان قبل زرنج يقال لها رام شهرستان ، ورجال سجستان يعتمون بثلاث عمائم وأربع ، كل واحدة لون ، ما بين أحمر وأصفر وأخضر وأبيض وغير ذلك من الألوان ، وليس بينهم من المذاهب غير الحنفية من الفقهاء إلا قليل نادر ولا تخرج لهم امرأة من منزل أبداً ، وإن أرادت زيارة أهلها فبالليل ، وبسجستان كثير من الخوارج يظهرون مذهبهم ولا يتحاشون منه ، ويفتخرون به عند المعاملة ، وبها بليدة يقال لها كركويه ، كلهم خوارج وفيهم الصوم والصلاة والعبادة الزائدة ، ولهم فقهاء وعلماء على حدة ، وفي شرط أهل سجستان على المسلمين لما فتحوها أن لا يقتل في بلدهم قنفذ ، ولا يصطاد لأنهم كثيرو الأفاعي ، والقنافذ تأكل الأفاعي فما من بيت إلا وفيه قنفذ .
انظر: معجم البلدان 190/3 .

([3]) غزنة بفتح أوله وسكون ثانيه ، ثم نون هكذا يتلفظ بها العامة والصحيح عند العلماء غزنين ويعربونها فيقولون جزنة ، ويقال لمجموع بلادها زابلستان وغزنة مدينة عظيمة من مدن خوارزم ، وولاية واسعة في طرف خراسان ، وهي الحد بين خراسان والهند في طريق فيه خيرات واسعة ، إلا أن البرد فيها شديد جداً ، بلغني أن بالقرب منها عقبة بينهما مسيرة يوم واحد إذا قطعها القاطع وقع في أرض دفيئة شديدة الحر ، ومن هذا الجانب برد كالزمهرير ، وقد نسب إلى هذه المدينة من لا يعد ولا يحصى من العلماء ، وما زالت آهلة بأهل الدين ولزوم طريق أهل الشريعة والسلف الصالح ، وهي كانت منزل بني محمود بن سبكتكين إلى أن انقرضوا .
انظر: معجم البلدان 201/4 ، والروض المعطار 428/1 .

نشأ في بيت له عناية بالعلم بقرية (وايل) بسجستان وتلقى علومه الأوليه على أبيه الذي كان فقيهاً حنفياً ، وأخذ عن بعض مشايخ سجستان ، وسمع بها : أبا سليمان محمد بن محمد بن داوود الأصم ، وأبا عمر محمد بن إسماعيل العنبري ، وأبا زهير مسعود بن محمد ابن الحسين اللغوي ، وأبا سعيد حاتم بن أحمد ، أما بالنسبة لرحلته في طلب الحديث : فلقد خرج – رحمه الله – من سجستان بعد أن سمع بها من ذكرنا ، قاصداً أمهات المدن والأمصار التي كانت آنذاك مراكز علمية يوجد بها الكثير من علماء الحديث ، والمعنيين بروايته والاشتغال به.

فرحل إلى غزنة وهي مدينة من أول بلاد الهند ، خرج منها جماعة من العلماء في كل فن ، وكانت رحلته إليها قبل الأربعمائة ، ثم دخل نيسابور فسمع بها أبا عبد الله الحاكم صاحب المستدرك ، وأبا يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبي ، ثم رحل بعد الأربعمائة فدخل بخراسان ، وحلّ بأطرافها فترة كما يذكر السمعاني ، كما رحل إلى العراق فدخل البصرة وبغداد ، وشملت رحلته الشام ومصر فنزل بها وسمع الكثير ، ثم انتهى به المطاف إلى مكة ، حيث دخلها حاجاً سنة 404هـ فسمع بها أبا الحسن أحمد بن إبراهيم بن فراس العبقسي، وجاور بها إلى أن توفي بها .

ومن أشهر شيوخه : والده ؛ حيث تفقه عليه علومه الأولية ، وأبو سليمان محمد بن محمد ابن داود الأصم ، وأبو محمد بن إسماعيل العنبري ، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى ابن القاسم بن الصلت المجبر البغدادي ...وغيرهم

ومن أشهر تلاميذه : الحافظ الإمام المتقن محدث مصر أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله النعماني الحبال المصري ، والحافظ الإمام أبو الفضل جعفر بن يحيى بن إبراهيم التميمي المعروف بابن الحكاك ، والمسند أبو الحسين أحمد بن عبد القادر بن يوسف اليوسفي ، والحافظ عبد العزيز بن محمد بن عاصم النخشبي ..وغيرهم .

مكانته العلمية : وُصف – رحمه الله– بالعلم والإمامة والحفظ والإتقان ، وسعة الرواية ، والدراية بالرجال والطرق .

وفاته : توفي – رحمه الله – بمكة ، في شهر محرم سنة أربع وأربعين وأربعمائة للهجرة ، على الصحيح على قول أكثر من ترجم له ، وقال بعضهم مات بعد الأربعين وأربعمائة بدون تحديد [1] .

أما منهجه : فلقد حاولت استقراء منهجه – رحمه الله – ، من مصدرين :

المصـدر الأول : مؤلفاته – رحمه الله – ؛ حيث كان صاحب تصانيف حسان ، وصفه السمعاني بقوله : "كان صاحب التصانيف والتاريخ " [2] ، وابن ماكولا – رحمه الله – قال: "الإمام صاحب التصانيف " [3] ، و الحافظ ابن كثير قال عنه : " صنف وخرج .. وله الإبانة في الأصول ، وله في الفروع أيضاً " [4] .

لكن الذي ذُكر لنا اسمه منها ثلاثة مؤلفات ؛ من أهمها وأعظمها :

([1]) انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ 1118/3–1120 ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ، 654/17– 657، والمنتظم لابن الجوزي 310/8 ، والأعلام للزركلي 349/4 .

([2]) الأنساب ، 578 .

([3]) الإكمال ، 551/4 .

([4]) البداية والنهاية ، 117/12 .

1/ كتابه العظيم " الإبانة في الرد على الزائغين في مسألة القرآن " ، إلا أنه غير موجود ، ولم يتم الحصول عليه ، ولا الاستفادة منه سوى اقتباسات من أقواله – رحمه الله – و التي نقلها عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، والإمام الذهبي – رحمهم الله – ، في عدد من مؤلفاتهم .

2/ كتاب " رواية الأبناء عن الآباء " ، وهو مختص بعلم الحديث .

3/ كتاب " الرد على من أنكر الحرف والصوت " ، وهذا الكتاب الذي حصلت عليه واستفدت منه في استخلاص منهجه – رحمه الله في العقيدة ؛ بالإضافة إلى المصدر الثاني .

والمصدر الثاني : اقتباسات من أقوال الإمام السجزي – رحمه الله – من كتابه " الإبانة " و التي نقلها عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، والإمام الذهبي – رحمهم الله ، في عدد من مؤلفاتهم ، منها :

1/ قال ابن تيمية – رحمه الله – : " ... ومروي من طريق ابنه عبد الله وحده ، وقد ذكره الخلال [1] أيضاً في كتاب السنة ، ونقل منه القاضي أبو يعلى وغيره ، وقد حكى إجماع الخلق على ذلك غير واحد منهم أبو نصر السجزي في " الإبانة " ، وهو من أشد الناس إنكاراً على من يقول إن ألفاظ العباد بالقرآن مخلوقة ، أو يقول إن المسموع من القارئ ليس هو القرآن ، قال أبو نصر : " وأما نسبة الأصوات إلى القراء فيما ذكرنا في هذا الباب وفي غيره من كتابنا هذا ، ونسبة القراءة إليهم وإن فرح بها الزائغون ، فلا حجة لهم فيها ، وذلك أنالم نختلف في إضافة الصوت إلى الإنسان ، وأنه إذا صاح أو تكلم بكلام الناس ، أو نادى إنساناً فصوته مخلوق ، قال وهذا لا يشتبه ، وإنما وقع الاختلاف في أن المستمع من قارئ القرآن ماذا يستمع.." ، وساق الكلام إلى آخره وذكر في موضع آخر الإجماع أيضاً على ذلك " [2] .

([1]) هوأبو بكر، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال. الإمام العلامة الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة وعالمهم، أخذ الفقه عن خلق من أصحاب أحمد، وتلمذ لأبي بكر المروذي، تطلب فقه الإمام أحمد وفتاويه وأجوبته، وكتب عن الكبار والصغار حتى عن تلامذته، وجمع فأوعى، وقد صنف كتاب: الجامع في الفقه من كلام الإمام، بأخبرنا وحدثنا، وكتاب: العلل عن أحمد، وكتاب: السنة وألفاظ أحمد والدليل على ذلك من الأحاديث، ولم يكن قبله للإمام مذهب مستقل، حتى تتبع هو نصوص أحمد ودونها وبرهنها بعد الثلاث مئة، ولم يسبقه إلى جمع علم الإمام أحمد أحد. والرواية عنه عزيزة، مات سنة 311هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 297/14 ، والبداية والنهاية 148/11 .

([2]) مجموع الفتاوى ، 430/12 .

2/ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : "...والله تعالى قال : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) [1] ، وقال : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [2] ، فبيّن – جل جلاله – أنه قال لآدم بعد أن خلقه من تراب كن، وأنه إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون ، ولم يقتض ذلك حدوثاً ولا خلقاً بعد حدوث نوع الكلام لما قام من الدليل على انتفاء الخلق عن كلام الله تعالى ، وقال أبو نصر السجزي أيضا : " فأما الله – تعالى – فإنه متكلم فيما لم يزل ، ولا يزال متكلماً لما شاء من الكلام ، يسمع من يشاء من خلقه ما شاء من كلامه إذا شاء ذلك ، ويكلم من شاء تكليمه بما يعرفه ولا يجهله ، وهو سبحانه حي عليم متكلم لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ، لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، ليس بجسم ولا في معنى جسم ، ولا يوصف بأداة ولا جارحة وآلة ....." [3] .

3/ وقال ابن تيمية – رحمه الله – : "...فإنه يبين تناقضهم ويلزمهم فيما نفوه نظير ما يلزمونه لأهل الإثبات فيما أثبتوه فيستفاد من مناظرته لهم معرفة فساد كثير من أصولهم ولكن سلم لهم أصولا وافقهم عليها مثل تسليمه لهم صحة طريق الأعراض مع طولها ، ومثل إثباته للصانع بهذه الطريق التي هي من جنسها ، وبنى ذلك على إثبات الجوهر الفرد، فلزم من تسليمه ذلك لهم لوازم أراد أن يجمع بينها وبين ما أثبته من الرؤية وإثبات الكلام والصفات والعلو لله تعالى، فقال جمهور طوائف العقلاء من أهل السنة والحديث وغيرهم ومن المعتزلة والفلاسفة [4] وغيرهم إن هذا مناقضة مخالفة لصريح المعقول ، ولهذا قال من قال بقيت عليه بقية من الاعتزال ، وقالوا إنه

([1]) سورة آل عمران ، الآية : 59 .

([2]) سورة يس ، الآية : 82 .

([3]) درء تعارض العقل والنقل ، 2/ 88 .

([4]) هي إحدى الفرق الإسلامية الكلامية ، والفلسفة هي كلمة يونانية مركبة من كلمتين (فيلا) بمعنى الإيثار ، و(سوفيا) بمعنى الحكمة ، ويلخص ابن أبي العز شارح الطحاوية مذهب الفلاسفة في خمسة أصول للدين عندهم فيما يلي : أن الله سبحانه موجود ولا حقيقة له ولا ماهية ، ولا يعلم الجزئيات بأعيانها ، ولكنه يعلمها إجمالياً ، وبالتالي أنكروا خلق أفعال عباده ، كما ولا يؤمنون بكتبه حيث إن الله عندهم لا يتكلم ولا يكلم ، وأن القرآن فيض فاض من العقل الفعّال على قلب بشر زكي النفس طاهر – تعالى الله عن وصفهم علواً كبيراً – وأن الملائكة ليست ذوات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء ، إنما هي عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان ، والفلاسفة أشد الناس إنكاراً لليوم الآخر وأحداثه ، وما الجنة والنار عندهم إلا أمثال مضروبة لتفهيم الناس العوام ، ولا حقيقة لها في الخارج .
انظر : االموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، 1118/2 .

وافقهم على بعض أصولهم التي بنوا عليها قولهم كهذا الأصل ، وهذا مثل ما ذكره أبو نصر السجزي في " الإبانة " قال : " حكى محمد بن عبد الله المغربي المالكي ، وكان فقيهاً صالحاً ، عن الشيخ أبي سعيد البرقي، وهو من شيوخ فقهاء المالكيين ببرقة [1] ، عن أستاذه خلف المعلم ، وكان من فقهاء المالكيين ، قال : أقام الأشعري أربعين سنة على الاعتزال ، ثم أظهر التوبة فرجع عن الفروع ، وثبت على الأصول ، قال أبو نصر : وهذا كلام خبير بمذهب الأشعري وغوره .." [2] .

وعلّق على ذلك الشيخ – رحمه الله – في الدرء بقوله : " ليس مراده بالأصول ما أظهروه من مخالفة للسنة ، فإن الأشعري مخالف لهم فيما أظهروه من مخالفة السنة ، كمسألة الرؤية والقرآن والصفات ، لكن أصولهم الكلامية العقلية التي بنوا عليها الفروع المخالفة للسنة ، مثل هذا الأصل الذي بنوا عليه حدوث العالم وإثبات الصانع ، فإن هذا أصل أصولهم.."[3] .

4/ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله – : " فهذا ونحوه بعض كلام رؤوس أهل الكلام والفلسفة في هذا الباب ، يبين خطأ من جعل النزاع في ذلك مع الكرامية والحنبلية[4] ويبين أن أكثر طوائف العقلاء يقولون بالعلو ، وبامتناع وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه ، وأما كلام من نقل مذهب السلف والأئمة فأكثر من أن يمكن سطره ، قال الشيخ أبو نصر السجزي في كتاب " الإبانة " له : " فأئمتنا كسفيان الثوري ، ومالك ، وسفيان بن عيينة ، وحماد بن

([1]) برقة بفتح أوله والقاف اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن فهي مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية وإفريقية بينها وبين البحر ستة أميال وهي مرج أفيح وتربة حمراء افتتحها عمرو بن العاصي ﷺ سنة إحدى وعشرين، وفيها آثار للأول كثيرة، ومن حمرة تربتها تحمر ثياب ساكنيها والمتصرفين فيها، وبرقة أيضاً من قرى قم من نواحي الجبل، وأصل البرقة في كلامهم الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان. انظر: معجم البلدان 388/1 ، والروض المعطار 91/1 .

([2]) درء تعارض العقل والنقل ، 7/ 236 . والتسعينية لشيخ الإسلام ، ص 794 .

([3]) درء تعارض العقل والنقل ، 7/ 236 – 237 .

([4]) تطلق هذه العبارة ويراد بها أتباع المذهب الفقهي للإمام أحمد، ويقابله والحالة هذه مذاهب الأئمة الثلاثة: أبو حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله، ويطلق في كتب الفرق ويراد بها أتباع عقيدة الإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة، ويندرج فيها والحالة هذه كثير من الأئمة المنتسبين إلى الأئمة الثلاثة في الفقه، بينما يقابلها حينئذ أصحاب الفرق المبتدعة ، والمناهج المنحرفة عن عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة، والحنبلية هنا هي الفرقة التي تؤمن بأسماء الله وصفاته كما وردت في كتاب الله تعالى وعلى لسان رسوله دون أن يعطلوا شيئاً منها ، ودون أن يشبهوها بشيء من صفات المخلوقين كذلك، فهم وسط بين الفرق ، كما أن أمة الإسلام وسط بين الأمم .

سلمة ، وحماد بن زيد ، وعبد الله بن المبارك ، وفضيل بن عياض ، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش ، وأن علمه بكل مكان ، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا ، وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء ، فمن خالف شيئاً من ذلك فهو منهم بريء وهم منه براء ، وأبو نصر هذا كان مقيماً بمكة في أثناء المائة الخامسة " [1] .

5/ وقال شيخ الإسلام – رحمه الله – بعد أن تحدّث عن مسألة الاستواء : " وأما ما نقل مذاهب سلف الأمة وأئمتها وسائر الطوائف فروى أبوبكر البيهقي [2] في كتابه

" الأسماء والصفات" بإسناد صحيح عن الأوزاعي قال : كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله – تعالى – ذكره فوق سماواته ، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته ، وقال أبو بكر النقاش[3] صاحب التفسير والرسالة : حدثنا أبو العباس السراج ، سمعت قتيبة بن سعيد يقول: هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة ، نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه ، كما قال : الرحمن على العرش استوى ، وقال الشيخ أبو نصر السجزي في كتاب " الإبانة " له : " وأئمتنا كسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن عيينة ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وعبد

([1]) درء تعارض العقل والنقل ، 6/ 250 .

([2]) هو شيخ الإسلام ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي ، الخراساني الحافظ العلامة الثبت الفقيه الأصولي، الديّن الورع، واحد زمانه في الحفظ، وفرد أقرانه في الإتقان والضبط، من كبار أصحاب الحاكم، ويزيد على الحاكم بأنواع من العلوم، تواليفه تقارب ألف حزء مما لم يسبقه إليه أحد، جمع بين علم الحديث والفقه، وبيان علل الحديث، ووجه الجمع بين الأحاديث، طلب منه الأئمة الانتقال من بيهق إلى نيسابور لسماع الكتب، وكان انقطع بقريته مقبلاً على الجمع والتأليف، وبورك له في علمه، وصنف التصانيف النافعة، ولم يكن عنده سنن النسائي ولا ابن ماجه ولا جامع الترمذي، وعنده عن الحاكم وقْر بعير أو نحو ذلك، وعنده سنن أبي داود عالياً، قال الجويني قال: ما من فقيه شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا أبا بكر البيهقي، فإن المنة له على الشافعي لتصانيفه في نصرة مذهبه، مات سنة 458هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 163/18 ، وطبقات السبكي 8/4 .

([3]) هو شيخ القراء أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي ثم البغدادي النقاش، العلامة المفسر، مؤلف شفاء الصدور في التفسير. واسع الرحلة، قديم اللقاء، وهو في القراءات أقوى منه في الروايات. وله المعاجم الثلاثة: أوسط ، وأكبر ، وأصغر ، فالأكبر في معرفة المقرئين، ولو تثبت في النقل، لصار شيخ الإسلام، لكنه يكذب في الحديث ، ولعله بغير عمد، والغالب عليه القصص، قال الذهبي: قد اعتمد الداني في التيسير على رواياته للقراءات، فالله أعلم، فإن قلبي لا يسكن إليه، وهو عندي متهم . اهـ ، مات سنة 351هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 573/15 ، وغاية النهاية 119/2.

الله بن المبارك ، وفضيل بن عياض ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي متفقون على أن الله – سبحانه – بذاته فوق العرش ، وأن علمه بكل مكان ، وأنه يُرى يوم القيامة بالأبصار ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا ، وأنه يغضب ويرضى ، ويتكلم بما شاء، فمن خالف شيئاً من ذلك فهو منهم بريء وهم منه براء .." [1] .

6/ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : "...عن قوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) [2] ، أينظر الله – عز وجل – ؟ قال : نعم ، فقلت إن أقواماً يقولون ينظر ما عنده ، قال بل ينظر إليه نظراً ، وقد قال موسى : (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي) [3] ، وقال الله : (كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) [4] ، وعن مالك أنه قيل له إ نهم يزعمون أن الله لا يُرَى ، فقال : السيف السيف ، .... وعن الأوزاعي أنه قال : إني لأرجو أن يحجب الله جهماً وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده أولياءه حيث يقول : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) [5] ، فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعد أولياءه ، وعن أبي الوليد مسلم قال : سألت الأوزاعي ، وسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية فقال : أمروها بلا كيف ، وعن الربيع قال : حضرت الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها : ما تقول في قول الله :(كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) [6] ، قال الشافعي : " فلما أن حجب هؤلاء السخط كان هذا دليلاً عن أنهم يرونه في الرضى " ، قال الربيع قلت : يا أبا عبد الله وبه تقول ؟ قال : نعم ، وبه أدين الله لولم يؤمن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله ، وعن عبد الله بن المبارك قال: ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه ، ثم قرأ : (كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ) [7] ، قال بالرؤية ، وقال الشيخ أبو نصر السجزي في كتاب " الإبانة " له : "

---

(1) بيان تلبيس الجهمية ، 2/ 38 .
(2) سورة القيامة ، الآية : 22 – 23 .
(3) سورة الأعراف ، الآية : 143 .
(4) سورة المطففين ، الآية : 15 .
(5) سورة القيامة ، الآية : 22 – 23 .
(6) سورة المطففين ، الآية : 15 .
(7) سورة المطففين ، الآية : 15–17 .

وأئمتنا رحمهم الله كسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن عيينة ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، وعبد الله بن المبارك ، وفضيل بن عياض ، وأحمد بن حنبل ...." [1] .

7/ وقال شيخ الإسلام – رحمه الله – : "... وهو أنه سبحانه مستوٍ على العرش بذاته ، وأطلقوا في بعض الأماكن فوق عرشه ، قال الإمام أبو بكر : وهو الصحيح الذي أقول به من غير تحديد ولا تمكن في مكان ، ولا كون فيه ولا مماسة ، قال الشيخ أبو عبد الله : " هذا قول القاضي أبي بكر في كتاب تمهيد الأوائل له " ، وقاله الأستاذ أبو بكر بن فورك [2] في شرح أوائل الأدلة له ؛ وهو قول أبي عمر بن عبد البر ، والطلمنكي [3] وغيرهما من الأندلسيين ، وقول الخطابي في شعار الدين ، ثم قال بعد أن حكى أربعة عشر قولاً ، وأظهر الأقوال ما تظاهرت عليه الآي والأخبار والفضلاء الأخيار أن الله على عرشه كما أخبر في كتابه ، وعلى لسان نبيه ، بلا كيف بائن من جميع خلقه ، هذا مذهب السلف الصالح فيما نقله عنهم الثقات ، هذا كله لفظه ، وقال الشيخ أبو نصر السجزي في كتاب " الإبانة " له:

" وأئمتنا كسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن عيينة ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، وعبد الله بن المبارك ، وفضيل بن عياض ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش ، وأن علمه بكل مكان ، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار

---

(1) بيان تلبيس الجهمية ، 416/2 .

(2) هو شيخ المتكلمين، أبو بكر، محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، الإمام العلامة الصالح، الأصولي الأديب النحوي الواعظ، صنف التصانيف الكثيرة بلغت قريباً من مئة مصنف، وكان شديد الرد على ابن كرام، وكان أشعرياً رأساً في فن الكلام، أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الأشعري وكان يقول: إن روح رسول الله قد بطلت، وتلاشت، وما هي في الجنة، مات سنة 406هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء 215/17 ، وشذرات الذهب 181/3 .

(3) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى بن يحيى المعافري الأندلسي الطلمنكي الإمام المقرئ المحقق المحدث الحافظ الأثري، من بحور العلم، أدخل الأندلس علماً جماً نافعاً، وكان عجباً في حفظ علوم القرآن: قراآته ولغته وإعرابه وأحكامه ومنسوخه ومعانيه. صنف كتباً كثيرة في السنة يلوح فيها فضله وحفظه وإمامته واتباعه للأثر وكان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع، قامعاً لهم، غيوراً= على الشريعة، شديداً في ذات الله، أقرأ الناس محتسباً، وأسمع الحديث، والتزم للإمامة بمسجد منعة، ثم خرج وتحول في الثغر، وانتفع الناس بعلمه، وقصد بلده في آخر عمره، فتوفي بها سنة 429هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 566/17 ، والديباج المذهب 178/1.

فوق العرش ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا ، وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء ، فمن خالف شيئاً من ذلك فهو منهم بريء وهم منه براء " [1] .

8/ وذكر ابن القيم – رحمه الله – : " ... قول الحافظ أبي الشيخ عبيد الله بن محمد بن حيان الأصبهاني في "كتاب العظمة" : " حيث ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه وعظمة خلقهما ، وعلو الرب جل جلاله فوق عرشه ، ثم ساق كثيراً من أحاديث هذه الباب بإسناده" ، وقول الحافظ زكريا بن يحيى الساجي إمام أهل البصرة – رحمه الله تعالى – قال أبو عبد الله بن بطة : حدثنا أبو الحسن أحمد بن زكريا بن يحيى الساجي قال : قال أبي القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم أن الله – تعالى – على عرشه في سمائه ، يقرب من خلقه كيف شاء ، ثم ذكر بقية الاعتقاد ، ذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي [2] في طبقات الفقهاء وقال أخذ عن الربيع ، والمزني ، وله كتاب اختلاف الفقهاء ، وكتاب علل الحديث ، وهو شيخ أبي الحسن الأشعري في الفقه والحديث ، وذكر ما حكاه أبو نصر السجزي : " عن أهل الحديث قال وأئمتنا كالثوري، ومالك ، وابن عيينة ، وحماد بن زيد ، والفضيل وأحمد ، وإسحاق ، متفقون على أن الله فوق العرش بذاته ، وأن علمه بكل مكان .. " [3] .

9/ قال ابن القيم – رحمه الله – : " ... إن الله في السماء على العرش فوق سبع سماوات كما قال الجماعة ، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم إن الله بكل مكان ، قال والدليل على صحة قول أهل الحق قوله تعالى .." وذكر عدة آيات إلى أن قال : " وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته لأنه اضطرار لم يواقفهم ، عليه أحد ، ولا أنكره عليهم مسلم ، وهذا قليل من كثير من كلام من ذكر أن مسألة العلو فطرية ضرورية ، وأما من نقل إجماع الأنبياء والرسل والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فأكثر من أن يذكر , ولكن

---

(1) مجموع الفتاوى ، 262/3 .

(2) هو شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي ، الإمام القدوة المجتهد، إمام الشافعية ومدرس النظامية ، وشيخ العصر ، نزيل بغداد، قيل: لقبه جمال الدين ، وكان يضرب المثل بفصاحته وقوة مناظرته، صنف في الأصول والفروع والخلاف والمذهب، أمير المؤمنين في الفقهاء، ولم يحج لفقره، وخطه في غاية الرداءة، وبحسن نيته في العلم اشتهرت تصانيفه في الدنيا كالمهذب ، واللمع في أصول الفقه ، وغير ذلك ، مات سنة 476هـ .
انظر : المجموع للنووي 25/1 ، وطبقات السبكي 215/4 .

(3) اجتماع الجيوش الإسلامية ، 155/1 .

ننبه على اليسير منه ، قال الشيخ أبو نصر السجزي في كتاب " الإبانة " له: " وأئمتنا كسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن ....إلخ " (1) .

10/ وقال الإمام الذهبي – رحمه الله – : " قال أبو نصر السجزي في كتاب " الإبانة " : وأئمتنا كسفيان ، ومالك ، والحمّادين ، وابن عيينة ، والفضيل ، وابن المبارك ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق ، متفقون على أن الله سبحانه فوق العرش ، وعلمه بكل مكان ، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا ، وأنه يغضب ويرضى ، ويتكلم بما شاء " (2) .

وأما بالنسبة لمنهجه – رحمه الله – في العقيدة فهو منهج أهل السنة والجماعة ، وتأليفه لكتاب "الرد على من أنكر الحرف والصوت" دليل على ذلك ، فقد بيّن في الفصل الثاني من كتابه هذا أن " أهل السنة هم الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح – رحمهم الله – عن الرسول ﷺ أو عن أصحابه رضي الله عنهم فيما لم يثبت فيه نص في الكتاب ، ولا عن الرسول ﷺ ، لأنهم رضي الله عنهم أئمة ، وقد أُمرنا باقتداء آثارهم ، واتباع سنّتهم " (3) .

وبيّن في آخر الفصل أنه على السنة ، وأن خصومه على البدعة .

وقد وصفه غير واحد من العلماء أنه من أهل السنة ، وأنه علم من أعلامها .. فهذا تلميذه عبد العزيز النخشبي يقول فيه : " العالم الحافظ ، شيخ متقن ثقة ثبت من أهل السنة " (4). ويقول ابن نقطة : " أبو نصر الحافظ .. الإمام" (5) ، ويقول فيه الإمام الذهبي : " الإمام العالم الحافظ المجود ، شيخ السنة أبو نصر عبيد الله بن سعيد .. شيخ الحرم ، ومصنف الإبانة الكبرى .." (6) .

---

(1) الصواعق المرسلة ، 4/ 1283 .
(2) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 656/17 ، والعلو للعلي الغفار ، ص 180 .
(3) الرد على من أنكر الحرف والصوت ، ص 96 .
(4) تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، 1119/3 .
(5) الاستدراك ، 552/2 – ب .
(6) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 654/17 .

ثم أفصح هو عن منهجه في باب الاعتقاد ؛ فقال : " وقبل كل شيء ينبغي أن يعلم أن اعتمادنا في المعتقدات أجمع على السمع ، فإذا ورد السمع بشيء قلنا به ، ولم نلتفت إلى شبهة يدعيها مخالف " (1) .

وهذا المنهج الذي أفصح عنه الإمام السجزي هو منهج أهل السنة الذين هم سلف الأمة الصالح ، الذين كان الإمام السجزي يقتدي بهم ، ويقتفي آثارهم ، فقال : " وأئمتنا كسفيان، ومالك ، والحمادين ، وابن عيينه ، والفضيل ، وابن المبارك ، وأحمد بن حنبل، وإسحاق..."(2) . كما مر معنا في الأقوال السابقة .

وكما ذكر في كتابه " الرد على من أنكر الحرف والصوت " عدداً من أئمة الهدى الذين بيّن أنهم هم الأئمة الذين ينبغي اتباع آثارهم .

وخلاصة ذلك يمكننا القول بأن أبا نصر السجزي كان سلفي العقيدة ، متبعاً للسلف الصالح ، سائراً مع النص .

كما أنه رحمه الله إمام من أئمة أهل السنة وعلم من أعلامها ، فهو كما وصفه ابن تيمية : " من أكابر أهل الإثبات " (3) ، وكما وصفه الذهبي : " شيخ السنة " (4) .

ومنهجه – رحمه الله – في العقيدة ، يتبين من خلال كتابه " رسالة السجزي إلى أهل زَبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت " ، ومن خلال النقول التي ذكرها أهل العلم في مؤلفاتهم عنه – رحمه الله – ، حيث سلك فيهم منهجاً علمياً ؛ بحيث أنه يبدأ أولاً بتقرير العقيدة ، وبعد ذلك يستدل عليها . ثم ثانياً مناقشة الخصوم ؛ بحيث يذكر شبه الخصم وحججه ، ومن ثم يبيّن فسادها وبطلانها ، ويرد عليها ، ويبيّن مدى مخالفتها للعقل الذي يقدمونه على الشرع واللغة والعرف جميعاً ، وأنهم كثيراً ما يوافقون المعتزلة .

وتفصيل ذلك : أنه يبدأ أولاً بذكر المسألة العقدية ، ومن ثمّ يقرّرها ، ويستدل عليها من الكتاب والسنة وأقوال السلف ، وينهج في تقريرها منهج أهل السنة والجماعة . يقول في كتابه "

(1) الرد على من أنكر الحرف والصوت ، ص153 .
(2) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 656/1 .
(3) بيان تلبيس الجهمية ، 446/1 .
(4) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ، 654/17 .

الإبانة " : " وأئمتنا كسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن عيينة ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، وعبد الله بن المبارك ، وفضيل بن عياض ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش ، وأن علمه بكل مكان ، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا ، وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء ، فمن خالف شيئاً من ذلك فهو منهم بريء ، وهم منه براء " [1] .

هذا القول فيه إثبات أن منهج الإمام السجزي – رحمه الله – في العقيدة ، هو منهج أهل السنة والجماعة ، وهم سلف الأمة ؛ الذين يترسم خطاهم ، ويقتفي آثارهم ، وبهداهم اهتدى، ويتضح هذا من قوله : " وأئمتنا " حيث جعلهم أئمة له يتبعهم ، ويسير على منهجهم ، ومثال ذلك : المسألة التي ذُكرت في هذا القول ، وهي مسألة " علو الله سبحانه فوق عرشه ، ورؤية المؤمنين له في الآخرة ، وإثبات بعض الصفات له مثل الغضب والرضى والكلام .." حيث نهج فيها منهج أهل السنة والجماعة ، وذلك بإقرار علو الله سبحانه فوق عرشه على جميع مخلوقاته ، وأنه عليم بكل شيء ، لا يخفى عليه شيء سبحانه ، وإثبات رؤية المؤمنين له في الآخرة ، وأنه سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل ، كما ورد ذلك عن رسول الله ﷺ ، وإثبات الصفات التي أثبتها الله سبحانه لنفسه ، وأثبتها له رسوله ﷺ كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تأويل ولا تكييف، مثل إثبات صفة الغضب له – جل جلاله – وكذلك صفة الرضا والكلام ، كما جاءت إلينا عن طريق السمع.

كما أنه يبيّن المفهوم الصحيح للسنة ، ومن هم أهل السنة ، وبيّن أنهم هم الثابتون على اعتقاد ما نقله السلف الصالح إليهم عن رسول الله ﷺ أو عن أصحابه ﷺ فيما لم يثبت فيه نص من القرآن ولا من السنة .

كما بيّن من يستحق أن يسمى بالمحدث المبتدع المخالف ، وهو الذي يقول في نفسه قولاً، ويزعم أنه مقتضى عقله ، وأن الحديث الذي وصل إلينا المخالف له لا ينبغي أن يلتفت إليه ، وذلك لكونه من أخبار الآحاد ، وهي لا توجب علماً في نظره ، وعقله هو الذي يوجب العلم .

---

[1] مجموع الفتاوى ، 262/3 .

ثم بيّن في مدى مناقضة خصومه لهذا الأصل ، واعتمد فيما يورده من أقوالهم وشبههم على كتبهم ، وإن كان – رحمه الله – لا يفصح بأسماء هذه الكتب ، ولكن محققو كتبه قد يفصحون عن بعضها ، ويبيّنون صحة كثير مما نقله عنهم .

ثم يثنّي ذلك بمناقشة الخصوم والرد عليهم ، حيث يبدأ بتحديد الحجة التي ينبغي أن يعتمد عليها في الاحتجاج والاستدلال ، ثم يبيّن أن الحجة القاطعة هي التي لا تتطرق إليها شبهة، ولا يخالجها شك ، هي ما جاء به السمع من الكتاب الكريم و السنة النبوية ، وأن العقل ليس حجة في ذاته ، وإنما هو عبارة عن آلة فقط للتمييز والفهم ، ولا ينبغي علينا أن نرفعه أكثر من قدره هذا إلى تقديمه على السمع ، ونعتبره هو الحجة دونه ، فيقول : " وقبل كل شيء ينبغي أن يعلم أن اعتمادنا في المعتقدات أجمع على السمع ، فإذا ورد السمع بشيء قلنا به ، ولم نلتفت إلى شبهة يدعيها مخالف " (1) .

وهو – رحمه الله – لا يعتمد حينما يذكر آراء القوم ومثالبهم على ما يذكره خصومهم ومناوئوهم من الفرق الأخرى ، وإنما يدينهم من كتبهم وأقوالهم ، فيقول في بيان منهجه في ذلك : " ونحن لا نذكر من فضائح الأشعري ومن وافقه ما ذكره من لا يرضى مذهبه من معتزلي وكرامي ، بل ما لا يمكنهم إنكاره وتنطق به كتبهم " (2) .

هذا ما استخلصته من منهجه في تقرير العقيدة السلفية الصحيحة ، والاستدلال عليها ، ومنهجه في مناقشة شبه الخصم ومجادلتهم بالحق وبيان فسادها وبطلانها والرد عليهم ، من المصدرين السابقين .

المقارنة بين منهجه ومنهج الخطيب البغدادي – رحمهما الله – :

سبق في الفقرة السابقة إيراد منهج السجزي – رحمه الله – في العقيدة ، وحتى أُقارن بين منهجه ومنهج الخطيب – رحمه الله – لابد أن أُلقي الضوء هنا على منهج الخطيب مختصراً ليتسنى لي المقارنة .

(1) الرد على من أنكر الحرف والصوت ، ص153 .
(2) المصدر السابق ، ص195 .

فمنهج الخطيب البغدادي – رحمه الله – في العقيدة منهج أهل السنة والجماعة ؛ وذلك أنه يذكر المسألة العقدية وقد يفرد لها باباً ويطيل في الحديث عنها لأهميتها ، أو يختصرها ، على حسب ما يناسب المقام .

وأحياناً يذكر المسألة العقدية مدرجة تحت باب معين ، وفي أحيانٍ أخرى يأتي ذكر المسألة العقدية عرضاً في إطار بحث مسألة أخرى .

وأحياناً يذكرها على هيئة عنوان بارز ، ثم يتبعها بعد ذلك بالاستدلال عليها ، وفي مراتٍ أخرى يكون إيراده لها كتقرير لها وإثباتها ، وقد يكون إيراده لها عن طريق إبطال الرأي الخاطئ ، وإثبات ما يضاده ، وفي أحيانٍ أخرى يوردها عن طريق رده على شبهة أو إشكال ، أو يوردها كجواب عن سؤال سُئل عنه .

وأما بالنسبة لمنهجه في الاستدلال فإنه عند إيراده لأي مسألة عقدية في الغالب يستدل عليها من القرآن الكريم ، ويكتفي به ، وأحياناً يستدل من السنة ، ويثني استدلاله بالقرآن الكريم كشاهد عليه وإثبات لصحته ، وفي أحيان أخرى يثنّيه بأقوال السلف – رحمهم الله– ، وفي أحيانٍ أخرى يقرن استدلاله بالقرآن الكريم باستدلاله بالسنة ؛ وفي مراتٍ أخرى يكتفي بالاستدلال بالسنة النبوية فقط .

وفي مواضع أخرى يورد المسائل العقدية ، ويستدل عليها بأقوال السلف – رحمهم الله – بعد إيراد النصوص الشرعية من القرآن والسنة ؛ وذلك تأكيداً لسلامة الفهم ، وتبييناً لموقفهم من بعض المسائل .

وكثيراً ما يورد المسائل العقدية ، ويستدل عليها بأقوال السلف فقط ، ويكتفي بها .

هذا بالنسبة للاستدلال النقلي على المسائل العقدية ، أما بالنسبة للاستدلال العقلي ، فإنه نهج فيه منهج أهل السنة والجماعة ؛ وذلك أنه يستخدم الحوار العقلي أحياناً في الرد على بعض المسائل العقدية ، ويكتفي به دون أن يورد معه استدلالات أخرى من القرآن الكريم أو السنة أو أقوال السلف .

ويتضح مما سبق من بيان منهج الخطيب – رحمه الله – وأنه يلتزم بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية وبأقوال السلف – رحمهم الله – ، كما أنه يؤيد تقريره للمسألة بالعقل .

وأحياناً يجمع – رحمه الله – بين أدلة الكتاب والسنة في مسائل الاعتقاد ، وأيضاً ينفي ويدرأ التعارض بين النقل والعقل ، بحيث إنه يقررها بالنص أحياناً ، وبالعقل أحياناً أخرى، ويبين أن لا تعارض بينهما ، وأيضاً يرد المتشابه إلى المحكم .

كما أنه يعتني بإيراد سند الأحاديث التي يستدل بها في تقرير العقيدة ، كما أنه ينوّع في عرض الأدلة ، وينوّع بين التفصيل والإجمال في مسائل العقيدة .

هذا بالنسبة لمنهج الخطيب – رحمه الله – باختصار ؛ وذلك للمقارنة بينه وبين منهج السجزي – رحمه الله – ، وإلا فقد فصّلت في بيان منهجه تفصيلاً كافياً ، وذلك في الباب الأول في فصوله الخمسة كلها .

وأما بالنسبة للمقارنة بين منهجهما – رحمهما الله – ، فقد بدأتُ أولاً بجمع المسائل العقدية التي تطرق لها الإمامان – رحمهما الله – ، ثم ذكرتُ قول كل واحدٍ منهما فيها لبيان منهجه ، ثم أُقارن بينهما ، وإن احتاج الأمر إلى تعليق علقّتُ عليها تعليقاً يسيراً، فكانت على قسمين :

1/ المسائل التي اتفق منهجهما فيها ؛ حيث نهجا منهج أهل السنة والجماعة ، منها :

المسألة الأولى : اللفظ :

يتمثل منهج أهل السنة والجماعة سلف الأمة وخيارها في هذه المسألة في قول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وهذه المسألة لها أصلان : (أحدهما) : أن " أفعال العباد مخلوقة "، وقد نص عليها الأئمة أحمد وغيره ، وسائر أئمة أهل السنة والجماعة المخالفين للقدرية ، واتفقت الأمة على أن أفعال العباد محدثة .

و(الأصل الثاني) : مسألة "تلاوة القرآن وقراءته واللفظ به " هل يقال إنه مخلوق أو غير مخلوق ؟ والإمام أحمد قد نص على رد المقالتين هو وسائر أئمة السنة من المتقدمين والمتأخرين؛ ولكن كان رده على " اللفظية النافية " أكثر وأشهر وأغلظ من وجهين .

(أحدهما) : أن قولهم يفضي إلى زيادة التعطيل والنفي ، وجانب النفي – أبداً – شر من جانب الإثبات ؛ فإن الرسل جاءوا بالإثبات المفصل في صفات الله ، وبالنفي المجمل ، فوصفوه بالعلم ، والرحمة ، والقدرة ، والحكمة ، والكلام ، والعلو ، وغير ذلك من الصفات ، وفي النفي : (ليس كمثله شيء) ، (ولم يكن له كفواً أحد) . وأما الخارجون عن حقيقة الرسالة : من

الصابئة والفلاسفة والمشركين وغيرهم ، ومن تجهم من أتباع الأنبياء ، فطريقتهم " النفي المفصل " ليس كذا ، ليس كذا ، وفي الإثبات أمر مجمل، ولهذا يقال : المعطل أعمى ، والمشبه أعشى . فأهل التشبيه مع ضلالهم خير من أهل التعطيل .

(الوجه الثاني) : أن أحمد إنما ابتلي بالجهمية المعطلة فهم خصومه ، فكان همه منصرفاً إلى رد مقالاتهم ؛ دون أهل الإثبات ؛ فإنه لم يكن في ذلك الوقت والمكان من هو داع إلى زيادة في الإثبات ، كما ظهر من كان يدعو إلى زيادة النفي ، والإنكار يقع بحسب الحاجة .. " [1] .

منهج الإمام الخطيب البغدادي – رحمه الله – في المسألة :

يتضح منهج الخطيب في المسألة ، في إيراده لعدة آثار مروية بسنده في كتابه (تاريخ بغدد)، منها :

1- ما أخرجه بسنده عن إبراهيم بن محمد يقول : أنا توليت دفن محمد بن إسماعيل لما مات بخزتنك أردت حمله إلى مدينة سمرقند [2] أن أدفنه بها فلم يتركني صاحب لنا ، فدفناه بها ، فلما أن فرغنا ورجعت إلى المنزل الذي كنت فيه قال لي صاحب القصر : سألته أمس فقلت : يا أبا عبد الله ما تقول في القرآن ؟ فقال القرآن كلام الله غير مخلوق . قال: فقلت له : إن الناس يزعمون أنك تقول ليس في المصاحف قرآن ، ولا في صدور الناس قرآن . فقال : أستغفر الله أن تشهد علي بشيء لم تسمعه مني ، أقول كما قال الله تعالى : (وَالطُّورِ* وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ) [3] ، أقول : في المصاحف قرآن وفي صدور الناس قرآن ، فمن قال غير هذا يستتاب فإن تاب وإلا فسبيله سبيل الكفر [4] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن خشنام وسمعته يقول : سئل محمد بن إسماعيل عن اللفظ بنيسابور فقال : حدثني عبيد الله بن سعيد – يعني ابن قدامة – عن يحيى بن سعيد قال : أعمال العباد كلها مخلوقة ، فمرقوا عليه قال فقالوا له بعد ذلك : ترجع عن هذا القول حتى

---

(1) مجموع الفتاوى ، 12/ 432 – 433 .

(2) سمرقند بفتح أوله وثانيه ويقال لها بالعربية سمران بلد معروف مشهور ، قيل إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر ، وهو قصبة الصغد ، بها كانت الغزوة الأولى لقتيبة بن مسلم الباهلي، قال بعضهم هي جنة الدنيا، وينسب إليها بعض العلماء وذكرها بعض الشعراء .
انظر: معجم البلدان 246/3 ، والروض المعطار 322/1 .

(3) سورة الطور ، الآية : 1 – 2 .

(4) تاريخ بغداد ، 32/2-33 .

يعودوا إليك ؟ قال : لا أفعل ، إلا أن يجيئوا بحجة فيما يقولون أقوى من حجتي . وأعجبني من محمد بن إسماعيل ثباته [1] .

فكون الخطيب – رحمه الله — روى هذه الآثار وأثبتها بسنده ، فمعنى ذلك أنه أقرّها ووافق عليها ، وأنه نهج فيها منهج أهل السنة والجماعة .

ومنهج الإمام السجزي – رحمه الله – في المسألة :

قال ابن تيمية – رحمه الله — : " ... ومروي من طريق ابنه عبد الله وحده ، وقد ذكره الخلال أيضاً في كتاب السنة ، ونقل منه القاضي أبو يعلى وغيره ، وقد حكى إجماع الخلق على ذلك غير واحد منهم أبو نصر السجزي في " الإبانة " ، وهو من أشد الناس إنكاراً على من يقول إن ألفاظ العباد بالقرآن مخلوقة ، أو يقول إن المسموع من القارئ ليس هو القرآن ، قال أبو نصر : " وأما نسبة الأصوات إلى القراء فيما ذكرنا في هذا الباب وفي غيره من كتابنا هذا ، ونسبة القراءة إليهم ، وإن فرح بها الزائغون ، فلا حجة لهم فيها ، وذلك أنالم نختلف في إضافة الصوت إلى الإنسان ، وأنه إذا صاح أو تكلم بكلام الناس أو نادى إنساناً فصوته مخلوق ، قال : وهذا لا يشتبه ، وإنما وقع الاختلاف في أن المستمع من قارئ القرآن ماذا يستمع ؟ " وساق الكلام إلى آخره وذكر في موضع آخر الإجماع أيضاً على ذلك " [2] .

هذا القول يتحدث عن مسألة " من يقول إن ألفاظ العباد مخلوقة ، أو يقول إن المسموع من القارئ ليس هو القرآن " .

ومنهج الإمام السجزي في هذه المسألة كمنهج أهل السنة والجماعة ، ويتضح هذا من قوله – رحمه الله – : " وأما نسبة الأصوات إلى القراء فيما ذكرنا في هذا الباب وفي غيره من كتابنا هذا ونسبة القراءة إليهم ، وإن فرح بها الزائغون ، فلا حجة لهم فيها ، وذلك أنالم نختلف في إضافة الصوت إلى الإنسان ، وأنه إذا صاح أو تكلم بكلام الناس ، أو نادى إنساناً فصوته مخلوق ، قال وهذا لا يشتبه وإنما وقع الاختلاف في أن المستمع من قارئ القرآن ماذا يستمع ؟ " وساق الكلام إلى آخره .

---

[1] تاريخ بغداد ، 30/2 .

[2] مجموع الفتاوى ، 430/12 .

وخلاصة القول في هذا أن كلا الإمامين – رحمهما الله – نهجا في مسألة اللفظ منهج أهل السنة والجماعة .

المسألة الثانية : الإمامة :

وإن مما يميز أهل السنة محبتهم لأئمة السنة ، والثناء عليهم ومدحهم ، والتقرب إلى الله – عز وجل – بحبهم لأن محبتهم من الأعمال الصالحة التي يثاب عليها المرء ، ومحبتهم لهم ناتجة عن محبتهم للسنة ولمن جاء بها ، وقد قال النبي ﷺ في الأنصار: (الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله) [1] ، والمرء لا يعرف أنه من أهل السنة ، ولا يستحق أن يوصف بها إلا إذا أحب السنة وأهلها ، ولذا بوَّب ابن أبي حاتم في كتابه " الجرح والتعديل " فقال : باب استحقاق الرجل السنة بمحبته أحمد بن حنبل ، ثم ساق بسنده عن قتيبة بن سعيد : " إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة وجماعة"[2].

منهج الإمام الخطيب البغدادي – رحمه الله – في مسألة الإمامة :

أقرّ البغدادي – رحمه الله – مسألة الإمامة وما يتعلق بها ، حيث أدرجها تحت مسألة (محبة أئمة السنة علامة فارقة بين السني والبدعي) ، ويتضح منهجه فيها في ذكره لبعض الآثار المروية بسنده في كتابه (تاريخ بغداد) ، ومنها على سبيل المثال :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الرحمن بن حمدان المرزبان ، قال : قال أبو حاتم الرازي : إذا رأيت الرازي وغيره يبغض أبا زرعة فاعلم أنه مبتدع [3] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن نعيم بن حماد يقول : إذا رأيت العراقي يتكلم في أحمد ابن حنبل فاتهمه في دينه ، وإذا رأيت الخراساني يتكلم في إسحاق بن راهويه فاتهمه في دينه ، وإذا رأيت البصري يتكلم في وهب بن جرير فاتهمه في دينه [4] .

فمحبة أئمة السنة علامة يعرف بها السني من البدعي ، وأهل الحق من أهل الضلال [5] .

---

(1) تقدم تخريجه ، ص279 .
(2) 308/1 .
(3) تاريخ بغداد ، 329/10 .
(4) المصدر السابق ، 348/6 .
(5) الآثار العقدية الواردة عن أئمة السنة في تاريخ بغداد ، 1/ 58-59 .

وهذا الذي أقره الخطيب البغدادي – رحمه الله – والدليل إيراده لما يدل على ذلك من الآثار المروية بسنده .

ومنهج الإمام السجزي – رحمه الله – في مسألة الإمامة يتبين في عدة أقوال ، وهي :

1/ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله – : " قال الشيخ أبو نصر السجزي في كتاب " الإبانة " له : " فأئمتنا كسفيان الثوري ، ومالك ، وسفيان بن عيينة ، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد ، وعبد الله بن المبارك ، وفضيل بن عياض ، وأحمد ابن حنبل ، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش ، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا ، وأنه يغضب ويرضى ، ويتكلم بما شاء ، فمن خالف شيئاً من ذلك فهو منهم بريء ، وهم منه براء ، وأبو نصر هذا كان مقيماً بمكة في أثناء المائة الخامسة " (1) .

2/ وقال شيخ الإسلام – رحمه الله – : "...كنا ، والتابعون متوافرون ، نقول إن الله – تعالى ذكره – فوق سماواته ، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته...." إلى أن قال : "وقال الشيخ أبو نصر السجزي في كتاب " الإبانة " له : " وأئمتنا كسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن عيينة ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وعبد الله بن المبارك ، وفضيل بن عياض ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي متفقون على أن الله – سبحانه – بذاته فوق العرش ، وأن علمه بكل مكان ، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا ، وأنه يغضب ويرضى ، ويتكلم بما شاء ، فمن خالف شيئاً من ذلك فهو منهم بريء ، وهم منه براء .." (2) .

3/ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : "...عن قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة) أينظر الله – عز وجل – قال : نعم ، فقلت : إن أقواماً يقولون ينظر ما عنده ، قال بل ينظر إليه نظراً ، وقد قال موسى : (رب أرني انظر إليك قال لن تراني) (3) ، وقال الله : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (4) ، وعن مالك أنه قيل له إنهم يزعمون أن الله لا يرى فقال السيف السيف...." إلى أن قال : " وقال الشيخ أبو نصر السجزي في كتاب " الإبانة "

(1) درء تعارض العقل والنقل ، 6/ 250 .
(2) بيان تلبيس الجهمية ، 2/ 38 .
(3) سورة الأعراف ، الآية : 143 .
(4) سورة المطففين ، الآية : 15 .

له : " وأئمتنا رحمهم الله كسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن عيينة ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، وعبد الله بن المبارك ، وفضيل بن عياض ، وأحمد بن حنبل ...." [1] .

4/ وقال شيخ الإسلام – رحمه الله – : "... وهو أنه سبحانه مستو على العرش بذاته ...." إلى أن قال : " وقال الشيخ أبو نصر السجزي في كتاب " الإبانة " له : " وأئمتنا كسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن عيينة ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد، وعبد الله بن المبارك ، وفضيل بن عياض ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش ، وأن علمه بكل مكان ، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا ، وأنه يغضب ويرضى ، ويتكلم بما شاء، فمن خالف شيئاً من ذلك فهو منهم بريء ، وهم منه براء " [2] .

5/ وذكر ابن القيم – رحمه الله – : " ... قول الحافظ أبي الشيخ عبيد الله بن محمد بن حيان الأصبهاني في "كتاب العظمة" : " حيث ذكر عرش الرب تبارك وتعالى ، وكرسيه، وعظمة خلقهما ، وعلو الرب جل جلاله فوق عرشه ، ثم ساق كثيراً من أحاديث هذه الباب بإسناده..." إلى أن قال : " وذكر ما حكاه أبو نصر السجزي :

" عن أهل الحديث ، قال : وأئمتنا كالثوري ، ومالك ، وابن عيينة ، وحماد بن زيد ، والفضيل ، وأحمد ، وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته ، وأن علمه بكل مكان.." [3] .

6/ قال ابن القيم – رحمه الله – : " ... إن الله في السماء على العرش فوق سبع سماوات كما قال الجماعة ، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم إن الله بكل مكان ، قال : والدليل على صحة قول أهل الحق قوله تعالى .." وذكر عدة آيات إلى أن قال : " وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته ، لأنه اضطرار لم يواقفهم عليه أحد ، ولا أنكره عليهم مسلم ، وهذا قليل من كثير من كلام من ذكر أن مسألة العلو فطرية ضرورية ، وأما من نقل إجماع الأنبياء والرسل والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فأكثر من أن يذكر ولكن ننبه

---

(1) بيان تلبيس الجهمية ، 416/2 .
(2) مجموع الفتاوى ، 262/3 .
(3) اجتماع الجيوش الإسلامية ، 155/1 .

على اليسير منه ، قال الشيخ أبو نصر السجزي في كتاب " الإبانة " له : " وأئمتنا كسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن ....إلخ " [1] .

7/ وقال الإمام الذهبي – رحمه الله – : " قال أبو نصر السجزي في كتاب " الإبانة " : وأئمتنا كسفيان ، ومالك ، والحمّادين ، وابن عيينة ، والفضيل ، وابن المبارك ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق ، متفقون على أن الله سبحانه فوق العرش ، وعلمه بكل مكان ، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا ، وأنه يغضب ويرضى ، ويتكلم بما شاء " [2] .

فهذه الأقوال السبعة عبارة عن قول واحد للإمام السجزي ، ولكن تنوعت إيراداته في مختلف الكتب ، وهو : قول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: " قال الشيخ أبو نصر السجزي في كتاب " الإبانة " له : " وأئمتنا كسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن عيينة ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، وعبد الله بن المبارك ، وفضيل بن عياض ، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش ، وأن علمه بكل مكان ، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا ، وأنه يغضب ويرضى ، ويتكلم بما شاء ، فمن خالف شيئاً من ذلك فهو منهم بريء ، وهم منه براء " [3] .

هذا القول فيه إثبات أن منهج الإمام السجزي – رحمه الله – في العقيدة ، هو منهج أهل السنة والجماعة ، وهم سلف الأمة ، ويتضح هذا من قوله " وأئمتنا " حيث جعلهم أئمة له يتبعهم ، ويسير على منهجهم .

فاتفق البغدادي والسجزي – رحمهما الله – في المسألتين السابقتين على اقتفائهما منهج أهل السنة والجماعة فيهما ..

المسألة الثالثة : الصفات :

أولاً عقيدة أهل السنة والجماعة في الصفات :

قال ابن تيمية : " ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، وغير تكييف ولا تمثيل ، يثبتون لله ما أثبته من الصفات

---

(1) الصواعق المرسلة ، 4/ 1283 .
(2) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 656/17 ، والعلو للعلي الغفار ، ص 180 .
(3) مجموع الفتاوى ، 262/3 .

، وينفون عنه مماثلة المخلوقات ، يثبتون له صفات الكمال ، وينفون عنه ضروب الأمثال ، ينزهونه عن النقص والتعطيل ، وعن التشبيه والتمثيل ، إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل (ليس كمثله شيء) ردّ على الممثلة ، وهو (السميع البصير) ردّ على المعطلة " [1] .

ومنهج الخطيب البغدادي – رحمه الله – في الصفات :

يقول هو بنفسه –كما روى عنه الذهبي – : " أما الكلام في الصفات ، فإن ما روي منها في السنن الصحاح ، مذهب السلف رضوان الله عليهم إثباتها ، وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكيفية ، والتشبيه عنها ، وقد نفاها قوم ، فأبطلوا ما أثبته الله سبحانه ،

وحققها من المثبتين قوم ، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف .

والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين ، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه .

والأصل في هذا : أن الكلام في الصفات فرع في الذات ، و يحتذى في ذلك حذوه ومثاله.

فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين – عز وجل – إنما هو إثبات وجود ، لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته ، إنما هو إثبات وجود ، لا إثبات تحديد وتكييف .

فإذا قلنا : لله – تعالى – يد ، وسمع ، وبصر ، فإنما هي إثبات صفات أثبتها الله لنفسه ، ولا نقول إن معنى اليد : القدرة ، ولا إن معنى السمع والبصر : العلم ، ولا نقول : إنها جوارح وأدوات للفعل ، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل .

ونقول : إنما وجب إثباتها ؛ لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها ؛ لقوله – تبارك وتعالى – : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) [2] ، وقوله عز وجل : (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ) [3] .

إن المتأمل في كلام الخطيب نفسه يجده يبرز المذهبين ، ويشرح مذهب السلف ، ويعلن اختياره إياه .

وأما بالنسبة لمنهج الإمام السجزي – رحمه الله – في الصفات :

([1]) منهاج السنة 111/2 .

([2]) سورة الشورى ، الآية : 11 .

([3]) التذكرة ، للذهبي ، ص1142 – 1143 ، والآية في سورة الإخلاص ، الآية : 4 .

فيقول – رحمه الله – في رسالته : " وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفاً ، وكذلك شرحها لا يجوز إلا بتوقيف .

فقول المتكلمين في نفي الصفات أو إثباتها بمجرد العقل أو حملها على تأويل مخالف للظاهر ضلال ، ولا يجوز أن يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ وذلك إذا ثبت الحديث ، ولم يبق شبهة في صحته .

فأما ما عدا ذلك من الروايات المعلولة والطرق الواهية ، فلا يجوز أن يعتقد في ذات الله سبحانه ، ولا في صفاته ما يوجد فيها باتفاق العلماء للأثر " [1] .

فيتبيّن لنا من قول الإمامين – رحمهما الله – أنهما ينهجان منهج أهل السنة والجماعة في الصفات ؛ وذلك بإثباتها وإجرائها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها .

أمثلة على الصفات :

– صفة الكلام :

منهج أهل السنة والجماعة في صفة الكلام يتمثل فيما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – حيث قال : مذهب سلف الأمة و أئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة ، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة ، أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل ، وغير ذلك من كلامه ، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته ، فكلامه قائم بذاته ، ليس مخلوقاً بائناً عنه [2] .

منهج الإمام الخطيب البغدادي – رحمه الله – في صفة الكلام :

أدرج البغدادي – رحمه الله – صفة الكلام تحت مسألة (القرآن كلام الله غير مخلوق) ، ويتضح منهجه في ذكره لعدة آثار مروية بسنده في كتابه (تاريخ بغداد) ، و منها على سبيل المثال :

1– ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي نعيم يقول : القرآن كلام الله ليس بمخلوق [3] .

---

(1) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت ، ص 178–180 .

(2) انظر : مجموع الفتاوى ، 12 /37 –38 .

(3) تاريخ بغداد ، 12/ 349 .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي بكر بن أبي شيبة يقول : لما أن جاءت المحنة إلى الكوفة قال لي أحمد بن يونس : الق أبا نعيم فقل له ، فلقيت أبا نعيم فقلت له ، فقال : إنما هو ضرب الأسياط . قال ابن أبي شيبة فقلت له : ذهب حديثنا عن هذا الشيخ ، فقيل لأبي نعيم ، فقال : أدركت ثلاثمائة شيخ كلهم يقولون : القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، وإنما قال هذا قوم من أهل البدع . كانوا يقولون لا بأس أن ترمي الجمار بالزجاج ، ثم أخذ زرّه فقطعه ثم قال : رأسي أهون علي من زرّي [1] .

وذِكْر الخطيب البغدادي - رحمه الله — لهذه الآثار وإيرادها بسنده ، لهو خير شاهد على تقريره لتلك الصفة وتأييده لمن يقول إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وإنكاره الشديد على من يقول إن القرآن مخلوق ، والحكم عليه بأنه كافر ومبتدع ولا يُصلى خلفه.

ومنهج الإمام السجزي – رحمه الله – في صفة الكلام يتبين في عدة أقوال ، وهي :

1/ قال ابن تيمية – رحمه الله — : " ... ومروي من طريق ابنه عبد الله وحده ، وقد ذكره الخلال أيضاً في كتاب السنة ، ونقل منه القاضي أبو يعلى وغيره ، وقد حكى إجماع الخلق على ذلك غير واحد منهم أبو نصر السجزي في " الإبانة " ، وهو من أشد الناس إنكاراً على من يقول إن ألفاظ العباد بالقرآن مخلوقة ، أو يقول إن المسموع من القارئ ليس هو القرآن ، قال أبو نصر : " وأما نسبة الأصوات إلى القراء فيما ذكرنا في هذا الباب وفي غيره من كتابنا هذا ، ونسبة القراءة إليهم ، وإن فرح بها الزائغون ، فلا حجة لهم فيها ، وذلك أنالم نختلف في إضافة الصوت إلى الإنسان ، وأنه إذا صاح أو تكلم بكلام الناس ، أو نادى إنساناً فصوته مخلوق ، قال وهذا لا يشتبه وإنما وقع الاختلاف في أن المستمع من قارئ القرآن ماذا يستمع ؟ " ، وساق الكلام إلى آخره وذكر في موضع آخر الإجماع أيضاً على ذلك " [2] .

2/ وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله — : "... وقال أبو نصر السجزي :

" فأما الله – تعالى – فإنه متكلم فيما لم يزل ، ولا يزال متكلما لما شاء من الكلام ، يسمع من يشاء من خلقه ما شاء من كلامه إذا شاء ذلك ، ويكلم من شاء تكليمه بما يعرفه ولا يجهله ، وهو سبحانه حي عليم متكلم لا يشبه شيئاً ، ولا يشبهه شيء ، لا يوصف إلا بما وصف به

(1) المصدر السابق ، 12/ 349 .
(2) مجموع الفتاوى ، 430/12 .

نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، ليس بجسم ولا في معنى جسم ، ولا يوصف بأداة ولا جارحة وآلة .. " (1) .

3/ وقال في موضع آخر : "...فإنه يبين تناقضهم ، ويلزمهم فيما نفوه نظير ما يلزمونه لأهل الإثبات فيما أثبتوه ، فيستفاد من مناظرته لهم معرفة فساد كثير من أصولهم ، ولكن سلم لهم أصولاً وافقهم عليها ، مثل تسليمه لهم صحة طريق الأعراض مع طولها ، ومثل إثباته للصانع بهذه الطريق التي هي من جنسها ، وبنى ذلك على إثبات الجوهر الفرد ، فلزم من تسليمه ذلك لهم لوازم أراد أن يجمع بينها وبين ما أثبته من الرؤية وإثبات الكلام والصفات والعلو لله تعالى، فقال جمهور طوائف العقلاء من أهل السنة والحديث وغيرهم ومن المعتزلة والفلاسفة وغيرهم : إن هذا مناقضة مخالفة لصريح المعقول ، ولهذا قال من قال بقيت عليه بقية من الاعتزال ، وقالوا إنه وافقهم على بعض أصولهم التي بنوا عليها قولهم كهذا الأصل ، وهذا مثل ما ذكره أبو نصر السجزي في " الإبانة " قال : " حكى محمد بن عبد الله المغربي المالكي ، وكان فقيهاً صالحاً ، عن الشيخ أبي سعيد البرقي، وهو من شيوخ فقهاء المالكيين ببرقة ، عن أستاذه خلف المعلم ، وكان من فقهاء المالكيين، قال : أقام الأشعري أربعين سنة على الاعتزال ، ثم أظهر التوبة ، فرجع عن الفروع ، وثبت على الأصول ، قال أبو نصر : وهذا كلام خبير بمذهب الأشعري وغوره.." (2) .

فهذه الأقوال تتحدث عن مسألة " صفة الكلام ، وإثباتها لله تعالى " ، وقول أهل السنة والجماعة في هذه المسألة : " إن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، وأنه سبحانه يتكلم إذا شاء بما شاء ، وأن كلامه يسمع ويتلى وأنه بحرف وصوت " .

ومنهجهم فيها : إثباتها لله تعالى كما أثبتها هو لنفسه ، وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تأويل .

ومنهج السجزي – رحمه الله – فيها منهج أهل السنة والجماعة ، ويتضح هذا من قوله — رحمه الله – : " فأما الله – تعالى – فإنه متكلم فيما لم يزل ، ولا يزال متكلماً لما شاء من الكلام ،

---

(1) درء تعارض العقل والنقل ، 2/ 88 .
(2) درء تعارض العقل والنقل ، 7/ 236 .

يسمع من يشاء من خلقه ما شاء من كلامه ، إذا شاء ذلك ، ويكلم من شاء تكليمه بما يعرفه ولا يجهله ...إلخ " .

فمنهجهما منهج سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وهو كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – .

– صفة النزول :

منهج أهل السنة والجماعة في صفة نزول الرب جل وعلا :

نزول الرب تبارك وتعالى من الصفات الفعلية الثابتة لله عز وجل ، وأهل السنة يثبتون هذه الصفة ويؤمنون بها ، وقد استفاضت الأحاديث في إثبات هذه الصفة إلى أن بلغت حد التواتر، قال ابن عبد البر عن حديث النزول : " هو حديث منقول من طرق متواترة ، ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبي ﷺ " (1) ، وقال ابن تيمية: " قد استفاضت به – أي حديث النزول – السنن عن النبي ﷺ ، واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول " (2) .

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن " الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا على ما أتت به الآثار كيف شاء ، لا يحدون في ذلك شيئاً " (3) ، وقد تأول أهل البدع نزول الرب سبحانه وتعالى بتأويلات باطلة ، مثل نزول أمره ورحمته ، وقد رد عليهم علماء أهل السنة وبينوا فساد تأويلاتهم الباطلة (4) .

منهج الخطيب البغدادي – رحمه الله – في المسألة :

أورد الخطيب البغدادي – رحمه الله – صفة النزول في باب (توحيد الأسماء والصفات) ومما يُبين منهجه فيها ذكره لعدة آثار مروية بسنده في كتابه (تاريخ بغداد) ، منها على سبيل المثال :

(1) التمهيد ، 7/ 128 .
(2) انظر : مختصر الصواعق ، 2/ 430 .
(3) شرح حديث النزول ، ص 458 ، وضمن المجموع ، 5/ 578 .
(4) انظر : شرح حديث النزول ، ص 232 وما بعدها .

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي الطيب أحمد بن عثمان السمسار ، والد أبي حفص ابن شاهين يقول : حضرت عند أبي جعفر الترمذي ، فسأله سائل عن حديث النبي ﷺ " إن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا ، فالنزول كيف يكون يبقى فوقه علو ؟ " فقال أبو جعفر الترمذي : النزول معقول ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة [1] .

وذِكْر الخطيب البغدادي - رحمه الله – لهذا الأثر وإيراده له بسنده ، دليل على إقراره لصفة النزول كما يليق بجلاله سبحانه ، واتباعه لمنهج أهل السنة والجماعة فيها ، وإنكاره الشديد على من يؤولها ويكيفها ، كما يوافق هواه بدون مستند شرعي .

فمنهجه فيها منهج سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

ومنهج الإمام السجزي – رحمه الله – في المسألة :

صرّح الإمام السجزي - رحمه الله – في كتابه (الإبانة) بمنهجه في مسألة النزول فقال : " ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا ، وأن الرب عز وجل يقول : هل من سائل ؟ هل من مستغفر .. " وسائر ما نقلوه أو أثبتوه خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل " [2] .

ثم بيّن بعد ذلك منهج أهل الزيغ وبعض مقولاتهم في مسألة النزول ، فقال في رسالته إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت [3] : " وقد أقرّ الأشعري بحديث النزول[4] ، ثم قال : " النزول فعل له يحدثه في السماء " ، ذكر محقق الرسالة [5] أن هذا القول ليس فيما بين أيدينا من كتبه ، ولكن عزاه له البيهقي في الأسماء والصفات [6] ، فقال :

---

(1) تاريخ بغداد ، 365/1 .
(2) ص 29 ، عن طريق رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت ، تحقيق : محمد باعبدالله ، ص190 – 191 .
(3) ص 190 – 191 .
(4) حديث النزول : أخرجه البخاري ، كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل ، 29/3 ، ح 1145 من حديث أبي هريرة . ومسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب والدعاء في آخر الليل ، 1/ 521 ، ح 168 .
(5) ص 191 .
(6) ص 449 .

" .. وهكذا قال – أي الأشعري – في أخبار النزول أن المراد فعل يحدثه الله عز وجل في سماء الدنيا كل ليلة نزولاً بلا حركة ولا نقلة " ، وأشار ابن تيمية في شرح حديث النزول إلى أن هذا مذهب الأشعري وأصحابه ، فقال – رحمه الله – : " ومعنى ذلك – أي النزول والقرب – عنده – الأشعري – وعند من ينفي الأفعال الاختيارية بذاته أنه يخلق أعراضاً في بعض المخلوقات يسميها نزولاً كما قال : إنه يخلق في العرش معنى يسميه استواء ... إلى أن قال – الأشعري وأئمة أصحابه كالقاضي أبي بكر وغيره يقولون : إن الله فوق العرش بذاته ، لكن يقولون في النزول ونحوه من الأفعال هذا القول بناء على أصلهم نفي قيام الأفعال الاختيارية به" [1] .

ثم يتابع الإمام السجزي فيقول : " وقال بعض أصحابه : " المراد به نزول أمره " ، ونزول الأمر عندهم لا يصح ، وعند أهل الحق الذات بلا كيفية " .

وقوله " وعند أهل الحق الذات بلا كيفية " يقول المحقق [2] هذا مذهب السلف في هذا الباب، يقول إمام أهل السنة أحمد بن حنبل – رحمه الله – : " وينزل تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف يشاء ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " [3] .

مما سبق يتبين أن منهج الإمام السجزي – رحمه الله – في النزول هو منهج أهل السنة والجماعة ؛ ينزل كيف يشاء متى شاء ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وذكره – رحمه الله – لمنهج أهل الزيغ ولبعض مقولاتهم من باب تبيين الخطأ والتحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه من التأويل .

وبذلك يتبين توافق الإمامين – الخطيب البغدادي و السجزي – في اتباعهما للمنهج الصحيح لإثبات صفة النزول له ، جل قدره وعَظُم شأنه .

– صفة الاستواء :

منهج أهل السنة والجماعة في صفة استواء الله جل وعلا على العرش :

استواء الله تعالى على عرشه ، ثابت بالكتاب والسنة ، وإجماع سلف الأمة ، فأهل السنة والجماعة يعتقدون ويقرون بأن الله مستو – بمعنى عال [4] – على عرشه فوق سمواته ، بائن من

---

(1) ص 51 .
(2) رسالة السجزي ، ص 191 – 192 .
(3) رسالة السنة ، ص 37 .
(4) انظر : عبارات معنى استوى عند السلف في درء التعارض ، 20/2 .

خلقه ، ولا يكيفون صفة ذلك ، بل يقولون كما قال الإمام مالك : " الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة " [1] . قال الذهبي معلقاً على قول الإمام مالك : " وهو قول أهل السنة قاطبة : أن كيفية الاستواء لا نعقلها، بل نجهلها ، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه ، وأنه كما يليق به ، ولا نتعمق ولا نتحذلق ، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً ، بل نسكت ونقف كما وقف السلف ، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة ، والتابعون ، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه .. "[2]. قال ابن تيمية : " وقد أخبرنا الله أنه استوى على العرش ، ولم يخبرنا كيف استوى ، فوجب على المؤمنين أن يصدقوا ربهم باستوائه على العرش ، وحرّم عليهم أن يصفوا كيف استوى ، لأنه لم يخبرهم كيف ذلك.." [3] .

منهج الخطيب البغدادي – رحمه الله – في المسألة :

ذكر الخطيب البغدادي – رحمه الله – صفة الاستواء على العرش في باب (توحيد الأسماء والصفات) ، ومما يُبين منهجه فيها ذكره لعدة آثار مروية بسنده في كتابه (تاريخ بغداد)، منها على سبيل المثال :

1–ما أخرجه الخطيب بسنده عن داود بن علي قال : كنا عند ابن الأعرابي ، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما معنى قول الله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [4] ، ؟ قال: هو على عرشه كما أخبر . قال الرجل : ليس هو كذلك يا أبا عبد الله ، إنما معنى قوله استوى (استولى) ، فقال ابن الأعرابي : اسكت ما يدريك ما هذا ؟ العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد ، فأيهما غلب قيل استولى عليه ، والله لا مضاد له ، وهو على عرشه كما أخبر، والاستيلاء بعد المغالبة ، قال النابغة :

إلا لمثلك أو من أنت سابقه   سبق الجواد إذا استولى على الأمد [5]

(1) قول مالك في عقيدة السلف للصابوني ، ص 180 .
(2) مختصر العلو ، ص141–142 .
(3) درء التعارض ، 6/ 117 .
(4) سورة طه : الآية : 5 .
(5) تاريخ بغداد ، 283/5 .

2-ما أخرجه الخطيب بسنده عن محمد بن أحمد بن النضر – وهو ابن بنت معاوية بن عمرو – قال كان أبو عبد الله بن الأعرابي جارنا ، وكان ليله أحسن ليل . وذكر لنا أن ابن أبي داود سأله : أتعرف في اللغة استوى بمعنى استولى ؟ فقال : لا أعرفه [1] .

وإيراد الخطيب البغدادي – رحمه الله – لهذا الآثار متصلة بسنده ، دليل على إقراره لصفة الاستواء على العرش لله جل وعلا كما يليق به سبحانه وتعالى ، وإتباعه لمنهج أهل السنة والجماعة فيها ، وإنكاره على من يؤولها ويكيفها كما يشاء بدون دليل شرعي .

فمنهجه فيها منهج سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

ومنهج الإمام السجزي – رحمه الله – في المسألة :

ذكر – رحمه الله – في كتابه (الإبانة) منهجه في مسألة الاستواء على العرش فقال :

" إن قال : ما تقولون في الاستواء ؟ قيل له : نقول إن الله عز وجل يستوي على عرشه استواء يليق به ... إلى أن يقول : " ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السماوات ، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض " [2] .

ويبيّن – رحمه الله – في كتابه (رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت) منهج المخالفين ، فيقول : " وأما تظاهرهم بخلاف ما يعتقدونه ، كفعل الزنادقة ، ففي إثبات أن الله سبحانه استوى على العرش ، ومن عقدهم : أن الله سبحانه لا يجوز أن يوصف بأنه في سماء ولا في أرض ، ولا على عرش ولا فوق " ، يقول محقق الرسالة : " فهم يؤولون آيات وأحاديث الاستواء والفوقية : بأن المراد الاستيلاء وعلو القدر والمرتبة وليس المراد فوقية الذات والمكان " [3] .

ثم يتابع الإمام السجزي – رحمه الله – كلامه عن مسألة الاستواء في كتابه الرسالة ، فيقول : " وقد ذكر ابن الباقلاني : " أن الاستواء فعل له أحدثه في العرش " .

---

(1) المصدر السابق ، 283/5 .

(2) ص 105 – 107 ، عن طريق رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت ، تحقيق : محمد باعبدالله ، ص180 – 181 .

(3) ص180 – 182 .

وهذا مخالف لقول علماء الأمة ، وقد سُئل مالك بن أنس رحمة الله عليه عن هذه المسألة فأجاب : " بأن الاستواء غير مجهول ، والكيفية غير معقولة ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة " [1] .

ويَستدل – رحمه الله – على المسألة بأدلة من القرآن والسنة ، منها : قال الله سبحانه : (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [2] ، وقال :(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ)[3] . وقال النبي ﷺ : (ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا – حتى ذكر سبع سموات – وفوق ذلك بحر ما بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء ، وفوق ذلك ثمانية أوعال [4] كواهلهم تحت عرش الرحمن ، وأقدامهم تحت الأرض السابعة السفلى ، وفوق ذلك العرش ، والله سبحانه فوق ذلك) [5] .

مما سبق من كلامه — رحمه الله — حول مسألة الاستواء على العرش ، يتبين لنا منهجه – رحمه الله — في المسألة ، وهو منهج أهل السنة والجماعة ؛ فهم يعتقدون ويقرون بأن الله مستو — بمعنى عال — على عرشه فوق سمواته ، بائن من خلقه ، ولا يكيفون صفة ذلك ، وإيراده — رحمه الله — لمنهج المخالفين لتبيين خطئهم ، والتحذير من الوقوع فيه .

وبذلك فهو يتوافق مع الخطيب البغدادي في اتباعه للمنهج الصحيح لإثبات صفة الاستواء له – جل وعلا – كما يليق به سبحانه .

2/ المسائل التي اختلف منهجهما فيها ؛ حيث نهج كلٌ منهما منهجاً مغايراً عن الآخر، وذلك في طريقة عرض المسألة والاستدلال عليها ، وليس في المسألة ذاتها ،

---

(1) أخرجه الدارمي : الرد على الجهمية 33 بزيادة على لفظ المصنف . واللالكائي : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، ص 398 برقم 664 . والبيهقي : الأسماء والصفات 408 .

(2) سورة النحل : الآية 50 .

(3) سورة فاطر : الآية 10 .

(4) قال ابن الأثير : " الوعول تيوس الجبل واحدها وعل " وقال معنى قوله تعالى : (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) [الحاقة : 17] قيل ثمانية أوعال : أي ملائكة على صورة الأوعال .
انظر : النهاية ، 207/5 .

(5) أخرجه أبو داود ، كتاب السنة ، باب في الجهمية ، 333/12 ، ح 4100 بنحوه ، والترمذي ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ومن سورة الحاقة ، 140/11 ، ح 3242 بنحوه ، وابن ماجه في المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ، 225/1 ، ح 189 بنحوه ، والحاكم في المستدرك ، = كتاب التفسير ، باب تفسير الحاقة ، 47/9 ، ح 3808 بنحوه . وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي، 320/7 ، ح (3320) .

ومن ذلك :

المسألة الأولى : في إيراد المسألة والاستدلال عليها :

منهج الخطيب البغدادي في إيراد المسألة والاستدلال عليها .. يذكر المسألة العقدية، وقد يفرد لها باباً ، ويطيل في الحديث عنها لأهميتها ، أو يختصرها ، وأحياناً يذكر المسألة العقدية مدرجة تحت باب معين ، وفي أحيانٍ أخرى يأتي ذكر المسألة العقدية عرضاً في إطار بحث مسألة أخرى ، وأحياناً يذكرها على هيئة عنوان بارز ثم يتبعها بعد ذلك بالاستدلال عليها ، وفي مراتٍ أخرى يكون إيراده لها كتقرير لها وإثباتها ، وقد يكون إيراده لها عن طريق إبطال الرأي الخاطئ ، وإثبات ما يضاده ، وفي أحيانٍ أخرى يوردها عن طريق رده على شبهة أو إشكال ، أو يوردها كجواب عن سؤال سُئل عنه .

وأما بالنسبة للاستدلال عليها فإنه في الغالب يستدل عليها بالقرآن الكريم ويكتفي به ، وأحياناً يستدل بالسنة ويثنّي استدلاله بالقرآن الكريم كشاهد عليه وإثبات لصحته ، وفي أحيان أخرى يثنّيه بأقوال السلف – رحمهم الله – ، وفي أحيانٍ أخرى يقرن استدلاله بالقرآن الكريم باستدلاله بالسنة ؛ وفي مراتٍ أخرى يكتفي بالاستدلال بالسنة النبوية فقط، وفي مواضع أخرى يورد المسألة العقدية ويستدل عليها بأقوال السلف – رحمهم الله — بعد إيراد النصوص الشرعية من القرآن والسنة ؛ وذلك تأكيداً لسلامة الفهم وتبييناً لموقفهم من بعض المسائل ، وكثيراً ما يورد المسائل العقدية ويستدل عليها بأقوال السلف فقط ويكتفي بها ، هذا بالنسبة للاستدلال النقلي على المسائل العقدية .

أما بالنسبة للاستدلال العقلي ، فإنه يستخدم الحوار العقلي أحياناً في الرد على بعض المسائل العقدية ، ويكتفي به دون أن يورد معه استدلالات أخرى من القرآن الكريم أو السنة أو أقوال السلف ، كما أنه يستخدم العقل ، ويستدل به في المواضع التي تحتاج لذلك ، ويعتبره مصدراً من مصادر الاستدلال ، لكنه في الوقت نفسه لا يعتمد عليه ؛ بل اعتماده الكلي على الاستدلال بالنقل ، والإكثار منه ؛ وفي الوقت ذاته لا يُغفل الاستدلال بالعقل. وأحياناً يجمع بين أدلة الكتاب والسنة في مسائل الاعتقاد ، وأيضاً ينفي ويدرأ التعارض بين النقل والعقل بحيث إنه يقررها بالنص أحياناً ، وبالعقل أحياناً أخرى ، ويبين أن لا تعارض بينهما ، وأيضاً يرد المتشابه إلى المحكم .

ومنهج الإمام السجزي في إيراد المسألة والاستدلال عليها .. يذكر شبه الخصم وحججهم ثم يبين بطلانها ، ويرد عليها ، ومنهجه في الاستدلال عليها غالباً ما يبدأ أولاً بتحديد الحجة التي ينبغي أن يعتمد عليها في الاحتجاج والاستدلال ، ثم يستدل عليها من الكتاب العزيز والسنة المطهرة واللغة ، هذا بالنسبة للاستدلال النقلي على المسائل العقدية، أما بالنسبة للاستدلال العقلي ، فإنه يرى أن العقل ليس حجة في ذاته ، وإنما هو آلة للتمييز والفهم ، ولا ينبغي تقديمه على السمع واعتباره هو الحجة دونه .

المسألة الثانية : في إيراد شبه المخالفين والرد عليها :

منهج الخطيب البغدادي في إيراد شبه المخالفين والرد عليها .. أولاً يذم المخالفين إما بذكر آثار يرويها بسنده في ذمّهم ؛ أو يذمهم في مقدمة بعض كتبه بدون ذكر آثار ، ويقلل من شأنهم ، ويكشف ضلالاتهم وأقوالهم ويبين بطلانها ، ويرد عليها ليكشف ضلالهم ، ويتحدث عنهم ، ويبين خطرهم ويحذر من السماع منهم .

وينقل – رحمه الله – أقوالاً لبعض الأئمة التي يحذرون فيها من ضلالات المخالفين ، كما أنه يحذر من كتبهم ومناظراتهم .

ومن منهجه أيضاً أنه يذكر توبة أئمتهم من ضلالاتهم وبدعهم للاعتبار بها .

ومنهج الإمام السجزي في إيراد شبه المخالفين والرد عليها .. يورد أقوال وشبه الخصم، معتمداً فيها على كتبهم ، وإن كان لا يفصح بأسماء هذه الكتب ، بل يكتفي بقوله : قال الأشعري .. أو قال الباقلاني .. ، فهو لا يعتمد في ذكر آراء القوم ومثالبهم على ما يذكره خصومهم ومناوئوهم من الفرق الأخرى ، وإنما يدينهم بما في كتبهم وأقوالهم . فيقول في بيان منهجه في ذلك : " ونحن لا نذكر من فضائح الأشعري ومن وافقه ما ذكره من لا يرضى مذهبه من معتزلي وكرامي ، بل ما لا يمكنهم إنكاره ، وتنطق به كتبهم " [1] . ويفنّد أقوال الخصم ويدلل على فسادها ومناقضتها للعقل والسمع جميعاً ..

المسألة الثالثة : في ذكر سند الحديث :

(1) الرد على من أنكر الحرف والصوت ، ص195 .

منهج الخطيب البغدادي في ذكر سند الحديث .. الخطيب البغدادي باعتباره محدَّثاً ، بل إنه عالم جهبذ من كبار المحدثين ؛ يروي استدلالاته على أي مسألة كانت من السنة النبوية من أقوال المصطفى ﷺ ، أو من أقوال السلف الصالح رضوان الله عليهم بسنده هو المتصل إلى النبي ﷺ إذا كان مرفوعاً ، أو متصلاً إلى صحابي إذا كان موقوفاً ، فلا يذكر حديثاً أو أثراً بلا سند .

ومنهج الإمام السجزي في ذكر سند الحديث .. مع أن الإمام السجزي علم من أعلام السنة ، وإمام من أئمة علماء الحديث والأثر إلاّ أنه أحياناً يذكر الحديث أو الأثر بسنده ، وفي أحيانٍ أخرى يذكرهما بلا سند .

المسألة الرابعة : في مصادر كلٍ منهما :

مصادر الخطيب البغدادي .. بالنسبة لمصادره في تقرير العقيدة ، هي كالتالي :

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : السنة النبوية .

ثالثاً : آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان .

رابعاً : العقل .. حيث كان الخطيب البغدادي ممن يستدل بالعقل إذا كان لا يعارض النقل .

مصادر الإمام السجزي .. وأما بالنسبة لمصادره في تقرير العقيدة [1] ، فهي كالتالي :

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : السنة المطهرة وآثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان .

ثالثاً : وهو من أهم موارده في كتابه " الرد على من أنكر الحرف والصوت " ، كتابه الكبير " الإبانة في مسألة القرآن " باعتبار أن كتابه الرد مستخلص منه ومأخوذ عنه .

رابعاً : كتب الأشعري والباقلاني وغيرهم من أئمة الأشاعرة ، وذلك فيما نقله عنهم من أقوال ، وإن كان لا يفصح باسم الكتاب ، وإنما يقول قال الأشعري ، أو قال ابن الباقلاني في بعض كتبه وهكذا ... وهذه من المآخذ التي أُخذت عليه – رحمه الله – وهي عدم ذكره لأسماء كتب المخالفين التي ينقل عنها ؛ إذ لو ذكرها لأعطى كتابه قيمة علمية أكبر.

---

(1) الرد على من أنكر الحرف والصوت ، ص88 ، باختصار .

وأيضاً من أبرز المآخذ التي أُخذت عليه ؛ حدّته في الكلام على خصومه ومخالفيه ، يتجلى ذلك في وصفه إياهم بأوصاف قاسية ترك مثلها أولى ، ومن ذلك قوله عن ابن كلاب والقلانسي والصالحي والأشعري وأقرانهم : بأنهم " أخس حالاً من المعتزلة " .

ومن ذلك وصمه الأشعري بأنه قليل الحياء حيث قال : " وإنما حمله - أي الأشعري – على ذلك التحير مع قلة الحياء " .

ونحو ذلك من العبارات والألفاظ ، التي كان تركها وتجنبها أولى ، والتي أدعى لتفهم الخصم وجهة نظر خصمه ، وأحرى لتقبله إياه [1] .

الفصل الثاني :

[1] الرد على من أنكر الحرف والصوت ، ص90 – 91 ، باختصار .

المقارنة بين منهجه وبين منهج أبي يعلى الحنبلي - رحمهما الله -

المقارنة بين منهجه وبين منهج
أبي يعلى الحنبلي - رحمهما الله -

إن مما لا يخفى على الكثير مكانة القاضي أبي يعلى الحنبلي – المعروف بابن الفراء – وعلو قدره ؛ فهو من علماء أهل السنة والجماعة ، وقد كان – رحمه الله – عالم زمانه ، وفريد عصره ؛ ثقة فقيهاً انتهت إليه رئاسة مذهب الحنابلة في عصره ، ومن هذا المنطلق كان من الضروري أن ألقي الضوء على نبذة يسيرة من حياته الشخصية ، ومنهجه في تقرير العقيدة ، ومن ثم المقارنة بين منهجه و منهج الخطيب – رحمهما الله – .

فهو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء البغدادي الحنبلي ، وأما نسبته بالبغدادي فنظراً لأن موطنه كان ببغداد ، فهو بغدادي المولد والنشأة والإقامة والوفاة ، كنيته أبو

يعلى ، ولقِّب بالقاضي لتوليه القضاء بعد وفاة القاضي أبي عبد الله بن ماكولا ، ولد – رحمه الله – سنة 380هـ ببغداد .

نشأته : نشأ أبو يعلى في بيئة علمية عفيفة ونظيفة ، فأبوه كان فقيهاً على مذهب الإمام أبي حنيفة ، وكان محدثاً أسند الحديث ، وكان ذا عفة ونزاهة وورع ، عُرض عليه قضاء القضاة فامتنع – رحمه الله – ، توفي والده وله من العمر عشر سنين فعاش يتيماً .

فكان أبو يعلى منذ نعومة أظفاره وهو منشغل بطلب العلم وتحصيله نظراً لنشأته في بيت مهتم بالعلم وأهله ؛ فطلب العلم على يد أبيه سنة 390هـ ، وكذلك جده لأمه فقد كان محدثاً ثقة ، وهو عبيد الله بن عثمان بن يحيى أبو القاسم الدقاق [1] .

وسمع الحديث وهو لم يتجاوز الخامسة من عمره ، وكان أول سماعه من المحدث علي بن المعروف ، وسمع القرآن من رجل صالح في دار القز يعرف بابن مفرحة المقرئ ، وتتلمذ على يد شيخه أبي عبد الله بن الحسن بن حامد ، فقد كان إمام الحنابلة وفقيههم في زمانه، وقد لازمه أكثر من عشر سنين ، ودرس عليه الفقه الحنبلي أصولاً وفروعاً ، وبعد وفاة الشيخ ابن حامد أوكلت مهمة التدريس إلى القاضي أبي يعلى ولم يناهز عمره ثلاثاً وعشرين سنة .

وقد سلك – رحمه الله – طريقة طلاب العلم من قبله ، وهي تلقي العلم أولاً على شيوخ بلده، ثم الرحلة في طلبه من الأمصار الإسلامية ، والمتأمل في حياة القاضي – أبي يعلى – يجد أنه لم يكن من المكثرين للرحلة ؛ وإنما ذكروا عنه أنه رحل وسمع في مكة ودمشق وحلب .

ومن أشهر شيوخه : الذين تلقى عنهم العلم ؛ أبو عبد الله الحسن بن حامد ، والحسين ابن أحمد بن جعفر أبو عبد الله المعروف بابن البغدادي ، وعبيد الله بن عثمان وهو جده لأمه ، والحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله صاحب المستدرك ... وخلق كثير .

ومن أشهر تلاميذه : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، وأحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون أبو الفضل ، وعبد العزيز بن محمد بن محمد بن عاصم النخشبي ... وخلق كثير .

---

[1] هو عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن يوسف أبو القاسم الدقاق المعروف بابن جنيقا من أهل الجانب الشرقي، ثقة مأمون فاضل حسن الخلق، مات سنة 390هـ .
انظر: تاريخ بغداد 377/10 .

ومن مؤلفاته : إبطال التأويلات ، وكتاب مختصر المعتمد ، والعدة في أصول الفقه ، وشرح الخرقي ، والأحكام السلطانية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكتاب الإيمان .. إلى غير ذلك من مؤلفاته الكثيرة .

و من ثناء العلماء عليه : يقول ابن الجوزي : " جمع الإمامة والفقه والصدق وحسن الخلق ، والتعبد ، والتقشف ، والخشوع ، وحسن السمت ، والصمت عما لا يعنيه ، واتباع السلف"، وقال الذهبي في السير : " وكان ذا عبادة وتهجد ، وملازمة للتصنيف مع الجلالة والمهابة ، ... وكان متعففاً نزيه النفس ، كبير القدر ، ثخين الورع " ، وقال الخطيب البغدادي : "كتبنا عنه ، وكان ثقة " .

امتاز – رحمه الله – بصفات حميدة يجمعها التقوى والزهد والورع والصدق والتواضع والهدوء والرزانة والعفة وحسن الخلق وحسن السمت والصمت ، وكان له ثلاثة أبناء كلهم ذكور .

وفاته : توفي رحمه الله سنة 458هـ في بغداد [1] .

أما منهجه : فالقاضي أبو يعلى من كبار الحنابلة ؛ بل هو من أكبر أئمتهم ؛ ومقعّد مذهبهم في الفروع والأصول ، فكان له باع طويل في موضوع العقيدة ؛ كتابةً ودعوةً وردّاً للباطل بالقول والفعل .

ولقد حاولت استقراء منهجه – رحمه الله – من مصدرين :

المصدر الأول : مؤلفاته ؛ فإن الناظر فيما خلفه القاضي – رحمه الله – من كتب وما نقل عنه، يظهر له جلياً أن القاضي أبا يعلى إمام زمانه وعلاّمة عصره ، فكل من جاء بعده عالة عليه ، قال عنه ابنه أبو الحسين في الطبقات : (.. وأصحاب الإمام أحمد رضي الله عنه له يتبعون ، ولتصانيفه يدرسون ويدرسون ، وبقوله يفتون ، وعليه يعولون ..) [2] ،

وقال الذهبي : (صاحب التصانيف ، وفقيه العصر ، كان إماماً لا يدرك قراره ، ولا يشق غباره) [3] .

---

(1) انظر ترجمته في تاريخ بغداد 256/2 ، وطبقات الحنابلة 193/2 ، وسير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 89/8 ، والمنتظم لابن الجوزي 243/8 .
(2) طبقات الحنابلة ، 2/ 193 .
(3) العبر في خبر من غبر ، 243/3 .

فالقاضي – رحمه الله – اعتنى بالتصنيف والكتابة ، وأشغل وقته بها ؛ مما جعل حصيلة ذلك علماً جماً ، وكتباً عظيمة خلفها لتلاميذه ولمن بعدهم ، وهي خير شاهد على إمامته وعلمه ، ولكن للأسف لا نجد من هذه الكتب إلا القليل ، ولعل السبب في ذلك التتار الذين دخلوا بغداد سنة 656 هـ وتسلطوا على كتب الإسلام فألقوها في نهر دجلة .

ومن أهم مؤلفاته الموجودة :

1/ إبطال التأويلات لأخبار الصفات .

2/ الأحكام السلطانية ، وهو مختص بالسياسة الشرعية .

3/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو مختص بالأمر بالمعروف وما يختص به ، وهو مخطوط .

4/ الخلاف الكبير ، وهو مختص بفقه الخلاف ، وهو مخطوط وحُقق جزء منه .

5/ كتاب الروايتين والوجهين ، وهو مختص في ذكر الآراء المختلفة عن الإمام أحمد والترجيح بينها ، وقد خصص باباً منه في الاعتقاد والمتعلق بمسائل الأيمان والنذور والكفارات .

6/ شرح الخرقي .

7/ العدة في أصول الفقه .

8/ المعتمَد في أصول الدين .

9/ مسائل الإيمان ، وقد تطرق القاضي – رحمه الله – في هذا الكتاب إلى المسائل المتعلقة بالإيمان ، وبنى الكلام على تسعة مسائل .

وهذا الكتاب والذي قبله هما اللذان حصلتُ عليهما ، واستفدت منهما كثيراً في استخلاص منهجه في العقيدة ؛ بالإضافة إلى الكتاب الأول وهو (إبطال التأويلات لأخبار الصفات)[1]، وبالإضافة أيضاً إلى المصدر الثاني .

وبقية مصنفات القاضي التي لم توجد ، وهي في حكم المفقود ، ما يقارب 44 مؤلفاً [2].

---

(1) وقد حصلتُ عليه مخطوطاً مصوراً بـ CD من مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(2) انظر : القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان ، سعود الخلف ، ص 40–54 .

المصدر الثاني : من كَتَب عن منهج القاضي أبي يعلى – رحمه الله – في العقيدة ، وحصلتُ منها على رسالة جامعية بعنوان : (منهج القاضي أبي يعلى في أصول الدين)[1]، واستفدت منها بما يُعينني على استخلاص منهجه – رحمه الله – في العقيدة .

وأما بالنسبة لمنهجه في العقيدة ، فإن المتأمل في مؤلفاته – رحمه الله – يجد أنه قد كتب في العقيدة كتباً تصل إلى 25 كتاباً بين إجابة لسؤال ، أو ردٍ لشبهة ، أو توضيح لإشكال ، ولتأثر القاضي – رحمه الله – بالحنابلة وطريقة السلف ؛ نجد أنه سلك طريقتهم في الكتابة في مسائل العقيدة ؛ حيث كان يعقد الفصل للمسألة ، ويورد تحتها الآيات والأحاديث والمأثور عن السلف فيها ، وكان يروي كثيراً من الأحاديث والآثار بالسند المتصل إلى آخر السند على طريقة المحدثين .

وهذا المنهج يتمثل في كتابه (إبطال التأويلات) في الرد على ابن فورك ، حيث سلك فيه مسلك المحدثين ، فنجده يكثر من سرد الأسانيد ، وأحياناً يذكرها ويحيل على المرجع الذي أخذها منه ، وأحياناً يذكرها معلقة بلا سند ، كما أنه – رحمه الله – قد أكثر في هذا الكتاب من النقل عن الإمام أحمد وعن ابنه عبد الله في أسئلته لأبيه ، وأحياناً يسندها إلى نفسه ، وأحياناً يترك الإسناد ،كما أنه يعلق على النص المنقول بما يناسب ما استدل له.

وقد صرح – رحمه الله – بذلك في مقدمة الكتاب فقال : " فإنني وقفت على حاجتكم إلى شرح كتاب نذكر فيه ما اشتهر من الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ في الصفات ، وصح سنده من غير طعن فيه ما يوهم ظواهرها التشبيه ، وأذكر الإسناد في بعضها ، وأعتمد على المتن فيما اشتهر منها طلباً للاختصار ، وسألتم أن أتأمل محمد بن الحسن بن فورك الذي سماه تأويل الأخبار "

وهذا المسلك الذي سلكه – رحمه الله – هو ما سلكه أيضاً في كتاب (الروايتين والوجهين) وذلك في الباب المختص بمسائل العقيدة ، والمتعلق بمسائل الأيمان والنذور والكفارات [2] .

ومما تميز به أبو يعلى أنه يلتزم في الغالب من المسائل بما دلت عليه الأدلة الشرعية ، ولا يخرج عنها مما يجعله يساند الحق في جميع استخلاصاته ، إلا إذا كان الحديث ضعيفاً أو موضوعاً.

---

(1) للباحث فهد الفايز .

(2) وقد حصلتُ عليه مخطوطاً مصوراً بـ CD من مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وبذلك تكون المسائل المذكورة مما اعتنى بها الشارع ، وبينها بحيث أصبحت لها أدلة شرعية ، وأصبحت ذات قيمة في عقيدة المسلم ؛ لأن كثيراً من المسائل التي تكتب في كتب أهل الكلام على أنها من أصول الدين لا تكون لها أدلة شرعية ، ويكون التكلف فيها من فضول الكلام ، وليس من أصول الدين .

إلا أن القاضي - رحمه الله — قد تأثر بأقوال الأشاعرة الذين كانت بغداد تعج بهم ، فإنه أول ما يظهر للقارئ في عقيدته — رحمه الله — أثر المتكلمين في أسلوبه في الكتابة في مسائل العقيدة .

ويتمثل هذا في كتابه (مختصر المعتمد في أصول الدين) حيث سلك فيه طريقة المتكلمين بحيث ضمنه المسائل التي يوردها المتكلمون في كتبهم التي يسمونها أصول الدين ، مثل مسائل الأعراض والجوهر والكلام والعقل إلى غير ذلك من المسائل ، مع أنهم لا يوردون عليها دليلاً واحداً لا من القرآن ، ولا من السنة ، ولا من أقول الصحابة والتابعين ، ومع ذلك يجعلونها من أصول الدين .

هذا بالنسبة لمنهجه في العقيدة بشكل عام ، ويمكنني الآن أن أورد شيئاً من منهجه في بعض كتبه على سبيل الخصوص .

ومن ذلك كتابه (الإيمان) ومنهجه فيه أنه يذكر المسألة ثم يذكر قول الإمام أحمد إن كان له قول فيها ، ثم يتبعه بذكر أقوال غيره من العلماء والأئمة ، ثم يذكر الأدلة الشرعية من القرآن والسنة .

وبعد ذلك يورد قول المخالفين ، ثم يفصل في الرد عليهم فرقة فرقة ، فيذكر مااستدلوا به من القرآن والسنة ، ويرد على استدلالاتهم ؛ ثم بعد ذلك يفترض لهم افتراضات على أنها من احتجاجاتهم ويرد عليها ، ولكن رده عليها يكون على طريقة المتكلمين ؛ وهذا كله بأسلوب هادئ ، فلا نرى في طريقة العرض ولا الرد عليهم كلمة نابية أو صفة جارحة ، بل يكتفي — رحمه الله — بإبراز الحق وإظهاره ، وهذا يدل على عفة لسانه ، وحسن سمته، وهذا من الأشياء التي يتميز بها القاضي أبو يعلى — رحمه الله - (1) .

والمثال الثاني منهجه في كتاب : (المعتمد في أصول الدين) ، فقد صبغ القاضي هذا الكتاب بهذه الصبغة الكلامية ، غير أنه — رحمه الله — على الرغم من تعويله على أسلوب المتكلمين في هذا الكتاب ، إلا أنه يورد وبكثرة الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والنقل عن الصحابة

(1) القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان ، تحقيق :سعود الخلف ، ص 125 .

كأبي بكر الصديق ، و عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي ﷺ ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعائشة ، ومعاذ بن جبل ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وأكثر النقل عن أحمد بن حنبل ، وأبي عبد الله بن بطة وغيرهم .

ورد على المخالفين بالأدلة العقلية وخاصة في أصول الدين عند المتكلمين ، وهذه الطريقة لم يسلكها إلا في هذا الكتاب ومختصره من الكتب ، وهذا مأخذ على أبي يعلى – رحمه الله –وكما قيل كل يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم ﷺ [1] .

وخلاصة القول أن القاضي أبي يعلى – رحمه الله – له طريقتان في الكتابة في مسائل العقيدة..وهي :

الطريقة الأولى :

ينهج فيها منهج السلف - رحمهم الله – وهو إيراد النصوص الشرعية من الكتاب والسنة والآثار عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان .. مع العزو فيما يذكر إلى أصحابها بإسناده أو بإسناد الكتاب الذي ينقل منه .

وهذا المسلك هو مسلك المحدثين ، وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا المنهج ، فقال : " وقد صنف القاضي أبو يعلى كتابه في (إبطال التأويلات) رداً لكتاب ابن فورك، وهو وإن كان أسند الأحاديث التي ذكرها وذكر من رواها ، ففيها عدة أحاديث موضوعة ، كحديث الرؤية عياناً ليلة المعراج ونحوه ، وفيها أشياء عن بعض السلف رواها بعض الناس مرفوعة ، كحديث قعود الرسول ﷺ على العرش ، رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة ، وهي كلها موضوعة ، وإنما الثابت عن مجاهد وغيره من السلف وكان السلف والأئمة يروونه ولا ينكرونه ، ويتلقونه بالقبول ، وقد يقال : إن مثل هذا لا يقال إلا توقيفاً ، لكن لا بد من الفرق بين ما ثبت من ألفاظ الرسول ﷺ ، وما ثبت من كلام غيره ، سواءً كان من المقبول أو من المردود " [2] .

---

[1] منهج القاضي أبي يعلى في أصول الدين ، فهد موسى الفايز ، ص 31 .
[2] درء تعارض العقل والنقل ، 5 /237

وفي هذه الطريقة يُلحظ كيفية رد القاضي على المخالفين بالمنقول والمعقول ، ويستطرد في المسألة ليستغرق الافتراضات التي قد ترد حولها ، وهذا يدل على سعة علمه وطول نفسه في البحث والمناظرة ، ويبدؤها بكلمة " فإن قيل " ، كما يكثر من النقل من كتب أهل السنة والجماعة ، معرجاً على كتب اللغة ، ويورد أحياناً طرفاً من أقوال بعض الفرق ، ويرد عليها ، وهو في هذه الطريقة يسير مع النصوص يستنبط منها ، ويرد على الخصوم بها، وإن كان أحياناً قد يستدل بحديث موضوع .

وبالجملة فإن هذه الطريقة تقي الباحث من الوقوع في الزلل والخطأ في مسائل العقيدة التي هي أساس الدين ، وهي المنجية من التخبط في المباحث الفلسفية والآراء الكلامية التي ضل سعي أهلها ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

فمسائل العقيدة لا تؤخذ من هذا ، وإنما تؤخذ من مظانها ، ومظانها كتاب الله وصحيح السنة، أما غير ذلك فهو من التكلف الذي نهينا عنه ، ومثال هذه الطريقة كتابه (الإيمان) الذي سبق أن أشرتُ إلى منهجه فيه .

الطريقة الثانية :

وسلك فيها مسلك المتكلمين ، قال القاضي في مقدمة كتابه (المعتمد في أصول الدين) : " سألتموني أحسن الله توفيقكم اختصار مقدمة في أصول الدين من كتابنا المعتمد ، لتقرب على متعلمها ، ويشرع بأخذها ، فأجبتكم إلى ذلك .. " [1] .

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية [2] عن المعتمد نفسه [3] ، في مسألة وجوب النظر المؤدي إلى معرفة الله عز وجل ، ونحا بهذه الطريقة منحى المتكلمين في مسائل أصول الدين عندهم .

وهذه الطريقة هي التي كثُرت جهود السلف – رحمهم الله – بالتحذير منها ، والتشنيع على أهلها نظراًً لما تفضي إليه من الشبهات والشكوك .

وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية في الحموية بعد أن نقل مقالات المتكلمين وقولهم :

---

(1) تحقيق : وديع زيدان حداد ،ص 19 .
(2) درء تعارض العقل والنقل ، 7 / 405 – 464 ، 9 / 3 – 66 .
(3) المعتمد في أصول الدين ، ص 21 .

" طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم " ، قال – رحمه الله – : " كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون الحيارى المتهوكون أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين : من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ، ومصابيح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب ، وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب ، وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء ، فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم ، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة .

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة – ولا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته – من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم ؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين ، وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم . وأشباههم أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان ؟

وإنما قدمت هذه المقدمة ، لأن من استقرت عنده هذه المقدمة عرف طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره ، وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم ، وإعراضهم عما بعث الله به محمداً ﷺ من البينات والهدى ، وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين ، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه ، وبشهادة الأمة على ذلك ، وبدلالات كثيرة ، وليس غرضي واحداً معيناً، وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء " [1] .

ومثال هذه الطريقة كتابه (المعتمد في أصول الدين) .

المقارنة بين منهج الخطيب البغدادي ومنهج أبي يعلى الحنبلي :

سبق في الفقرة السابقة إيرادي لمنهج أبي يعلى الحنبلي – رحمه الله – في العقيدة ، كما سبق إيرادي لمنهج الخطيب البغدادي في الفصل السابق .

وأما بالنسبة للمقارنة بين منهجهما – رحمهما الله – ، بدأتُ أولاً بجمع المسائل العقدية التي تطرق لها الإمامان – رحمهما الله – ، ثم ذكرتُ قول كل واحدٍ منهما فيها لبيان منهجه ، ثم

([1]) مجموع الفتاوى ، ج 5 ، ص 11 .

أُقارن بينهما ، وإن احتاج الأمر إلى تعليق علقّتُ عليها تعليقاً يسيراً ، فكانت على قسمين :

1/ المسائل التي اتفق منهجهما فيها ؛ حيث نهجا منهج أهل السنة والجماعة ، منها :

المسألة الأولى : تقرير بعض مسائل الإيمان ، ومنها :

1/ تعريف الإيمان ، وأنه قول وعمل ، يزيد وينقص :

الإيمان عند أهل السنة و الجماعة : اعتقاد بالجنان , وقول باللسان , وعمل بالجوارح والأركان. ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص , يزيد بالطاعة ينقص بالمعصية : ولهم على ذلك أدلة كثيرة جداً. **فمن أدله الكتاب** : قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً) (1) ، **ومن السنة** : قول النبي ﷺ : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) (2) . **ومما ورد عن الصحابة في ذلك:** كان عمر بن الخطاب يقول لأصحابه : " هلموا نزدد إيماناً ، فيذكرون الله عز وجل " (3) .

وقال ابن عبد البر : " أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية " (4) .

منهج الإمام الخطيب البغدادي – رحمه الله – في المسألة :

يتضح منهج الخطيب في المسألة ، في إيراده لعدة آثار مروية بسنده في كتابه (تاريخ بغدد)، منها :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي طالب محمد بن الحسين بن أحمد بن بكير ، قال: كان والد ابن مالك جعفر بن حمدان يكنى أبا الفضل ، وحمدان لقب ، واسمه أحمد . قال وسئل ابن مالك وأنا أسمع عن الإيمان فقال : قول وعمل ثم قال : وهل يشك فيه؟!(1).

---

(1) سورة الأنفال ، الآية : 2 .

(2) حديث متواتر. ورد من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة وعائشة والحسن مرسلاً وعمير بن قتادة وأبي سعيد الخدري وأنس وجابر بن عبد الله وابن عمر وأبي ذر وعلي وجابر بن سمرة وغيرهم ﷺ، وله ألفاظ متقاربة كثيرة. انظر: نظم المتناثر للكتاني 43/1 .

(3) اللالكائي ، 1012/5 .

(4) التمهيد ، 238/9 .

2- ما أخرجه عن الخطيب بسنده عن سفيان الثوري أنه قال: لا يجد العبد طعم الإيمان إلا بالورع الشافي ، وقيل لوهيب بن الورد : يجد حلاوة الإيمان من يعمل بالمعاصي ؟ قال: لا ، ولا من هم بمعصية [2] .

وكون الخطيب – رحمه الله – روى هذه الآثار وأثبتها بسنده ، فمعنى ذلك أنه أقرّها ووافق عليها ، وأنه نهج فيها منهج أهل السنة والجماعة .

ومنهج القاضي أبي يعلى – رحمه الله – في المسألة :

أثبت القاضي – رحمه الله – ما أثبته السلف في الإيمان ، وهو في اللغة تصديق القلب المتضمن العلم بالمصدّق ، وفي الشريعة قول باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالجوارح ، والإيمان يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية نفسه وثوابه ، خلافاً للمعتزلة في قولهم لا يزيد ولا ينقص لا ثوابه ولا نفسه ، وخلافاً للأشعرية في قولهم يزيد وينقص ثوابه لا نفسه ، والدلالة على ما ذكرنا قوله تعالى : (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً) [3] .

وقد وافق القاضي أبو يعلى – رحمه الله – سلف الأمة وخيارها في تعريف الإيمان ، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وبناءً على هذا فإن كلا الإمامين – رحمهما الله – نهجا في هذه المسألة منهج أهل السنة والجماعة .

2/ الاستثناء في الإيمان ، وهو قول : أنا مؤمن إن شاء الله . هذه المسألة اختلف فيها الناس ، وقد فصلتُ فيها القول في الفصل الثاني من الباب الثاني ، وسأذكرها هنا مختصرة.

اختلف الناس فيها على ثلاثة أقوال : منهم من يمنع الاستثناء ويحرمه ، وهم المرجئة والجهمية ومن وافقهم ، ومنهم من يوجب الاستثناء ، وهم الذين يقولون الإيمان هو : باعتبار الموافاة ، وهو ما يموت العبد عليه ، وما يوافي العبد به ربه ، والقول الثالث هو قول السلف رضي الله عنهم فيمنعون الاستثناء باعتبار ، ويجيزونه باعتبار آخر . **فيمنعونه** : إذا كان الاستثناء راجعاً إلى أصل الإيمان ، فإن هذا لا شك فيه ، فيمنع الاستثناء حينئذ ، وهذا مما لا خلاف فيه [4] . **ويجيزونه** : إذا

([1]) تاريخ بغداد ، 73/4 .

([2]) المصدر السابق ، 189/7 .

([3]) المعتمد في أصول الدين ، للقاضي أبي يعلى ، ص186 – 190 باختصار ، والآية في سورة الأنفال، الآية : 2 .

([4]) مجموع الفتاوى ، 429/7 ، شرح الطحاوية ، 496/2 .

كان الاستثناء راجعاً لكمال الإيمان ؛ وهو الإيمان المطلق المتضمن فعل الواجبات ، وترك المحرمات ، فإن هذا يشك في تكميله ، وإذا قال الرجل أنا مؤمن بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه ، بأنه من الأبرار المتقين ، القائمين بفعل جميع ما أمروا به ، وترك كل ما نهوا عنه ، فيكون من أولياء الأولياء ، وهذا من تزكية الإنسان لنفسه ، وشهادته لنفسه بما لا يعلم ، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لكان ينبغي له أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال ، ولا أحد يشهد لنفسه بالجنة ، فشهادته لنفسه بالإيمان كشهادته لنفسه بالجنة إذا مات على هذا الحال [1] .

ويجيزونه أيضاً : باعتبار أن الاستثناء لا يفيد الشك بل يفيد اليقين [2] ، كما قال تعالى : (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ) [3] ، وقد علم الله دخولهم لا محالة ، فكان قول: " إن شاء الله " تحقيقاً للدخول ، وقال النبي ﷺ حين وقف على المقابر : (وإنا إن شاء الله بكم لا حقون) [4] .

قال الإمام أحمد : وقد نُعيت إليه نفسه ، وعلم أنه صائر إلى الموت [5] . قال شيخ الإسلام : " أوسطها وأعدلها أنه يجوز الاستثناء باعتبار ، وتركه باعتبار ، فإذا كان مقصوده أني لا أعلم أني قائم بكل ما أوجب الله عليّ ، وأنه يقبل أعمالي ، ليس مقصوده الشك فيما في قلبه ، فهذا استثناؤه حسن ، وقصده أنه لا يزكي نفسه ، وأن لا يقطع بأنه عمل عملاً كما أمر فيقبل منه ، والذنوب كثيرة والنفاق مَخُوف على عامة الناس [6] .

منهج الإمام الخطيب البغدادي – رحمه الله – في المسألة :

يتضح منهج الخطيب في المسألة ، في إيراده لعدة آثار مروية بسنده في كتابه (تاريخ بغدد)، منها :

---

(1) مجموع الفتاوى ، 446/7 .
(2) الإبانة ك 1 م866/2 .
(3) سورة الفتح ، الآية : 27 .
(4) تقدم تخريجه ، ص316 .
(5) مجموع الفتاوى ، 451/7 .
(6) مجموع الفتاوى ، 41/13 .

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن وكيع عن الثوري يقول : نحن المؤمنون ، وأهل القبلة عندنا مؤمنون ، في المناكحة ، والمواريث ، والصلاة ، والإقرار ، ولنا ذنوب ولا ندري ما حالنا عن الله ؟ قال وكيع : وقال أبو حنيفة : من قال بقول سفيان هذا فهو عندنا شاك نحن المؤمنون هنا ، وعند الله حقّاً . قال وكيع : ونحن نقول بقول سفيان ، وقول أبي حنيفة عندنا جرأة[1].

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن الحسين بن منصور عن الحسين بن وليد قال : لقيت مالك بن أنس فسألته عن حديث ، فقال : لقد طال عهدي بهذا الحديث ، فمن أين جئت به ؟ قلت حدثني به عنك إبراهيم بن طهمان . قال : أبو سعيد ؟ كيف تركته ؟ قلت : تركته بخير، قال هو بعد يقول : أنا عند الله مؤمن ؟ قلت له : وما أنكرت من قوله يا أبا عبد الله ؟ فسكت عني وأطرق ساعة ثم قال :لم أسمع السلف يقولونه [2] .

وكون الخطيب - رحمه الله – روى هذه الآثار في كتابه تاريخ بغداد ، وأثبتها بسند متصل إليه ، فمعنى ذلك أنه أقرّها ووافق منهج أهل السنة والجماعة فيها .

ومنهج القاضي أبي يعلى – رحمه الله – في المسألة :

نهج – رحمه الله – منهج أهل السنة فيها حيث قال : ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن حقّاً، بل يجب أن يقول : أنا مؤمن إن شاء الله خلافاً للمعتزلة في قولهم : لا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله ، بل يجب أن يقول أنا مؤمن حقّاً ، والدلالة عليه إجماع السلف ، فروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : من زعم أنه مؤمن حقّاً فهو كافر .

وعن الحسن أن رجلاً قال عند عبد الله بن مسعود : إني مؤمن ، فقيل لابن مسعود إن هذا يزعم أنه مؤمن قال فسلوه : أفي الجنة أو في النار ، فسألوه ، فقال : الله أعلم ، فقال عبدالله : فهل لا وكلت الأولى كما وكلت الآخرة .... ولأن المؤمن الحقيقي ، والمؤمن عند الله عز وجل هو الذي يكون من أهل الجنة ، ولا يكون كذلك إلا بعد أن يوافى بالإيمان باتفاق ، والواحد منا لا يعلم أنه يوافى بالإيمان أم بالكفر ، وإذا لم يعلم ذلك لم يعلم أنه مؤمن حقّاً [3]، ثم قال في معنى الموافاة : هو ما يكون عليه الإنسان في آخر عمره وخاتمته ، وعلى ذلك يعلّق وعده ووعيده ورضاه

(1) تاريخ بغداد ، 371/13 .
(2) تاريخ بغداد ، 107/6 .
(3) انظر : المعتمد في أصول الدين ، أبو يعلى الحنبلي ، ص 190 .

وسخطه وولايته وعداوته ، وقد نعتقد في الإنسان أنه مؤمن في غالب ظنّنا ونحكم له كذلك ، ويكون حكمه عند الله خلاف ذلك . ويجوز أن يكون الكافر عندنا، مؤمناً عند الله ، ويكون ما يجري عليه من الأحكام في المواريث والأنكحة وغيرها على ظاهر الأمر دون باطنه .. [1] .

ومن كلام القاضي أبي يعلى السابق نجد أنه قد سار في مسألة الاستثناء في الإيمان على منهج أهل السنة والجماعة ، وعليه نستخلص أن كلاً من الخطيب البغدادي والقاضي أبي يعلى قد نهجا منهج السلف في ذلك .

3/ حكم مرتكب الكبيرة من المؤمنين :

يعتقد أهل السنة والجماعة ، أن مرتكب الكبيرة من أهل القبلة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو هو ناقص الإيمان أو مؤمن عاص ، أو ليس بمؤمن حقاً ، أو ليس بصادق الإيمان ، فلا يسلبونه اسم الإيمان على الإطلاق ، ولا يعطونه على الإطلاق [2] ، وهذا حكمه في الدنيا.

أما في الآخرة فهو تحت المشيئة إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ، ثم أدخله الجنة ، وهذا بخلاف الخوارج والمعتزلة والمرجئة .

وقد استدل أهل السنة على قولهم هذا بأدلة منها : قال تعالى : (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ) [3] ، " فبيّن الله – تعالى – أنه لا يغفر الشرك ، ويغفر ما دونه من الذنوب وهي الكبائر ، فإن صاحبها تحت المشيئة .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

(بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولاتزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله، فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه) [4] ، قال الطحاوي : " وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في

([1]) انظر : المصدر السابق ، ص190 – 191 .
([2]) انظر : مجموع الفتاوى ، 673/7 .
([3]) سورة النساء ، الآية : 48 .
([4]) تقدم تخريجه ، ص320 .

النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين ، بعد أن لقوا الله عارفين ، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم ، وعفا عنهم بفضله ، كما ذكر عز وجل في كتابه : (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ) [1] ، وإن شاء عذبهم في النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ثم يبعثهم إلى جنته " [2] ، وقال شيخ الإسلام : " ومذهب أهل السنة والجماعة : أن فسّاق أهل الملة ليسوا مخلدين في النار كما قالت الخوارج والمعتزلة ، وليسوا كاملين في الدين والإيمان والطاعة ، بل لهم حسنات وسيئات يستحقون بهذا العقاب وبهذا الثواب " [3] .

وبناء على اعتقاد أهل السنة في مرتكب الكبيرة ، فإنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب إلا إذا استحله ، لأن استحلال الحرام تكذيب بالكتاب والسنة ، وذلك كفر بالكتاب والسنة والإجماع [4]. قال الطحاوي : " ولا نكفّر أحداً من أهل القبلة بذنب ، ما لم يستحله"[5]. وقال النووي : " مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المسلم بالمعاصي كالقتل والزنا"[6].

وسئل شيخ الإسلام عن العبد المؤمن هل يكفر بالمعصية أم لا ؟ فأجاب : " لا يكفر بمجرد الذنب ، فإنه ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف أن الزاني غير المحصن يجلد ولا يقتل ، والشارب يجلد ، والقاذف يجلد ، والسارق يقطع ، ولو كانوا كفاراً لكانوا مرتدين ، ووجب قتلهم ، وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف " [7] .

منهج الإمام الخطيب البغدادي – رحمه الله – في المسألة :

يتضح منهج الخطيب في المسألة ، في إيراده لعدة آثار مروية بسنده في كتابه (تاريخ بغدد)، منها :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن سعيد بن سالم البصري قال : سمعت أبا حنيفة يقول : لقيت عطاء بمكة فسألته عن شيء فقال : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ، قال : أنت من

---

(1) سورة النساء ، الآية : 48 .
(2) شرح الطحاوية ، 524/2 .
(3) مجموع الفتاوى ، 7/ 679 .
(4) انظر : معارج القبول ، 1040/3 .
(5) شرح الطحاوية ، 432/2 .
(6) شرح مسلم ، 49/2 .
(7) شرح مسلم ، 307/4 .

أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ؟ قلت : نعم ، قال : فمن أي الأصناف أنت؟ قلت : ممن لا يسب السلف ، ويؤمن بالقدر ، ولا يكفر أحداً بذنب ، قال : فقال لي عطاء عرفت فالزم [1] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن الحسن بن خضر ، قال : سمعت ابن أبي داوود يقول : أدخل رجل من الخوارج على المأمون ، فقال ما حملك على خلافنا ؟ قال آية في كتاب الله تعالى ، قال : وما هي ؟ قال قوله : (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)[2]، فقال له المأمون : ألك علم بأنها منزلة ، قال نعم ، قال وما دليلك ؟ قال إجماع الأمة ، قال فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل ، فارض بإجماعهم بالتأويل ، قال : صدقت ، السلام عليك يا أمير المؤمنين [3] .

فكون الخطيب – رحمه الله – أورد هذه الآثار ورواها بسنده ، فمعنى ذلك أنه أقرّها ووافق عليها ، وأنه نهج فيها منهج أهل السنة والجماعة .

ومنهج القاضي أبي يعلى – رحمه الله – في المسألة :

أن الفاسق من أهل الملّة لا يخرج من الدين بمعصية ، وإنما يكون مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته ، حيث قال – رحمه الله – في الفاسق الملّيّ : " هو الذي وجد منه التصديق بالقلب وبالقول ، لكنه ترك الطاعات غير الصلاة ، وارتكب المنكرات ، هل يسمى مؤمناً ؟ ظاهر كلام أحمد ﵁ أنه يسمى مؤمناً ناقص الإيمان ، ولا نسلبه الاسم ، بل نقول مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته ، خلافاً للمعتزلة في قولهم : لا يكون مؤمناً ولا كافراً ، ولكنه يكون فاسقاً ، فسلبوه اسم الإيمان في الجملة ، ومعلومة منزلته بين المنزلتين . وقالت الأشعرية : هو كامل الإيمان ، وبنوا لهذا على أن الإيمان هو التصديق فقط ، فإن ترك الطاعات ، وارتكاب المحظورات لا يؤثر في التصديق ، والدلالة على أنه لا ينسلب الإيمان في الجملة أن القائل بالمنزلة بين المنزلتين مخالف للإجماع السابق ، وذلك أن الصحابة وغيرهم اختلفوا في الفاسق الملّيّ هل هو مؤمن أم لا ؟ قالت الصحابة : إنه مؤمن بإيمانه ، فاسق بفسقه ، وقالت الخوارج ليس بمؤمن بل هو كافر ، فمن

---

(1) تاريخ بغداد ، 331/13 .
(2) سورة المائدة ، الآية : 44 .
(3) تاريخ بغداد ، 186/10 .

أحدث قولاً ثالثاً خالف الإجماع فلا حكم لقوله ....إلخ " [1] ، ثم قال : "ومرتكب الكبيرة من أهل الصلاة ليس بكافر نعمة ، خلافاً للإباضيّة من الخوارج والزيّدية من الروافض في قولهم هو كافر نعمة ، والدلالة عليه أن صاحب الكبيرة عارف بالله ، ومعترف بقلبه ولسانه وبنعمه ، ومن هذا حاله لا يوصف بأنه كافر نعمة على الإطلاق ، لأن كفر النعمة لا بدّ أنه جحداً أو تغطية لها ، ولأنه لا خلاف أن ترك طاعة النوافل من العبادات لا يكون كفراً للنعمة ، كذلك ترك الطاعة الواجبة .

والفاسق الملّيّ ليس بمنافق ، خلافاً للبكريّة في قولهم منافق ، والدلالة عليه أن النفاق استبطان الكفر وإظهار خلافه ، والفاسق الملّيّ ليس بمستبطن لشيء يظهر خلافه ، بل هو مجاهر بالفسق من الزنا والسرقة وأمثاله ، فلم يجز وصفه بأنه منافق " [2] .

ويتضح لنا من كلام القاضي أبي يعلى – رحمه الله – السابق أنه نهج منهج السلف – رحمهم الله– في حكم مرتكب الكبيرة ، ثم إذا قارنّا بين منهجه ومنهج الخطيب البغدادي –رحمه الله – نجد أن كليهما نهجا في المسألة منهج أهل السنة والجماعة .

المسألة الثانية : الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر : هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره وأنه الفعال لما يريد ، لا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ، ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد لأحد عن القدر والمقدور ، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور ، وأنه خالق أفعال العباد والطاعات والمعاصي ، ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم ، وجعلهم مختارين لأفعالهم غير مجبورين عليها ، بل هي واقعة بحسب قدرتهم وإرادتهم والله خالقهم وخالق قدرتهم ، يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته ، لا يسأل عما يفعل ، وهم يسألون [3] .

منهج الإمام الخطيب البغدادي – رحمه الله – في المسألة :

(1) المعتمد في أصول الدين ، ص 188 باختصار .
(2) المصدر السابق ، ص 189 .
(3) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، عبد العزيز السلمان ، ص22–23 .

يتضح منهج الخطيب في مسألة الإيمان بالقدر خيره وشره ، في إيراده لعدة آثار مروية بسنده في كتابه (تاريخ بغدد) ، ومن ذلك :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن علي بن رباح اللخمي قال : قال عمرو بن العاص : انتهى عجبي عند ثلاث ؛ المرء يفر من القدر وهو لاقيه ، والرجل يرى في عين أخيه القذاة فيعيبها ، ويكون في عينه مثل الجذع فلا يعيبه ، والرجل يكون في دابته الصَّعر فيقوِّمها جهده ويكون في نفسه الصَّعر فلا يقوِّم نفسه [1] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن علي ابن أبي طالب قال – وذُكر عنده القدر يوماً – فأدخل أصبعيه السبابة والوسطى في فيه ، فَرَقَم بهما باطن يده : فقال أشهد أن هاتين الرقمتين كانتا في أم الكتاب [2] .

فكون الخطيب – رحمه الله – روى هذه الآثار وأثبتها بسنده ، فمعنى ذلك أنه أقرّها ووافق عليها ، وأنه نهج فيها منهج أهل السنة والجماعة .

ومنهج القاضي أبي يعلى – رحمه الله – في المسألة :

أن القاضي – رحمه الله – نهج منهجاً في القدر يوافق منهج السلف ، فأثبت أن الله على كل شيء قدير ، وأن كل ما في الوجود واقع بمشيئته وإرادته وأنه خالق لكل شيء .

وأنه جل وعلا يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، فمن اهتدى فبفضله ، وهو الذي هداه ، ومن ضل فبعدله ، وهو الذي أضله ، وأنه الذي طبع على قلوب الكافرين ، وختم على سمعهم ، وجعل على بصرهم غشاوة ، وأنه جل وعلا لو شاء لهدى الناس جميعاً [3] .

وأن كل ما وقع من طاعة ومعصية فبإرادته ومشيئته ، فهو الذي أراد الإيمان من المؤمن وأحبه ورضيه منه وكتبه عليه وقدره له ، وهو الذي أراد الكفر من الكافر ولم يحبه ولم يرضه منه ، مع أنه كتبه عليه وقدره له [4] .

فعليه أثبت أن الله قادر على كل شيء ، لا يخرج عن قدرته شيء من الأشياء .

(1) تاريخ بغداد ، 105/8 .
(2) المصدر السابق ، 148/8 .
(3) انظر : المعتمد في أصول الدين ، ص 133 – 134 .
(4) انظر : المصدر السابق ، ص 75 – 80 .

هذا بصورة مجملة منهجه في القدر كما وردت في مواضع متفرقة في كتابه المعتمد في أصول الدين ، ونجد أنه نهج فيه منهج أهل السنة والجماعة .

وعند المقارنة بين منهجه ومنهج الخطيب – رحمهما الله – نجد أن كليهما مقتفيان لمنهج أهل السنة والجماعة في هذه المسألة .

المسألة الثالثة : الوعد والوعيد :

من الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بالوعد والوعيد ، وعدم إنكاره والاستهزاء به ، وقد حوى القرآن الكريم على وعد ووعيد ، فالوعد يكون بالمغفرة والرضوان ، والتكريم ودخول الجنان ونحو ذلك من أنواع الثواب ، والوعيد يكون إما بلعنة أو غضب أو دخول نار .. وغير ذلك من أنواع العقاب . قال الله تعالى : (وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ..)[1]، وقال تعالى : (وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ..) [2] .

ومما يتضمنه الإيمان بالوعد والوعيد : الإيمان بالجنة والنار ، وهو التصديق بوجودهما ، وأنهما مخلوقتان موجودتان ، لا تفنيان ولا تبيدان ، وقد تواترت الأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة في ذكرهما ، وأوصافهما وأحوالهما .. كما أجمع علماء الإسلام على ذلك ، وحكى الإجماع عدد كبير منهم [3] ، يقول الشيخ حافظ الحكمي : " ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار ...." [4] .

منهج الإمام الخطيب البغدادي – رحمه الله – في المسألة :

يتضح منهج الخطيب في المسألة ، في إيراده لعدة آثار مروية بسنده في كتابه (تاريخ بغدد)، منها :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى : (فِيهِنَّ قَاصِرَات الطَّرْفِ) [5] ، قال قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن بهن بدلاً [6] .

---

(1) سورة التوبة ، الآية : 68 .
(2) سورة التوبة ، الآية : 72 .
(3) نواقض الإيمان القولية والعملية ، عبد العزيز العبد اللطيف ، ص 233 .
(4) معارج القبول ، 2/279-292 .
(5) سورة الرحمن ، الآية : 56 .
(6) تاريخ بغداد 4/411 .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن مجاهد عن ابن عباس . قال : لو قطرت قطرة من الزقوم لأفسدت على أهل الأرض معايشهم ، ولو أبرزت النار ما رآها أحد إلا مات [1] .

كون الخطيب – رحمه الله – روى هذه الآثار وأثبتها بسنده ، فمعنى ذلك أنه أقرّها ووافق عليها ، وأنه نهج فيها منهج أهل السنة والجماعة .

ومنهج القاضي أبي يعلى – رحمه الله – في مسألة الوعد والوعيد :

أنه أثبت أن الله منجز ما وعد لأهل طاعته من الثواب ، وأنه منجز وعيده في أهل الكفر والإلحاد من العقاب ، حيث قال – رحمه الله – : وأما الوعد والوعيد والقول والعقد بأن الله تعالى هو الصادق لا خلف له في وعده ، وأنه الذي لم يزل موصوفاً بالصدق ويستحيل منه الكذب والوصف له بالقدرة عليه لا يخلف الميعاد ، ولا يبدل القول لديه ، فمن أخبر أنه ينعّمه نعّمه لا محالة ، ومن أخبر أنه يعذبه لا محالة من الكافرين عذّبه لا محالة .

فأما الفسّاق فهو العفوّ الغفور إن شاء عذبهم وإن عفا عنهم ، ولا كذب في خبره ، ولا خلف في وعده ، هو أصدق الصادقين ، وأحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين ، وأرحم الراحمين..[2].

كما أنه أيضاً أثبت الشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ وأن من دخل منهم النار فإنه سيخرج منها ، ولا يخلد فيها إلا الكفار [3] .

تبيّن لنا مما سبق أن القاضي أبا يعلى – رحمه الله –كان منهجه في مسألة الوعد والوعيد منهج أهل السنة والجماعة ، وعليه فإنه اتفق مع الخطيب البغدادي في نهجهما منهج أهل السنة والجماعة في المسألة .

المسألة الرابعة : الصفات :

أولاً عقيدة أهل السنة والجماعة في الصفات هي : قال ابن تيمية : " ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، وغير تكييف ولا تمثيل ، يثبتون لله ما أثبته من الصفات ، وينفون عنه مماثلة المخلوقات ، يثبتون له صفات الكمال ، وينفون عنه ضروب الأمثال ، ينزهونه عن النقص والتعطيل ، وعن التشبيه

---

(1) المصدر السابق ، 461/10 .
(2) انظر : المعتمد في أصول الدين ، ص 214 – 215 .
(3) انظر : المصدر السابق ، ص 215 .

والتمثيل ، إثبات بلا تشبيه ، وتنزيه بلا تعطيل (ليس كمثله شيء) ردّ على الممثلة ، وهو (السميع البصير) ردّ على المعطلة " [1] .

ومنهج الخطيب البغدادي – رحمه الله – في الصفات :

يقول هو بنفسه –كما روى عنه الذهبي – : " أما الكلام في الصفات ، فإن ما روي منها في السنن الصحاح ، مذهب السلف رضوان الله عليهم إثباتها ، وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكيفية ، والتشبيه عنها ، وقد نفاها قوم ، فأبطلوا ما أثبته الله سبحانه ،

وحققها من المثبتين قوم ، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف .

والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين ، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه .

والأصل في هذا : أن الكلام في الصفات فرع في الذات ، و يحتذى في ذلك حذوه ومثاله.

فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين – عز وجل – إنما هو إثبات وجود ، لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته ، إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف .

فإذا قلنا : لله – تعالى – يد ، وسمع ، وبصر ، فإنما هي إثبات صفات أثبتها الله لنفسه ، ولا نقول إن معنى اليد : القدرة ، ولا إن معنى السمع والبصر : العلم ، ولا نقول : إنها جوارح وأدوات للفعل ، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل .

ونقول : إنما وجب إثباتها ؛ لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها ؛ لقوله – تبارك وتعالى – : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) [2] ، وقوله عز وجل : (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ) [3] .

إن المتأمل في كلام الخطيب نفسه يجده يبرز المذهبين ، ويشرح مذهب السلف ، ويعلن اختياره إياه .

وأما بالنسبة لمنهج القاضي أبي يعلى – رحمه الله – في الصفات :

---

(1) منهاج السنة ، 111/2 .
(2) سورة الشورى ، الآية : 11 .
(3) التذكرة : ص1142 – 1143 ، والآية في سورة الإخلاص ، الآية : 4 .

القاضي – رحمه الله – من المثبتين لصفات الله عز وجل في الجملة ، وهذا نص كلامه في إثبات الصفات والمنع من تأويلها أو تشبيهها كما ورد في كتابه (إ بطال التأويلات) ، قال بعد ذكر مواقف الناس من الصفات : " واعلم أنه لا يجوز رد هذه الأخبار على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة ، ولا التشاغل بتأويلها على ما ذهب إليه الأشعرية ، والواجب حملها على ظاهرها ، وأنها صفات لله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين بها من الخلق ، ولا نعتقد التشبيه فيها لكن على ما روي عن شيخنا وإمامنا أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل وغيره من أئمة الحديث أنهم قالوا في هذه الأخبار أمروها كما جاءت ، فحملوها على ظاهرها في أنها صفات لله تعالى ، لا تشبه سائر الموصوفين ، فقال أحمد في رسالة عبدوس بن مالك العطار ، يجب الإيمان بالقدر ، وبالأحاديث فيه ، ومثل أحاديث الرؤية كلها ، وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع ، وقال في رواية حنبل ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعات شنعت . وقال في رواية المروزي : أحاديث الصفات تمر كما جاءت ، وأطال في النقل عن الأئمة في هذا المعنى ، ثم قال : دليل آخر يدل على إبطال التأويل أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ، ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفها عن ظاهرها ، فلو كان التأويل سائغاً لكانوا لما فيه من إزالة التشبيه ودفع الشبه " [1] .

وقد نقل عنه هذا شيخ الإسلام ابن تيمية [2] ، وكذلك الذهبي [3] ، وأثبتا به قوله بإثبات الصفات ، فيظهر من هذا واضحاً أن القاضي أبا يعلى – رحمه الله – يثبت الصفات للباري جل وعلا إثباتاً من غير تشبيه ولا تكييف ، كما أنه ألف كتابه (إبطال التأويلات) للرد على ابن فورك الأشعري الذي أول الصفات في كتابه (مشكل الحديث وبيانه) .

فيتضح لنا من قول الإمامين – رحمهما الله – في الصفات ؛ أنهما ينهجان منهج أهل السنة والجماعة ؛ وذلك بإثباتها وإجرائها على ظاهرها من نفي الكيفية والتشبيه عنها .

أمثلة على الصفات :

– صفة النزول :

---

(1) إبطال التأويلات ، ورقة (3/ أ – 11 / ب) .
(2) مجموع الفتاوى ، 5 / 89 – 90 .
(3) العلو للعلي الغفار ، ص 183 .

ذكرتُ في الفصل السابق منهج أهل السنة والجماعة في صفة نزول الرب تبارك وتعالى ؛ وذلك عند المقارنة بين منهج االخطيب البغدادي والسجزي — رحمهما الله — في هذه المسألة .

منهج الخطيب البغدادي – رحمه الله – في المسألة :

سبق بيانه في الفصل السابق عند المقارنه بينه وبين السجزي ، في ذات المسألة .

ومنهج القاضي أبي يعلى – رحمه الله – في المسألة :

قال — رحمه الله — في كتابه (المعتمد في أصول الدين) : " وقد وصفه رسول الله ﷺ بالنزول إلى سماء الدنيا ، والعلو لا على وجه الانتقال والحركة"[1].

كما أن القاضي — رحمه الله — روى في كتابه إبطال التأويلات أحاديث النزول . ثم قال : " اعلم أن هذا حديث صحيح يجب الأخذ بظاهره من غير تأويل ، ولا يجب أن يستوحش من إطلاقه — ثم نقل عن السلف إثبات النزول — وقال : ولهذا أمض على ما روي ، والوجه في ذلك أنه ليس في الأخذ بظاهره ما يحيل صفاته ، ولا يخرجها عما تستحقه ، لأنا لا نحمله على نزول انتقال " [2] .

وبذلك يتبين توافق الإمامين – الخطيب البغدادي و القاضي أبي يعلى – في اتباعهما للمنهج الصحيح لإثبات صفة النزول له جل قدره وعَظُم شأنه .

– الرؤية :

أهل السنة والجماعة يؤمنون برؤية المؤمنين لربهم في الآخرة ، قال الإمام الصابوني :

" ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم – تبارك وتعالى – يوم القيامة بأبصارهم وينظرون إليه على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ " [3] ، وقال قوّام السنة الأصبهاني : " ومن مذهب أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم – تبارك وتعالى – بأبصارهم يوم القيامة " [4] .

---

(1) ص 55 .

(2) إبطال التأويلات ، ورقة (76 / ب – 78 / أ) .

(3) عقيدة السلف ، ص263 .

(4) الحجة ، 236/2.

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف .. **فمن القرآن** : قوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ) [1] ، قال ابن عباس : " تنظر إلى ربها " [2] ، وقال عكرمة : " تنظر إلى ربها نظراً " [3] .

ومن السنة : عن جرير بن عبد الله البجلي قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذا نظر إلى القمر ليلة البدر ، قال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا " [4] .

وأما الإجماع : قال ابن القيم : دلَّ القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث على أن الله – سبحانه وتعالى – يرى يوم القيامة بالأبصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر صحواً ، وكما ترى الشمس في الظهيرة [5] .

منهج الإمام الخطيب البغدادي – رحمه الله – في المسألة :

يتبين منهج الخطيب في مسألة الرؤية ، في إيراده لعدة آثار مروية بسنده في كتابه (تاريخ بغدد)، منها :

1- ما أخرجه الخطيب بسنده عن أبي إسحاق بن عامر بن سعد ، عن أبي بكر الصديق (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) [6] ، قال : النظر إلى وجه الله – تعالى – [7] .

2- ما أخرجه الخطيب بسنده عن معمر في قول الله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) [8] ، قال : تنظر في وجه الرحمن عز وجل [9] .

فبما أنّ الخطيب البغدادي – رحمه الله – روى هذه الآثار وأثبتها بسند متصل إليه ، فمعنى ذلك أنه أقرّها ووافق عليها ، وأنه نهج فيها منهج أهل السنة والجماعة .

---

(1) سورة القيامة ، الآية 22 .
(2) شرح السنة للالكائي ، 514/3 .
(3) تفسير ابن جرير ، 12/ 343 .
(4) تقدم تخريجه ، ص159 .
(5) انظر : حادي الأرواح ، ص 316 .
(6) سورة يونس ، الآية 26 .
(7) تاريخ بغداد ، 134/9 .
(8) سورة القيامة ، الآية 22-23 .
(9) تاريخ بغداد ، 44/8 .

ومنهج القاضي أبي يعلى – رحمه الله – في المسألة :

أثبت القاضي – رحمه الله – رؤية الله عز وجل بالنسبة للمؤمنين على ما جاء به النص في أحاديث الرؤية ، إلا انه ذكر في كتابه (المعتمد في أصول الدين) ، وكذلك في أول كتابه (إبطال التأويلات) أن الله عز وجل يرى لا في جهة ، وهذا قول الكلابية والأشاعرة .

إلا أن القاضي – رحمه الله – رجع عن هذا القول – نفي الجهة – في كتابه (التأويلات) حيث قال عند كلامه على الاستواء في آخر الكتاب : " فإذا ثبت أنه على العرش ، والعرش في جهة وهو على عرشه ، وقد منعنا في كتابنا هذا في غير موضع إطلاق الجهة عليه ، والصواب جواز القول بذلك ، لأن أحمد قد أثبت هذه الصفة التي هي الاستواء على العرش ، وأثبت أنه في السماء ، وكل من أثبت هذا أثبت الجهة ، وهم أصحاب ابن كرام ، وابن منده الأصبهاني المحدث ، والدلالة عليه أن العرش في جهة بلا خلاف ، وقد ثبت بنص القرآن أنه مستو عليه ، فاقتضى أنه في جهة ولأن كل عاقل من مسلم وكافر إذا دعا فإنما يرفع يديه ووجهه إلى نحو السماء وفي هذا كفاية ، ولأن من نفى الجهة من المعتزلة والأشعرية يقول ليس هو في جهة ولا خارجاً منها ، وقائل هذا بمثابة من قال بإثبات موجود مع وجود غيره ، ولا يكون وجود أحدهما قبل وجود الآخر ولا بعده ، ولأن العوام لا يفرقون بين القائل طلبته فلم أجده في موضع ، وبين قوله طلبته فإذا هو معدوم " [1] .

وقد نقل عنه هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل [2] .

فهذا يتبين منه جلياً أن القاضي – رحمه الله – رجع عن قوله بنفي الجهة ، وذلك عام في العلو والرؤية .

اتّضح لنا مما سبق أن القاضي أبا يعلى – رحمه الله –كان منهجه في مسألة الرؤية منهج أهل السنة والجماعة ، وعليه فإنه اتفق مع الخطيب البغدادي في نهجهما منهج أهل السنة والجماعة في هذه المسألة .

2/ المسائل التي اختلف منهجهما فيها حيث نهج كلٌّ منهما منهجاً مغايراً عن الآخر ، وذلك في طريقة عرض المسألة والاستدلال عليها ، وليس في المسألة ذاتها ،

---

(1) ورقة (150 / ب) .

(2) 6 / 207 .

ومن ذلك :

المسألة الأولى : في إيراد المسألة والاستدلال عليها :

منهج الخطيب البغدادي في إيراد المسألة والاستدلال عليها ..

سبق بيانه في الفصل السابق عند المقارنه بينه وبين السجزي .

ومنهج القاضي أبي يعلى في إيراد المسألة والاستدلال عليها .. يذكر المسألة ثم يذكر قول الإمام أحمد إن كان له قول فيها ، ثم يتبعه بذكر أقوال غيره من العلماء والأئمة ، ثم يذكر الأدلة الشرعية من القرآن والسنة .

وأحياناً يعقد الفصل للمسألة ، ويورد تحتها الآيات والأحاديث والمأثور عن السلف فيها ، وفي أحيانٍ أخرى يورد وبكثرة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنقل عن الصحابة كأبي بكر الصديق و عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي ﷺ وابن عباس وابن عمر وعائشة ومعاذ بن جبل ومعاوية بن أبي سفيان وجابر بن عبد الله وأنس ابن مالك ، وأكثر النقل عن أحمد بن حنبل وأبي عبد الله بن بطة وغيرهم .

ومما تميز به أبو يعلى أنه يلتزم في الغالب من المسائل بما دلت عليه الأدلة الشرعية ، ولا يخرج عنها مما يجعله يساند الحق في جميع استخلاصاته ، إلا إذا كان الحديث ضعيفاً أو موضوعاً.

وبذلك تكون المسائل المذكورة مما اعتنى بها الشارع وبيّنها بحيث أصبحت لها أدلة شرعية، وأصبحت ذات قيمة في عقيدة المسلم .

المسألة الثانية : في إيراد شبه المخالفين والرد عليها :

منهج الخطيب البغدادي في إيراد شبه المخالفين والرد عليها ..

سبق بيانه في الفصل السابق عند المقارنه بينه وبين السجزي .

ومنهج القاضي أبي يعلى في إيراد شبه المخالفين والرد عليها .. يورد قول المخالفين ثم يفصل في الرد عليهم فرقة فرقة ، فيذكر ما استدلوا به من القرآن والسنة ويرد على استدلالاتهم ؛ ثم بعد ذلك يفترض لهم افتراضات على أنها من احتجاجاتهم ويرد عليها ، ولكن رده عليها يكون على طريقة المتكلمين ؛ وهذا كله بأسلوب هادئ ، فلا نرى في طريقة العرض ولا الرد عليهم كلمة

نابية أو صفة جارحة ؛ بل يكتفي – رحمه الله – بإبراز الحق وإظهاره ، وهذا يدل على عفة لسانه وحسن سمته ، وهذا من الأشياء التي يتميز بها القاضي أبو يعلى – رحمه الله – [1] .

وأحياناً يرد على المخالفين بالأدلة العقلية ، وخاصة في أصول الدين عند المتكلمين ، وهذه الطريقة لم يسلكها إلا في كتابه (المعتمَد في أصول الدين ومختصره) ، وهذا ما أُخذ على أبي يعلى – رحمه الله – وكما قيل كل يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم ﷺ [2] .

وفي هذه الطريقة يُلحظ كيفية رد القاضي على المخالفين بالمنقول والمعقول ، ويستطرد في المسألة ليستغرق الافتراضات التي قد ترد حولها ، وهذا يدل على سعة علمه ، وطول نفسه في البحث والمناظرة ، ويبدؤها بكلمة " فإن قيل " ، كما يكثر من النقل من كتب أهل السنة والجماعة ، معرجاً على كتب اللغة ويورد أحياناً طرفاً من أقوال بعض الفرق ، ويرد عليها ، وهو في هذه الطريقة يسير مع النصوص يستنبط منها ، ويرد على الخصوم ، بما وإن كان أحياناً قد يستدل بحديث موضوع .

المسألة الثالثة : في ذكر سند الحديث :

منهج الخطيب البغدادي في ذكر سند الحديث ..

سبق بيانه في الفصل السابق عند المقارنه بينه وبين السجزي .

ومنهج القاضي أبي يعلى في ذكر سند الحديث .. القاضي أبو يعلى – رحمه الله – عالم من علماء الأمة ، فقد كان يروي كثيراً من الأحاديث والآثار بالسند المتصل إلى آخر السند على طريقة المحدثين ؛ فنجده يكثر من سرد الأسانيد ، وأحياناً يذكرها ويحيل على المرجع الذي أخذها منه ، وأحياناً يذكرها معلقة بلا سند ،كما أنه – رحمه الله – قد أكثر في بعض كتبه من النقل عن الإمام أحمد ، وعن ابنه عبد الله في أسئلة لأبيه ، وأحياناً يسندها إلى نفسه ، وأحياناً يترك الإسناد .

المسألة الرابعة : في مصادر كلٍّ منهما :

مصادر الخطيب البغدادي..سبق بيانه في الفصل السابق عند المقارنه بينه وبين السجزي .

مصادر القاضي أبي يعلى .. وأما بالنسبة لمصادره في تقرير العقيدة ، فهي كالتالي :

([1]) القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان ، تحقيق :سعود الخلف ، ص 125 .
([2]) منهج القاضي أبي يعلى في أصول الدين ، فهد موسى الفايز ، ص 31 .

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : كان يرجع لعدة كتب لكبار الأئمة ، وينقل منه نقولاً عديدة من أقوالهم و أقوال غيرهم ، منها : كتاب الإيمان للإمام أحمد ، و غريب القرآن لابن قتيبة الدينوري ، وكتاب الإيمان لأبي عبيد ، و الإبانة الكبرى والإبانة الصغرى لابن بطة العكبري ، وكتاب الإيمان لابن شاهين ، والشريعة للآجري وغيرها ... [1] .

ولكن القاضي يورد روايات عديدة منقولة من كتب هؤلاء الأئمة ، وهم لم يسندوا هذه الروايات في هذه الأماكن ، فنقلها القاضي ولم يعزها إلى من أسندها ، كذلك روايات يذكرها ولا يذكر من خرّجها .

وهذه من المآخذ التي أُخذت عليه – رحمه الله – في كتابه الإيمان ، وهي عدم عزوه للروايات التي ينقلها ؛ أو تخريجها إذ لو خرّجها لأعطى كتابه قيمة علمية أكبر .

وأيضاً من المآخذ التي أُخذت عليه ؛ أنه نقل لفظة شاذة في حديث الشعب وهي (تسع وتسعون شعبة) ولم يعلق عليها .

أيضاً أن القاضي – رحمه الله – عدَّ ما يجب تصديق القلوب به خمسة أشياء ، مع أن الحق أنها ستة على ما جاء في حديث جبريل .

وأيضاً من المآخذ التي أخذت عليه في كتابه (إبطال التأويلات لأخبار الصفات) وقد أخذها عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في درء التعارض ، حيث قال : " وقد صنف القاضي أبو يعلى كتابه في (إبطال التأويلات) رداً لكتاب ابن فورك ، وهو وإن كان أسند الأحاديث التي ذكرها وذكر من رواها ، ففيها عدة أحاديث موضوعة كحديث الرؤية عياناً ليلة المعراج ونحوه ، وفيها أشياء عن بعض السلف رواها بعض الناس مرفوعة ، كحديث قعود الرسول ﷺ على العرش ، رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة ، وهي كلها موضوعة ، وإنما الثابت عن مجاهد وغيره من السلف.."[2] . وقال الذهبي : " وجمع كتاب إبطال تأويل الصفات فقاموا عليه لما فيه من الواهي والموضوع ...." [3] ، وقال في كتاب (العلو للعلي الغفار) [4] في النقل عن القاضي في

---

(1) القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان ، ص130 ، باختصار .

(2) 237/5 .

(3) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 90/18 .

(4) ص 184 .

قوله بمسألة العلو من كتابه (إبطال التأويلات) : " لكنه ساق أحاديث ساقطة لا يسوغ أن يثبت بمثلها صفة " [1] .

الخــاتمة

([4]) انظر : القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان ، ص131-133 .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وبعد:
فأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ، أوجزها في الآتي :

1/ أن الخطيب البغدادي – رحمه الله – مع كونه محدثاً بارزاً ، إلا أن له عناية كبيرة بالعقيدة الصحيحة .

2/ أن مصادر الخطيب البغدادي في تقرير العقيدة ، هي القران الكريم ، والسنة النبوية ، وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وأيضاً العقل إذا كان لا يعارض النقل .

3/ أن للخطيب البغدادي قواعد منهجية يسير عليها عند تقريره لعقيدة السلف ، منها : التزامه بالقرآن الكريم ، وبحجية السنة المطهرة ، والجمع بينهما في مسائل الاعتقاد ، ودرء تعارض النقل مع العقل ، وعنايته بسند الأحاديث التي يستدل بها .

4/ أن منهج الخطيب البغدادي في إيراد مسائل العقيدة والاستدلال عليها يوافق منهج أهل السنة والجماعة عند إيرادهم لمسائل العقيدة ، والاستدلال عليها .

5/ تميز منهج الخطيب البغدادي بسمات منها : التزامه بمنهج السلف في فهم قضايا العقيدة واستشهاده بأقوالهم ، والتنويع بين التفصيل والإجمال في بحث المسائل ، وحرصه على الرد على المخالف من أهل البدع والكلام والرأي وتنوع استدلالاته وكثرتها .

6/ وسائل الخطيب البغدادي في تقرير العقيدة تنوعت بين الرواية والتأليف والمناظرة .

7/ كان للخطيب البغدادي جهود كبيرة جداً في تقرير العقيدة وأصول الإيمان ، تمثلت في: جهوده بتقرير أركان الإيمان الستة ، وجهوده في مسألة الصحابة ، ومسألة الإمامة ، وفي بعض مسائل الإيمان المتفرقة .

8/ الخطيب البغدادي يسير وفق منهج سليم في الرد على المخالفين ، وقمع باطلهم ، ومن ذلك : اعتماده في الرد عليهم على الكتاب والسنة واعتبارهما منهجاً وطريقاً ، لكشف ضلالات المخالفين وبيان بطلانها ، والتحذير من السماع منهم وذمّهم ، والتذكير بتوبة أئمتهم ، للاعتبار بهم ..

9/ وُجِّهَت للخطيب البغدادي بعض الاتهامات ، منها ما يتعلق في معتقده ؛ فبعض العلماء نسبه إلى الأشعرية ، وقد ظنّ بعض المتأخرين أن عقيدة السلف هي عقيدة التفويض ، ولما كانت عقيدة التفويض تُحكى عن أبي الحسن ، نسبه بعضهم إلى أبي الحسن باعتبار عقيدة التفويض ، كما وقد رُمي – رحمه الله – بأنه ناصبي ، يناصب آل بيت الرسول ﷺ العِداء ، وأيضاً اتهمه بعض الحنابلة بالبدعة .

ومن التهم ما يتعلق في مذهبه ؛ حيث نسبه بعضهم إلى الحنابلة والبعض الآخر نسبوه إلى الشافعية .

ومنها ما يتعلق بتعصبه ضد أشخاص وفئات معينة ، وقد ردّ دارسوه معظم هذه الاتهامات، وبالأخص المعلمي في التنكيل .

10/ عملتُ مقارنة بين منهج الخطيب البغدادي ومنهج السجزي وأبي يعلى الحنبلي في تقرير العقيدة ، وانتهيت إلى أنهم جميعهم ينهجون منهج أهل السنة والجماعة في تقرير العقيدة ، وقد يختلفون في كيفية إيراد المسألة فقط .

وأوصي في نهاية هذا البحث :

1/ بالعناية بسِيَر علماء السلف والحرص على الاطلاع عليها ، والاسفادة من مناهجهم وبخاصة ما يتعلق بالعقيدة ، وإبراز تلك المناهج لتكون أسوة وقدوة لطلاب العلم بخاصة وللناس بعامة .

2/ التأكيد على مكانة الخطيب البغدادي – رحمه الله تعالى – العلمية ؛ فهو مع كونه محدثاً حافظاً بارعاً ؛ فهو معتنٍ عناية فائقة بالعقيدة الصحيحة علماً وعملاً ودعوةً وتقريراً .

3/ التأكيد على التمسك بمنهج السلف في فهم العقيدة وتقريرها والاستدلال عليها .

4/ التأكيد على الرد على المخالفين ، وأن ذلك جزءٌ من مناهج علمائنا ، لقمع باطلهم ، وإسقاط شبههم ، وكف شرِّهم ، وأن ذلك جزءٌ من الجهاد الذي يقوم به العلماء في هذا الميدان .

5/ الاهتمام بحفظ أعراض العلماء وصيانة مكانتهم ، والدفاع عنهم وعن أعراضهم ، وعدم العجلة في الإصغاء إلى كل ما يقال ، أو يُروى بشأن أعراض علمائنا .

6/ أُوصي بالمزيد من الدراسات العلمية لجوانب أخرى في شخصية هذا العالم الفذّ الخطيب البغدادي ، للاستفادة منها في سيرة حياة الأمة وأفرادها .

وأخيراً : لا أدعي الكمال ولا المقاربة ، وحسبي أني حاولت جاهدة في حصول المطلوب، وأسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقتُ في ذلك ، وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم .

والحمد لله أولاً وأخيراً ، وصلى الله على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

Conclusion

In the name of **ALLAH**, The Most Gracious, The Most Merciful, and Peace Be Upon His Messenger and Prophet Mohammad.

The **Findings** of the current research that I have conducted can be briefed as follows:

1.) Al-Khateeb Al-Baghdadi is not only a prominent narrator of Prophet's Sayings *(Hadeeth)*, but also a true Islamic belief caretaker.
2.) Al-Khateeb Al-Baghdadi has mainly derived his views about Aqeedah *(Islamic Belief)* from the Holy Book of Quran, the Prophet's Hadeeth, the Prophet's Sahaba *(Fellow Men and Women)* and the followers of the Prophet's fellows. Al-Baghdadi also used his mind as a tool in this regard as far as his mental endeavor does not contradict Quran and Hadeeth.
3.) Al-Khateeb Al-Baghdadi has been known for applying accurate and strict procedural rules on his views about Aqeedah *(Islamic Belief)*, among such rules are his adherence to Qur-an and Hadeeth and the combination of both of them. Al-Baghdadi has as well been known for his strict acceptance of Hadeeth narrators.
4.) Al-Khateeb Al-Baghdadi applied procedure in dealing with Islamic Belief and the evidence he provides in that regard <u>all</u> come in line with the procedure applied by the Sunnah religious scholars.
5.) The procedure applied by Al-Khateeb Al-Baghdadi is characterized by certain traits including his full adherence to Sunnah religious scholars' procedure, his ability to use the method of elaboration or wholesomeness in researching Islamic Belief issues and his keenness to refute the view of heretics and philosophers.
6.) Al-Khateeb Al-Baghdadi has managed to employ various research styles in his Islamic Belief studies, including <u>narration</u>, <u>authorship</u> and <u>discussion</u>.
7.) Al-Khateeb Al-Baghdadi has made great efforts to identify Islamic Belief and Faith issues including identifying the Sixth Pillars of Faith, Prophet's Fellows' issues, Imamah and various faith queries.
8.) Al-Khateeb Al-Baghdadi has applied a true and accurate procedure to refute the views and presentations put forward by violators to Islamic Belief. This procedure is mainly derived from Qur-an and Hadeeth.
9.) A number of accusations were directed to Al-Khateeb Al-Baghdadi's belief. Some religious scholars associated him with Al-Ash'ariyyah faction. Some scholars related him to Al-

Tafweedh Belief *(Entrustment or Empowerment Belief)*. This belief was originally assigned to Abi Al-Hassan. Other accusations even described him as *(Nassibi)*, meaning he has feelings of enmity towards the House of the Prophet Mohammad. Furthermore, some Hanbali *(Imam Ahmad Bin Hanbal)* followers viewed him as heretic. On the other hand, the religious scholar Darsouh has turned down such accusations as untrue and groundless. Another scholar called Al-Ma'alami also strongly defended Al-Khateeb Al-Baghdadi in his book entitled *(Al-Tankeel)*.

10.) I have drawn a comparison between the procedure applied by Al-Khateeb Al-Baghdadi and the procedure applied by the scholars Al-Sajzi and Abu Ya'ala Al-Hanbali. The results have showed similarity in procedure originally derived from Sunnah religious scholars.

Research Recommendations

At the end of my research, I recommend the following:

1. The necessity of taking care of the biographies of Islamic Nation's Sunnah religious scholars in order for the current generations to benefit from procedures applied by such scholars in viewing Islamic Belief issues.
2. Affirming the scientific status of Al-Khateeb Al-Baghdadi as a narrator and religious scholar who took good care of Islamic Belief in word and deed.
3. Affirming the continued adherence to the procedures applied by our Sunnah religious scholars procedures in aspects related to Islamic Belief or other Islamic aspects.
4. Highlighting the duty of religious scholars to defend Islam and refute the views of heretics, considering this duty as part of *(Jihad)* put on the shoulders of Muslim religious scholars.
5. Keenness to preserve the Muslim religious scholars' deserved status and maintain the reputation of their families.
6. Lastly, I recommend that further studies be conducted about Al-Khateeb Al-Baghdadi as a prominent religious scholar to benefit from enlighted aspects of his life.

As a final word, I don't claim by all means that my research work is perfect or close to perfection. This research is only as attempt to achieve certain limited objectives.

ملخص الرسالة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ..

عنوان الرسالة:

"منهج الخطيب البغدادي وجهوده في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين " .

مرحلتها :

نيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة ..

اسم الباحث :

إيناس بنت زيد بن عبد الكريم الزيد

اسم المشرف :

د. محمد بن إبراهيم العجلان – الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة –كلية أصول الدين .

خطة البحث :

قسمتُ الموضوع إلى مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة أبواب وخاتمة .

المقدمة وفيها :

أهمية الموضوع وسبب اختياره وأهداف البحث ومنهجه وخطته .

التمهيد وفيه مبحثان :

الأول : عصر الخطيب البغدادي من الناحية العقدية .

الثاني : ترجمة موجزة للخطيب البغدادي .

الباب الأول : منهج الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف...وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : مصادر الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف .

الفصل الثاني : قواعد منهج الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف.

الفصل الثالث : منهج الخطيب البغدادي في الاستدلال على صحة مسائل الاعتقاد .

الفصل الرابع : منهج الخطيب البغدادي في إيراد مسائل العقيدة .

الفصل الخامس : سمات منهج الخطيب البغدادي في بحث مسائل العقيدة .

البابُ الثاني : جهود الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف ... وفيه فصلان :

الفصل الأول :وسائل الخطيب البغدادي في تقرير عقيدة السلف، وفيه ثلاثة مباحث.

الفصل الثاني:جهود الخطيب البغدادي في تقرير العقيدة وأصول الإيمان،وفيه تسعة مباحث

الباب الثالث : موقف الخطيب البغدادي من المخالفين في العقيدة ومنهجه في الرد عليهم ، وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : منهج الخطيب البغدادي في الرد على المخالفين.

الفصل الثاني : موقف الخطيب البغدادي من مرجئة الفقهاء.

الفصل الثالث : موقف الخطيب البغدادي من أهل البدع والكلام .

الفصل الرابع : موقفه من مدعي الغيب .

الفصل الخامس : موقفه من مقالات الملل .

الفصل السادس : موقفه مما اتهم به في معتقده .

الباب الرابع : مقارنه بين منهج الخطيب البغدادي في العقيدة ومنهج السجزي وأبي يعلى الحنبلي وفيه فصلان :

الفصل الأول : المقارنة بين منهجه ومنهج السجزي .

الفصل الثاني : المقارنة بين منهجه ومنهج أبي يعلى الحنبلي .

الخاتمة .. وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث .

الفهارس العلمية ..

أهم نتيجة للبحث :

أن الخطيب البغدادي – رحمه الله – مع كونه محدثاً بارزاً ، إلا أن له عناية كبيرة بالعقيدة الصحيحة . واعتمد مصادره – رحمه الله – في تقرير العقيدة ، على القران الكريم ، والسنة النبوية ، وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وأيضاً على العقل إذا كان لا يعارض النقل .

كما أن له قواعد منهجية يسير عليها عند تقريره لعقيدة السلف وإيراده لمسائل العقيدة ، منها: التزامه بالقرآن الكريم ، وبحجية السنة المطهرة ، والجمع بينهما في مسائل الاعتقاد ، ودرء تعارض

النقل مع العقل ، وعنايته بسند الأحاديث التي يستدل بها ، وهي موافقه لمنهج أهل السنة والجماعة عند إيرادهم لمسائل العقيدة ، والاستدلال عليها .

كما كان له — رحمه الله – جهود كبيرة جداً في تقرير العقيدة وأصول الإيمان ، تمثلت في: جهوده بتقرير أركان الإيمان الستة ، وجهوده في مسألة الصحابة ، ومسألة الإمامة ، وفي بعض مسائل الإيمان المتفرقة .

وأخيراً .. فالخطيب البغدادي يسير وفق منهج سليم في الرد على المخالفين ، وقمع باطلهم، واعتماده في الرد عليهم على الكتاب والسنة واعتبارهما منهجاً وطريقاً ، لكشف ضلالات المخالفين وبيان بطلانها ، والتحذير من السماع منهم وذمّهم ، والتذكير بتوبة أئمتهم ، للاعتبار بهم ..وغيرذلك .

Summary of the Thesis:

Praise be to God alone, prayer and peace be upon Prophet after him ..

Title:
"Al-Khatib al-Baghdadi approach and his belief in the report of the predecessor and to respond to offenders."

Stage:
Master's degree in religion and contemporary doctrines ..

Researcher Name:
Inas Bint Zeid Bin Abdul Karim Al-Zaid

Supervisor Name:
Dr. Mohammed Bin Ibrahim Al-Ajlan - Associate Professor, Department of religion and contemporary doctrines - Faculty of Theology.

Research plan:
Divided the topic to the forefront, paving, and four chapters and a conclusion.

Provided, which included:
Importance of the subject and the reason for his choice and objectives of the research method and plan.
Boot and involves two issues:
I: age-Khatib al-Baghdadi is Nodal.
II: a summarized translation of Khatib al-Baghdadi.
Part One: The Way of al-Khatib al-Baghdadi in the report of the doctrine of advances ... It contains five chapters:
Chapter I: Sources of al-Khatib al-Baghdadi in the report of the doctrine of the Salaf.
Chapter II: Rules approach al-Khatib al-Baghdadi in the report of the doctrine of the Salaf.

Chapter III: The Way of al-Khatib al-Baghdadi in the identification of the health issues of belief.
Chapter IV: The Way of al-Khatib al-Baghdadi in revenue matters of faith.
Chapter V: Attributes approach al-Khatib al-Baghdadi in the examination of faith.
Part II: the efforts of al-Khatib al-Baghdadi in the report of the doctrine of advances ... In which two classes:
Chapter I: Means of al-Khatib al-Baghdadi in the report of the doctrine of advances, and it has three sections.
Chapter II: the efforts of al-Khatib al-Baghdadi, the report of the doctrine and principles of faith, in which nine sections.
Part III: the position of al-Khatib al-Baghdadi of offenders in doctrine and approach in responding to them, and in which six chapters:
Chapter I: The Way of al-Khatib al-Baghdadi, in response to offenders.
Chapter II: The position of al-Khatib al-Baghdadi, the Marji scholars.
Chapter III: The position of al-Khatib al-Baghdadi of the people of innovation and speech.
Chapter Four: The position of the Prosecutor of the unseen.
Chapter Five: The position of the articles of boredom.
Chapter VI: position than the charges in the belief.
Part IV: Comparison between the approach al-Khatib al-Baghdadi, in doctrine and approach Alsdze Hambali and Abu Yala in which two classes:
Chapter I: comparison between the method and approach Alsdze.
Chapter II: comparison between the method and approach second to none Abu al-Hanbali.
Conclusion .. And includes the most important findings in the search.
Indexes of scientific ..

The most important result of the research:

Khatib al-Baghdadi - may God have mercy on him - while being up to date is significant, but it has a great attention the correct ideology. Adopted sources - may God have mercy on him - the report of the faith, the Koran, Sunnah and the opinions of Ancestors of companions and followers, and followed them in truth until the Day of Judgement and also mind if he does not oppose the transfer.

It also has a rules methodology, running at his doctrine of the earlier and shown for matters of faith, including: commitment to the Qur'an, and res Sunnah, and combine them in matters of belief, and the prevention of conflict of transport with the mind, and taking care of bail conversations evidenced by, which approval for the curriculum of the Sunnis and the Community When income is to the issues of faith, and inferred.

As it was for him - may God have mercy on him - a very high level in the report of doctrine and principles of faith, had been: his report of the six pillars of faith, and his companions on the issue, the question of the Imamate, and some miscellaneous matters of faith.

Finally .. Khateeb al-Baghdadi, driven by the curriculum properly in response to the offenders and the suppression of falsehood, and adopted at the reply to them on the book, Sunni Arabs and considered approach and a way to detect delusions of offenders and the statement of invalidity, and warning of hearing them and condemn them, and to recall the repentance of their imams, to consider them .. or anything else.

الفهـارس

الفهـارس :

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
(الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)	1–5	412
(يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)	3	412-408
(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ)	8	335
(اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)	15	362
(أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)	33	410
(فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)	24–25	257
(أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)	75	449
(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)	91	250

(مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ)	98	192
(فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ)	102	421-74
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)	104	154
(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)	113	449-448
(وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ)	120	348
(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ)	127	61
(وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَ الْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ)	177	188
(وَ اتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ)	197	55
(وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء)	225	411
(ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)	232	252
(وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ)	255	272
(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ...)	258	223
(تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ)	273	106
(كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ	285	249

أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ)		
سورة آل عمران		
(فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ)	7	165
(وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ)	7	165
(وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ)	7	55
(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ)	19	434
(قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ)	25	445
(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)	59	467
(وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)	80	192
(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ)	85	336
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)	102	1
(وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ)	103	439
(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)	106 - 107	386-379
(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)	110	302
(أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ)	131	279-257
(أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)	133	279-257

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ)	156	346
(لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ)	164	162
(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً)	173	338
(فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)	175	133
(وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ)	179	409
(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)	190 - 191	55
سورة النساء		
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)	1	1
(وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ)	48	513-344
(فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ)	59	64
(وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ)	79	283
(مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ)	80	247
(وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)	86	219
(وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً)	122	279

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً)	136	205
(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً)	150 - 151	233-232
(وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ)	164	244
(رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)	165	246
(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً)	169-168	280-258
(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ)	171	380
(لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ)	175	190
سورة المائدة		
(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)	3	222-3
(لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ)	17	447
(وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)	23	147
(وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)	44	516-344
(إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا	44-49	207

اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ .... **إلى قوله** : وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ)		
(وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ)	46	208
(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً)	48	72
(مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ)	48	208
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)	51	448
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)	90	55
(إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ)	116	411
سورة الأنعام		
(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)	18	164
(مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ)	38	285
(وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَ الْعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)	52	331
(وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ)	59	406
(وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً)	61	203

(أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ)	62	267
(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)	97	45- 63- 416
(أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا)	122	244
(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)	159	438
(قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)	163-162	138
سورة الأعراف		
(إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)	40	208
(أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ)	54	136
(وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)	57	99
(اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)	59	138-103
(قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ)	111	364
(قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي)	143	469
(إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ)	156	441
(وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)	180	145

سورة الأنفال		
(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً)	2	510-339
سورة التوبة		
(وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ)	6	210-206
(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)	33	3
(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)	66-65	241
(وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ..)	68	517-255-150
(فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ)	69	438
(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)	71	191
(وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ..)	72	517-255
(وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ)	100	294-285
(خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)	100	285-256
(سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ)	101	253
(لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ)	117	285
(عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)	129	270

سورة يونس		
(هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)	5	416-62-45
(فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ)	20	382
(لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)	26	522-168
سورة هود		
(وَهُوَ الَّذِي خَلَق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء)	7	270-269
سورة يوسف		
(وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)	17	326
(فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ)	31	179
سورة الرعد		
(سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)	11-10	202
سورة إبراهيم		
(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا)	25-24	142
سورة الحجر		
(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)	9	205-3
(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ)	47	289

(لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ)	48	256
سورة النحل		
(أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ)	1	252
(يُنَزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)	2	198
(وأنهاراً وسبلاً)	15	424-87
(وعلامات)	16	424-87
(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ)	36	245
(يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)	50	493
(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ)	102	191
(إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ)	106	239
سورة الإسراء		
(وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً)	24	9
(أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ)	57	143
(عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً)	79	268-184
(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ)	101	246
سورة الكهف		
(وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)	48	255
سورة مريم		
(وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً)	12	240
(وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا)	13	160
(فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)	17	551

سورة طه		
(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)	5	-167-165-164 492-469-271
(يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)	7	175
سورة الأنبياء		
(اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ)	1	252
(وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ)	20-19	199
(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)	25	336-328
(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ)	29-26	192-190
سورة الحج		
(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)	75	190
سورة المؤمنون		
(قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ)	88	136
(وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ..)	117	145
سورة النور		
(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)	63	117
سورة الفرقان		

(وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً)	48	99
(وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً)	72	154
سورة الشعراء		
(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)	193-195	189-191-201
سورة النمل		
(وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيم)	23	270
(أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)	63	99
(قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ)	65	153-408-412-413
(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ)	82	258-259
سورة القصص		
(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)	88	172
سورة العنكبوت		
(بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ)	49	230
سورة الروم		
(وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)	46	99
(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)	47	144
سورة لقمان		

(إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)	34	-58-76-74-66 -414-412-406 422
سورة السجدة		
(قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)	11	202
(فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ)	17	269
(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ)	21	253
(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)	24	236
سورة الأحزاب		
(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ)	7	246
(وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً)	38	280
(هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)	43	192
(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً)	58	302
(إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً)	65-64	278
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)	71 – 70	2
سورة سبأ		
(لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي	3	176

الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ)		
سورة فاطر		
(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ)	1	196
(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)	10	494-89-66
(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ)	29	333
سورة يس		
(وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)	12	284
(وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)	39	417-62-45
(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)	82	467-284
سورة الصافات		
(وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا)	1–3	190
(سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)	180 - 182	9
سورة ص		
(كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ)	29	50–70
(هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)	39	162
سورة الزمر		
(وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)	33	332
(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)	73	203

(وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)	75	177
سورة غافر		
(الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)	7	272-204
(وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ)	45	266
سورة فصلت		
(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ)	32-30	203-192
(فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ)	38	198-189
(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)	43	207-204
سورة الشورى		
(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)	11	-136-107-34 -451-178-177 -489-484-454 518
(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)	13	245
سورة الزخرف		
(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا	19	197

أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)		
(مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ)	58	378
(وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ)	77	202
(إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)	86	330
سورة الجاثية		
(وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)	9	240
سورة الفتح		
(ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم)	4	319
(يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ)	11	330
(يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ)	15	205
(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)	18	300-229
(لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ)	27	506-338
سورة الحجرات		
(وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا .....* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)	10-9	341
سورة ق		
(إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)	18-17	201
سورة الذاريات		
(فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ)	36	333
سورة الطور		

(عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ)	47	263-253
سورة النجم		
(عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى)	6-5	196-190
(إِنَّ الَّـذِينَ لَا يُؤْمِنُـونَ بِالْآخِـرَةِ لَيُسَـمُّونَ الْمَلَائِكَـةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى)	27	197
سورة القمر		
(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)	49	278
سورة الرحمن		
(الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ)	5	413-62-45
(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)	27-26	171
(فِيهِنَّ قَاصِرَات الطَّرْفِ)	56	514-257
(وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ)	62	268
سورة الحشر		
(لِلْفُقَـرَاء الْمُهَـاجِرِينَ الَّـذِينَ أُخْرِجُـوا مِـن دِيارِهِـمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)	10-8	295
(وَالَّـذِينَ جَـاؤُوا مِـن بَعْـدِهِمْ يَقُولُـونَ رَبَّنَـا اغْفِـرْ لَنَـا وَلِإِخْوَانِنَـا الَّـذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَـانِ وَلَا تَجْعَـلْ فِي قُلُوبِنَـا	10	279

غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)		
(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)	22	281-175
(السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ)	23	158
سورة التحريم		
(وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ)	4	191
(لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)	6	197-190
سورة القلم		
(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)	1	271
سورة الحاقة		
(وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)	17	490
(يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ)	18	254
(هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ)	19	265
سورة الجن		
(وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً)	23	277
(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً)	26 – 27	406
سورة المدثر		
(وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)	31	203-188
سورة القيامة		
(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)	23-22	-466-168-167 519-518-479
سورة المرسلات		
(فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا)	5-4	189

سورة عبس		
(بِأَيْدِي سَفَرَةٍ *كِرَامٍ بَرَرَةٍ)	16-15	196-189
سورة التكوير		
(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ)	21-19	190
سورة الإنفطار		
(وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ *كِرَامًا كَاتِبِينَ)	11-10	196
سورة المطففين		
(كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ)	الآية 15	167-466-467-489
سورة الانشقاق		
(فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حساباً يسيرا)	8-7	266-254
سورة الأعلى		
(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)	1	163
سورة الليل		
(فأما من أعطى واتقى)	6-5	282
سورة القدر		
(تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ)	4	190-187
سورة البينة		
(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)	5	330-139
سورة الزلزلة		
(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ)	8-7 .	74-66-45
سورة الماعون		
(فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ *	6-4	139

الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ)		
سورة الإخلاص		
(وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ)	4	34-91-101-106-119-449-452-475-482-516

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس الفرق والطوائف

فهرس الأماكن والبقاع

فهرس المصطلحات

فهرس المراجع

القرآن الكريم

- أبجد العلوم ، صدّيق حسن القنوجي ، ط 1(باكستان : المكتبة القدوسية 1403هـ).

- الإبانة عن أصول الديانة ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، ط1 (دمشق : مكتبة دار البيان 1401هـ) .

- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي ، تحقيق ودراسة : عثمان بن عبد الله الأثيوبي ، ط1 (الرياض : دار الراية للنشر والتوزيع 1415هـ) .

- الآثار العقدية الواردة عن أئمة السلف في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي " جمعاً ودراسة"، علي بن سنوسي بن أحمد أبو حسبو ، رسالة علمية (ماجستير) ، بإشراف : الشيخ سعود بن حمد الصقري ، بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

- إجازة المجهول والمعدوم وتعليقها بشرط ، للخطيب البغدادي ، تحقيق : صالح يوسف معتوق ، ط1 (المكتب الإسلامي لإحياء التراث ، 1425هـ) .

- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، لابن القيم ، تحقيق : بشير محمد عيون ، ط1 (مكتبة المؤيد 1414هـ) .

- الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر ، للشيخ حمود التويجري ، ط2 (بريدة : دار العليان 1406هـ) .

- الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم ، ط1 (القاهرة : دار الحديث 1404هـ).

- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، للإمام بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : عمر بن محمود ، ط1 (دار الراية : 1412هـ) .

- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، للشيخ صالح بن فوزان الفوزان ، ط1 (1424هـ) .

- أسباب النزول ، للواحدي ، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، تحقيق: السيد أحمد صقر ، ط 3 (جده : دار القبلة للثقافة ، 1407هـ) .

- الاستقامة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ط2 (مكتبة السنة 1409هـ) .

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لأبي عمرو يوسف بن عبد الله القرطبي ، تحقيق : الشيخ علي بن محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، ط1 (دار الكتب العلمية 1415هـ) .

- الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة ، للخطيب البغدادي ، أخرجه : عز الدين علي السيد ، ط3 (القاهرة : مكتبة الخانجي ، 1417هـ) .

- الأسماء والصفات ، للبيهقي ، د.ط (دار الكتب العلمية د.ت) .

- أشراط الساعة ، ليوسف الوابل ، ط3 (دار ابن الجوزي 1411هـ) .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط1 (بيروت : دار الجيل 1412هـ).
- الاعتصام ، للشاطبي ،تحقيق : سليم الهلالي ، ط1 (الخبر : دار ابن عفان 1412هـ).
- الاعتقادات ، لأبي القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق : شمران بن العجلي ، ص 107 – 108 ، دار الأشرف – بيروت .
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، فخر الدين الرازي ، تعليق : محمد المعتصم بالله البغدادي ، ط1 (دار الكتاب العربي 1407هـ) .
- الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، لخير الدين الزركلي ، ط6 (دار العلم للملايين د.ت) .
- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، تحقيق : أحمد بن علي علوش ، ط1 (الرياض : مكتبة الرشد 1414هـ) .
- الاقتصاد في الاعتقاد ، لتقي الدين عبد الغني المقدسي ، تحقيق : د.أحمد الغامدي ، ط1 (مكتبة العلوم والحكم 1414هـ) .
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د.ناصر بن عبد الكريم العقل ، ط7 (الرياض : دار عالم الكتب 1419هـ) .
- اقتضاء العلم ا لعمل ، للخطيب البغدادي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، ط 1(الرياض : مكتبة المعارف 1422هـ) .
- الإكليل في المتشابه والتأويل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، د.ط (بيروت : دار إحياء التراث العربي د.ت) .
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، لابن ماكولا ، ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية 1411هـ) .
- الأنساب ، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني التميمي ، تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي ، ط1 (دار الجنان 1408هـ) .

- الأنواء في مواسم العرب ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، بدون ناشر ولا تاريخ نشر .
- الإيمان ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، خرج أحاديثه : الألباني ، وأشرف عليه : زهير الشاويش ، ط5 (المكتب الإسلامي 1416هـ) .
- الإيمان ، الحافظ ابن منده ، تحقيق : علي محمد الفقيهي ، د.ط (المدينة : مطابع الجامعة الإسلامية د.ت) .
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ، أحمد محمد شاكر ، ط 3 (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية 1408هـ)
- البحر الزخار المعروف بمسند البزار ، للإمام أبي بكر البزار ، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله، ط1 (المدينة النبوية : مكتبة العلوم والحكم 1409هـ) .
- البخلاء ، الخطيب البغدادي ، ت : بسام الجابي ، ط1 (بيروت : دار ابن حزم ، 1421هـ)
- البداية والنهاية ، لابن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق : مجموعة من أهل العلم ، ط1 (دار الريان للتراث 1408هـ) .
- بغية الباحث من زوائد مسند الحارث ، لنور الدين علي بن أبي الهيثمي ، حققه وعلق عليه: مسعد عبد الحميد السعدني ، د.ط (مصر : دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير د.ت) .
- بهجة المجالس وأنس المجالس ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري ، المعروف بابن عبد البر، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، د.ط (دار الكتب العلمية د.ت) .
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، للذهبي ، تحقيق : عمر عبد السلام التدمري ، ط2 (بيروت : دار الكتاب العربي 1413هـ) .
- تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية د.ت)
- تاريخ دمشق ، للحافظ ابن عساكر ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي ، د.ط (بيروت : دار الفكر د.ت)
- تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، د.ط (بيروت : دار سويدان د.ت)

- التبيان في آداب حملة القرآن ، للإمام يحيى بن شرف الدين النووي ، تحقيق : زهير شفيق الكبّي ، ط1 (بيروت : دار الكتاب العربي 1415هـ) .
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : أبو قتيبة نظر محمد الفريابي ، ط4 (الرياض : مكتبة الكوثر 1418هـ) .
- التدمرية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د.محمد السعوي ، ط1 (الرياض : شركة العبيكان 1405هـ) .
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، للإمام شمس الدين القرطبي ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، ط2 (بيروت : دار الكتاب العربي 1410 هـ) .
- تذكرة الحفاظ ، للذهبي ، د.ط (دار إحياء التراث العربي د.ت) .
- الترغيب والترهيب ، لزكي الدين عبد العظيم المنذري ، تحقيق : محي الدين ديب و سمير العطار ويوسف بديوي ، ط1 (دمشق : دار ابن كثير 1414هـ) .
- التسعينية ، لشيخ الإسلام بن تيمية ، د.ط (الرياض : مكتبة المعارف 1420هـ) .
- تشبه الخسيس بأهل الخميس ، للذهبي ، تحقيق : علي حسن عبد الحميد ، ط1 (الأردن : دار عمار 1408هـ) .
- التطفيل ، ت : بسام الجابي ، ط1 (بيروت : دار ابن حزم ، 1420هـ) .
- التعريفات ، الجرجاني ، تحقيق : جماعة من العلماء بإشراف عباس أحمد الباز ، ط 1 (بيروت : دار الكتب العلمية 1403هـ) .
- التعريفات الاعتقادية ، لسعد بن محمد العبد اللطيف ، ط1(الرياض : دار الوطن للنشر 1422هـ) .
- تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير ، ط1 (دار الريان للتراث 1408هـ) .
- تفسير القرآن الحكيم ؛ تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، د.ط (بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر د.ت) مصورة عن طبعة المنار .
- تقريب التهذيب ، لابن حجر ، تحقيق : محمد عوامة ، ط2 (سوريا : دار الرشيد 1408هـ) .

- تقريب الوصول إلى علم الأصول ، ابن جزي الكلبي المالكي ، تحقيق : محمد علي فركوس، ط1 (الإسكندرية : دار البصير 1410هـ)
- تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، تحقيق : لجنة من العلماء ، ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية 1407هـ) .
- تلخيص الاستغاثة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، د.ط (دار أطلس للنشر 1417هـ) .
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لابن عبد البر ، د.ط (المدينة : توزيع مكتبة الأوس 1399هـ) .
- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ، للشيخ عبد الرحمن المعلمي ، تحقيق : ناصر الدين الألباني ، ط1 (مكتبة المعارف 1386هـ) .
- تهذيب الآثار ، لابن جرير الطبري ، خرج أحاديثه:محمود محمد شاكر ، د.ط (مطبعة المدني د.ت).
- تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، لابن بدران ، ط2 (بيروت : دار المسيرة 1399) .
- تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، ط2 (بيروت : دار إحياء التراث العربي 1413هـ) .
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ المزي ، تحقيق : د.بشار عواد معروف ، ط2 (بيروت : مؤسسة الرسالة 1403هـ) .
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ط6 (المكتب الإسلامي 1405هـ) .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، العلامة عبد الرحمن ناصر السعدي ، تقديم : محمد النجار ، د.ط (جدة : دار المدني 1408)
- الثقات لابن حبان ، د.ط (الدار السلفية 1402هـ) .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لابن جرير الطبري ، ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية 1412هـ) .
- جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ، تحقيق : أبو الأشبال الزهيري ، ط2 (الدمام : دار ابن الجوزي 1416هـ) .

- جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، للعلائي ، تحقيق : حمدي السلفي ، ط2 (الرياض : دار عالم الكتب 1407) .

- جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي ، ط5 (1400هـ) .

- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، اعتنى به وصححه : هشام سمير البخاري ، د.ط ، (الرياض : دار الم الكتب 1423هـ) .

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، تحقيق: محمود الطحان ، د.ط (الرياض : مكتبة المعارف 1403هـ) .

- الجامع لشعب الإيمان ، لأبي بكر البيهقي ، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد ، ط1 (الهند : دار السلفية 1406هـ) .

- الجرح والتعديل ، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، د.ط (دار إحياء التراث العربي 1371هـ) .

- جواب أبو بكر الخطيب البغدادي عن سؤال أهل دمشق في الصفات ، الخطيب البغدادي ، تحقيق جمال عزون ، ط1 (الإمارات : دار الريان 1413 هـ)

- الجواب المختار لهداية المحتار ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، د.ط (الرياض : دار طيبة د.ت) .

- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، ابن القيم الجوزية ، تحقيق : د.السيد الجميلي ، ط4 (بيروت : دار الكتاب العربي 1414هـ) .

- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، لأحمد الصاوي المالكي ، د.ط (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت) .

- الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث ، لمحمود الطحان ، ط1 (بيروت : دار - القرآن الكريم 1401هـ) .

- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، للإمام إسماعيل الأصبهاني ، تحقيق : محمد المدخلي ومحمد أبو رحيم ، ط1 (دار الراية 1411هـ) .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الأصبهاني ، ط4 (دار الكتاب العربي 1405هـ) .

- الحوادث والبدع ، لأبي بكر الطرطوشي ، تحقيق : علي حسن عبد الحميد ، ط2 (دار ابن الجوزي 1417هـ) .

- الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها ، يوسف العش ، د.ط (دمشق :مطبعة الترقي 1364هـ) .

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لأبي الفضل جلال الدين السيوطي ، د.ط (دار الفكر 1414هـ) .

- درء التعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ط1 (الرياض : مطابع جامعة الإمام 1401هـ) .

- دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ، لناصر بن عبد الكريم العقل ، ط2 (الرياض : دار اشبيليا 1424هـ) .

- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، لمحمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ط1 (الرياض : مكتبة الرشد 1422هـ) .

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني ، تحقيق : محمد عبد المعيد ضان ، ط2 (حيدر آباد : مجلس دائرة المعارف العثمانية 1392 هـ) .

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لابن فرحون المالكي ، تحقيق : محمد الأحمدي ، د.ط (مصر : مكتبة دار التراث د.ت) .

- ديوان أبي تمام الطائي ، جمع وتحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، د.ط (مكتبة النهضة المصرية 1965م) .

- ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : محمد شكور ، ط1 (الزرقاء : مكتبة المنار 1406هـ) .

- ذيل طبقات الحفاظ ، للسيوطي ، ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية 1403هـ).

- الذيل على طبقات الحنابلة ، لابن رجب ، د.ط (بيروت : دار المعرفة د.ت) .

- ذيول تاريخ بغداد ومختصراته ، تحقيق : مصطفى عبد القادر ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية 1417هـ) .

- الرحلة في طلب الحديث ، ت : نور الدين عتر ، ط2 (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1425هـ).
- الرد على الزنادقة والجهمية ، للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : محمد حسن راشد ، د.ط (القاهرة : المطبعة اليلفيو 1393هـ) .
- رسالة في علم النجوم ، تحقيق: طارق العمودي ، ط 1 (بيروت:دار الكتب العلمية 1425هـ) .
- رسالة السجزي إلى أهل زَبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت ، للإمام الحافظ أبي النصر السجزي ، تحقيق : د.محمد باكريم باعبد الله ، ط2 (المدينة : الجامعة الإسلامية 1423هـ) .
- الروح ، لابن القيم الجوزية ، تحقيق : د.السيد الجميلي ، ط5 (دار الكتاب العربي 1412هـ) .
- زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي ، ط4 (المكتب الإسلامي 1417هـ) .
- الزواجر عن اقتراف الكبائر ، لابن حجر الهيثمي ، د.ط (بيروت : دار المعرفة 1408هـ) .
- الزهد ، للإمام أحمد بن حنبل ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية 1389هـ) .
- الزهد الكبير ، للبيهقي ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، ط1 (دار الجنان 1408هـ) .
- الزهد والرقائق ، للإمام ابن المبارك المروزي ، تحقيق : أ.حبيب الرحمن الأعظمي ، قام بنشره محمد عفيف الزعبي ، د.ط (بيروت : مؤسسة الرسالة د.ت) .
- السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد ، الخطيب البغدادي ، ت : محمد بن مطر الزهراني ، ط2 (الرياض : دار الصميعي ، 1421هـ) .
- سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبد الله القزويني ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط1 (دار إحياء التراث 1395هـ) .
- سنن أبي داود ، لأبي داود السجستاني ، تعليق : عزت الدعاس وعادل السيد ، ط1 (دار الحديث 1393هـ) .

– سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية 1408هـ) .

– سنن الدارمي ، للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمر قندي ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، و خالد السبع العلمي ، ط1 (بيروت دار الكتاب العربي 1407هـ).

– السنن الكبرى ، البيهقي ، ط1 (بيروت : دار المعرفة 1353هـ) .

– سنن النسائي ، بشرح السيوطي ، تحقيق : مكتب التراث الإسلامي ، ط2 (بيروت : دار المعرفة 1412هـ) .

– السنة ، الإمام عبد الله أحمد بن حنبل ، تحقيق : محمد سعيد القحطاني ،ط 1 (المملكة العربية السعودية : دار ابن القيم 1406هـ) .

– سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط – محمد نعيم العرقسوسي ، ط 1 (بيروت : مؤسسة الرسالة 1405هـ)

– سيرة الإمام أحمد ، لأبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل ، تعليق : د.فؤاد عبد المنعم ، ط5 (الرياض : دار السلف 1415هـ) .

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، د.ط (بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع د.ت) .

- شرح أسماء الله الحسنى ، للرازي ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعيد ، د.ط (بيروت : دار الكتاب العربي 1404هـ) .

– شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للالكائي ، تحقيق : د. أحمد بن سعيد الغامدي ، ط2 (دار طيبة 1415هـ) .

– شرح حديث النزول ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد الخميس ، ط1 (الرياض : دار العاصمة 1414 هـ) .

– شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، تحقيق :د.عبد الله التركي ، وشعيب الأرناؤوط ، ط1 (مؤسسة الرسالة 1412هـ) .

– شرح العقيدة الواسطية ، محمد خليل الهراس ، قام بتصحيحه الشيخ إسماعيل الأنصاري ، د.ط (دار الكتاب الإسلامي 1412هـ) .

- شرح صحيح مسلم المسمى بالمنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، د.ط (بيروت : دار الفكر د.ت) .

- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، للشيخ عبد الله الغنيمان ، ط1 (مكتبة لينة بدمنهور 1409هـ) .

- الشرح والإبانه عن أصول السنة والديانة (الإبانة الصغرى) ، لابن بطة العكبري ، تحقيق : رضا نعسان ، ط2 (1411هـ) .

- شرف أصحاب الحديث ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي ، ط 1 (بيروت : عالم الكتب 1423هـ) .

- الشريعة ، للإمام أبو بكر محمد الآجري ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط 1 (الرياض : مكتبة دار السلام 1413 هـ) .

- الصارم المسلول على شاتم الرسول ، لشيخ الإسلام بن تيمية ، تحقيق : محمد عبد الله الحلواني ، ومحمد كبير شودري ، ط1 (بيروت : دار بن حزم 1417هـ) .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، لأحمد بن علي القلقشندي ، شرحه وعلّق عليه وقابل نصوصه : محمد حسين شمس الدين ، ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية 1407هـ).

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط3 (بيروت : دار العلم للملايين 1984م) .

- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، د.ط (تركيا:المكتبة الإسلامية د.ت).

- صحيح بن خزيمة ، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي ، ط1 (المكتب الإسلامي 1395هـ) .

- صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، د.ط (تركيا : المكتبة الإسلامية د.ت) .

- الصفدية ، لسيخ الإسلام بن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، د.ط (الرياض : دار الفضيلة 1421هـ) .

- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، لابن القيم الجوزية ، تحقيق : علي الدخيل ، ط2 (الرياض : دار العاصمة 1412هـ) .

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، لشمس الدين السخاوي ، د.ط (بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة د.ت) .

- الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد الزهري البصري ، د.ط (بيروت : دار صادر د.ت).

- طبقات الحفاظ ، لأبي الفضل جلال الدين السيوطي ، بدون ناشر ولا تاريخ نشر .

- طبقات الحنابلة ، للقاضي أبي يعلى ، د.ط (بيروت:دار المعرفة للنشر والطباعة د.ت).

- طبقات الشافعية ، لجمال الدين الأسنوي ، تحقيق : عبد الله الجبوري ، د.ط (الرياض : دار العلوم 1400هـ) .

- طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج السبكي ، تحقيق : محمود محمد الطناجي ، عبد الفتاح محمد الحلو ، ط1 (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه 1386هـ) .

- طبقات الصوفية ، لأبي عبد الرحمن السلمي ، ط2 (دار الخانجي د.ت) .

- طبقات المفسرين ، للسيوطي ، تحقيق : علي محمد عمر ، ط1 (القاهرة : مكتبة وهبة 1396هـ) .

- ظلال الجنة في تخريج السنة لأبي عاصم ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط3 (بيروت : المكتب الإسلامي 1413هـ) .

- العبر في خبر من غبر ، للذهبي ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، د.ط (دار الكتب العلمية د.ت) .

- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، لزكريا بن محمد القزويني ، مطبوع مع كتاب حياة الحيوان الكبرى ، للدميري ، ط4 (مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده 1970م) .

- العظمة ، لأبي الشيخ الأصبهاني ، تحقيق : رضاء الله المباركفوري ، ط1 (الرياض : دار العاصمة 1408هـ) .

- عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، تحقيق : د.ناصر الجديع ، ط1 (الرياض : دار العاصمة 1415هـ) .

- علم الملل اهميته وضوابطه الشرعية ، لأحمد عبدالله جود ، رسالة علمية (ماجستير) ، بإشراف : د. ناصر بن عبد الكريم العقل ، بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1418هـ .

- علوم الحديث ، ابن الصلاح ، تحقيق : نور الدين عتر ، د.ط (بيروت : المكتبة العلمية 1401هـ) .

- عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق عظيم أبادي ، ط1 (دار الكتب العلمية 1410 هـ) .

- غريب الحديث ، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، وثق أصوله وخرّج أحاديثه وعلّق عليه : د.عبد المعطي أمين قلعجي ، ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية 1405هـ) .

- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، للسفاريني ، د.ط (مؤسسة قرطبة ، دار ابن تيمية للطباعة د.ت) .

- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية 1410هـ) .

-الفتح الرباني ، لأحمد عبد الرحمن البنا ، د.ط (بيروت:دار إحياء التراث العربي د.ت).

- فتح القدير ، للشوكاني ، ط2 (شركة مصطفى البابي 1383هـ) .

- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، علّق عليه : الشيخ عبد العزيز بن باز ، د.ط (مكة المكرمة : الكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز د.ت) .

- فتح المنان بترجمة العلامة الشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان ، لعبد الحميد بن عبد العزيز بن محمد السلمان ، ط1 (1413هـ) .

- الفرق بين الفرق ، لعبد القاهر البغدادي ، ط2 (بيروت : دار الآفاق الجديدة 1977م).

- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، لغالب بن علي عواجي ، ط6 (جدة : المكتبة العصرية الذهبية 1328هـ) .

- الفروق ، لأبي هلال العسكري ، ط1 (بيروت : مؤسسة الرسالة 1322هـ) .

- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم ، تحقيق : د. محمد إبراهيم و د. عبد الرحمن عميرة ، ط1 (شركة مكتبات عكاظ 1402 هـ) .
- الفصل للوصل المدرج في النقل ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : محمود نصار ، ط 1 (بيروت : نشر دار الكتب العلمية 1424هـ) .
- فضائل الصحابة ، للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل تحقيق : وصيّ الله بن محمد بن عباس ، ط1 (جدة : دار العلم 1403هـ) .
- الفقه الأكبر ، لأبي حنيفة ، ط3 (حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية د.ت) .
- الفقه الأكبر بشرح الملا علي القارئ ، د.ط (مصر : مطبعة دار الكتب العربية الكبرى مصطفى البابي د.ت) .
- الفقيه والمتفقه ،الخطيب البغدادي ، تحقيق : عادل يوسف العزازي ، ط 3 (المملكة العربية السعودية : دار ابن الجوزي 1426هـ)
- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لزين الدين عبد الرؤوف بن علي المناوي ، د.ط (دار المعرفة د.ت) .
- القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان " دراسةً وتحقيقاً " ، تحقيق : سعود الخلف ، ط1 (الرياض : دار العاصمة 1410هـ) .
- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، د.ط (بيروت : المكتبة العلمية د.ت) .
- القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، ط2 (مؤسسة الرسالة ، 1407هـ) .
- القول السديد شرح كتاب التوحيد ، لابن سعدي ، ط1 (الرياض : دار الوطن 1412هـ) .
- القول في علم النجوم ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : يوسف السعيد ، ط 1 (الرياض : دار أطلس للنشر والتوزيع ، 1420هـ) .
- القول المفيد على كتاب التوحيد ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق : د.سليمان أبا الخيل ، و د.خالد المشيقح ، ط1 (الرياض : دار العاصمة 1415هـ) .

– الكامل في التاريخ ، لابن الأثير لاالجزري ، عنى بمراجعة أصوله والتعليق عليه : نخبة من العلماء ، ط4 (دار الكتاب العربي 1403هـ) .
– كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، للإمام محمد بن عبد الوهاب ، د.ط (الرياض:الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد 1413هـ).
– كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، لابن خزيمة ، تحقيق : عبد العزيز الشهوان، ط3 (الرياض : مكتبة الرشد 1414 هـ) .
– كشاف اصطلاحات الفنون ، للتهانوي ، د.ط (بيروت : شركة خياط 1966م) .
– الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، د.ط (بيروت : دار المعرفة د.ت) .
– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة ، د.ط (بغداد : مكتبة المثنى د.ت) .
– الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي ، د.ط (بيروت : نشر دار الكتب العلمية 1409هـ) .
– الكلام على الصفات ، للخطيب البغدادي ، تحقيق : عمرو عبد المنعم ، ط1 (القاهرة : مكتبة بن تيمية 1413هـ) .
– كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، د.ط (مؤسسة الرسالة د.ت) .
– لسان العرب ، لابن منظور الأنصاري ، علّق عليه : علي شيري ، ط2 (دار إحياء التراث العربي 1412هـ) .
– لحظ الألحاظ
– لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية ، للسفاريني ، تحقيق : عبد الله البصيري ، ط1 (الرياض : مكتبة الرشد 1415هـ) .
– لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية ، للسفاريني ،د.ط (جدة: مطابع دار الأصفهار وشركاه 1380هـ) .

- المتفق والمفترق ، الخطيب البغدادي ، ت : محمد صادق الحآمدي ، ط1 (دمشق : دار القادري ، 1417هـ) .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، ط3 (دار الكتاب العربي 1402 هـ) .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب : الشيخ : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، وساعده ابنه محمد ، د.ط (الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي د.ت) .
- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ، جمع فهد السليمان ، ط2 (الرياض : دار الوطن 1413هـ) .
- المحاسن والمساوئ ، لإبراهيم بن محمد البيهقي ، د.ط (بيروت : دار صادر 1390هـ).
- مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، عبد العزيز محمد السلمان ، ط 6 (الرياض:رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد 1402 هـ).
- مختصر العلو للعلي الغفار ، للذهبي ، تحقيق : ناصر الدين الألباني ، ط2 (المكتب الإسلامي 1412هـ) .
- مختصر منهاج القاصدين ، لابن قدامة المقدسي ، تحقيق : علي حسن عبد الحميد ، ط2 (الأردن : دار عمار 1415 هـ) .
- مدارج السالكين ، لابن القيم الجوزية ، راجع النسخة وضبط أعلامها : لجنة من العلماء ، د.ط (القاهرة : دار الحديث د.ت) .
- مسائل الإيمان ، لابن أبي يعلى ، تحقيق : سعود الخلف ، ط1 (الرياض : دار العاصمة 1410هـ) .
- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ، د.ط (دار الكتاب العربي د.ت) .
- المسند ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، شرحه وصنع فهارسه : أحمد محمد شاكر ، ط4 (مصر : دار المعارف 1373هـ) .

- مسند ابن الجعد ، لأبي الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري ، رواية وجمع : أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي ، مراجعة وتعليق وفهرسة : عامر أحمد حيدر ، ط1 (مؤسسة نادر للطباعة والنشر والتوزيع 1410هـ) .

- مسند عمر بن الخطاب ، لأبي بكر أحمد بن سليمان النجاد ، تحقيق وتخريج : محفوظ الرحمن زين الله ، ط1 (المدينة النبوية : مكتبة العلوم والحكم 1415هـ) .

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد الفيومي ، د.ط (دار الفكر د.ت) .

- المصنف في الأحاديث والآثار ، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط1 (الرياض : مكتبة الرشد 1409هـ) .

- المصنف ، لعبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، ط1 (بيروت : المكتب الإسلامي 1392هـ) .

- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية 1403هـ) .

- المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى الحنبلي ، تحقيق : د.وديع زيدان حداد ، د.ط (بيروت : دار المشرق د.ت) .

- معجم الأدباء ، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، د.ط (دار إحياء التراث العربي د.ت) .

- معجم البلدان ، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، د.ط (دار إحياء التراث العربي 1339هـ) .

- المعجم الصغير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، صححه وراجع أصوله : عبد الرحمن بن محمد عثمان ، ط2 (بيروت : دار الفكر 1401 هـ) .

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، ط3 (القاهرة : دار الحديث 1411هـ) .

- معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط1 (بيروت : دار الجيل 1411هـ) .

- معجم المناهي اللفظية ، لبكر أبو زيد ، ط3 (الرياض : دار العاصمة 1417هـ) .
- المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، حققه وخرّج أحاديث : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط2 (د.ت) .
- معجم لغة الفقهاء ، محمد قلعجي _ حامد قنيبي ، ط 1 (بيروت : دار النفائس 1405هـ) .
- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحاله ، د.ط (دار إحياء التراث العربي د.ت) .
- المعرفة والتاريخ ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي ، تحقيق : خليل المنصور ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية 1419هـ) .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، لأبي الخير عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل الرومي الشهير بطاش كبرى زاده ، د.ط (دار الكتب العلمية د.ت) .
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلو والإرادة ، لابن القيم الجوزية ، صححه وعلّق عليه : محمد حسن ربيع ، ط3 (مصر : مكتبة حميدو 1399هـ) .
- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، ط الأخيرة (مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده 1381هـ) .
- مقالات الإسلاميين ، لأبي الحسن الأشعري تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، ط2 (مكتبة النهضة المصرية 1389هـ) .
- مقالة التشبية وموقف أهل السنة منها ، جابر أمير ، ط1 (الرياض : مكتبة أضواء السلف 1422هـ) .
- مقدمة ابن خلدون
- الملل والنحل ، للشهرستاني ، صححه : أحمد فهمي محمد ، ط7 (بيروت : دار الكتب العلمية 1428هـ) .
- مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، لابن الجوزي ، تحقيق : د.عبد الله بن عبد المحسن التركي ، صححه : د.علي محمد عمر ، ط1 (مصر : مكتبة الخانجي 1399هـ) .
- مناهج الجدل في القرآن ، لزاهر عواض الألمعي ، ط3 (الرياض : مطابع الفرزدق 1404هـ) .

- المنتخب من كتاب الزهد والرقائق ، الخطيب البغدادي ، ت : عامر حسن صبري ، ط1 (بيروت : دار البشائر الإسلامية ، 1420هـ) .

- المنتخب من مسند عبد بن حميد للإمام أبي محمد بن حميد ، تحقيق : السيد صبحي السامرائي ، و محمود خليل الصعيدي ، ط1 (الرياض : دار عالم الكتب 1408هـ) .

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم للإمام ابن الجوزي ، ط1 (حيدر آباد : مطبعة دائرة المعارف العثمانية 1357هـ) .

- منهاج السنة النبوية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ط1 (الرياض : مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1406هـ) .

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للإمام النووي ، ط2 (بيروت : دار إحياء التراث العربي 1392) .

- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، للعليمي ، ضبطه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط1 (مصر : مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر 1383هـ) .

- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ، عثمان علي حسن ، ط 1 (الرياض : مكتبة الرشد 1412هـ) .

- منهج النقد في علوم الحديث ، نور الدين عتر ، ط 3 (دمشق : دار الفكر 1401هـ).

- موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، لأكرم ضياء العمري ، ط2 (الرياض : دار طيبة 1405هـ) .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، د.ط (بيروت : دار المعرفة د.ت) .

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لجمال الدين بن تغري ، د.ط (مصر : المؤسسة المصرية العامة د.ت) .

- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، لابن حجر العسقلاني ، د.ط (بيروت : دار إحياء التراث العربي د.ت) .

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن المقري التلمساني ، تحقيق : إحسان عباس ، د.ط (بيروت : دار صادر 1388هـ) .

- النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناجي ، د.ط (مكة المكرمة : دار الباز د.ت)
- نواقض الإسلام ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ج1 ، د.ط (مكتبة بن تيمية د.ت) .
- نواقض الإيمان القولية والعملية ، لعبد العزيز العبد اللطيف ، ط2 (الرياض : دار الوطن 1415هـ) .
- الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين الصفدي ، د.ط (بيروت : دار سويدان 1381هـ).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، تحقيق : د.إحسان عباس ، د.ط (بيروت : دار صادر د.ت) .
- 14 عاماً مع سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، لعبد الكريم بن صالح المقرن، د.ط (الرياض : دار طويق 1422هـ) .

المخطوطات :

- إبطال التأويلات لأخبار الصفات ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء أبو يعلى الحنبلي ، الناسخ : صالح بن دخيل الله بن جاد الله آل سابق بن شماس ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، رقم المخطوط 11053/ف ، نُسخ في جماد الثاني سنة 1337هـ ، عدد الأوراق 196 ورقة ، عدد الأسطر 17 سطر ، المكتبة التي صدر عنها االمخطوط : مكتبة صبحي السامرائي ببغداد .

الدوريات :

- مجلة المجمع العلمي العربي ، 574/42 .
- مجلة الحج 16 ربيع الثاني ، و11 جمادى الأولى 1386هـ .

فهرس الموضوعات